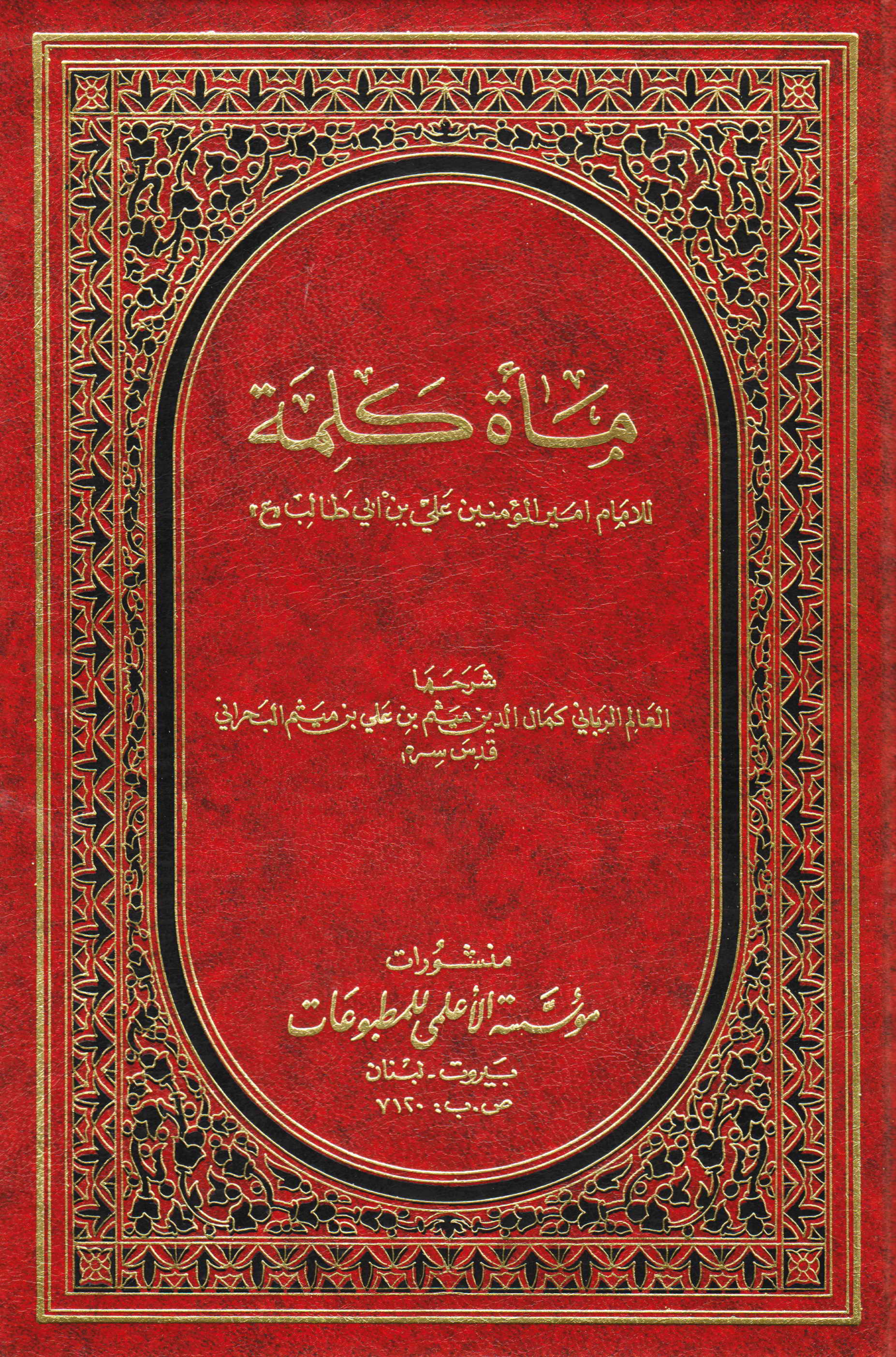

مأة كلمة
للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)
شرحها
العالم الرباني كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني
قدس سره
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب: ٧١٢٠



مأة كلمة

للامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «ع»

مـأة كـلـمـة

للامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «ع»

شرحها

العالم الرباني كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني

قدس سرّه

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص ب : ٧١٢٠

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة - ملك الاعلمي - ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف: ٨٣٣٤٥٣ - تلفاكس: ٨٣٣٤٤٧.

شرح

العالم الرّبّانىّ

كمال الدّين ميثم بن علىّ بن ميثم البحرانىّ

قدّس سرّه

على المائة كلمة

لأَمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب

عليه السّلام

عنى بطبعه و نشره و تصحيحه و التعليق عليه

ميرجلال الدّين الحسينىّ الارموىّ

المحدّث

مقدّمة النّاشر



الحمد لله وسلامٌ على عباده الّذين اصطفى.

امّا بعد

فهذه مقدّمة مختصرة تبحث عن ترجمة الشّارح و كتابه الحاضر.

قال العالم الخبير الخائض فی تراجم العلماء والسّادات السّيّد محمّد باقر الخوانساریّ (ره) فی روضات الجنّات (ص ٥٨١–٥٨٢ من النّسخة المطبوعة):

«الشّيخ كمال الدّين ميثم بن علیّ بن ميثم البحرانیّ كان من العلماء الفضلاء المدقّقين متكلّماً ماهراً له كتبٌ منها شروح نهج البلاغة؛ كبير ومتوسّط وصغير، وشرح المائة كلمة، و رسالة فی الامامة، و رسالة فی الكلام، و رسالة فی العلم وغير ذلك؛ يروی عنه السّيّد عبدالكريم بن أحمد بن طاووس وغيره، كذا فی أمل الآمل.

وقال صاحب اللّؤلؤة بعد عدّه من جملة مشايخ العلامة أعلى الله مقامه ومقامه:

امّا الشّيخ ميثم المذكور فانّه العلّامة الفيلسوف المشهور.

وقال شيخنا العلّامة الشّيخ سليمان بن عبدالله البحرانیّ - عطّر الله مرقده - فی رسالته المسمّاة بالسّلافة البهيّة فی التّرجمة الميثميّة:

هو الفيلسوف المحقّق والحكيم المدقّق قدوة المتكلّمين وزبدة الفقهاء والمحدّثين كمال الدّين ميثم بن علیّ بن ميثم البحرانیّ غوّاص بحر المعارف و مقتنص شوارد الحقائق واللّطائف، ضمّ الى الاحاطة بالعلوم الشّرعيّة واحراز قصبات السّبق فی العلوم الحكميّة

والفنون العقليّة ذوقاً جيّداً فى العلوم الحقيقيّة والاسرار العرفانيّة كان ذاكرامات باهرة ومآثر زاهرة ويكفيك دليلاً على جلالة شانه وسطوع برهانه اتّفاق كلمة ائمّةالأعصار وأساطين الفضلاء فى جميع الامصار على تسميته بالعالم الرّبّانى وشهادتهم له بأنّه لم يوجد مثله فى تحقيق الحقائق وتنقيح المبانى، والحكيم الفيلسوف سلطان المحقّقين واستاذالحكماء والمتكلّمين نصيرالملّة والدّين محمّد الطّوسى ّ شهد له بالتّبحّر فى الحكمة والكلام ونظم غررمدائحه فى أبلغ نظام، واستاذ البشر والعقل الحاديعشر سيّدالمحقّقين الشّريف الجرجانىّ على جلالة قدره فى اواثل فنّ البيان من شرح المفتاح قد نقل بعض تحقيقاته الانيقة وتعليقاته الرّشيقة وعبّرعنه ببعض مشايخنا ناظماً نفسه فى سلك تلامذته ومفتخراً بالانخراط فى سلك المستفيدين من حضرته المقتبسين من مشكوة فطرته، و السّيّد السّند الفيلسوف الاوحد ميرصدرالدّين محمّدالشّيرازى ّ أكثر النّقل عنه فى حاشية شرح التّجريد سيّما فى مباحث الجواهر والأعراض والتقط فرائد التّحقيقات الّتى ابدعها ــ عطّرالله مرقده ــ فى كتاب المعراج السّماوى ّ وغيره من مؤلّفاته لم تسمح بمثله الاعصار مادار الفلك الدّوّار وفى الحقيقة من اطّلع على شرح نهج البلاغة الّذى صنّفه للصّاحب خواجة عطاملك الجوينى ّ وهو عدّة مجلّدات شهد له بالتّبريز فى جميع الفنون الاسلاميّة و الادبيّة و الحكميّة والاسرار العرفانيّة.

ومن مآثر طبعه اللّطيف وخلقه الشّريف على ماحكاه فى مجالس المؤمنين انّه ــ عطّرالله مرقده ــ فى أوائل الحال كان معتكفاً فى زاوية العزلة والخمول مشتغلاً بتحقيق حقائق الفروع والاصول فكتب اليه فضلاء الحلّة والعراق صحيفة تحتوى على عذله وملامته على هذه الاخلاق وقالوا: العجب منك انّك مع شدّة مهارتك فى جميع العلوم والمعارف وحذاقتك فى تحقيق الحقائق وابداع اللّطائف قاطنٌ فى طلول الاعتزال، ومخيّم فى زاوية الخمول الموجب لخمود نار الكمال، فكتب فى جوابهم هذه الابيات:

طلبت فنون العلم أبغى بها العلى فقصّرنى عمّا سموت به القلّ

تبيّن لى أنّ المحاسن كلّها فروع وأنّ المال فيها هو الاصل

فلمّا وصلت هذه الابيات اليهم كتبوا اليه انّك أخطأت فى ذلك خطاءً ظاهراً وحكمك بأصالة المال عجب بل اقلب تصب؛ فكتب فى جوابهم هذه الابيات وهى لبعض الشعراء المتقدّمين :

قد قال قومٌ بغير علمٍ ما المرؤ الّا بأكبريه
فقلت قول امرىءٍ حكيمٍ ما المرؤ الّا بدرهميه
من لم يكن درهمٌ لديه لم تلتفت عرسه اليه

ثمّ انّه عطّر الله مرقده لمّا علم انّ مجرّد المراسلات والمكاتبات لاتنقع الغليل ولاتشفى العليل توجّه الى العراق لزيارة الائمّة المعصومين عليهم السّلام واقامة الحجّة على الطّاعنين ثم انّه بعد الوصول الى تلك المشاهد العليّة لبس ثياباً خشنةً عتيقةً وتزيّى بهيئةٍ رثّةٍ بالاطّراح والاحتقار خليقةً ودخل بعض مدارس العراق المشحون بالعلماء والحذّاق فسلّم عليهم فردّ بعضهم عليه السّلام بالاستثقال والانتقاع التّامّ فجلس — عطّر الله مرقده — فى صفّ النّعال ولم يلتفت اليه أحدٌ منهم ولم يقضوا واجب حقّه و فى اثناء المباحثة وقعت بينهم مسألة مشكلة دقيقة كلّت منها أفهامهم وزلّت فيها أقدامهم فأجاب — روّح الله روحه وتابع فتوحه — بتسعة أجوبة فى غاية الجودة والدّقّة فقال له بعضهم بطريق السّخريّة والتّهكّم: إخالك طالب علمٍ؟! ثمّ بعد ذلك أحضر الطّعام فلم يؤاكلوه - قدّس سرّه - بل أفردوه بشىءٍ قليلٍ على حدةٍ واجتمعوا هم على المائدة فلمّا انقضى ذلك المجلس قام — قدّس سرّه — ثمّ انّه عاد فى اليوم الثّانى اليهم وقد لبس ملابس فاخرةً بهيّةً بأكمام واسعة وعمامة كبيرة وهيئة رائعة فلمّا قرب و سلّم عليهم قاموا له تعظيماً واستقبلوه تكريماً وبالغوا فى ملاطفته ومطايبته واجتهدوا فى تكريمه وتوقيره وأجلسوه فى صدر ذلك المجلس المشحون بالافاضل والمحقّقين والاكابر المدقّقين ولمّا شرعوا فى المباحثة والمذاكرة

تكلّم معهم بكلمات عليلة لاوجه لها عقلاً ولاشرعاً فقابلوا كلماته العليلة بالتّحسين والتّسليم والاذعان على وجه التّعظيم فلمّا حضرت مائدة الطّعام بادروا معه بأنواع الادب فألقى الشّيخ – قدّس سرّه – كمّه فى ذلك الطّعام مستعتباً على اولئك الاعلام وقال: كل يا كمّى؛ فلمّا شاهدوا تلك الحالة العجيبة أخذوا فى التّعجّب والاستغراب واستفسروه – قدّس سرّه – عن معنى ذلك الخطاب فأجاب – عطّرالله مرقده – بأنّكم انّما أتيتم بهذه الأطعمة النّفيسة لأجل أكمامى الواسعة لالنفسى القدسيّة اللّامعة والّا فأنا صاحبكم بالامس ومارأيت تكريماً مع انّى جئتكم بالأمس بهيئة الفقراء وسجيّة العلماء واليوم جئتكم بلباس الجبّارين وتكلّمت بكلام الجاهلين فقد رجّحتم الجهالة على العلم والغنى على الفقر وأنا صاحب الأبيات الّتى فى أصالة المال وفرعيّة الكمال الّتى أرسلتها اليكم وعرضتها عليكم و قابلتموها بالتّخطئة و زعمتم انعكاس القضيّة فاعترف الجماعة بالخطاء فى تخطئتهم واعتذروا عمّا صدر منهم من التّقصير فى شأنه قدّس سرّه.

مصنّفاته

وله من المصنّفات البديعة والرّسائل الجليلة ما لم يسمح بمثلها الزّمان ولم يظفر بنظيرها أحدٌ من الاعيان؛ منها **كتاب شرح نهج البلاغة** وهوحقيقٌ بان يكتب بالنّور على الاحداق لابالحبر على الاوراق وهو عدّة مجلّدات، ومنها **شرحه الصّغير على نهج البلاغة** جيّد مفيد جدّاً؛ رأيته فى حدود الحادية والثّمانين بعد الالف، و كتاب **الاستغاثة** فى بدع الثّلاثة؛ لم يعمل مثله، وكتاب **شرح الاشارات** اشارات استاذه العالم قدوة الحكماء وامام الفضلاء الشّيخ السّعيد الشّيخ علىّ بن سليمان البحرانىّ وهوفى غاية المتانة والدّقّة على قواعد الحكماء المتألّهين وله كتاب **القواعد فى علم الكلام** يعنى به كتابه المسمّى بقواعد المرام وعندنا منه نسخة قديمة وقد فرغ من تصنيفه فى شهر ربيع الاوّل من سنة ستّ و سبعين وستّمائة، قال: وكتاب **المعراج السّماوىّ**، و كتاب **البحر الخضمّ** و **رسالة فى الوحى والالهام** وسمعت من بعض الثّقات انّ له شرحاً ثالثاً على كتاب نهج البلاغة متوسّطاً.

وفاتـه

مات قدّس سرّه سنة تسع وسبعين وستّمائة ذكر ذلك الشّيخ البهائيّ (ره) فى المجلّد الثّالث من الكشكول.

انتهى المقصود من نقل كلام الشّيخ المتقدّم ذكره.

أقول: ومن مصنّفاته قدّس سرّه كتاب شرح المائة كلمة؛ كان عندى فذهب منّى فى بعض الوقائع الّتى جرت علىّ، وله كما ذكره الشّيخ الفاضل الشّيخ علىّ بن محمّد بن حسن بن الشّهيد الثّانى فى كتاب الدّرّ المنثور كتاب **النّجاة فى القيامة فى تحقيق أمر الامامة** قال قدّس سرّه وقال الشّيخ ميثم البحرانىّ فى كتاب نجاة القيامه فى تحقيق أمر الامامة أنّ اهل اللّغة لايطلقون لفظ الاولى الّا فيمن يملك تدبير الأمر؛ الى آخر مانقله. وله أيضاً كما ذكره بعض مشايخنا المحقّقين من متأخّرى المتأخّرين **كتاب استقصاء النّظر فى امامة الائمّة الاثنى عشر.**

ثمّ انّ ماذكره شيخنا المذكور من نسبته كتاب الاستغاثة فى بدع الثلاثة للشّيخ المشار اليه غلطٌ قد تبع فيه بعض من تقدّمه ولكن رجع عنه فيما وقفت عليه من كلامه وبذلك صرّح تلميذه العالم الشّيخ عبدالله بن صالح البحرانىّ (ره) وانّما الكتاب المذكور كما صرّحا به لبعض قدماء الشّيعة من أهل الكوفة وهو علىّ بن أحمد ابو القاسم الكوفىّ والكتاب يسمّى كتاب البدع المحدثة ذكره النّجاشىّ فى جملة كتبه ولكن اشتهر فى ألسنة النّاس تسميته بالاسم الاوّل ونسبته للشّيخ ميثم، ومن عرف سليقة الشّيخ ميثم فى التّصنيف ولهجته واسلوبه فى التّأليف لايخفى عليه انّ الكتاب المذكور ليس جارياً على تلك اللّهجة ولاخارجاً من تلك اللّجّة **وامّا ماذكرناه من شرحه الصّغير** فانّه قد كان عندى وذهب فيما وقع على كتبى فى بعض الوقائع وبقى عندى الشّرح الكبير.

وذكر بعض العلماء فى حواشيه على الخلاصة أنّ ميثم حيثما وجد فهو بكسر الميم الّا

ميثم البحرانيّ فانّه بفتح الميم. **وقبر الشيخ المذكور الآن في بلادنا البحرين** في قرية هلتامن احدى القرى الثّلاثة من الماحوز المتقدّم ذكرها وقبر جدّه ميثم في قرية الدّونج وقد قبر شيخنا الشّيخ سليمان بن عبدالله البحرانيّ صاحب الرّسالة المذكورة في قربه لأنّه من قرية الدّونج كما تقدّم ذكر ذلك في صدر الاجازة عند ذكر ترجمته و نقل بعض أن قبره في نواحي العراق ؛ والاوّل أشهر.

تلامذته

ويروى عنه جملة من الاصحاب منهم السّيد الاجلّ السيّد عبدالكريم بن السّيد أحمد بن طاووس الى أن قال ومنهم الشّيخ سعيدالدّين محمّد بن جهم الأسديّ الحلّي انتهى كلام صاحب لؤلؤة البحرين في حقّ هذا الرّجل. وقد ذكره أيضاً صاحب كتاب مجمع البحرين في مادّة مثم فقال: وميثم بن عليّ بن ميثم البحرانيّ شيخ صدوق ثقة له تصانيف منها شرح نهج البلاغة لم يعمل مثله ، وله كتاب القواعد في اصول الدّين، وله كتاب استقصاء النّظر في امامة الأئمّة الاثنى عشر لم يعمل مثله ، وله كتاب الاستغاثة في بدع الثّلاثة حسنٌ جدّاً، وله رسالة في آداب البحث وهو شيخ نصيرالدّين في الفقه وله مجلس عند المحقّق الشّيخ نجم الدّين (ره) ومباحثة و أقرّ له بالفضل وشيخنا ابوالسّعادات رضوان الله عليهم أجمعين انتهى. وقد عرفت بطلان نسبة كتاب الاستغاثة اليه (ره) من كلام صاحب اللّؤلؤة وهوعندنا من القطعيّات الاوّلة لمّا بيّنّا في ذيل ترجمة مصنّف هذا الكتاب على الحقيقة عليّ بن أحمد بن موسى الرّضويّ الموسويّ فليراجع. وامّا مجلس مباحثة الرّجل مع مولانا المحقّق الحلّيّ فكأنّه من جملة مجالسه المنيفة الّتي قد عرفتها من تقرير صاحب المجالس.

ثمّ انّ في توضيح الاشتباه نسبة الغلط الى صاحب المجمع في اخذ هذه التّسمية من مادّة «مثم» معلّلة باتّفاق سائر اهل اللّغة على ذكرها في مادّة «وثم» دون «مثم» و «يثم» فياء ميثم منقلبة عن الواو لكسر ماقبلها ولو كان مفتوحاً لقالوا: موثم ؛ لا ميثم. **وفيه أيضاً** في ذيل ترجمة

ميثم التمّار الّذى هومن جملة حملة الاسرار: وهو بكسر الميم وسكون الياء وقال بعضهم بفتح الميم ولعلّه سهو فظهر من كل ّ ذلك ايضاً انّ تفصيل من نقل عن حاشيته على الخلاصة كلام بلادليل لايصح ّ على محضه التّعويل نعم لم يزد صاحب القاموس فى مادّة «وثم» على قوله: وميثم اسم ٌ؛ فسكت فيه عن ضبط هذه الصّيغة امّا تعويلاً على معروفيّة كونها مكسورة الميم او من جهة احتمالها الحركتين وفيه ايضاً من الاشارة الى كونها غير ذات معنى اصلى ّ فى لغة العرب مالايخفى وان كان الظّاهر عندنا انّها اسم آلة من الوثم الّذى هو بمعنى الدّق ّ كما انّ الميسم الّذى هو بالسّين المهملة مفعل من الوسم الّذى هو بمعنى الكىّ ونحوه واصله من الواو ايضاً بقرينة جمعه على مواسم كما افيد» .

أقول: حيث كانت هذه التّرجمة اجمع ترجمة للشّارح (ره) اكتفى المحدّث القمى ّ الحاج ّ الشّيخ عبّاس (ره) عند ذكره لهذا العالم فى كتابه «الكنى والالقاب» بتلخيصها وقال (ص ٤١٩):

«كمال الدّين ميثم بن على ّ بن ميثم البحرانىّ العالم الرّبانىّ و الفيلسوف المتبحّر المحقّق والحكيم المتألّه المدقّق جامع المعقول والمنقول استاذ الفضلاء الفحول صاحب الشروح على نهج البلاغة؛ يروى عن المحقّق نصير الدّين الطّوسىّ والشّيخ كمال الدّين على ّ بن سليمان البحرانىّ، ويروى عنه آيةالله العلّامة والسّيّد عبدالكريم بن طاوس. **قيل:** انّ الخواجة نصير الدّين الطّوسىّ تلمّذ على كمال الدّين ميثم فى الفقه وتلمّذ كمال الدّين على الخواجة فى الحكمة، توفّى سنة ٦٧٩ (خعط) وقبره فى هلتا من قرى ماحوز وحكى عن بعض العلماء أنّ ميثم حيثما وجد فهو بكسر الميم الّا ميثم البحرانىّ فانّه بفتح الميم والله تعالى العالم وكتب الشّيخ سليمان البحرانىّ رسالةً فى أحواله سمّاها السّلافة البهيّة».

أمّا كتاب القواعد فقد طبع بهامش المنتخب للطّريحىّ المطبوع فى بمبئى سنة ١٣٣١.

كلمة
حول هذا الشّرح

يؤخذ ممّا مرّ من كلمات العلماء عند الاشارة الى اسم هذا الشّرح والتّعبير عنه انّ

اسمه « شرح المائة كلمة » ولم اقف له على اسم غيرذلك لا فى كتب التراجم ولا فى الشّرح الحاضر لكنّ السيّد الجليل السيّد اعجاز حسين النيسابوريّ الكنتوريّ ــ أعلى الله درجته ــ قال فى كشف الحجب والاستار عن اسامى الكتب والاسفار فى حرف الشين مانصّه (ص ٣٤٩ من النسخة المطبوعة) :

« شرح كلام اميرالمؤمنين عليه السّلام الموسوم بالمائة كلمة للشّيخ كمال الدّين ميثم بن علىّ بن ميثم البحرانىّ شارح نهج البلاغة اسمه منهاج العارفين » .

وقال فى حرف الميم (ص ٥٦٦) :

« منهاج العارفين فى شرح كلام اميرالمؤمنين عليه السّلام الموسوم بالمائة كلمة للشّيخ كمال الدّين ميثم بن على بن ميثم البحرانىّ شارح نهج البلاغة » .

فكأنّه اسم تعيّنىّ لا تعيينىّ بمعنى انّ الشّارح (ره) رحمه الله لم يسمّ شرحه هذا بهذا الاسم لكنّ الشّرح لما كان مشتملاً على مطالب عالية ومباحث مهمّة وفوائد كثيرة جمّة من المطالب العرفانيّة سمّته الفضلاء المستفيدون منه بمنهاج العارفين .

أمّا المؤلّف له أعنى الوزير شهاب الدّين مسعود بن كرشاسف الّذى كتب الشّارح (ره) هذا الشرح لأجله وأتحفه ايّاه **فلم أعرفه** اذ لم اعثر على شىءٍ فيما عندى من الكتب يدلّنى على معرفة بحاله .

النّسخ الّتى كانت عندى حين طبع الكتاب ورموزها

كانت عندى اربع نسخ من هذا الشّرح حين طبعه ؛ ثلاث منها كانت لى وموجودة فى مكتبتى وواحدة منها كانت من كتب مكتبة جامعة طهران من الكتب الّتى أهداها الاستاذ السّيّد محمّد مشكوة الى هذه المكتبة و النّسخة مورّخة هكذا « فقد فرغت من نسخته السّادس من شهر جمادى الاخر[ى] من الهجرة النّبويّة فى سنة ثلاث وثلاثمائة بعد الف » . وهى مثبتة ومضبوطة فى المكتبة ومفهرسة (انظر فهرس المكتبة ؛ المجلّد الثّانى تأليف علينقىّ المنزوى ص ٢٨٥ ــ ٢٨٦ تحت عنوان « منهاج العارفين » رقم ١٧٤ . وكانت عندى باجازة الاستاذ المشار اليه فنشكره شكراً جزيلاً وجعلنا حرف الدّال « د » رمزاً لهذه النّسخة .

امّا النّسخة الّتي جعلنا عليها مدارالطّبع هي النّسخة الّتي وضعنا صورة الصّفحة الاولى والأخيرة منها مع صورة ماعلى ظهرها بين يدى القارئين وكانت منتسخةً بيد حسن بن محمّد بن علىّ بن مشرّف العيثانىّ ومورّخةً بشهر ربيع الاول من سنة سبعين و ثمانمئين (اى ثمانمائة) فراجع صورة الصّفحتين ان شئت وانّما جعلناها اساس الامر وبنبينا عليها طبع الكتاب لكونها اقدم النّسخ المذكورة واصحّها واتقنها كما يعرفه من هو أهل الفنّ من صور الصّفحات، وحرف الالف «ا» رمز لهذه النّسخة وحرفا الباء «ب» والجيم «ج» رمزا النّسختين الباقيتين ولاحاجة الى ذكر خصائصهما الّا انّه كما كانت نسخة الالف أعلى النّسخ ونسخة الدّال أدناها كانت النّسختان الباقيتان اعنى نسختا «ب» و «ج» متوسّطتين بينهما فى الجودة والرّداءة.

حسن اتّفاقٍ

كتب الىّ صديقى الفاضل الاجلّ ميرزا جعفر سلطان القرّائىّ – دام بقاؤه –:

ممّا يجرى مجرى الاتّفاقات الحسنة و يصير من مصاديق قولهم : الاسماء تنزل من السّماء ؛ هذه العبارة الفارسيّة « شرح ابن ميثم چاپ سيّد جلال الدّين » فانّ مجموع اعداد حروفها تاريخ طبع الكتاب.

والسّلام على من اتّبع الهدى.

وكان تحرير ذلك

فى الليلة السابعة والعشرين من المحرم الحرام سنة ۱۳۹۰ = ۱۵ فروردين ۱۳٤۹

مير جلال الدين الحسينى الارموى

المحدّث

كتاب

شرح الكلمات المائة من كلام بحر العلوم

الزاخر والشرف الفاخر الامام الهمام والاسد القمقام

امير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن ابي طالب ع

عليه افضل الصلوات واكمل التحيات

تأليف الامام الفاضل البارع كمال الدين ميثم بن علي

البحراني قدس الله سره وحشره

الله مع محمد وآله

الطاهرين

صورة ما على ظهر النسخة المشار اليها بحرف الالف «ا»

التي بني عليها طبع الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يا ذا الجلال والاكرام يا حي يا قيوم يا سلام يا مبدئ
الوجود ومنبعه وغاية كل موجود ومرجعه يا نور الانوار وعالم خفيات
الاسرار لك الحمد على عواطف كرمك وسوابغ نعمك لا مجازاة لفضلك
واحسانك بل خضوعا لعزتك وسلطانك ولا استنكافا من تطولك وامتنانك
بل استكانة لعظمتك وعلو شأنك واخلي ذاتي عن كل معبود بلا اله واحليها
بالا انت وبما انت الها وانم زينتها بشهادة ان محمدا عبدك ورسولك الجالي
لصدا القلوب الفاتح لخزائن الغيوب المورى لقبس الهدى بعد ان عشى ظلام
الجهل ابصار العقول الرافع لموضحات الاعلام بعد ان ضل الدليل وتاه المدلول
اللهم واسئلك ان تخصه بشرائف صلواتك وتمنحه نوامي بركاتك وان تجعل
لآله وخلفائه الراشدين من ذلك اجزل حظ واوفاه واوفر قسط واهناه واسئلك
ان تنور قلبي بلوامع هدايتك وتلحظ وجودي بعين عنايتك انك انت الوهاب
اما بعد فلما كان اكمل السعادات لشأنها واشرف الدرجات واعلاها هو الوصول في
الواحد الحق والحصول في المقعد الصدق حيث تنمحي ابصار البصائر في تلك
المشارق وتخترق القلوب في تلك المخارق وكان مولانا وامامنا سيد الوصيين
امير المؤمنين ذو الآيات الجليلة والكرامات العلية علي بن ابي طالب سلام الله
عليه ممن تسنم من تلك الدرجات اعلاها وارتقى من تلك المقامات باجلاها

واعلاها

اول صفحة من النسخة المشار اليها بحرف الالف «ا»

التى أسس عليها طبع الكتاب

مذاهب الطبيعة واشرنا الى كثير من اسبابه الكلية في القسم الاول ولعلك تعرف
امكان هذه الامور او شيء منها لو قد اخذ التوفيق بزمام عقلك فانقطعت عن
زينة الطبيعة فاطلعت على عجائب اعدائك الذين هم في صورة اصدقائك وعلى
الذين هم في زي [illegible] ثم حين انقادوا خلعك الى بساط الكرام
وحلول في دار المقام فانى احسبك حينئذ تعلم جلية ما اشتبه الان جزم
وحقيقة ما التبس عن عينيك [illegible] والله تعالى يوفقنا واياك لما يحبه ويرضاه
بمنه وجوده وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب وهو حسبي ونعم الوكيل

والحمد لله حق حمده وصلى الله على اشرف خلقه واله وصحبه واصحابه اجمعين وتم
الكتاب بعون الملك الوهاب القوي العلام ليلة الست عشرة
الثامن من شهر ربيع الاول سنة سبع وثمانين [illegible] سيد المرسلين
على يد العبد الفقير المحتاج الى رحمة ربه القدير [illegible]
ستر عيوبه وغفران ذنوبه والعون على قضاء حاجاته
حسن محمد على شرف [illegible] اصلح
الله داريه ووفقه لمجد واعانه عليه
انه جواد كريم

حاشية للشيخ [illegible] والشيخ المصفى الذي تسنم من الفضائل اعلى باب
وتلبس من التقى والعلم [illegible] جلباب الشيخ شمس الملة والدين [illegible]
[illegible]

آخر صفحة من النسخة المشار اليها بحرف الالف «ا»

التي عليها اساس طبع الكتاب



اللّهمّ يا ذاالجلال والاكرام يا حيّ ياقدّوس ياسلام ، يا مبدأ الجود ومنبعه وغاية كلّ موجود ومرجعه ، يا نورالانواروعالم خفيّات الاسرار، احمدك على عواطف كرمك وسوابغ نعمك؛ لامجازاةً[1] لفضلك[2] واحسانك بل خضوعاً لعزّتك وسلطانك، ولا استنكافاً من تطوّلك وامتنانك بل استكانةً لعظمتك وعلوّ شانك ، واخلّي ذاتي عن كلّ معبود بلااله واحلّيها بالّاانت وبما انت اهله، وأتمّ زينتها بشهادة أنّ مُحمّداً عبدك ورسولك ، الجالي لصدء القلوب ، الفاتح لخزائن الغيوب، المورى لقبس الهدى بعد ان غشي ظلام الجهل أبصار العقول ، الرّافع لموضحات الاعلام بعد ان ضلّ الدّليل وتاه المدلول ، اللّهمّ وأسألك ان تتحفه شرائف[3] صلواتك وتمنحه نوامى بركاتك ، وان تجعل لآله وخلفائه الرّاشدين من ذلك اجزل حظّ واوفاه واوفرقسط وانماه،وأسألك ان تنوّر قلبي بلوا مع هدايتك وتلحظ وجودى بعين عنايتك، انّك انت الوهّاب .

امّا بعد

فلمّا كان اكمل السّعادات و اتمّها و اشرف الدّرجات و اهمّها هوالوصول الى الواحد الحقّ والحصول فى المقعد[4] الصّدق حيث تنمحق ابصار البصائر فى تلك المشارق[5] وتحترق القلوب فى تلك المحارق[6] ، و كان مولانا وامامنا سيّد الوصيّين اميرالمؤمنين

١ـ ب: «مجاراة» . ٢ـ ب: «لتفضلك» . ٣ ج د: «بشرائف» . ٤ـ د: «مصعد» .

٥ـ سقط ورقتان من نسخة ج؛ والساقط من الكلمات يبتدأ من هنا . ٦ـ ا د : «المخارق» .

ذوالايات الجليّة والكرامات العليّة علىّ بن ابى طالب سلام ُالله عليه ممّن تسنّم من تلكّ الدّرجات اعلاها وفاز من تلكّ المقامات باجلاها(١) واسماها حتّى ظهرت ينابيع الحكمة على لسانه وسطع صبح الحقّ من افق برهانه ، فلاحت من وادى كماله اعلامه الزّاهرة ولوّحت الى شرف قوّته القدسيّة آياته الباهرة حتّى لقدكفرت فيه طائفة لمّا(٢)رأت من تلكّ الآيات(٣) وزعمت انّه الـه الأرض والسّماوات ، وفسقت الاخرى بمنا بذته بغياً عليه وحسداً ، و وجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربّكّ احداً (٤)، وكان من جملة حكمه البالغـة وشموسه البازغة(٥) مائة من الكلم جمعت لطائف الحكم؛ انتخبها من كلماته الامام ابوعثمان عمروبن بحرالجاحظ عفى الله عنه وكان ممّن استجمع فضيلتى العلم والأدب وحكم بانّ كلّ كلمة منها تفى بالف من محاسن كلام العرب ولم يخصّها من سائر حكمه(٦) لمزيد جلالـة بل لضمـّها (٧) الوجازة الى الجزالة ثمّ اتّفق اتّصالى بمجلس الصّاحب المعظّم ملكّ وزراء العالَم العالِم العـادل ذى النّفس القدسيّة والرّياسة الانسيّة شهـاب الدّنيا والدّين مسعود بن كرشاسف ضاعف الله جلاله و ادام اقبـاله فألفيته منخرطاً فى سلكّ الرّوحانيّات معرضاً عن الاجسام والجسمانيّات مولّياً بوجهه شطرالقبلة الحقيقيّة متلقّياً بقوّته العقليّة اسرارالمباحث اليقينيّة(٨)، احظى جلسائه لديه من نطق بحكم واكرمهم عليه من حاوره فى علم ، احببت أن اتحف حضرته العليّة بكشف استاربعض(٩) تلكّ الكلمات ورموزها وابراز(١٠) ما ظهرلى من دفائنها و كنوزها ، وشرعت فى ذلكّ معتصماً بالله وملتمساً للعذر ممّن عثرلى على هفوة(١١) واطّلع منّى على زلّة فانّى مع قصور استعدادى عن درك هذا المقام؛ احوالى الحاضرة جاريـة على غيرنظـام ، وعلى الله قصد السّبيل وهوحسبى ونعم الوكيل.

١ـ ب : «باجلها» . ٢ـ يمكن قراءتها «لما» (بلام الجر وماالموصولة) . ٣ـ د : «الكرامات» . ٤ـ ذيل آية ٤٩ سورةالكهف. ٥ـ فى النسخ «الطالعة» . ٦ـ د: «كلمه».
٧ـ د: «الالتضمنها» . ٨ـ د: «النفسية» . ٩ـ ب : «بعض استار» . ١٠ـ د : «واظهار».
١١ـ د : «هبوة» .

و قدر تبت هذه الرسالة على ثلاثة اقسام ؛

القسم الاوّل فى المبادى و المقدّمات الّتى يجب تقديمها فى اثبات هذا المطلوب؛وفيه فصول:

الفصل الاول

فى النّفس الحيوانيّة ولواحقها؛ وفيه ابحاث:

البحث الاول

فى تحقيقها وبرهان وجودها بقول و جيز :

انّ العناصر الأربعة قد يبلغ استعداد مزاجها فى التّمام الى درجة اعلى من مزاج المعدن والنّبات كما علمت ذلك فى موضعٍ اليق به فيقبل حينئذٍ كمالاً اشرف من كماله وهوالنّفس الحيوانيّة،وحدّها أنّها كمالٌ اوّلٌ لجسم طبيعيٍ آلىّ معدّ لقبول الحسّ والحركة ، والاحتراز بالطّبيعىّ عن الصناعىّ، وبالأوّل[1] عن الكمال الثّانى كالعلم وغيره، وبالآلىّ عن صور العناصر.

وامّا برهان وجودها فقالوا : انّ العضو المفلوج فيه قوّة نفسانيّة لانّ العناصر المتجاذبة الى الانفكاك لاتجتمع الّا لقاسر قبل الامتزاج وهو مغاير للمزاج وتوابعه لتأخّرها عنه وهو امّا ان يكون قوّة الحسّ والحركة وهو باطل لعدمها فى[2] العضو المفلوج ، او قوّة التّغذية وهو أيضاً باطل لانّها قد تبطل مع بقاء الحيوانيّة ولانّ الغاذية موجودة[3] للنّبات فلو اعدّت لقبول الحسّ والحركة لكان النّبات مستعدّاً لهما ، أو مغايراً[4] لهذين القسمين وهوالمطلوب، ولمّا كانت هذه النّفس بعد مايعمّها من القوى[5] النّباتيّة تختصّ بقوّتين؛ احداهما مدركة والاخرى محرّكة وكانت المدركات تنقسم الى

۱- د : «و بالكمال الاول». ۲- ب د : «من». ۳- د : «سوجودية». ٤- د : «او مغاير». ٥- فى النسخ : «قوى».

ظاهرةٍ وباطنةٍ وجب أن نبحث(١) عن ماهيّة الادراك واقسام المدركات.

البحث الثانى
فى ماهيّة الادراك

ادراك الشّىء هو ان تكون حقيقته متمثّلةً عند المدرك يشاهدها ما به يدرك(٢) والمراد بتمثّل الحقيقة عند المدرك حضور مثال الحقيقة فى ذات المدرك ان لم يكُن ادراكه بتوسّط آلة ، أو فى آلته إن كان الادراك بتوسّط الآلة ؛ و بيان ذلك انّ الحقائق المدركة امّا كلّيّات أوجزئيّات، امّا الكلّيّات فالمدرك العقل بذاته فقط من دون توسّط آلة، وامّا الجزئيّات وان ادركها العقل لكن لابذاته بل بتوسّط ادراكات جزئيّةٍ لقوىً اخرى هى آلة له(٣) وهى المسمّاة بالحواسّ ولكلّ واحد منها أيضاً آلة فحيث حصل مثال الشّىء المدرك فى آلة الحسّ ولاقاه وشاهده فتلك المشاهدة هى الاحساس والادراك، والمثال الحاصل فى آلة الحسّ هو المحسوس فى الحقيقة وامّا تسمية الشّىء الخارجىّ الّذى حصل مثاله فى آلة الحسّ محسوساً فمجاز لكونه سبباً لحصول هذا المثال وانّما يكون سبباً عند حصول نسبة وضعيّة بينه وبين آلة الحسّ بحيث لو لم يكن لم يحصل الاحساس ، واعتبر عدم(٤) تلك النّسبة الى حسّ ابصارنا كالاجسام الغائبة فانّا لعدم تلك النّسبة لاندركها بحسّ البصر ؛ وفى تحقيق ماهيّة الادراك وانّه حضور مثال الحقيقة فى ذات المدرك أو فى آلته اوامراعمّ من ذلك غموض يحتاج الى بحث لايحتمله موضعنا.

البحث الثالث فى الحواس الظاهرة وهى خمس
فالأوّل حسّ اللّمس

ورسمه انّه قوّة منبثّة فى جميع البشرة واللّحم بها يدرك ما يماسّه ويتّصل به ،

١- د : «وجب البحث» . ٢- هذا التعريف مأخوذ من الاشارات بعين عبارته . ٣- ب: «آلة للعقل له» . ٤- د : «عندهم» .

والغرض منه انّه لمّا كان الحيوان الأرضيّ مركّباً من العناصر الأربعة وصلاحه بصلاحها وفساده بتغالبها وجب أن يكون له تلك القوّة ليدرك بواسطتها المنافى فيحترز[١] عنه والملائم فيطلبه ويقرب منه ، والمحسوسات به الكيفيّات الأربع[٢] وهى الحرارة والبرودة والرّطوبة واليبوسة ، وكذلك الصّلابة واللّين والخشونة والملاسة والثّقل والخفّة ، ومن شرط هذا الادراك أن تكون كيفيّة الملموس مخالفة لكيفيّته فيكون امّا ابرد منه مثلاً اواحرّ فانّها لو كانت مشابهة لكيفيّته لم ينفعل الجلد منه البتّة كصاحب الدّقّ فانّه لايدرك حرارة حمّاه لسخونة مزاج اعضائه.

الثّانى ـ حسّ الذّوق؛ وهو قوّة رتّبت فى العصبة المفروشة على سطح اللّسان الّتى هى من جملة الزّوج الثّالث من الأعصاب الّتى تنبت من الدّماغ وتدرك الطّعوم من الأجرام المماسّة بواسطة مخالطة تلك المطعومات للرّطوبة العذبة[٣] اللّعابيّة الّتى تحصل من الملعبة و وجب كون هذه الرّطوبة خالية عن الطّعم فى ذاتها لتكون صالحة لهذه التّأدية والتّوسّط ، ولو كان لها طعم فى ذاتها أو مركّباً من طعمها وطعم غيرها لاستحال ادراك طعم الشّىء وحده ولهذا لمّا عرض لها طعم المرارة فى فم المرضى لم تكن مطعوماتهم صادقة الطّعوم بالنّسبة اليهم ولهذا خلقت خالية عن الطّعم وكانت لزجة لئلّا يسرع اليها الجفاف بسبب حرارة الحيوان.

الثّالث ـ حسّ الشّمّ وهو قوّة رتّبت فى الزّائدتين فى[٤] مقدّم الدّماغ الشّبيهتين[٥] بحلمتى الثّدى هما آلة الشّمّ[٦] مدركة للرّوائح بتوسّط الهواء المنفعل[٧] عن ذى الرّائحة امّا بأن ينفصل من ذى الرّائحة بخار مكيّف بتلك الرّائحة ويختلط بالهواء امّا بأن يستعدّ الهواء بمجاورة ذلك الشّىء لقبول رائحة مثل رائحته فتفاض تلك الرّائحة من واهبها.

فأمّا ما يقال بأنّ الرّائحة تنفصل من ذى الرّائحة فتدرك؛ غلط ، اذ العرض

١ـ ا : «ليحترز». ٢ـ د: «و يعرف منه المحسوسات به المتلقيات الاربع». ٣ـ د: «العذية». ٤ـ د: «من». ٥ـ ا: «المشبهتين». ٦ـ ا: «آلة للشم». ٧ـ د: «المنفصل».

لاينتقل من جسم الى جسم فاذا وصل ذلك الهواء الى طرف الانف تأدّى[١] الى تينك[٢] الزائدتين وانفعلتا عن تلك الرّائحة وكيفيّاتها فادركتها القوّة المذكورة[٣] فكان ذلك شمّاً وادراكاً للرّائحة.

الرّابع ـ حسّ السّمع وهى قوّة نافذة من[٤] الدّماغ الى الاذن فى عصبة نابتة من الدّماغ الى الصّماخ مبسوطة عليه ممدودة كمدّ الجلد على الطّبل وهذه العصبة آلة تلك القوّة وهى مدركة للصّوت بتوسّط الهواء وهو هيئة تحصل فى الهواء بسبب تموّج يقع له بحركة عنيفة امّا من قرعٍ بعنف[٥] يحصل عن اصطكاك جسمين صلبين فينضغط الهواء بينهما وينفلت[٦] بشدّةٍ وامّا من قلع بقوّة فيدخل الهواء بشدّة بين الجسمين المنفصلين ويحصل من هذين السّببين[٧] تموّج الهواء على هيئة مستديرة كما ترى فى[٨] الدّوائر الحاصلة فى الماء الرّاكد عند رمى حجر فى وسطه فانّها اوّلاً تكون صغيرةً ثمّ تتّسع فتضعف قليلاً قليلاً الى ان تنمحى فاذا انتهى هذا التموّج الى الهواء الّذى فى الاذن حرّكه حركة مخصوصة على هيئة مخصوصة فتنفعل العصبة المفروشة على الصّماخ من تلك الحركة فيحصل هناك طنين فتلاقيه القوّة المذكورة فيها وتدركه فيسمّى هذا الادراك سماعاً ، **وقد يتّفق**[٩] ان يتّصل هذا التموّج بجسم صلب فيصكّه ويرتدّ عنه فينعطف ثانياً ويتّصل بهواء الاذن فتنفعل العصبة عنه فتدركه قوّة السّمع ويقع ذلك فى الحمّامات والجبال والبيوت المجصّصة ويسمّى صدىً.

الخامس ـ حسّ البصر وهو قوّة مرتّبة فى العصبتين المجوّفتين النّابتتين من الدّماغ الى كلّ واحدة من العينين مدركة للصّور المنطبعة فى الرّطوبة الجليديّة بتوسّط جسم لطيف نورانىّ ينبعث من الدّماغ سارياً فى تينك العصبتين المجوّفتين الى العين يسمّى ذلك الجسم الرّوح الباصر[١٠] وهو آلة تلك القوّة وحاملها كما ستعرف ان شاءالله تعالى

١ـ ا : «فأدى». ٢ـ فى الاصل: « تلك ». ٣ـ د : «المدركة». ٤ـ ا : «فى».
٥ـ د : «عنيف». ٦ـ ب : «ينقلب» د : «ينقلب». ٧ـ د : «الشيئين». ٨ـ ب د : « من ». ٩ـ د : «اتفق». ١٠ـ د : «الناظر».

وهذا الرّأى اعنى انّ الابصار بسبب انطباع صورة المرئىّ فى الرّطوبة الجليديّة هو رأى الحكيم ارسطو وعليه آراء متأخّرى الحكماء، وفى كيفيّة الابصار مذهب آخر وهو انّه انّما يكون بخروج شعاع من العين على شكل مخروط تتّصل[1] قاعدته بسطح المرئىّ وزاويته متّصلة بنقطة النّاظر؛ وهو مذهب باطل، وعلى بطلانه براهين كثيرة ويكفيك منها ههنا ان تعلم انّه لو كان كذلك لاختلف الرّؤية عند هبوب الرّياح وركودها لممانعة الهواء ولكان ماتحت الممانعات[2] من ذوات الألوان احقّ بأن يرى ممّا فى الزّجاجات الصّافية لسهولة نفوذ الشّعاع هناك؛ والتّاليان باطلان فالمقدّم كذلك، وباقى البراهين مذكورة فى المطوّلات.

ثمّ انّ لهذا الانطباع الّذى تأخذ عنه القوّة شروطاً سبعةً احدها سلامة الحاسّة من الآفات، الثّانى عدم الحجاب بين الرّائىّ والمرئىّ، الثّالث حصول النّسبة الوضعيّة بينهما وهى المقابلة، الرّابع كون المقابل ذالون، الخامس ان لايكون بينهما بُعدٌ مفرط، السّادس ان لايكون بينهما قربٌ مفرط، السّابع ان لايكون جسم المرئىّ فى غاية الصّغر؛ فاذا فرضنا تمام هذه الشّروط فانّ آلة الحسّ حينئذ تصير مستعدّة لحصول ذلك المرئىّ فيها أى صورة مطابقة فيها صورة الشّىء ومثاله الّا أنّ بينهما فرقاً وهو حصول القوّة المدركة هناك دون المرآة فادراك القوّة لتلك الصّورة المنطبعة يسمّى ابصاراً، **والاهمّ للحيوان من هذه الخمس هو الذّوق واللّمس** وامّا ماعداهما فقد يتعرّى عنها بعض الحيوانات.

واعلم انّ لهذه القوى حكمين عامّين :

احدهما ـ انّها لاتزيد على الخمس و برهانه انّ الطّبيعة لاتنتقل من درجة الى مافوقها الّا بعد استكمال جميع تلك الدّرجة فيها فلو كان فى الامكان حسّ آخر لكان حاصلاً للانسان وحيث لم يحصل علمنا انّه ليس بممكن.

الثّانى ـ النوم واليقظة وحقيقتها أنّ الجرم اللّطيف الحاصل للقوى النّفسانيّة المسمّى روحاً نفسانيّاً[3] كماستعرفه اذا انصبّ فى الحواسّ الظّاهرة حصلت الادراكات

١ـ د : «تستطيل». ٢ـ ب : «تحجب المانعات». ٣ـ ا : «انسانياً».

الظّاهرة وهو اليقظة وان لم ينصبّ اليها أو رجع عنها بعد انصبابه اليها تعطّلت الحواسّ الظّاهرة فذلك التّعطّل هو النّوم.

واعلم انّ الرّجوع بعد الانصباب [وعدم الانصباب][1] قد يكون كلّ واحد منهما طبيعيّاً وقد لايكون؛ فالأوّل الرّجوع الطّبيعيّ وهو امّا بالتّبعيّة لغيره كما اذا رجع الرّوح الحيوانىّ الّذى ستعرفه ايضاً الى الباطن لانضاج الغذاء فتبعها[2] الرّوح النفسانىّ اوّلاً بالتّبعيّة وهو كما اذا تحلّل جوهر الرّوح فى اليقظة فرجع الى الباطن طلباً لبدل مايتحلّل. الثّانى الرّجوع الغير الطّبيعىّ وهو كما اذا اقبلت الطّبيعة على تنضيج العلّة فيتبعها الرّوح النّفسانىّ. الثّالث ـ عدم الانصباب الطّبيعىّ وذلك ان يكون الرّوح فى نفسه قليلاً لايفى بأن يبقى منه فى الدّماغ شىء ويخرج شىء منه الى آلات القوى. الرّابع ـ عدم الانصباب الغير الطّبيعىّ وذلك قد يكون لآفة تعرض للدّماغ تنسدّ[3] معها مجارى الرّوح فلايمكن نفوذه، وقد يكون لترطيب جوهر الرّوح فلايقوى على البروز[4] كما كان فى نوم السّكرى وقد يكون لأسباب أخرى.

البحث الرابع

فى الحواسّ الباطنة وهى ايضاً خمسة:

الأوّل ـ الحسّ المشترك ويسمّيه اليونانيّون بنطاسيا وهو قوّة مرتّبة فى الجزء الأوّل من التّجويف المقدّم من الدّماغ ممّايلى الوجه فامّا فعلها فادراك جميع المحسوسات الّتى تدركها الحواسّ الظّاهرة وذلك انّ لهذه القوّة خمس شعب فيها يسرى كلّ اثر يظهر للحواسّ الخمس وينتهى الى تلك القوّة فتدركه **وامّا برهان وجودها فمن وجهين؛**

احدهما ـ لو لم يكن لنا هذه القوّة لما امكننا[5] ان نحكم بانّ هذا الاصفر هو هذا الحلو فانّ القاضى على الشّيئين لابدّ ان يحضره المقضىّ عليهما وليس هذا حكم العقل فانّ المحسوسات لاتدرك

---

١ ـ ما بين القلابين سقط من نسخة ا. ٢ ـ ب: «فيتبعها». ٣ ـ ا: «تفسد» د: «ينسد».
٤ ـ ب: «البروزى». ٥ ـ ب: «لما امكنا» (بتشديد النون).

الّا بآلة جسمانيّة ولانّ البهائم الخالية عن[1] العقل لها هذا الحكم فانّ صورة العشب وطعمه مدركان لها فاذاً للمحسوسات الظّاهرة اجتماع فى قوّة وراء العقل واذ[2] ليس ولا واحد من الحواسّ الظّاهرة كذلك لاختصاص كلّ منها بمدرك خاصّ فلابدّ من قوّة اخرى باطنة وهو المطلوب.

الثّانى ـ نرى القطر النّازل خطّاً مستقيماً مع انّه ليس فى الخارج الّا قطرات متفاصلة فهو إذاً فى الشّعور فيكون فى قوّة مدركة له وليست القوّة الباصرة فانّ البصر لاينطبع فيه الشّىء الّا كما هو فى الخارج، ولا النّفس لانّها لاتدرك الجزئيّات فلابدّ من قوّة اخرى وهو المطلوب.

الثّانى ـ الخيال وهو قوّة مرتّبة فى الجزء الأخير من التّجويف المقدّم من الدّماغ **وامّا فعلها** فحفظ الصّور المحسوسة بعد غيبتها عن الحسّ وبقائها فيها، **وامّا برهان مغايرتها** فلانّ الحسّ مدرك وهذه القوّة حافظة والحفظ غير الادراك والقبول فانّ الماء له قوّة قبول الاشكال لرطوبته وليس له قوّة الحفظ لعدم اليبوسة، وليسا بقوّة واحدة لاستحالة ان يصدر عن القوّة الواحدة اثران[3] فاذاً الحفظ لقوّة اخرى تجرى مجرى الخزانة لقوّة الحسّ المشترك يجتمع[4] فيها ماتقتنصه من صور المحسوسات بالحواسّ الظّاهرة.

الثّالث ـ **الوهم** وهو قوّة مرتّبة فى آخر التّجويف الاوسط من الدّماغ، وفعلها ادراك المعانى الجزئيّة الغير المحسوسة الموجودة فى المحسوسات كادراك الشّاة معنىً فى الذّئب يوجب الهرب ومعنىً فى التّيس[5] يوجب الطّلب وهى فى سائر الحيوان بمنزلة العقل للانسان وقد تكون هذه القوّة فى بعض الحيوانات اشدّ واقوى من بعض، والفرق بينهما وبين مدرك الصّور الجزئيّة ظاهر.

الرّابع ـ **الحافظة** وتسمّى الذاكرة باعتبار آخر وهى قوّة مرتّبة فى التّجويف

١ـ ب: «من». ٢ـ ب: «اذا». ٣ـ ا: «امران». ٤ـ ا: «لقوة الحس يجتمع».
٥ـ فى النسخ: «الطيس».

الثّالث من الدّماغ فعلها حفظ هذه المعانى الجزئيّة الّتى يدركه الوهم ، ونسبتها الى الوهم نسبة الخيال الى الحسّ المشترك وكما انّ هناك مبدءً هو الحسّ المشترك وخازناً هوالخيال فكذا هنا مبدء هو الوهم وخازن وهوالحافظة، ومغايرته للوهم تعلمها من الفرق بين الحسّ والخيال.

الخامس ـ المتخيّلة وهو قوّة مودعة فى مقدّم التّجويف الاوسط من الدّماغ عندالجسم المسمّى بالدّودة لشبهه بها ، وفعلها الخاصّ بها تفتيش الخزانتين والتّصرّف فيهما بتركيب بعض مودعاتهما مع بعض و تفصيل بعضها عن بعض فقد تركّب بين صورتين تدركهما من خزانة الصّور كتركيب انسان برأس ثورونحوه، وقد تركّب الصّور بالمعانى والمعانى بمثلها،وقد يستعين العقل بها فى ادراك المعقولات لانّها آلة الوهم الّذى هو آلة العقل وبها يكون اقتناص الحدّ[1] الاوسط وهى المحاكية للمدركات العقليّة بالهيئات المزاجيّة وتنتقل الى الضّدّ والشّبه[2] فاذا تصرّفت فى الخزائن باشارة العقل بواسطةالوهم سمّيت بهذا الاعتبار مفكّرة ومن دون استعمال العقل لها تسمّى متخيّلة، ولمّا كان فعل هذه القوّة تفتيش الخزانتين كان اليق المواضع بها وسط الدّماغ لتكون[3] متوسّطة لها قضاءً من المدبّر الحكيم عزّ سلطانه ، وانّما عرفت مواضع هذه القوى باعتبارات ظنّيّة من فساد قوّة مخصوصة منها عن آفة تعرض فى موضع مخصوص من الدّماغ والله ولىّ الهداية.

البحث الخامس

فى القوى المحرّكة بالارادة وهى مترتّبة بعضها تنسب اليها الحركة لانّها باعثة عليها [وبعضها][4] لانّها فاعلة لها

امّا القوى الباعثة فأبعدها عن الحركة هى القوى المدركة المذكورة وهى المتخيّلة والوهم فى الحيوان والعقل العملىّ بتوسّطهما فى الانسان وتليها القوّة النزوعيّة المسمّاة

١ـ ب : « و بها يكون اقتناص العقل و بها يكون الحدالاوسط». ٢ـ ا:«والتشبيه».

٣ـ ا ج : «فتكون». ٤ـ هذه الكلمة فى نسخة ب فقط.

شوقاً فانّها تنبعث عن القوى المدركة امّا الى طلب بحسب ادراك الملائمة فى الشّىء اللّذيذ أو النّافع سواء كان ادراكاً مطابقاً أو غير مطابق وتسمّى شهوة وامّا الى دفع ومقاومة لادراك منافاة فى الشّىء المكروه أو الضّادّ وتسمّى غضباً وتليها القوّة المحرّكة الفاعلة وهى قوّة تنبعث فى الاعصاب والعضلات من شأنها تشنيج العضلات لجذب الاوتار والرّباطات وارخائها وتمديدها وهى المسمّاة بالقدرة وهى بالحقيقة المحرّكة وماعداها فيجرى مجرى الأمر الباعث باشارته والله الموفّق.

البحث السادس

فى الأرواح الحاملة لهذه القوى

واعلم انّ لكلّ واحدةٍ من القوى المدركة والمحرّكة روحاً يختصّ به هو الحامل له تسمّى روحاً نفسانيّاً وتولّده من[1] بطون الدّماغ وينفذ فى شظايا العصب الى سائر البدن ويقوّم القوى النّفسانيّة وينصبّ الى آلاتها ويحفظها على حالها وتولّده يكون من جسم آخر يسمّى روحاً حيوانيّاً يتولّد فى القلب من بخار الدّم الصّافى اللّطيف النّقىّ ومن الهواء الدّاخل للاستنشاق **وكيفيّة تولّد النّفسانىّ عنه** انّ الرّوح الحيوانىّ يصعد من القلب الى الدّماغ فى العرقين الضّار بين المعروفين بعرقى السّبات[2] الصّائرين الى الدّماغ وينفذان الى القحف الى الموضع المعروف بقاعدة الدّماغ وينقسمان هناك بضروب من القسم[3] ويكثر مايتفرّع منها[4] من العروق فيصير بعضها فوق بعض ويخالط بعضها بعضاً ويلتوى[5] بعضها على بعض ويشتبك حتّى ينتسج من ذلك[6] نسيجة تشبه الشّبكة ثمّ بعد انتساجها يصير منها عرقان ضاربان شبيهان بالاوّلين ويصعدان الى فوق هذا الموضع فيتفرّقان[7] فيه فاذا صعد الرّوح الحيوانىّ من القلب وصار فى هذه النّسيجة وجال فى عروقها و مكث طويلاً

١- ب: «فى». ٢- «كذا». ٣- ب: «القسمة». ٤- د: «منها». ٥- ا ج: «يستولى». ٦- الساقط من النسخة الثالثة كما اشرنا اليه فى الصفحة الاولى كان الى هنا.
٧- ج د: «فيفرقان» ولعل الصحيح: «فيفترقان».

نضج غاية النّضج وصفا فتولّد منه الرّوح النّفسانیّ ولذلك اعدّت هذه الشّبكة لانضاج هذا الرّوح وتصييره روحاً نفسانيّاً حتّى استعدّت به القوى المذكورة للادراك والتّحرّك فسبحان ناظم الوجود أحكم الحاكمين.

الفصل الثانی

فی النّفس الانسانيّة والفلكيّة؛ وفيه ابحاث:

البحث الاول

فی ماهيّتهما [۱] وبراهين وجودهما [۲]

امّا الماهيّة على مايعمّ النّفسين فقيل: انّها جوهر غير المادّة وغير موجود فيها من شأنه ان يحرّك الأجسام ويدرك الأشياء ؛ فاذا اردنا تخصيصها بالفلك قلنا: بالفعل، واذا اردنا تخصيصه بالانسان قلنا : ويتهيّأ لادراك الأشياء، فاحترزنا بالجوهر عن واجب الوجود والاعراض التّسعة، وبقولنا: غير المادّة وغير موجود فيها؛ عنها وعن سائر الامور المادّيّة ، وبقولنا: يتهيّأ لادراك الأشياء؛ فی الانسانيّة ، عن الفلكيّة والعقول المجرّدة؛ لانّ كمالاتها حاصلة لها بالفعل من حيث هی ، وبقولنا : بالفعل ؛ فی الفلكيّة ، عن الانسانيّة ؛ اذ كمالاتها فی الاصل قوّيّة وانّما يحصل لها بالفعل بعد تمام استعداداتها لها.

وامّا برهان وجود النّفس الانسانيّة فمن وجهين :

الأوّل ـ لو كانت القوّة العاقلة جسماً أو جسمانيّاً لضعفت بضعف البدن لانّ القوى الجسمانيّة فی ذاتها وجميع كمالاتها الى اعتدال مزاج الجسم فوجب ان يضعف بضعفه لكنّ التّالی باطل لانّ الفكر الكثير سبب لضعف الدّماغ و لكمال النّفس ولانّ القوّة العاقلة تقوى بعد الأربعين مع اخذ البدن فی النّقصان فوجب ان يكون المقدّم باطلاً.

الثّانی ـ من طريق السّمع قوله تعالى : ولاتحسبنّ الّذين قتلوا فی سبيل الله امواتاً

۱ـ ج د : «ماهيتها». ۲ـ ج د : «وجودها».

بل احياء عند ربّهم يرزقون[1] وقوله عليه السّلام فى بعض خطبه : حتّى اذا حمل الميّت على نعشه رفرفت روحه فوق النّعش وتقول : يا اهلى ويا ولدى لاتلعبنّ بكم الدّنيا كما لعبت بى؛ وجه الاستدلال ان نقول:لاشىء من الانسان المقتول والمتكلّم بميّت بمقتضى الآية والخبر وكلّ بدن وقـوّة فيه فميّتة بالضّرورة ينتج من الشّكل الثّانى لاشىء من الانسان ببدن ولاقـوّة فيه بالضّرورة وهو[2] المعنى بالجوهر المجرّد وعلى هذا المطلوب ادلّة كثيرة عقليّة ونقليّة آثرنا تركها مراعاةً للاختصار وهى مذكورة فى المطوّلات.

وامّا برهان وجودها للفلك فقالوا : لاشكّ انّ الفلك متحرّك بالاستدارة فحركته امّا ان تكون طبيعيّة أو قسريّة أو اراديّة فالقسمان الأوّلان باطلان فتعيّن[3] الثّالث، وانّما قلنا : انّها ليست طبيعيّة ؛ لانّ كلّ وضع ونقطة متوجّه اليها الحركة بالطّبع فهى مفارقة لها بالطّبع فالمطلوب بالطّبع مهروب عنه بالطّبع هذا خلف، وانّما قلنا: انّها ليست قسريّةً؛ لانّ القسر هو مايكون على خلاف الطّبع وحيث لاطبع فلا قسر[4]فبقى ان تكون اراديّة فلها اذاً ميل مستدير اراديّ، وكلّ فاعل بالارادة فلابدّ وان يكون له شعور بفعله فللافلاك قوّة على الادراك والفعل وهى النّفس، والمشّاؤن[5] على ان تلك النّفس جسمانيّة والشّيخ على انّ ماوراء ماائبتوه للفلك من النّفس نفس مجرّدة **حجّته** انّ الحركة الفلكيّة انّما هى للتّشبّه بالعقول المجرّدة والتّشبّه بالشّىء يستدعى ادراكه والمدرك للمجرّد مجرّد فللفلك نفس مجرّدة منتقشة بالعلوم الكلّيّة والجزئيّة على الوجه الكلّىّ نقشاً فعليّاً وكذلك العقول المشبهة لها[6] وتحقيق هذه المقدّمات وحلّ الشكوك الّتى تتوجّه عليها[7] غير لائق بموضعنا فليطلب من مظانّه.

١ـ آية ١٦٩ سورة آل عمران. ٢ـ ب د:«وهى». ٣ـ ج د: «فبقى». ٤ـ ا ب: « وحيث لاقسر فلاطبع ». ٥ـ فى هاشش نسخة ا : « المشاؤون اصحاب المعلم الاول». ٦ـ ب:«المتشبهة بها». ٧ ـ كذافى النسخ والصحيح : اليها.

البحث الثانى
فى قوى النّفس الانسانيّة

واعلم انّ النّفس الانسانيّة لها قوّتان؛ نظريّة وعمليّة، وكلّ منهما تسمّى عقلاً وان كـان العقل يطلق على درجات القوّة النّظريّة وعلى معانٍ اخرى بحسب اشتراك الاسم كماتعلمه **امّا العمليّة** فهى قوّة محرّكة لبدن الانسان الى الافاعيل الجزئيّة على مقتضى آراء بعضها جزئيّة محسوسة وبعضها كلّيّة اوّليّة أوجزئيّة[1] أو ذائعة أوظنّيّة تحكم بها القوّة النّظريّة من غير ان يختصّ حكمها بجزئىّ دون آخر والقوّة العمليّة تستعين بالقوّة النّظريّة فى ذلك الى ان تنتهى الى الرّأى الجزئىّ الحاصل فتعمل بحسبه وتحصل مقاصدها فى طرفى المعاش والمعاد ولهذه القوّة نسبة الى القوّة النّزوعيّة وعنها يتولّد كثيرمن الأفاعيل كالضّحك والبكاء، ونسبة الى الحواسّ الباطنة وهى استعمالها فى استخراج الامور المصلحيّة والصّناعات ونحوها، ونسبة الى القوّة النّظريّة ومنها[2] تحصل المقدّمات المشهورة والعمليّة هى الّتى يجب بمقتضى جبلّتها أن يتسلّط على القوى البدنيّة فتصرّفها كما ينبغى فان اتّفق لها أن انفعلت عن تلك القوى كان ذلك موجباً للبعد عن حضرة ربّ العالمين كما سنبيّن ان شاء الله تعالى .

وامّا النّظريّة فهى الّتى لاجلها يصحّ من النّفس ادراك الأشياء على الوجه[3] الصّواب **ولها فى الاستكمال من الاستعداد مراتب ثلاثة** ومثّلت[4] فى مبدئها بما[5] يكون للطّفل من قوّة الكتابة، وفى وسطها بما[6] يكون للنّاشئ المستعدّ لتعلّمها ، وفى منتهاها بما يكون للقادر عليها الّذى لايكتب وله أن يكتب متى شاء .

فالمرتبة الاولى للنّفس من الاستعداد المناسبة للمثال المذكور تسمّى عقلاً هيولانيّاً تشبيهاً لها بالهيولى الخالية فى ذاتها عن جميع الصّور المستعدّة لقبولها وهذه المرتبة حاصلة لجميع اشخاص النّاس فى مبادئ الفطرة وقد اشير اليها فى التّنزيل الالـهىّ وعبّر عنها بالمشكاة فى قوله تعالى :

١ـ ا : «او الجزئية» .   ٢ـ ج د : «منها» .   ٣ـ د : «وجه» .   ٤ـ ج د : «وتنقلب» .
٥ـ «كما» ج د «مما» .   ٦ـ ج د : «مما» .

الله نور السّماوات والأرض مثل نوره كمشكوٰة فيها مصباح ؛ الآية[1]؛ ووجه المناسبة بين المشكوٰة والعقل الهيولانىّ انّ المشكوٰة مظلمة فى ذاتها قابلـة للنّور لاعلى تساوٍ لاختلاف السّطوح والثّقب فيها فالعقل الهيولانىّ اشبهها[2] فأطلق اسمهـا عليه.

المرتبة الثّانية وهى المناسبة للمثال المتوسّط تسمّى عقلاً بالملكة وهو الاستعداد الحاصل بعدحصول المعقولات الاولى الّتى هى العلوم الاوّليّة فتتهيّأ لادراك المعقولات الثّانية وهى العلوم المكتسبة والمثال المطابق لها من الآية الزّجاجة، ووجه المناسبة كون الزّجاجة فى نفسها شفّافة قابلة للنّور اتمّ قبول كما انّ النّفس فى تلك المرتبة كذلك ومراتب النّاس

۱ - صدر آية ۳۵ سورة النور و ذيلها : « المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركـة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضيىء ولو لم تمسسه نار نورعلى نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم» .

فليعلم ان الشارح (ره) قد اخذ هذا المطلب من الاشارات ونص عبارة ابن سينا فيه هكذا: «**اشارة**ـ ومن قواها مالها بحسب حاجتها الى تكميل جوهرها عقلا بالفعل فاوليها قوة استعدادية لها نحو المعقولات وقد يسميها قوم عقلاً هيولانياً وهى المشكوة وتتلوها قوة اخرى تحصل لها عند حصول المعقولات الاولى فيتهيأ بها لاكتساب الثوانى اما بالفكرة وهى الشجرة الزيتونة ان كانت ضعفى او بالحدس فهى زيت ايضاً ان كانت اقوى من ذلك فيسمى عقلاً بالملكة وهى الزجاجة والشريفة البالغة منها قوة قدسية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ثم يحصل لها بعد ذلك قوة وكمال اما الكمال فان يحصل لها المعقولات بالفعل مشاهدة متمثلة فى الذهن وهو نور على نور واما القوة فان يكون لها ان يحصل المعقول المكتسب المفروغ منه كالمشاهد متى شاءت من غير افتقار الى اكتساب وهو المصباح وهذا الكمال يسمى عقلا مستفاداً وهذه القوة تسمى عقلاً بالفعل والذى يخرج من الملكة الى الفعل التام ومن الهيولانى ايضاً الى الملكة فهو العقل الفعال وهو النار» ومن اراد التفصيل فيه فليطلبه من شروح الاشارات.

فليعلم ان الشارح (ره) قد اخذ مطالب كثيرة من كتاب الشفاء الا انه قد غير عباراتها فى موارد وقد اكتفى بنقل عين العبارات ولم نشر اليها الا قليلاً فمن اراد التطبيق فعليه ان يطابقهما. ۲ـ ج د : «يشبهها » .

فى هذه القوّة وفى تحصيل العلوم المكتسبة مختلفة فمنهم من يحصّلها بشوق ينبعث عن النّفس فتبعث على[1] الحركة الفكريّة الشّاقّة[2] فى طلب تلك العلوم وهؤلاءهم اصحاب الفكر، ومثال الفكر من الآية الشجرة الزّيتونة، و وجه المناسبة كونها مستعدّة لان تصير قابلة للنّور بذاتها لكن بعد حركة شاقّة ولانّ المفكّرة ذات شعب وفنون كما انّ الزّيتونة ذات شعب وغصون ومنهم من يظفر بها من غير حركة امّا مع شوق اولا معه وهومن[3] اصحاب الحدس، ومثاله من الآية الزّيت لكونه اقرب الى الاشتعال من الزّيتونة و مراتب صنفى[4] الحدس كثيرة والشريفة[5] من تلك المراتب قوّة قدسيّة وهى من الآية [6] «يكاد زيتها يضيىء ولو لم تمسسه نار» لانّها تكاد تعقل بالفعل ولولم يكن لها مخرج من القوّة الى الفعل.

المرتبة الثّالثة وهى المناسبة للمثال الأخير تسمّى عقلاً بالفعل وهومايكون عندالقدرة على استحضار المعقولات الثّانية بالفعل متى شاءت النّفس بعدالاكتساب بالفكر أوالحدس، والمثال لهذا الاستعداد من الآية المصباح لانّه ينير بذاته من غير حاجة له الى اكتساب نور، وحضور تلك المعقولات بالفعل للنّفس تسمّى عقلاً مستفاداً وهومن الآية «نورعلى نور» اذ النّفس نور والمعقولات الحاصلة لها نور آخر، وامّا النّار الّتى منها اشتعال ذلك المصباح فالعقل الفعّال لانّ النّفوس الانسانيّة و كمالاتها مستفادة منه فهذه مراتب القوّة النّظرية.

تنبيه ـ واذ[7] ذكرنا الفكر والحدس فلابدّ من الفرق بينهما وذلك ببيان ماهيّتهما؛ فالفكر حركة للنّفس بالآلة المسمّاة بالمفكّرة[8] تبتدىء[9] من المطالب طالبة بها[10] مبادئ تلك المطالب كالحدود الوسطى ومايشبهها الى ان يجدها ثمّ يرجع منها الى المطالب، وامّا الحدس فهو الظّفر حال الالتفات الى المطالب بالحدود الوسطى دفعة تتمثّل منها[11] المطالب والحدودالوسطى معاً فى العقل من غير الحركتين المذكورتين سواء كان مع شوق اولا معه.

١ـ ب د: « فتنبعث على». ٢ـ د : «التامة». ٣ـ ا : «في». ٤ـ د: «صفوف».
٥ـب: «الشريفة البالغة» ج: «الرائعة البالغة» د: «السريعة البالغة». ٦ـفى النسخ: «من الاية التى».
٧ـج د: «تذكرة ـ واذا». ٨ـب ج: «الفكرة». ٩ـ ا: «تبدىء». ١٠ـا: «لها». ١١ـب ج: «فيها».

البحث الثالث

فى الكمالات العقليّة الانسانيّة

لمّا كان للنّفس الانسانيّة قوّتان ؛ قوّة نظريّة وقوّة عمليّة كذلك وجب ان يكون لكلّ واحدة من هاتين القوّتين كمال يخصّها، واستكمال النّفس بتلك الكمالات فى القوّتين يسمّى حكمةً، فرسم الحكمة اذاً استكمال النّفس الانسانيّة بتصوّر الامور والتّصديق بالحقائق النّظريّة والعمليّة على قدر الطّاقة الانسانيّة، وهى تنقسم الى **نظريّة وعمليّة**؛ **فالنّظريّة** هى استكمال القوّة النّظريّة فى الادراكات التّصوّريّة والتّصديقيّة حتّى تصير عقلاً مستفاداً، **والعمليّة** هى استكمال القوّة العمليّة بتصوّر انّه كيف يمكن وينبغى ان يكون اكتساب الكمال بالملكة التّامّة على الأفعال الفاضلة حتّى يكون الانسان قويماً على الصّراط المستقيم وكلّ واحدة منهما تنقسم الى اقسام(١) ثلاثة:

امّا اقسام الحكمة النّظريّة فهى هذه حكمة تتعلّق بما فى الحركة والتّغيّر من حيث هى فى الحركة والتّغيّر **وهى الحكمة الطّبيعيّة** اذ كان البحث الطّبيعىّ لاعن ذات الجسم بل عن كونه متحرّكاً وساكناً، وحكمة تتعلّق بامور من شأنها ان يجرّدها الذّهن عن التّغيّر وان كان وجودها مخالطاً للتّغيّر وتسمّى **حكمة رياضيّه**، وحكمة تتعلّق بماوجوده مستغنٍ عن مخالطة التّغيّر فلايخالطها اصلاً وان خالطها فبالعرض لانّ ذاتها مفتقرة فى تحقّق الوجود اليه **وتسمّى الفلسفة الاولى** والفلسفة الآلهيّة وهى معرفة الاله جزءٌ من هذه وقد **يزاد ههنا قسم رابع وهو الحكمة الباحثة عن لواحق الوجود** من حيث هو وجود مثل الوحدة والكثرة والكلّيّة والجزئيّة والعلّيّة والمعلوليّة والكمال والنّقصان وغيرها وقد ادرجناها فى الفلسفة الاولى وان اردنا افرازها قلنا فى القسم الثّالث: وحكمة تتعلّق بماوجوده مستغنٍ عن مخالطة التّغيّر اصلاً وهى الفلسفة الالٰهيّة، وحكمة تتعلّق بماوجوده مستغنٍ عن

١ـ فى النسخ: «باقسام».

مخالطة التّغيّر وقد يخالطها بالعرض من غير ان تكون ذاتها مفتقرة فى تحقّق وجودها اليه وهى **الحكمة الكلّيّة.**

وامّا اقسام الحكمة العمليّة فهى هذه

حكمة خلقيّةوحكمة منزليّة وحكمة سياسيّة وذلك لانّ كلّ عاقل فلابدّ وان يكون ذاغرض فى فعله وذلك الغرض امّا ان يكون مختصّاً به فى نفسه وهوعلم الأخلاق، أو يكون مختصّاً به مع خواصّه واهل بيته وهوعلم تدبير المنزل، وامّا ان يكون عائداً الى الانسان مع[1] عامّة الخلق وهوعلم السّياسة **وقد يزاد فى هذه الأقسام رابع** وهوغرض الانسان بالنّسبة الى مدينته وتسمّى حكمة مدنيّة وهوتعلّم تدبيرالمدينة بكيفيّة[2] ضبطها ورعاية مصالحها؛ وهذا علم لابدّ منه لانّ الانسان مدنىّ بالطّبع فما لم يعرف كيفيّة بناء المدينة وترتيب اهلها على اختلاف درجاتهم لم يتمّ مقصوده وعلى القسمة الأولى فانّ هذا القسم جزء من الحكمة السيّاسيّة. **امّافائدة الحكمةالخلقيّة** فهو ان يعلم الانسان الفضائل وكيفيّة انقسامها[3] ليزكّى[4] بها نفسه ويعلم الرّذائل وكيفيّة ترتيبها ليطهّر نفسه عنها، **وفائدةالحكمةالمنزليّة** ان يعلم المشاركة الّتى ينبغى ان يكون بين أهل المنزل ممّن يبتنى عليه ويتمّ به لينتظم به المصلحة المنزليّة، **وفائدةالحكمةالسّياسيّة** ان يعلم كيفيّة المشاركة الّتى[5] فيمابين اشخاص النّاس[6] ليتعاونوا على مصالح الأبدان ومصالح بقاء نوع الانسان.

البحث الرابع

فى تفصيل وجيز لاصول الفضائل الخلقيّة

اعلم انّا لمّا ذكرنا اقسام هذه الحكمة اردنا ان نشير الى اقسام الفضائل والرّذائل الخلقيّة بتفصيل وجيز لتعلّق غرضنا بذلك **وقبله نقول :انّ الخلق ملكة تصدربها عن النّفس افعال بسهولة من غير تقدّم رويّة وتذكّر** وليس هونفس القدرة لانّها بالنّسبة

۱ـ ا :«فى». ۲ـ ج د :«هو علم يعرف به كيفية». ۳ـ ج: «اقسامها». ٤ـ ا ب : «لتزكو». ٥ـ ب ج د : «التى تقع». ٦ـ كلمة «الناس» ليست فى ا.

الی الطّرفین[1] علی سواء ولیس الخلق کذلک، ولانّ نفس الفعل قدیکون تکلیفیاً ثمّ انّه لیس شیء من الأخلاق بطبیعیٍّ فی الأصل سواء کان فضیلة أو رذیلة وانّما الطّبیعیّ قبوله وان کان ذلک القبول للفضیلة أو الرّذیلة مختلفاً[2] بالسّرعة والبطوء بحسب اختلاف المزاج[3] فی قوّة الاستعداد وضعفه لاحدی الجنسین، **بیان انّه لیس بطبیعیّ** انّه لو کان طبیعیّاً لما امکن نقل الانسان عنه بالتّأدیب والتّعوید وقد أمکن فوجب ان لایکون طبیعیّاً؛ امّا الملازمة فظاهرة فانّ اهل العالم لو اجتمعوا علی تعوید الحجر بالحرکة الی فوق لما امکن ذلک بیان بطلان التّلازم[4] مایشاهد من انتقال بعض الخَلْق[5] عن بعض الأخلاق الی بعض ولولا ذلک الانتقال لما کان لوضع التّأدیب والشّریعة الّتی هی سیاسة الله فی خلقه فائدة.

وامّا اصول الفضائل الخلقیّة[6]

فقد اجمع الحکماء علی انّها ثلاثة وهی الحکمة والعفّة والشّجاعة بیان ذلک انّک قد علمت انّ للانسان قوّة عقلیّة وانّ له قوّة بها یکون الغضب والاقدام علی الاهوال والتّسلّط والتّرفّع وظهور الکرامات، وقوّة بها تکون الشّهوة وطلب الغذاء والنّزاع الی الملاذّ البدنیّة واللّذّات الحسیّة وقد علمت تباین هذه القوی من جهة انّ بعضها اذا قوی اضرّ بالآخر وربّما ابطل احدها فعل الآخر، وقد یقوی احدهما ویضعف الآخر بحسب المزاج والعادة والتّأدیب فالقوّة العقلیّة بالنّسبة الی البدن کالملک بالنّسبة الی المدینة ولذلک سمّیت ملکیّة وآلتها الّتی تستعملها من البدن[[7] الدّماغ، والقوّة الشّهویّة تسمّی بهیمیّة وآلتها

١- ا ب: «الطریق». ٢- ا: «یختلف». ٣- ب ج: «اصل الخراج». ٤- هذه الکلمة فی د فقط. ٥- متحرکاً بالفتحة بضبط الفتحة صریحاً فی ا. ٦- اعلم ان الشارح (ره) قد اخذ ما یتعلق بالفضائل الخلقیة من ههنا الی ان ینتهی البحث عن هذا الموضوع من کتاب طهارة الاعراق لابن مسکویه اعلی الله درجته الا ان الشارح (ره) تصرف فیه اما بتلخیص وهو کثیر واما باضافة وهو قلیل لکن المطلب هو ماذکره ابن مسکویه حتی ان المطالب مأخوذة غالباً بعین العبارة لکن بالتلخیص بمعنی انه اسقط بعضاً من العبارة واکتفی ببعضها الاخر فی صورة افادة المرام والا تصرف فیه بما یقتضیه المقام. ٧- ما بین القلابین لیس فی نسخ ا ج د.

التّى تستعملها من البدن]الكبد، والقوّة الغضبيّة تسمّى سبعيّة وآلتها من البدن القلب **واذا عرفت ذلك فاعلم انّ اعداد الفضائل الخلقيّة المذكورة بحسب اعداد هذه القوى وكذلك اضدادها التّى هى رذائل.**

امّا الحكمة الخلقيّة فهى من فضائل القوّة العقليّة وذلك انّها ملكة تحصل للنّفس عن اعتدال حركتها بحيث يكون شوقها الى المعارف الصّحيحة تصدر عنها الأفعال المتوسّطة بين افعال الجربزة والغباوة، **وامّا العفّة** فهى فضيلة القوّة البهيميّة وهى ملكة تحصل عن اعتدال حركة هذه القوّة بحسب[1] تصريف العقل العملىّ [و] بها تكون الأفعال المتوسّطة بين[2] افعال الحمود[3] والفجور، وامّا الشّجاعة فهى فضيلة القوّة السّبعيّة وهى ملكة تحصل عن[4] اعتدال هذه القوّة السبعيّة بحسب تصرّف[5] العقل فيما يقسّطه لها وبها تصدر الأفعال المتوسّطة بين افعال الجبن والتّهوّر، ثمّ انّ هذه الفضائل الثّلاث اذا نسب بعضها الى بعض حتّى اعتدلت فى الانسان حدث عنها ملكة رابعة هى تمام الفضائل الخلقيّة [و] بها تكون الأفعال المتوسّطة بين الظّلم والانظلام تسمّى بالعدالة، ومن النّاس من ظنّ انّ المراد من الحكمة ههنا هو الحكمة العمليّة الّتى تجعل قسيمة للنّظريّة وقد عرفت مابينهما من التّباين من تصوّر حدّيها. **واعلم انّ تحت كلّ واحدة من هذه الفضائل الاربع انواعاً من الفضائل ونحن نذكرها.**

امّا الفضائل الّتى تحت الحكمة :

الاولى صفاء الذّهن وهو قوّة استعداديّة للنّفس نحو اكتساب الآراء. **الثّانية** الفهم وهو حسن[6] ذلك الاستعداد لتصوّر مايرد عليها من غيرها والتّفطّن لكيفيّة لزومه عن المبادى. **الثّالثة** الذّكاء وهو شدّة تلك القوّة وسرعة انقداح النّتائج للنّفس. **الرّابعة** الذّكر وهو ثبات مايقتنصه العقل والوهم من التّصوّرات والأحكام. **الخامسة** التّعقّل وهو موافقة بحث النّفس

١- ب: «تحت». ٢- ا ب: «من». ٣- ا ج: «الجمود وكذا فى شرح نهج البلاغة راجع الفصل الثانى الذى عقده لبيان الفضائل النفسانية لاميرالمؤمنين (ع)». ٤- ا: «عند». ٥- فى غير ا: «تعريف». ٦- ج د: «حسن».

عن الأشياء الموضوعة المطلوبة بقدرماهى[١] عليه. **السّادسة** سهولة التّعلّم وهى حدّة فى الفهم بها يدرك الأمور النّظريّة.

الفضائل الّتى تحت العفّة[٢]

فالأولى الحياء وهو انحصار الرّوح خوف اتيان القبائح والحذر من الذّمّ والسّبّ الصّادق. **الثّانية** الدّعة وهى سكون النّفس عند حركة الشّهوات. **الثّالثه** الصّبر وهو مقاومة النّفس للهوى لئلاتنقاد لقبائح اللّذّات. **الرّابعه** السّخاء وهو التّوسّط فى الأخذ والاعطاء بانفاق المال فيماينبغى بمقدار ماينبغى وعلى الوجه الّذى ينبغى وتحته فضائل سنذكرها ان شاءالله. **الخامسة** الحرّيّة وهى فضيلة للنّفس بها يكتسب المال من وجهه ويعطى مايجب فى وجهه ويمتنع[٣] من اكتساب المال من غيروجهه. **السّادسة** القناعة وهى التّساهل فى المآكل والمشارب والزّينة. **السّابعة** الدّماثة وهى حسن انقياد النّفس للحمد وتسرّعها للجميل[٤]. **الثّامنة** الانتظام وهو حال للنّفس يقودها الى حسن تقدير الأمور وترتيبها على الوجه الّذى ينبغى. **التّاسعة** الهدى وهو محبّة تكميل النّفس بالرّتبة الحسنة[٥]. **العاشرة** المسالمة وهى موادعة للنّفس[٦] عن ملكة لااضطراب فيها. **الحادية عشر** الوقار وهو ثبات النّفس عند الحركات فى تحصيل المطالب. **الثّانية عشر** الورع وهو لزوم الأعمال الجميلة محبّة لتكميل النّفس.

الفضائل الّتى تحت الشّجاعة

الأولى كبر النّفس وهو الاستهانة باليسار[٧] والاقتدار على حمل الكرامة والهوان واعداد النّفس للأمور العظيمة مع تأهّلها لها. **الثّانية** عظم الهمّة وهى فضيلة للنّفس تحتمل معها سعادة الجدّ وضدّها حتّى الشّدائد الّتى تكون عند الموت ومقاومتها[٨] وفى

---

١ - ا: «تبنى عليه». ٢ - هذا العنوان لم يذكر فى نسخة ا بل عد فيها الفضائل بعدد ترتيبى بلافصل. ٣ - ا ب: «يمنع». ٤ - فى طهارة الاعراق لابن مسكويه: «واما الامانة فهى حسن انقياد النفس لما يجمل وتسرعها الى الجميل». ٥ - فى الطهارة: «بالزينة الحسنة». ٦ - فى الطهارة: «موادعة تحصل للنفس». ٧ - فى الطهارة: «باليسير». ٨ - ا: «ومفارقتها».

الأهوال(١) **الثّالثة** النّجدة وهي ثقة النّفس في المخاوف وعدم مخامرة الجزع لها. **الرّابعة** الحلم وهو فضيلة للنّفس تكسبها(٢) الطّمأنينة فلا تكون شغبة ولا يحرّكها الغضب بسهولة وسرعة. **الخامسة** الثّبات وهو قوّة للنّفس تكسبها سكوناً يعسر معه الحركة عند الخصومات في الحروب الّتي يذبّ بها عن الحريم والشّريعة لشدّتها. **السّادسة** عدم الطّيش وهو نفس عسر تلك الحركة لوجود ملكة ذلك السّكون. **السّابعة** الشّهامة وهي الحرص على الأعمال العظيمة توقّعاً للاحدوثة الجميلة. **الثامنة** احتمال الكدّ وهو قوّة تستعمل آلات البدن بالتّمرّن وحسن العادة في الأمور الحسنة(٣).

الفضائل الّتي تحت السّخاء :

فالأولى الكرم وهو انفاق المال الكثير بسهولة من النّفس في الأمور الجليلة القدر الكثيرة النّفع كما ينبغي. **الثّانية** الإيثار وهو فضيلة للنّفس بها يبذل الانسان(٤) بعض حاجاته الّتي تخصّه لمن يستحقّها. **الثالثة** النّبل وهو سرور النّفس بالأفعال العظيمة وابتهاجها بلزوم هذه السّريرة(٥) **الرّابعة** المواساة وهو معاونة الأصدقاء والمستحقّين ومشاركتهم في الأموال والأقوات بالارادة والاختيار. **الخامسة** السّماحة وهي بذل بعض مالايجب بذله كذلك.

الفضائل الّتي تحت العدالة :

الأولى الصّداقة وهي محبّة صادقة يعتني(٦) معها بجميع اسباب الصّاحب(٧) وايثار فعل الخيرات الّتي بها تكون المحبّة. **الثّانية** الألفة وهي اتّفاق الآراء عن التّواصل فينعقد عندها التّظافر على تدبير المعاش(٨). **الثّالثة** صلة الرّحم وهي مشاركة ذوي اللّحمة في

١- ج: «في الاحوال» (بلاواو ايضاً قبل في). وعبارة طهارة الاعراق بعد: عند الموت: «واما الثبات فهو فضيلة للنفس تقوى بها على احتمال الالام ومقاومتها وفي الاهوال خاصة».
٢- في الطهارة: «تكسب بها». ٣- في الطهارة: «الحسية». ٤- في الطهارة: «بها يكف الانسان عن». ٥- في الطهارة: «السيرة». ٦- في الطهارة: «يهتم». ٧- كذا في النسخ وفي الطهارة: «الصديق». ٨- في الطهارة: «تدبير العيش».

الخيرات الدّنياويـّة. **الرّابعة** المكافاة وهى مقابلة الاحسان بمثلـه أو بزيادة عليه. **الخامسة** حسن الشّـركة وهى الأخذ والاعطاء فى المعاملات على الاعتدال الموافق للجميع. **السّادسة** حسن القضاء وهى المجازاة بغير منّ ولاندم. **السّابعة** التّردّد وهوطلب مودّات الاكفـاء واهل الفضل بالأعمال الّتى تستدعى ذلك منهم. **الثّامنة** العبادة وهى الخضوع لله وتعظيمه وتمجيده واكرام اوليائه من الملائكة والنّبيّين والأئمّة والصّالحين؛ والعمل بمقتضى الشّريعة مكمل لهذه الأشياء **واذا عرفت هذه الأجناس** وماتحتها من الفضائـل **فينبغي ان تعلم** انّ كلّ جنس منها مقابل بجنس من الرّذيلة ومحتوش[1] برذيلتين هما طرفا الافراط والتّفريط وهو وسط لها امّا المقـابلات فالجهل مقابل للحكمـة، والشّـره مقابل للعفـّة، والجبن مقابل للشّجاعة، والجور مقابل للعدالة، والمراد ههنا تقابل التّضادّ.

وامّا الرّذائل المحتوشة لهذه الأجناس فالحكمة[2] محتوشة برذيلتين احداهما البله وهو جانب التّفريط منها ونعنى به ههنا تعطيل القوّة الفكريـّة واطّراحها ويسمّى الغباوة الثّانية السّفه وهوطرف الافراط منها ونعنى به استعمال تلك القوّة فيما لاينبغى وتسمّى الجربزة، وامّا العفـّة[3] فمحتوشة برذيلتين كذلك امّا رذيلة التّفريط فيسمّى خمود[4] الشّهوة ونعنى به سكون النّفس عن اللّذّة الجميلة الّتى تحتاج اليها لمصالح البدن ممّا رخّصت فيه الشّريعة أو العقل، وامّا رذيلة الافراط فتسمّى شرهاً ونعنى به الانهماك فى اللّذّات والخروج فيها الى

---

١ ـ هواسم مفعول من: «احتوش القوم فلاناً أى جعلوه فى وسطهم». ٢ـ نص عبارة طهارة الاعراق هكذا: «اما الحكمة فهى وسط بين السفه والبله واعنى بالسفه ههنا استعمال القوة الفكرية فيما لاينبغى وكما لاينبغى وسماه القوم الجربزة واعنى بالبله تعطيل هذه القوة واطراحها وليس ينبغى ان يفهم ان البله ههنا نقصان الخلقة بل ماذكرته من تعطيل القوة الفكرية بالارادة». ٣ـ نص عبارة طهارة الاعراق هكذا: «واما العفة فهى وسط بين رذيلتين وهما الشره وخمود الشهوة وأعنى بالشره الانهماك فى اللذات والخروج فيها عما ينبغى وأعنى بخمود الشهوة السكون عن الحركة تسلك نحو اللذة الجميلة التى يحتاج اليها البدن فى ضروراته وهى مارخص فيها صاحب الشريعة والعقل». ٤ـ ا: «جمود» (بالجيم).

مالاينبغي، **وامّا الشّجاعة** فرذيلة التّفريط منها الجبن وهوالخوف ممّا لاينبغي ان يخاف منه وامّا رذيلة الافراط فالتّهوّر وهو الاقدام على مالاينبغي ان يقدم عليه **وامّا العدالة** فرذيلة التّفريط منها الانظلام وهوالاستجابة والاستجداء[١] فى المقتنيات لمن لاينبغي و كما لاينبغي امّا رذيلة الافراط فهو الظّلم وهوالتّوصّل الى كثرة المقنيات من حيث لاينبغي كمالاينبغي فهذه اطراف الرّذائل والاوساط منها هي اجناس الفضائل، واذا عرفت الرّذائل المحتوشة لهذه الأجناس امكنك ان تعرف الرّذائل المحتوشة لأنواعها والمقابلة لها اعنى طرفى الافراط والتّفريط من نوع تلك الفضيلة الّتى هي الوسط وذلك بأن تنظر الى حدّ تلك الفضيلة وتعتبر الزّيادة عليه والنّقصان عنه وقد عرفت انّه هوالوسط الّذى ينبغي فتعرف انّ الزّيادة عليه والتّجاوز لحدّه ممّا لاينبغي وهو طرف الافراط وانّ النّقصان عنه والوقوف دونه ممّا لاينبغي وهوطرف التّفريط وهما رذيلتان بالنّسبة الى الفضيلة الّتى هى وسط لهاوتارةً تجد لتلك الأطراف اسماءً بحسب اللّغة وتارةً لاتجد فهذه هي الاشارة الى اصول الفضائل والرّذائل الخلقيّة وتعريف اقسامها.

تنبيه ـ اعلم انّ مبدأ هذه العلوم اعنى اقسام الحكمة النّظريّة والعمليّة مستفاد من الشّريعة الالٰهيّة وذلك لانّ المقصود من بعثة الرّسل الى الخلق انّما هوارشادهم الى النّهج[٢] الصّواب والطّريق الأصلح فى اكتساب العلوم والأعمال ولمّا كانت مناهج الأعمال محصورة فى هذه الأقسام وجب ان تكون غاية بعثة الرّسل تعريف مبادئ هذه العلوم وتعريف كمالاتها وماتؤدّى اليه على الوجه الكلّىّ وضبط هذه الأوامر والنّواهى بقوانين كلّيّة لاتخصّ زيداً دون عمرٍو لانّ ذلك ممّا يزول بزوال الأشخاص والمقصود بقاء ذلك الارشاد ويجب على سائر الخلق تعلّم تلك القوانين فى الصّور الشّخصيّة والوقائع الجزئيّة وكذلك مبادئ

١ـ فى الطهارة: «واما الانظلام فهوالاستخذاء والاستحانة فى المقتنيات لمن لاينبغي وكما لاينبغي ولذلك يكون ابداً للجائر اموال كثيرة لانه يتوصل اليها من حيث لايجب و وجوه التوصل اليها كثيرة واما المنظلم فمقتنياته واموال يسيرة جداً لانه يتركها من حيث يجب». (الى آخر ما فيه من التحقيق المفيد فمن اراده فليطلبه من هناك).

٢ ـ ج د : «نهج».

العلوم النّظریّة هی مستفادة من ارباب الشّرائع علی سبیل التّنبیه وان کان تحصیل کمالها بالقوّة العقلیّة علی سبیل الحجّة ثمّ انّ الکمالات الانسانیّة محصورة فی هاتین[1] المرتبتین من الکمال العقلیّ والعملیّ والتّنزیل الالٰهیّ ناطق بذلک قال الله تعالی حکایة عن خلیله ابراهیم علیه السّلام : ربّ هب لی حکماً والحقنی بالصّالحین[2] فالحکم تکمیل القوّة النّظریّة، والالحاق[3] بالصّالحین تکمیل القوّة العملیّة، وقال خطاباً لموسی[4] علیه السّلام: فاستمع لما یوحیٰ انّنی انا الله لااله الّا انا فاعبدنی واقم الصّلوة لذکری[5] فالتّوحید کمال القوّة النّظریّة والعبادة کمال القوّة العملیّة وقال حکایة عن عیسی علیه السّلام: انّی عبدالله آتانی الکتاب وجعلنی نبیّاً[6] فالاعتراف بکمال العبودیّة لله یستلزم کمال قوّته النّظریّة بمعرفة الله وقال بعده: واوصانی بالصّلوة والزّکوة مادمت حیّاً[7] اشارة الی کمال القوّة العملیّة وقال خطاباً مع محمّد صلّی الله علیه وآله: فاعلم انّه لااله الّا الله[8] وذلک اشارة الی کمال القوّة النّظریّة وقال بعده: واستغفر لذنبک وللمؤمنین والمؤمنات[9] وهو اشارة الی کمال القوّة العملیّة فقد تطابق لسان الوحی ولسان الحکمة علی انّ الکمال الانسانیّ محصور فی العلم والعمل وبالله التّوفیق.

الفصل الثالث

فی احوال النّفس بعد المفارقة؛ وفیه ابحاث :

البحث الاول

فی انّ النّفس باقیة بعد خراب البدن

برهانه انّ کلّ حادث بعد ان لم یکن فلامکان حدوثه قابل لست[10] اعنی الامکان

١ـ ا ب : «هذین». ٢ـ آیة ٨٣ سورة الشعراء. ٣ـ ا: «واللحقان» ب: «واللحاق»
٤ـ ا ب : «مع موسی». ٥ـ ذیل آیة ١٣ وتمام آیة ١٤ سورة طه. ٦ـ آیة ٣٠ سورة مریم.
٧ـ آیة ٣١ سورة مریم. ٨و٩ـ من آیة ١٩ سورة محمد. ١٠ـ ج د: «لشیء».

اللازم للماهيّة الحادث بل الاستعداد التّام لقبول صورته كما تقرّر فى غيرهذا الموضع فلو صحّ العدم على النّفس لوجب ان يكون لامكان عدمها محلّ وليس هوالنّفس لوجوب بقاء القابل عند وجود المقبول واستحالة بقائها عند تحقّق عدمها فلابدّ من محلّ آخرهو المادّة فلوطرأ عليها العدم لكانت فى مادّة وقد فرضت مجرّدة هذا خلف وامّا تقريرهذه المقدّمات و بيان كون النّفوس متّحدة بالنّوع وحادثة وبيان بطلان التّناسخ فمذكور فى المطوّلات.

البحث الثانى

فى بيان ماهيّة السّعادة والشّقاوة

ونعنى بالسّعادة الحالة الّتى تحصل لذوى الخير والكمال من جهتها وبالشّقاوة الحالة الّتى تكون لذوى الشّرّ والآفة من جهتها واعلم انّ المشهور انّ السّعادة هى اللّذّة وانّ الشّقاوة هى الالم ثمّ انّ من لم يترقّ عن حيّز البهائم من العوامّ اعتقدوا انّها المحسوسة بالحسّ الظّاهرفقط[1] وربّما ترقّى بعضهم الى ان اعتقدان هناك لذّة والماً يدرك بمدارك اخرى الّا انّهم ربّما انكروا ثبوتها فى نفس الأمر ونسبوها الى خيالات غيرحقيقيّة

۱ـ اصل هذا البيان مأخوذ مماذكره ابن‌سيناء فى اول النمط الثامن من كتاب الاشارات ونص عبارته: «وهم وتنبيه — انه قديسبق الى الاوهام العامية ان اللذات القوية المستعلية هى الحسية وان ماعداها لذات ضعيفة وكلها خيالات غيرحقيقية وقد يمكن ان ينبه من جملتهم من له تميز ما فيقال له: أليس الذ ما يصفونه من هذا القبيل هو المنكوحات والمطعومات وامور يجرى مجراها وانتم تعلمون ان المتمكن من غلبة ما ولو فى امر خسيس كالشطرنج والنرد قديعرض له مطعوم ومنكوح مع صحة جسمه فى صحبة حشمه (الى آخر ما قال فمن اراده فليطلبه من هناك، وقال ايضاً بعده بلافاصلة) تذنيب — فلاينبغى لنا ان نستمع الى قول من يقول: انا لو حصلنا على جنة لانأكل فيها ولانشرب فيها ولاننكح فاية سعادة لنا؟! والذى يقول هذا فيجب ان يبصر ويقال له: لعل الحال التى للملائكة ومافوقها الذ وابهج وانعم من حال الانعام بل كيف يمكن ان يكون لاحدهما الى الاخر نسبة يعتدبها» ومن طلب التفصيل فليراجع شروح الاشارات.

وربّما استحقروها بالنّسبة الى الحسّيّة **وهم مقابلون على غلطهم بأمرين :**

احدهما - انّ لذّة الغلبة ولو فى امر خسيس كالشّطرنج والنّرد قد تؤثّرعلى اتمّ اللّذّات الحسّيّة مع الحاجة اليها وكلّ مايؤثّر على غيره مع امكانه فهو اقوى فلذّة الغلبة فى احد الأمور الخسيسة اقوىٰ واتمّ من اللّذّات الحسّيّة وكذلك الم الانقهار عند التّفطّن والاعتبار والمقدّمة الاولى وجدانيّة والثّانية اوّليّة .

الثّاني - حال الملك اتمّ واطيب من حال البهيمة وهو ضروريّ مع انّ الملك فاقد اللّذّات الحسّيّة فلو كانت اللّذّة هى الحسّيّة فقط لكانت البهيمة اتمّ واسعد من الملك واذا عرفت ذلك فاعلم انّ اللّذّة هى ادراك لوصول ماهو عند المدرك كمال وخير من حيث هو كذلك ولاشاغل ولامضادّ للمدرك[١] وشرح هذا الرّسم امّا الادراك فقد عرفته وانّما قيّدناه بالوصول[٢] لانّ اللّذّة ليست ادراك اللّذيذ بل ادراك وصول اللّذيذ وحصوله وانّما قلنا ماهو عند المدرك كمال وخير ولم نعتبر ماهو فى نفس الأمر كذلك لما انّ الشيء قد يكون كمالاً وخيراً فى نفس الأمر والمدرك لايعتقد كماليّته وخيريّته فلايلتذّ به وقد لايكون كذلك وهو يعتقد انّه كذلك فيلتذّ به فالمعتبر اذاً مايكون بالقياس الى المدرك لا ما فى نفس الأمر وانّما كان ذلك الوصول كمالاً وخيراً باعتبارين لانّ الشيء الّذى من شأنه ان يناسب المدرك ويليق به له اعتباران: احدهما كون حصوله مخلصاً من النّقصان والقوّة وبهذا

١- مأخوذ مماذكره ابن سيناء فى اوائل النمط الثامن من كتاب الاشارات بهذه العبارة: «**تنبيه**- ان اللذة هى ادراك ونيل لوصول ما هو عند المدرك كمال وخير من حيث هو كذلك والالم ادراك ونيل لوصول ما هو عند المدرك آفة وشر». ٢- يطابق العبارة ماذكره المحقق الطوسى(ره) ضمن شرح هذا التعريف ونص عبارته: «وانما قال لوصول ماعند المدرك ولم يقل لما هو عند المدرك لان اللذة ليست هى ادراك اللذيذ فقط بل هى ادراك حصول اللذيذ للملتذ و وصوله اليه وانما قال ما هو عند المدرك كمال وخير لان الشيء قديكون كمالاً وخيراً بالقياس الى شيء وهو لا يعتقد كماليته وخيريته فلايلتذبه وقدلا يكون كذلك وهو يعتقد فيلتذبه فالمعتبر كماليته وخيريته عند المدرك لا فى نفس الامر» (الى آخر ماقال فمن اراده فليطلبه من هناك).

الاعتبار كان كمالاً والثّاني كونه مؤثّراً وبهذا الاعتبار كان خيراً وانّما قلنا : من حيث هو كذلك؛لانّ الـشّيء قديكون كمالاً وخيراً من جهة دون جهة واللـّذّة بالـشّيء انّمايكون من جهة كونه كمالاً وخيراً فلذلك وجب ذكرها ، وانّما قلنا: ولاشاغل لانّ اللـّذيذقديصل ولايلتذّ به لوجودالشـّاغل كما فى حقّ الممتلىء من الطّعام جدّاً اذلايلتذّ بما يحضره من طعام، وقولنا: ولامضارّ لانّ الـّذى قديصل ولايلتذّ به لوجود ضدّه كما فى حقّ عليل المعدة ومن تغيّرت عذوبة رطوبة ذوقه بغلبة المرارة فانّ الحلو يصل اليه فلايلتذّ به واذا عرفت معنى اللـّذّة عرفت انّ الالم مايقابلها وهوادراك لوصول ماهو عند المدرك آفة وشرّ من حيث هو كذلك ولاشاغل ولامضادّ للمدرك وشرح هذا الرّسم بيّن من الاوّل.

البحث الثالث

فى اثبات اللـّذّة العقليّة للنّفوس الانسانيّة

لاشكّ انّ للجوهرالعاقل منّا كمالاً[1] وهو ان يتمثّل فيه جليّة[2] الحقّ الاوّل بقدر مايستطيعه اذ تعقّل الاوّل كما هوغيرممكن الّا له [تعالى] ثمّ مايتجلّى له من صور معلولاتـه المرتّبة الى آخر الوجود تمثّلاً يقينيّاً بريئاً عن شائبة الظّنون خالصاً عن مخالطة الأوهام على وجه لايكون بين ذات العـاقل وبين مايتمثّل فيها تمايز اصلاً بل يصير عقلاً

۱- مأخوذ مماذكرهابن‌سيناء فى‌النمط الثامن‌من كتاب‌الاشارات‌ونص‌عبارته: «**تنبيه**- كل مستلذبه فهو سبب كمال يحصل للمدرك وهو بالقياس‌اليه خير ولاشك فى‌ان‌الكمالات وادراكاتها متفاوتة (الى‌ان قال) وكمال الجوهر العاقل ان يتمثل فيه جلية الحق‌الاول‌قدر مايمكنه ان ينال منه ببهائه الذى يخصه ثم يتمثل فيه الوجود كله على ماهو عليه مجرداً عن‌الشوب مبتدءاً فيه بعدالحق‌الاول بالجواهر العقلية العالية ثم‌الروحانية السماويةوالاجرام السماوية ثم مابعد ذلك تمثلاً لايمايز الذات فهذا هوالكمال الذى يصير به الجوهر العقلى بالفعل (الى ان قال) فنسبة اللذة العقلية الى الشهوانية نسبة جلية الاول ومايتلوه الى نيل كيفية الحلاوة (الى آخر ماقال)».

۲- نذكر معنى الجلية عن قريب فى‌موضع انسب ان شاءالله تعالى.

مستفاداً على الاطلاق ولاشكّ انّ هذا الكمال خير بالقياس اليه ثمّ لاشكّ انّه مدرك لهذا الكمال والخير ولحصوله له فاذاً هو ملتذّ به وهى اللّذّة العقليّة وانت بعد المقايسة بين هذه اللّذّة واللّذّة الحيوانيّة تجد العقليّة اشرف من الحسّيّة واقوى فى الكيفيّة واكثر(١) فى الكمّيّة امّا انّها اشرف فلانّ المدرك بالعقل ذات الله تعالى وصفاته وملائكته وكيفيّة وضع العالم الأعلى والأسفل والمدرك بالحسّ سطوح الأجسام وعوارضها واذا كانت المدركات العقليّة اكمل واعلى كان الابتهاج بوصولها اشرف واسنى، وامّا انّها اقوى كيفيّةً فلانّ الادراك العقلىّ ينفذ فى باطن الشّىء ويميّز بين الماهيّة واجزائها ولواحقها ويميّز بين الجزء الجنسىّ والفصلىّ ثمّ يعتبر ذلك التّميز فى كلّ جزءٍ جزءٍ وامّا الحسّ فلاشعور له الّا بظاهر المحسوس، وامّا انّها اكثر كمّيّة فلانّ عدد الأمور المعقولة لايكاد يتناهى وذلك انّ اجناس الموجودات وانواعها والمناسبات الحاصلة بينها غير متناهية وامّا الحسّ فانّ مدركاته محصورة فى اجناس قليلة وان تكثّرت فبالاشدّ والأضعف كالسّوادين المختلفين فى الحلوكة واذا كانت الكمالات العقليّة اقوى واكثر وادراكاتها اتمّ كانت اللّذّة التّابعة لها اشدّ لانّ فرقان مابين اللّذّتين فرقان مابين الكمال والادراكين فاذاً اللّذّة العقليّة اتمّ واشرف من الحسّيّة بل لانسبة بينها، **لايقال**: لو كانت المعقولات كمالات للنّفس الانسانيّة لوجب اشتياقها الى حصولها ولتألّمت بحصول اضدادها لكنّ التّالى باطل فالمقدّم باطل.

امّا بيان الملازمة فلانّ كلّ قوّة فانّها تشتاق الى كمالاتها المستلزمة للذّاتها وتتألّم بحصول اضدادها كالباصرة فانّها تشتاق الى النّور وتتألّم بالظّلمة، وامّا بطلان التّالى فظاهر لانّا نقول: الملازمة ممنوعة فانّ الاشتياق لايجب الّا بشرط عدم سبب عدمه لكن سبب عدمه هنا موجود وهو انّ النّفوس مادامت فى هذا البدن فهى مشغولة بالمحسوسات والعلائق الجسمانيّة فيمنعها ذلك عن الالتفات الى المعقولات ويصرف وجوهها عن الاقبال عليها وما لم يقبل عليها لم يحصل لها ذوق فاذاً لايكون لها اليها شوق وامّا اضدادها فلاستمرارها

---

١ - ب: «اكبر».

فى الوجود وعدم تجدّدها أو اشتغال النّفس بغيرها لم تكن مدركة لها فلم تتألّم بحصولها.

البحث الرابع

فى درجات السّعداء ومراتب الاشقياء

احوال النّفوس الانسانيّة فى السّعادة والشّقاوة امّا ان تعتبر فى القوّة النّظريّة بحسب العقائد أو فى القوّة العمليّة بحسب الأعمال؛ وعلى التّقديرين فالنّفس امّا ان تكون موصوفة بالعقائد الحقّة والأخلاق الفاضلة أو بأضدادها وهى العقائد الباطلة والأخلاق المسترذلة أو موصوفة بالاعتقادات الحقّة والأخلاق الرّديّة أو بالعكس أو خالية عن احدهما أو عنهما معاً **فهذه تسعة اقسام:**

امّا القسم الاوّل فالاعتقادات الحاصلة امّا ان تكون برهانيّة او لاتكون فان كان الأوّل فاعلى هذه الدّرجة نفس شاهدت العالم المعقول وانتقشت بنقوش الجلايا[1] القدسيّة وصارت عقلاً مستفاداً أو بعدو قوفك على مراتب الاستعداد للانتقال الى المعقولات الثّانية[2] تعرف تلك الدّرجات وهؤلاء هم اولياء الله الابرار وهم فى الغرفات آمنون وان كان الثّانى فهى درجة اصحاب التّقليد ولهم عذاب يخصّهم بسبب انّهم علموا باكتساب ما انّ لهم كمالاً ما فحصل لهم شوق بحسبه ولم يصلوا الى ما اشتاقوا اليه من ذلك الكمال لنقصان اكتسابهم النّظرىّ وقصورهم عن الوصول، وتفاوت ذلك العذاب بحسب تفاوت ذلك الشّوق وهو عذاب منقطع ويصلون عنه الى سعادة تخصّهم بحسب ادراكهم لما تصوّروه من الكمال.

١ـ قال ابن سينا فى النمط السابع من الاشارات مانصه: «**تذنيب** - فيظهر لك من هذا ان كل مايعقل فانه ذات موجودة يتقرر فيها الجلايا العقلية تقرر شىء فى شىء» قال المحقق الطوسى(ره) فى شرحه على الاشارات ضمن شرح العبارة الثانية مانصه: «والجلية فى اللغة هو الخبر اليقين وانما عبر عن المعقولات بالجلايا لانها الصور المطابقة لذوات تلك الصور باليقين».

٢ـ ا: «الثابتة».

واماّ القسم الثّاني وهو النّفوس الموصوفة بالاعتقادات الباطلة والأخلاق الرّديّة فتلك الأمور امّا ان تكون راسخة فان كانت راسخة فهى اللّتى يدوم بها العذاب لانّ الجهل المركّب مضادّ لليقين فاذا كان متمكّناً من جوهر النّفس اعتقدت حينئذٍ انّه كمالها ورجت الوصول الى ماتمثّل[1] فيها انّه كمالها المسعد[2] وكانت لامحالة بعد الموت منقطعة بفقدان مارجته فتصير معذّبةً بعدم الوجدان لما كانت راجية له فيدوم بدوام الجزم بصحّة ذلك وان كانت غير راسخة فلهم عذاب منقطع لكون الهيئات الحاصلة لهم بسبب الاشتغال بالمضادّ حالات غير متمكّنة من تلك النّفوس ولامستحكمة فيها أو لانّها مستفادة من احوال وامزجة فتزول بزوالها.

وامّا القسم الثالث وهى الموصوفة بالاعتقادات الحقّة والاخلاق الرّديّة فتلك الاعتقادات ان كانت برهانيّة فالنّفوس بها سعيدة الّا انّ تلك السّعادة مكدّرة بعذاب يحصل من تلك الاخلاق الرّديّة الّا انّه زائل بزوال تلك الاخلاق امّا لانّها غير راسخة أو لكونها مستفادة من الامزجة فتزول بزوالها.

القسم الرابع ـ وهى النّفوس الموصوفة بالاعتقادات الباطلة والملكات الفاضلة وعذابها دائم ان كانت تلك الاعتقادات راسخة ومنقطع ان كانت غير راسخة والعلّة ماسبق.

القسم الخامس ـ النّفوس الخالية عن الاعتقادات الحقّة والباطلة الموصوفة بالاخلاق الفاضلة كنفوس كثير من البله؛ والّذى عليه ظاهر نظر المحقّقين انّها بعد المفارقة لايكون لها عذاب بسبب خلوّها عن اسباب العذاب فاذاً هى فى سعة من رحمة الله وهذا مطابق للإشارة النّبويّة: اكثر اهل الجنّة البله؛ وان كان ذلك ليس تمام المراد من الاشارة، ثمّ لايجوز عندهم ان يتعطّل عن الادراك اذ لاتعطّل[3] فى الوجود ولايمكن ان يدرك الّا بآلة جسمانيّة فذهب بعض الحكماء الى جواز تعلّقها باجرام اخرى فلكيّة[4] ضرباً من التّعلّق لاعلى سبيل انّها نفوس لتلك الاجرام مدبّرة لها فانّ ذلك غير ممكن بل قد تستعمل تلك الاجرام

---

١ ـ : «يمثل». ٢ ـ ا ج د: «المستعد». ٣ ـ ب ج د : «معطل». ٤ ـ ا «سلكية».

فتعدّها[1] لامكان التّخيّل ثم تتخيّل الصّور الّتى كانت معتقدة عندها فان كانت انّما تتخيّل الخير شاهدت الخيرات الاخرويّة على حسب ما كانت تتخيّله[2] والّا فشاهدت العقاب والشرّ **وبعضهم جوّز** ان تكون الاجرام متولّدة من الهواء والادخنة ثمّ جوّزوا بعد ذلك ان يكون ذلك التّعلّق مفضياً[3] لاستعدادهم للكمال المسعد[4] وهذه المواضع غامضة وطريق الجزم فيها صعب نسأل الله تعالى الهداية الى سواء السّبيل.

القسم السّادس ـ النّفوس الخالية عن الاعتقادات الموصوفة بالاخلاق الرّديّة ولهم بعد المفارقة عذاب بسبب شوقهم الى ما فارقوه من اللّذّات الجسمانيّة وعدم تمكّنهم منها، ويتفاوت ذلك العذاب بحسب تفاوت ذلك الشّوق وبحسب شدّة تمكّن الهيئات البدنيّة من نفوسهم وضعفها وربّما حكم ههنا بانّ ذلك الشّوق ينقطع ويكون حكم هؤلاء بعده حكم الّذين قبلهم.

القسم السّابع ـ النّفوس الموصوفة بالاعتقادات الخالية عن الاخلاق كنفوس كثير من الزّهّاد المنقطعين فى رؤس الجبال وفى البرارى فتلك الاعتقادات ان كانت برهانيّة فلهم سعادة تامّة هى فى التّمام دون مرتبة اهل القسم الاوّل ان كانوا فاقدين للملكات الفاضلة الخلقيّة المعدّة للكمال الاتمّ، وان كانت تقليديّة فحكمهم حكم المقلّدين فى القسم الاوّل ولعلّ للاوّلين زيادة شرف بسبب الاخلاق الفاضلة.

القسم الثّامن ـ النّفوس الموصوفة بالاعتقادات الباطلة الخالية عن الاخلاق فتلك الاعتقادات ان كانت راسخة دام بها العذاب والعلّة ماسبق، وان كانت غير راسخة دام بها العذاب ريثما[5] يبقى ثمّ ينقطع بانقطاعها، ولعلّ هذه النّفوس بعد ذلك تلحق بنفوس البله لعدم عرفانها بكمالاتها وعدم اشتياقها اليها.

القسم التّاسع ـ النّفوس الخالية عن الاعتقادات والاخلاق بالكلّيّة وهى كالنّفوس

١ـ ا:«يبعدها». ٢ـ ب ج د:«متخيلة». ٣ـ ج د:«مقتضياً». ٤ـ ب ج د:«المستعد».
٥ـ ج د:«زين ما» وهو قطعاً مصحف:«ريث ما».

الهیولانیّة الّتی للأطفال، ولیس للحکماء فیها مذهب ظاهر الّا انّ الالیق بحال اصولهم ان یلحقوها بالنّفوس السّاذجة کنفوس البله ویکون حکمها حکمها؛ والله اعلم.

الفصل الرابع

فی‌الاشارة الی بعض احوال السّالکین الی الله تعالی والواصلین من ابناء النّوع الانسانیّ

وفیه ابحاث:

البحث الاول

فی بیان مسمّی الزّاهد والعابد والعارف

لمّا کان الکمال الذّاتیّ للطّالبین انّما هوشروق نورالحقّ فی اسرارهم وکان‌الطّالب لامر عند توفیقه للطّلب لابدّ وان یعرض عمّا یعتقد انّه یبعّده عن المطلوب ثمّ یقبل ویواظب علی مایعتقد انّه یقرّبه الی المطلوب ثمّ بعد ذلک یصل الی‌المطلوب لاجرم لزم طالب ذلک الکمال فی ابتداء امره ان یعرض عمّا یشغله عن المطلوب[1] من متاع الدّنیا وطیّباتها؛ وصاحب هذا الاعراض یختصّ[2] باسم الزّاهد[3]، ثمّ یلزمه ان یواظب علی‌ما یعتقد انّه مقرّب الی الحقّ من‌افعال مخصوصة هی‌العبادات کالصّیام والقیام وبهذاالاعتبار یختصّ[4] باسم‌العابد، فاذا وجدالحقّ فاوّل درجات وجدانه هوالمعرفة وحینئذٍ یختصّ[5]

۱- ب ج د: «عن الطلب» ۲- ب ج د: «یخص» ۳- اعلم ان هذه‌التعریفات‌ماخوذة من‌الشفاء لابن‌سینا (انظراوائل النمط‌التاسع الذی فی‌مقامات‌العارفین) ونص‌عبارته هناك هکذا:

«تنبیه- المعرض عن متاع الدنیا وطیباتها یخص باسم‌الزاهد، والمواظب علی فعل العبادات من‌القیام والصیام ونحوهما یخص باسم العابد، والمنصرف بفکره الی قدس‌الجبروت مستدیماً لشروق نور الحق فی سره یخص باسم العارف، وقد یترکب بعض هذه مع‌بعض».

۴و۵- ب ج د : «یخص».

باسم العارف، وقد يتركّب بعض هذه الاحوال مع بعض تركّباً ثنائيّاً وثلاثيّاً فالأوّل زاهد عابد، زاهد عارف، عابد عارف، وامّا الثّانى فتركّب[1] واحد.

البحث الثانى

فى انّه كيف يكون الزّهد والعبادة مؤدّيين الى المطلوب الذّاتىّ

الزّهد والعبادة من الأمور المتمّمة لأغراض المعنى المسمّى بالرّياضة فلنبيّن اوّلاً معنى الرّياضة وكيفيّة تأدّيها[2] الى المطلوب. امّا الرّياضة فى اللّغة فهى تمرين البهيمة على الحركات الّتى ترتضيها[3] الرّائض بحسب مقتضى اغراضه وتعويدها بها؛ ويستلزم ذلك منعها عن الحركات الّتى لاترتضيها، ولمّا كانت النّفس الحيوانيّة الّتى هى مبدأ الادراكات والحركات الحيوانيّة قدلاتكون مطيعة للنّفس العاقلة باصل جبلّتها لاجرم كانت بمنزلة البهيمة الّتى لم ترض؛ تقودها الشّهوة تارة والغضب اخرى بحسب اثارة الوهم والمتخيّلة لها عمّا يتصوّرانه الى مايلائمها فتتحرّك حركات مختلفة حيوانيّة بحسب اختلاف تلك الدّواعى فتستخدم حينئذ القوّة العاقلة فى تحصيل اغراضها فتكون هى الامّارة بالسّوء، امّا اذاقويت النّفس العاقلة على قهر تلك القوّة ومنعها عن الحركات والافعال الباعثة للقوّة الشّهويّة والغضبيّة وطوّعتها بحسب مايقتضيه العقل العملىّ الى ان تصير متأدّبة فى خدمتها مؤتمرة بأوامرها منتهية عن مناهيها كانت العاقلة هى المطمئنّة الّتى تصدر عنها الافعال المنتظمة وكانت باقى القوى بأسرها مؤتمرة مستخدمة متسالمة[4] منقادة. ثمّ انّ بين كون هاتين القوّتين غالبة ومغلوبة مطلقاً حالة تكون القوّة الحيوانيّة فيها متابعة لهواها خارجة عن طاعة القوّة العاقلة ثمّ تفىء الى الحقّ وتلوم نفسها على ذلك الانهماك فتسمّى لوّامة. والى القوى الثّلاث اشير فى الكتاب العزيز؛ انّ النّفس لامّارة بالسّوء[5] ياايّتها النّفس المطمئنّة ارجعى الى ربّك[6] ولا اقسم

١- ب ج د: «فتركيب». ٢- ج ب: «تأديتها». ٣- ا: «ترضيها». ٤- ب: «مسالمة» ج د: «سالمة». ٥- وسط آية ٥٣ سورة يوسف. ٦- آية ٢٧ و ٢٨ سورة الفجر.

بالنّفس اللـوّامة(۱) فاذاً الرّياضة ههنا نهی النّفس عن هواها وامرها بطاعة مولاها،واليهما اشير فی التّنزيل الالـهیّ: واما من خاف مقام ربّه ونهی النّفس عن الهوی(۲) وامّا متمّماتها فانّه لمّا كان الغرض الأصلیّ منها هو نيل الكمال الحقيقیّ، وكان ذلك النّيل موقوفاً على حصول الاستعداد له،وكان ذلك الاستعداد مشروطاً بزوال الموانع،وكانت الموانع داخليّة وخارجيّة **كان ذلك الغرض مستلزماً لامور ثلاثة(۳):**

احدها ـ ازالـة ماعدا الحقّ الأوّل تعالى عن الوجهة المقصودة ازاحته عن سواء السّبيل وهی الموانع الخارجيّة.

الثّانی ـ تطويع النّفس الامّارة للنّفس المطمئنّة لينجذب الخيـال والوهم الی الجنبة(٤) العالية مستتبعين لسائر القوی الحيوانيّة وهی الموانع الدّاخليّة.

الثّالث ـ اعداد النّفس لان يتمثّل فيها(٥) الجلايا القدسيّة بسرعة.

ثمّ لمّا كان لهذه الاغراض متمّمات وامور تعين عليها لاجرم كان الزّهد الحقيقیّ ممّا يعين على الغرض الأوّل،والعبادات الشّرعيّة ممّا يعين على الغرض الثّانی وذلك هو الغرض منها.

---

۱ ـ آية ۲ سورة القيامة ۲ ـ آية ٤۰ سورة النازعات. ۳ ـ هذه الامور مأخوذة من النمط التاسع من كتاب الشفاء ونص عبارته هناك: «اشارة ـ ثم انه ليحتاج الى الرياضة،والرياضة متوجهة الى ثلاثة اغراض؛ الاول تنحية مادون الحق عن متن الايثار،والثانی تطويع النفس الامارة للنفس المطئنة لتنجذب قوی التخيل والوهم الى التوهمات المناسبة للامر القدسی منصرفة عن التوهمات المنصرفة للامر السفلی، والثالث تلطيف السر للتنبيه،والاول يعين عليه الزهد الحقيقی،والثانی يعين عليه عدة اشياء، العبادة المشفوعة بالفكرة ثم الالحان المستخدمة لقوی النفس الموقعة لما لحن به من الكلام موقع القبول من الاوهام، ثم نفس الكلام الواعظ من قائل زكی بعبارة بليغة ونغمة رخيمة وسمت رشيد؛ واما الغرض الثالث فيعين عليه الفكر اللطيف والعشق العفيف الذی يأمر فيه شمائل المعشوق ليس سلطان الشهوة» فلله در الشارح قدس سره فانـه اعرض عن الاشارة الى العشق ولو كان عفيفاً فضلا عن الخوض فيه.

٤ ـ ج د: «الجنّة» [بتشديد النون]. ٥ ـ ا: «منها».

بيان الأوّل انّ الزّهد الحقيقيّ(١) هواعراض النّفس عمّا يشغل سرّها عن التّوجّه الى(٢) القبلة الحقيقيّة وظاهر كونه معيناً على الغرض الأوّل، وامّا كون المواظبة على العبادات معيناً على الغرض الثّانى فظاهر أيضاً لانّها رياضةما لقوى العابدالعارف المدركة والمحرّكة لتجرّها بالتّعويد عن الجنبة السّافلة الى جناب(٣) القدس(٤) وكسر الهمّة المتعلّقة بمايضادّ الكمال الذّاتىّ،وانّما اعتبرنا الزّهد الحقيقيّ دون الظّاهرىّ لانّ الاعراض عن المشتهيات البدنيّة اذا كان بحسب الظّاهر فقط مع ميل القلب اليها لم ينتفع به لقوله صلّى اللّهعليهوآله انّ اللّه لاينظرالىصوركم ولاالى اعمالكم ولكن ينظرالى قلوبكم؛ نعم وان كان لابدّ للسّالك فى مبدء الأمر من الزّهد الظّاهرىّ لانّ الزّهدالحقيقيّ مشروط به اوّلاً وقد اتّفق على انّ: الرّياء قنطرة الاخلاص؛وامّا العبادات فأجملها(٥) ما كان مشفوعاً بالفكرالمناسب،وفائدة ذلك انّ الغرض من العبادة تذكّر المعبود الحقّ والمجرّدين(٦) من الملائكة وذلك ممّا لايتأتّى الّا بالفكر فلاجرم وجب كونها مشفوعة به؛وان كان لتلك الاغراض متمّمات اخر و معينات كالكلام الواعظ من قائل زكىّ معتقد فيه،والالحان المناسبة البريئة عن التّعوّد بمخالطة اللّذّات الخسيسة،وعن الايقاع فى مجالس الانذال واجتماعاتهم لقبيح مايفعل؛ وغير ذلك ممّا هو مذكور فى مظانّه فقد لاح لك حينئذٍ الغرض من الزّهد والعبادة وكيفيّة تأدّيهما الى المطلوب الاصلىّ.

١- هذا المبحث مأخوذ من الشفاء (النمط التاسع) ونص عبارته: «تنبيه- الزهد عند غيرالعارف معاملة ما كأنه يشترى بمتاع الدنيا متاع الاخرة،وعندالعارف تنزه‌ما عما يشغل سره عن الحق وتكبرعلى كل شيء غيرالحق، والعبادة عند غيرالعارف معاملة ما كأنه يعمل فى الدنيا لاجرة ياخذهافى الاخرة هى الاجر والثواب،وعندالعارف رياضة‌ما لهممه‌وقوى‌نفسه‌المتوهمة‌والمتخيلة لتجرها بالتعويد عنجناب‌الغرور الى جناب‌الحق فتصير مسالمة للسر الباطن (الى‌آخرماقال).

٢- جميع النسخ «عن». ٣- ا ب : «الجناب». ٤- ب ج د: «المقدس».

٥- ب ج : «فاجلها». ٦- ا: «والمجرد».

البحث الثالث

فی غرض غیر العارف من الزهد والعبادة وغرضه منهما ومن عرفانه

الزّهد والعبادة عند غیر العارف معاملتان؛ امّا **الزّهد** فلانّ مطلوب غیر العارف منه ان یشتری بمتاع الدّنیا متاع الاخرة، وامّا **العبادة** فلانّ غرضه منها ان یأخذ الاجرة علیها فی الاخرة، وامّا غرض العارف منها فقد سبق بیانه ، امّا من الزّهد فالتفات القلب عن[1] ماسوی الله لئلّا یمنعه من الاستغراق فی محبّته، وترک اخسّ المطلوبین لاشرفهما واجب فی اوائل العقول، وامّا من العبادة فان تصیر القوی البدنیّة مراضة تحت قیاد[2] النّفس فی توجّهها الی مطلوبها الاصلیّ من الاستغراق فی بحور الجلال لئلّا یمنعها عن ذلک بالاشتغال بالامور المضادّة له، وامّا غرضه من عرفانه فلیس الّا الحقّ لذاته لاغیره حتّی العرفان فانّه امر اضافیّ یقال بالنّسبة الی المعروف فهو مغایر للمعروف لامحالة، فلو کان غرض العارف نفس العرفان لم یکن من مخلصی التّوحید لانّه قد اراد مع الحقّ غیره وهذه حال المتبجّح بزینة فی ذاته، فامّا من عرف الحقّ وغاب عن ذاته کما ستعرف فهو لامحالة غائب عن العرفان واجد للمعروف فقط، وهو السّابح لجّة الوصول وهناک درجات التّحلیة بالامور الوجودیّة الّتی هی النّعوت الالهیّة وهی غیر متناهیة والیها اشیر فی الکتاب العزیز: قل لو کان البحر مداداً لکلمات ربّی لنفد البحر قبل ان تنفد کلمات ربّی ولو جئنا بمثله مدداً[3] والله ولیّ الخلاص وله منتهی الاخلاص .

البحث الرابع

فی درجات حرکات العارفین

فالاولی من تلک الدّرجات الحرکة الّتی تسمّی فی عرف اهل الطّریقة بالإرادة، وذلک انّه اذا حصل للانسان اعتقاد انّ السّعادة التّامّة بالإقبال علی الله تعالی وبالاعراض عمّا سواه سواء کان ذلک الاعتقاد برهانیّاً أو تقلیدیّاً أو بحسب الج[illegible]ة؛ فانّه

۱- فی جمیع النسخ «الی» . ۲- ج د: «مبادی». ۳-آیة ۱۰۹ سورة الکهف.

يحدث عن ذلك الاعتقاد ارادة التّوجّه الى الله تعالى والفرار والبعد عمّا سواه؛ فمها بقى الانسان كذلك سمّى مريداً، ثمّ اذا توغّل فى السّلوك وبلغت به الارادة والرّياضة حدّاً ما[١] ظهرت عليه انوار الٰـهيّة لذيذة تشبه البرق اللّامع المختفى ويسمّيها اهل الطّريقة بالاوقات وكلّ واحد منهـا محفوف بوجدين؛ وجد اليه وهو الشّوق المتقدّم عليه، و وجد عليه وهو التأسّف على فواته؛ وهو متأخّر عنه، لانّ مفارقة لذّة تلك المعارفة[٢] بعد حصولها يوجب حنيناً وانيناً شوقاً[٣] الى مافات، واليه اشار صاحب الوجد فى قوله: شعر:

اذا ماسقانى شربةً من رضا به ظمئت الى ذاك المدام فلم اروى[٤]

وقول الآخر[٥]:

فابكى ان نأوا شوقاً اليهم وأبكى ان دنوا خوف الفراق

ثمّ انّ هذه اللّوامع تكون فى مبدء الأمر قليلة ثمّ لاتزال تكثر بحسب الامعان فى الرّياضة والتّوغّل فيهـا وتزداد وتتفاوت ازمانها بحسب زيادة قوّة استعداد النّفس لها حتّى تصير تلك الأحوال ملكات فيظهر عليها فى غير حال الارتياض وفى هذه الاحوال ربّما عرضت لـه تلك الغواشى وهو غافل عنهـا فتستفزّه عن مجلسه[٦] وتوجب لـه الهرب والقلق[٧] والاضطراب دفعة وذلك لكون النّفس غير متأهّبة لتلقيّه كما نقل عن سيّد المرسلين فى مبدء الوحى انّه كان يضطرب ويقول: زمّلونى زمّلونى، وكما اشير اليه فى الكتاب العزيز

١ـ مأخوذ من الشفاء (من النمط التاسع) ونص عبارته: «اشارة ـ ثم انه اذا بلغت به الارادة والرياضة حداًما عنت له خلسات من اطلاع نورالحق عليه لذيذة كأنها بروق توبض اليه ثم تخمد عنه وهو المسمى عندهم اوقاتاً، وكل وقت يكتنفه وجدان؛ وجد اليه و وجد عليه، ثم انـه ليكثر عليه هذه الغواشى اذا امعن فى الارتياض، ثم انه ليتوغل فى ذلك حتى يغشاه فى غير الارتياض فكلمـا لمح شيئاً عاج منه الى جنـاب القدس يتذكر من امره امراً فغشيه غاش فيكاد يرى الحق فى كل شيء» وله ذيل فى اشاراته الاتية فمن اراده فليطلبه من هناك. ٢ـ ا: «العارفة» ج د: «المعارف». ٣ـ ب ج د: «تشوقاً». ٤ـ كذا فى النسخ.
٥ـ هاتان الكلمتان والبيت الاتى لم يذكر شيء منهافى نسخة ا. ٦ـ ج: «محله». ٧ـ ج: «والقلقة».

حكاية عن موسى عليه السّلام : فلمّا رآها تهتزّ كأنّها جانّ ولّى مدبراً ولم يعقّب ياموسى اقبل ولا تخلف انّك من الآمنين(١) ، ثمّ انّه ليزداد تعويده بظهور تلك الغواشي الى ان تصير تلك الغواشي مألوفة له فتطمئنّ بها(٢) نفسه ويسكن اليها قلبه وتسمّى حينئذ فى عرفهم سكينة حتّى تصير بعد ان كانت آثار البهجة باشراق تلك الأنوار فى سرّه ظاهرة عليه وعلامات الأسف والتّلهّف على فراقه كثيرةً لديه بحيث يقلّ ذلك الظّهور فيراه جليسه حال الاتّصال بجناب الحقّ حاضراً عنده فى اوقات السّفر مقيماً معه وهو فى الحالين غائب مسافر ولا يزال يتدرّج(٣) فى ذلك بحسب صفاء جوهره واستعداده بالملكة التّامّة الى ان يصير له ذلك متى شاء ثمّ يترقّى فى ذلك الى ان يتوقّف ذلك الأمر على مشيّته بل يكون له بمطالعة كلّ شيء عبرة من غير قصد الاعتبار(٤) بتلك المطالعة ، فاذا عبر مقام السّلوك الى النّيل صار سرّه كمرآة(٥) مجلوّة حوذى(٦) بها وجه الحقّ متّسعاً باشراقه

١ـ ذيل آية ٣١ سورة القصص . ٢ـ ا : «لها» . ٣ـ ج د : «يندرج» . ٤ـ ج د : «الاعتقاد» . ٥ـ ج «مراة» . ٦ـ النسخ : «حوفى» أو مايشبهه وصححناها بقرينة قول الشارح (ره) فى شرح نهج البلاغة ضمن شرح قوله اميرالمؤمنين (ع) : «والله لابن ابى‌طالب آنس بالموت من الطفل بثدى امه» : «فان علمه بعواقب الامور وادبارها و تطلعه الى نتائج الحركات بعين بصيرته التى هى كمرآة صافية حوذى بها صور الاشياء فى المرائى العالية فارتسمت فيها كما هى» (ص ١٠٤ الطبعة الاولى) ونظيره قوله الآخر فى وصف التالين للقرآن حق تلاوته (ص ٤٠٦ من الطبعة الاولى) : «حتى صارت نفوسهم كمرائى مجلوة حوذى بها شطر الحقائق الالهية فتحلت وانتقشت بها» الى غيرهما واصل التعبير مأخوذ من كلام ابن‌سيناء (انظر كتاب الاشارات ؛ النمط التاسع) : «اشارة ـ فاذا عبر الرياضة الى النيل صار سره مرآة مجلوة محاذياً بها شطر الحق ودرت عليه اللذات العلى (الى آخر كلامه)» وقد قال أيضاً قبل ذلك فى كلام له : «واذا اعرضت النفس عنه الى مايلى العالم الجسدانى أو الى صورة اخرى انمحى المتمثل الذى كان اولا كأن المرآة التى كانت يحاذى بها جانب القدس قد اعرض بها عنه الى جانب الحس أو الى شيء آخر من الامور القدسى» قال المحقق الطوسى (ره) فى شرح العبارة الثانية مانصه : «اشارة الى حاجة الذهول وسببه، وتمثل بالمرآة لانها فى الجسمانيات اشبه شيء بالنفس المستفيضة عن المجردات» .

فيه مبتهجاً باعلى اللّذّات الّا انّه مع ذلك مبتهج بنفسه لما فيها من اثر الحقّ فله مع نظره الى الحقّ نظر آخر الى نفسه فهو بعد واقف دون مقام الاخلاص فاذا غاب عن نفسه[١] يلحظ الجناب المقدّس[٢] فقط وان لحظ نفسه فبالعرض من حيث هى لاحظة للحقّ لا من حيث هى متزيّنة بزينة الحقّ فهناك يتحقّق الوصول، وفى كلمات محقّقى اهل الطّريقة[٣]: مارأينا شيئاً الّا ورأينا الله بعده، فلمّا ترقّوا قالوا : مارأينا شيئاً الّا ورأينا الله فيه، فلمّا ترقّوا قالوا : مارأينا شيئاً الّا ورأينا الله قبله، فلمّا ترقّوا قالوا : مارأينا شيئاً سوى الله، والكلمة[٤] الاولى اشارة الى مقام الاعتبار مع قصده، والثّانية اشارة الى مقام حصول تلك البروق غيرمتوقّفة على مشيّته، والثّالثة اشارة الى مقام النّيل مع ملاحظة النّفس من حيث هى مبتهجة بزينة الحقّ فانّ الشّبح الّذى فى المرآة هو المرئىّ قبلها، والرّابعة اشارة الى مقام الفناء وهو ملاحظة الحقّ الأوّل مع الغيبة عن النّفس، وقد جمعوا أيضاً مراتب السّلوك ومقامات الوصول فى كلمة اخرى فقالوا: السّفر سفران؛ سفر الى الله، وسفر فى الله؛ والأوّل اشارة الى انتقالات النّفس فى مراتب السّلوك، والثّانى اشارة الى انتقالها فى درجات الوصول، والله ولىّ التّوفيق.

١- عبارة ابن‌سيناء هكذا (فى النمط التاسع من كتاب الاشارات): «ثم انه ليغيب عن نفسه فيلحظ جناب القدس فقط وان لحظ نفسه فمن حيث هى لاحظة لامن حيث هى بزينتها وهناك يحق الوصول». ٢- ا: «القدس» والشارح قد يعبر فى كتبه بتعبير «جناب القدس» وقد يعبر بتعبير «الجناب المقدس». ٣- قال الشارح (ره) فى شرح نهج البلاغة ضمن ذكر معنى الظهور عند شرح قول اميرالمؤمنين (ع): «وكل ظاهر غيره باطن» مانصه (ص ١٨٠ من الطبعة الاولى) : «كما اشار اليه بعض سجردى السالكين : مارأينا شيئاً (فساق الكلام الى آخره فقال) والاولى مرتبة الفكر والاستدلال عليه، والثانية مرتبة الحدس، والثالثة مرتبة المستدلين به لاعليه، والرابعة مرتبة الفناء فى ساحل عزته». ٤- فى النسخ «والاية».

البحث الخامس
فى احكام العارفين واخلاقهم
امّا الاحكام

فالأوّلـ انّ كلّ درجة قبل درجة الوصول فهى ناقصة بالقياس اليها وبيان ذلك امّا درجة الزّهد فلانّه اشتغال بغير الحقّ لانّ تحلية الذّات عن المنجّسات والعلائق البدنيّة مشروط بالشّعور بها والقصد الى اعدامها[1]، وذلك التفات الى غير الحقّ وشغل به.

وامّا العبادة فلانّ العابد اذا اتّكل على تطويع النّفس الامّارة للمطمئنّة فذلك عجز منه اذ لولا الخوف من الغير لم يحصل الاعتداد بطاعته والفرح بها، وامّا العرفان مع ابتهاج النّفس بزينة الحقّ والسّعادة بالوصول اليه فهو تيه؛ لانّ الابتهاج بالنّفس لقربها من الحقّ والفرح بكونها واصلة اليه ابتهاج بغير الله وعشق بالذّات لاحوال النّفس، وامّا الاشتغال بالحقّ ورفض كلّ ماعداه وهو آخر مقامات السّلوك اليه فهو الخلاص المطلق والاخلاص المحقّق.

الثّانيـ اتّفقت كلمة اهل العرفان على انّ مقامات السّالكين الى الحقّ لاتخلو من التّفريق والجمع فيما سوى الحقّ تعالى ثمّ من الجمع فيه، امّا التّفريق فهو تخلية الذّات عمّا سوى الحقّ تعالى فلها مراتب اربع؛ فالأولى لابدّ ان يكلّف السّالكون الى الحقّ بالأعراض عمّا سواه من اللّذّات البدنيّة والشّهوات الدّنياويّة ولن يزالوا فى كلفة الى ان تستعبد نفوسهم ارذال الميول الحيوانيّة اليها وهى المرتبة الثّانية، ثمّ يستعدّون بالسّعى الى ان يمحقوا[2] ما سوى الحقّ من قلوبهم ويشمّوا رائحة النّفحات الالهيّة ويتركوا الالتفات بالكلّيّة الى اللّذّات الفانية وهى المرتبة الثّالثة، ثمّ لايزالون يستعدّون بالانس بالقديم[3] الأعلى والكأس الاوفى الى ان يصير ماسوى الحقّ مستحقراً عندهم بالنّسبة الى تلك اللّذّات الكاملة وهى المرتبة الرّابعة، فهذه درجات التّخلية وهى فى لسان الحكماء

١ـ ج: «اعلاسها». ٢ـ ا: «يمحق» ج:«يمحوا». ٣ـ ب: «النديم».

درجات الرّياضة السّلبيّه وفى لسان المجرّدين(١) من الصّوفيّة درجات التّخلّق بنعوت الجلال،وامّا الجمع فهو تحلية الذّات بدرجات الرّياضة الايجابيّة وذلك بان يصير السّالك رؤفاً رحيماً جواداً كريماً وتسمّى هذه الحالة فى لسان الشّريعة التّخلّق باخلاق الله،وفى لسان المجرّدين التّرقّى فى مدارج الجلال،واما الجمع فى الله فلن يخلص الّا بالوقوف عنده بحيث ينقطع نظرالواصل عن نفسه وابتهاجها بزينتها به وبه يتحقّق الكمال التّام.

وامّا الاخلاق فيجب ان يكون العارف شجاعاً(٢)وذلك انّ الشّجاعة فضيلة مطلوبة بالذّات،وامّا السّبب المانع من الاقدام على الاهوال فخوف القتل الّذى غايته الموت والعارف بمعزلٍ عن(٣) تقيّة الموت،ويجب ان يكون عفيفاً لانّ العفّة ملكة مطلوبة لذاتها، والمانع منها غلبة القوى البدنيّة على مقتضى طباعها وانقهار(٤) النّفس فى قيادها والعارف بمعزلٍ عن ذلك اذ(٥) كانت قواه البدنيّة مقهورة فى يد قوّته(٦) العقليّة،ويجب ان يكون جواداً لانّ الجود فضيلة مطلوبة لذاتها،والمانع منها انّما هوحبّ المال والخوف من الفقر؛ والعارف منزّه عن حبّ الباطل الزّائل وحاصل على الغنى الحقيقىّ الّذى لافقر معه،ويجب ان يكون عدلاً لانّ العدالة ملكة قد عرفت انّها تحصل عن الحكمة والعفّة والشّجاعة وهذه الفضائل الثّلاث(٧) حاصلة له،ويجب ان يكون صفّاحاً عن زلّات الخلق فى حقّه لانّه لاينفعل عن شيءٍ سوى الله فهواشرف عن ان ينفعل عن زلّة بشر(٨) والاشتغال بالانتقام مستلزم للانفعال،ويجب ان لايكون حقوداً لانّ اشتغال سرّه بالله يزيل عنه كلّ ماعداه،ويجب ان يكون طلق الوجه وذلك انّه فرحان بالحقّ وبكلّ

١- ا: «المحررين». ٢- عبارة ابن‌سيناء هكذا (كتاب الاشارات؛ النمط السابع الذى فى مقامات العارفين): «تنبيه - العارف شجاع وكيف لا وهو بمعزل عن تقية الموت، وجواد كيف لا وهو بمعزل عن محبة الباطل،وصفاح وكيف لا ونفسه اكبر من ان تجرحها زلة بشر، ونساء للاحقاد وكيف لا وذكره مشغول بالحق». ٣- ا ب:«من». ٤- ا: « انتهار». ٥- ا ج: «اذا». ٦- ا: «ترقوته». ٧- ب: «الثلاثة».
٨- ا: «البشر» ج د: «شر».

شیء یراه فانّه یریٰ فیه الحقّ فیدوم فرحه بدوام مطالعته لوجه الحقّ، ویجب ان یکون لیّن الجناب[1] متواضعاً للخلق بحیث یکون نظره الیهم علی سواءٍ فی ذلک، وذلک لانّه لاینظر الی ماسوی الله من حیث انّه هو حتّی یکون هناك تفاوت بین الهویّات بل انّما ینظر الی الکلّ من حیث تساوی نسبتهم الی الله تعالی ویجد جماع[2] الفضائل النّفسانیّة عنداقتصاصها موجودة فیه ظاهرة بیّنة العلّة، والیک الاعتبار والله الموفّق.

الفصل الخامس

فی بیان احکام اخری للنّفوس الکاملة والاشارة الی اسبابها

وفیه بحثان :

البحث الاول[3]

فی التّمکّن من الاخبار عن المغیبات وسببه

واجب علیک ایّها الاخ اذا ذکر انّ خلیفة من خلفاء الله أو ولیّاً من اولیائه اخبر عن امرٍ سیکون مبشّراً به أومنذراً ممّا لاتفی بدرکه قوّتک وانت انت فاصاب ان لاتبادرالی التّکذیب بامثال[4] ذلک فانّک عند اعتبارك مذاهب الطّبیعة تجد الی ذلک سبیلاً وله محملا ونحن نشیر الی سببه مجملاً ومفصّلاً.

امّا الاوّل فلانّ معرفة الامور الغیبیّة فی النّوم ممکنة فوجب ان یکون فی الیقظة کذلک؛ بیان الاوّل انّ الانسان کثیراًما یری فی النّوم شیئاً ثمّ یقع امّا صریح تلك الرّؤیاء أو تعبیرها، وذلک یوضح ماقلناه للرّائی، ومن لایرزق ذلک فی حال النّوم علمه بالتّواتر من الخلق العظیم.

١- کذا ولعله «الجانب». ٢- ب: «جملة». ٣- هذا المبحث مأخوذ من اواخر الاشارات فمن اراد التطبیق فلیراجعه. ٤- ج د «بامکان».

بیان الثّانی انّ ذلک لمّا صحّ فی حال النّوم لم یمکن[١] القطع علی امتناعه حال الیقظة فانّ النّاس لو لم یجرّبوا ذلک فی حال النّوم لکان استبعادهم لوقوعه فی النّوم اشدّ من استبعادهم له فی الیقظة فانّه عند عدم التّجربة لوقیل لانسان: انّ جماعةً من الاولیاء الکاملین اجتهدوا فی تلویح مفکّراتهم الصّافیة فی تحصیل حکم غیبیّ فعجزوا ثمّ انّ واحداً منهم لمّا نام وصار کالمیّت عرف ذلک الحکم فلابدّ ان یکذّب بذلک ویستنکره لعدم حصوله مع کمال الحرکة وسلامة الحواسّ عن العطلة الّا انّ وقوع هذا الأمر کثیراً ممّا ازال الاستبعاد وصحّح الصّحّة، **وامّا الثّانی فمبنیّ علی مقدّمتین:**

فالاولی - انّه قدثبت فی موضعه انّ العقول والنّفوس السّماویّة عالمة بالجزئیّات، امّا العقول فعلی وجه کلّیّ وامّا النّفوس فعلی وجه جزئیّ لانّ جمیع الجزئیّات تنتهی فی سلسلة الحاجة الی العقول؛ والعلم بالعلّة مستلزم للعلم بالمعلول، وکذلک ثبت انّ للفلک قوّةً جسمانیّةً هی مدرکة للجزئیّات وثبت انّ الحوادث العنصریّة مستندة الی الاتّصالات والحرکات الفلکیّة وثبت انّ المبدأ لتلک الحرکات هی النّفوس[٢] الجسمانیّة وثبت انّ العلم بالعلّة یوجب العلم بالمعلول فیلزم من مجموع ذلک کون النّفس الفلکیّة عالمة بجمیع جزئیّات هذا العالم ومایحدث فیه، وکذلک ثبت انّ للفلک مع هذه النّفوس[٣] الجسمانیّة نفساً مجرّدة لیست علاقتها مع الجسم علاقة انطباع فتکون أیضاً منتقشة بجمیع الجزئیّات الّتی تحدث فی هذا العالم فالعقول والنّفوس الفلکیّة المجرّدة والجسمانیّة اذاً منتقشة بها.

الثّانیة - انّ النّفوس الانسانیّة متمکّنة من استفادة العلوم من تلک المبادی؛ وبیان ذلک بتقدیم مقدّمات:

فالاولی - انّ القوی الانسانیّة متجاذبة فالنّفس عند اشتغالها بتدبیر القوّة الغضبیّة غیر متمکّنة[٤] الالتفات الی القوّة الشّهوانیّة وبالعکس واذا اشتغل الحسّ الباطن بالحسّ

١- ب: «لم یکن». ٢- ب ج «النفس». ٣- ب ج د: «هذه النفس».
٤- ب: «غیر ممکنة».

الظّاهر لم يتمكّن العقل من استعمال الحسّ الباطن فلم يمكنه استخدام المفكّرة[١] وأيضاً فاذا اشتغلت النّفس بالافعال الّتى تخصّها منعتها من اعانة القوى على افعالها ولذلك تجدها عند مساعدة القوى على فعل قوى تخصّها تذهل عن فعلها الخاصّ بها فتتركه.

الثّانية ـ انّك علمت ماهيّة الحسّ المشترك فيما سبق وعلمت انّه يرتسم[٢] فيه صور المحسوسات بالحواسّ الخمس[٣] لانّ[٤] هذه المحسوسات عند ارتسامها تصير مشاهدة وان عدمت فى الخارج،وبيّنّا ذلك بالقطرة النّازلة خطّاً مستقيماً.

الثّالثة ـ قد يشاهد قوم من المرضى والممرورين صوراً محسوسةً ويحكمون بصحّتها ويصيحون خوفاً منها فتلك الصّور ليست بمعدومة لانّ المعدوم لايشاهد،واذهى موجودة فليست فى الخارج والّا لرآها سليم الحسّ،واذ ليست فى الخارج فليس ارتسامها فى النّفس النّاطقة اذ لاترتسم فيها الصّور الحسّيّة ولانّها لاتدرك الجزئيّات بذاتها فهى اذاً فى قوّة جسمانيّة؛وليست القوّة الباصرة،لانّ المريض قد يكون اعمى أو بحيث لايبصر فهى اذاً فى قوّة غيرها ادركت هذه الصّور[٥] فى[٦] الحسّ المشترك ولن[٧] ترد عليه هذه الصّور من خارج فهى من داخل امّا ممّا انخزن فى الخيال فرأى فى لوح الحسّ أو ممّا تركّبه المتخيّلة وتخزنه فى الخيال فيرتسم نقشه فى الحسّ لانّهما بمنزله مرآتين متقابلتين؛ والسّبب انّ النّفس فى حال المرض لاشتغالها بتدبير البدن ضعيفة عن تدبير المتخيّلة فاستولت المتخيّلة وقويت على التّشبيح،لايقال: لوكان كذلك لوجب فى كلّ مايتخيّل ان يحسّ اذلااختصاص لذلك بوقتٍ دون وقت لانّا نقول: المانع من هذا الانتقاش دائماً شاغلان؛ حسّىّ وهو اشتغال لوح الحسّ بمايرد عليه من الصّور الخارجيّة فلايتّسع للانتقاش بنقش آخر، وعقلىّ أو وهمىّ وهو انّ احدهما عند اشتغال[٨] المفكّرة تصير المفكّرة مستغرقة

١ـ ب: «الفكرة». ٢ـ ا: «رسم». ٣ـ ب: «الخسمة». ٤ـ «وان».

٥ـ ا: «هذه هى». ٦ـ ج: «هى» د: «وهى». ٧ـ اب: «وان». ٨ـ ب ج د: «استعمال».

لخدمته(١) فلاتتفرّغ لفعلها الخاصّ بها فلم تتمكّن من تركيب الصّور وتشبيحها للحسّ الّا انه ربّما عجز احدهما عن ضبطها فحينئذٍ تستولى المحسوسة فتشاهدها(٢).

الرابعة ـ النّوم شاغل للحسّ الظّاهر شغلاً ظاهراً وقديكون شاغلاً للنّفس أيضاً وذلك عند اشتغال الطّبيعة بالهضم فانّ النّفس تكون مظاهرة للقوّة الهاضمة على ذلك ومعينةً لها لما ثبت انّ النّفس عند اشتغالها بمهمّها تقف سائر القوى عن افعالها فلابدّ من مظاهرة النّفس لها والّا لما تمّ الهضم،واذا اشتغلت النّفس بذلك بقيت المتخيّلة خالية عن المدبّر متمكّنة من التّلويح والتّشبيح غيرمظبوطة ولوح الحسّ خالٍ ممّا يردعليه من الصّور الخارجيّة لتعطّل الحواسّ حالة النّوم ، واذا تمّ الفاعل والقابل وجد الفعل لامحالة فلاجرم صارت الصّور مشاهدة فى حال النّوم.

الخامسة ـ النّفس تقوى على عين ماادركته وقد تضعف عن ضبط عينه فتنتقل الى شبهه ومحاكيه من وجه ثمّ من ذلك المحاكى الى محاكى المحاكى الى ان تصل الى مالايناسب المدرك الاوّل بوجه،وانّما يكون كذلك لاستيلاء المتخيّلة وضعف النّفس عن تصريفها كما ينبغى فاذا قويت النّفس جدّاً لم يكن اصلاحها للبدن عائقاً لها عن اتّصالها بمباديها وانتقاشها بماهناك بل تكون وافيةً بالجانبين فلايعوقها الالتفات الى احدهما عن الالتفات الى الآخر فاذا انضمّ الى ذلك كونها مرتاضةً كان تحفّظها عن مضادّات الرّياضة وتصرّفها فيما يناسبها اتمّ.

واذا عرفت هذه المقدّمات فاعلم انّ السّبب فى مشاهدة الصّور فى حال النّوم والمرض هو انّ النّفس اذا اتّصلت بالعقول الفعّالة انتقشت بامور فركّبت المتخيّلة صوراً جزئيّة تناسب تلك المعقولات ،ولوّحت تلك الصّور الى الحسّ المشترك فصارت مشاهدةً وقد يعرض للمتخيّلة ضعف امّا لمرض أولتحلّل الرّوح الحامل امّا عن كثرة حركتها فتميل الى الدّعة فتقع للنّفس فلتة منها فتتّصل بالعالم العقلىّ فتنتقش بالجلايا القدسيّة فتنزعج المتخيّلة الى تشبيح ذلك المعنى العقلىّ بصورة جزئيّة لانّها بسبب

١ـ ب ج د: «بخدمته». ٢ـ ا: «فتشاهده» ب ج د: «مشاهدة».

الاستراحة زال عنها الكلال والملال ولانّ النّفس تستعين بها فى ضبط تلك الأسرار فى تلك الصّور[١] الخياليّة[٢] وتحطّها الى الحسّ فتبقى مشاهدة، واذا علمت السّبب فى ذلك حالة النّوم لم يبعد اذا كانت النّفس قويّة الجوهر تتّسع للجوانب المتنازعة[٣] ان يقع لها هذا الانفلات[٤] فى حال اليقظة فتتّصل بالمبادىٔ فتقتنص اموراً قدسيّة فتركّب المتخيّلة لها صوراً تناسبها ثمّ تحطّها الى الحسّ المشترك فتكون محسوسة فتارة تكون ابصار صورة، وتارة تكون سماع كلام وان لم يكن لتلك الأمور وجود خارجىّ الّا انّ تلك الآثار قد تكون ضعيفة فلاتشتبها[٥] المتخيّلة كما ينبغى فتنمحى سريعاً، وقدتكون اقوى من ذلك فتحرّك الخيال فينتقل بقوّة الى ماله تعلّق بذلك المعنى من شبيه أو ضدّ لانّ الحكمة الالـهيّة اقتضت ان يكون جبلّة هذه القوّة على هذا الوجه والّا لم ينتفع بها فى الانتقال من الحاصل الى المستحصل ولن يمنعها من الانتقال الّا احد[٦] امرين[٧] امّا استيلاء النّفس عليها وضبطها، وامّا قوّة الصّور المنتقشة فيها فانّه أيضاً قد يرتسم فيها الصّور ارتساماً قويّاً بيّناً فيمنعها جلاؤها لها[٨] عن الانتقال منها الى الغير، وما كان كذلك فى يقظة او نوم سمّى الهاماً أو وحياً صريحاً أو حلماً لايحتاج الى تعبير، وما كان من القسم الثّانى اعنى ان تبقى الصّورة المنتقل اليها دون عين الاثر فانّه يحتاج الوحى الى تأويل والحلم الى تعبير.

تذنيب[٩]: قد عرفت انّ النّفس قد تعوقها عن الاتّصال بمباديها قواها البدنيّة فلذلك مايحتاج بعض النّاس الى الاستعانة بامور مكتسبة يعرض منها للحسّ حيرة وللخيال وقفة تنفلت معها النّفس لتلقّى المغيبات كما حكى عن بعض الكهّان من التّرك انّه كان يستعين بحركة شديدة جدّاً لايزال يلهث فيها حتّى يكاد يغشى عليه فتلوح له امور غيبيّة والحفظة يتلقّون ماينطق به ليبنوا عليه آرائهم المصلحيّة وكمن يشغل ابصار الصّبيان والنّساء

---

١ - ب ج د: «القشور». ٢ - ب: «الخالية». ٣ - ا: «المتنازع». ٤ - ج د: «الالتفات». ٥ - ج د: «فلاتثبتها». ٦ - ب: «لاحد». ٧ - ج د: «من احدالامرين». ٨ - ب: «جلاء حالها». ٩ - مطالب التذنيب كلها من شفاء ابن سيناء؛ فراجع ان شئت.

وذوى القوى الضّعيفة باشياء شفّافة ترعش الأبصار برجرجتها وتدهشه بشفيفها كلطخ من سواد برّاق فى بيضة أو فى باطن الابهام وكاستعانة بعض الكهنة بالرّقص والتّصفيق وبايهام العزائم والتّخويف بالجن[1] اذا استنطقوا غيرهم؛ وان كان مايستعمله الكهنة من ذلك ممّا يختلّ به امر القوى ويفسدها ويؤدّى الى تعطيلها ولذلك لم يكن التّكهّن محموداً من العلماء والله ولىّ التّوفيق[2].

البحث الثانى

فى تمكّن النّفوس الانسانيّة من الاتيان بخوارق العادات

واجب على من اهّله الله لاستشراق انواره[3] اذا خصّه بالقوّة العاقلة الّتى هى سرّ من اسراره ان لايستبعد عمّن ارتقى درجة العرفان التّامّ ان تصدر منه افعال لايتمكّن غيره من الاتيان بمثلها؛ وذلك كالامساك عن الطّعام المدّة المديدة الّتى يعجز الاتيان بمثله ابناء النّوع و كالتّحريك أو الحركة الّتى تخرج عن وسع مثله كما يشاهد من طوفانات تقع باستدعائهم وزلازل اواستنزال عقوبات وخسف بقرىً حقّ عليها القول واستشفاء المرضى واستسقاء العطشى وخضوع عجم الحيوانات وغيرها فانّه عند الاعتبار يجد تلك اموراً ممكنةً من الطّبيعة ونحن نشير الى وجه امكانها ؛ امّا الامساك عن القوت فتأمّل امكانه بل وجوده فينا عند عروض عوارض غريبة لنا ؛ امّا بدنيّة كالأمراض

١- ا:«بالحق» ج د:«بالجزاء». ٢- ا:«والله الموفق». ٣- فليعلم ان الشارح (ره) قد ذكر نظائر ما اورده هنا فى مقدمة شرح نهج البلاغة فى القاعدة الثالثة التى هى فى بيان ان علياً عليه السلام كان مستجمعاً للفضائل الانسانية بحيث يمكن ان يقال هى بالنسبة الى المطالب المشتملة عليها هذه المباحث فى حكم نسخة من هذا الكتاب، استفدنا فى التصحيح من تلك القاعدة الا انا لانشير الى موارد الاختلاف لان الاشارة اليها تستوعب وقتاً كثيراً و مجالا وسيعاً لايقتضيه المقام فمن اراد الوقوف عليها فليراجع الكتاب (ص٣٥-٣٠).

الحادّة(١) وامّا نفسانيّة كالخوف والغمّ ، امّا البدنيّة فانّ القوى الطّبيعيّة(٢) تشتغل بسببها بهضم الموادّ الرّديّة عن تحريك الموادّ المحمودة فتجد الموادّ المحمودة حينئذٍ محفوظة قليلة التّحلّل غنيّة عن طلب البدل لما يتحلّل فربّما انقطع الغذاء عن صاحبها مدّة لو انقطع مثله عنه فى غير حالته تلك عشر تلك المدّة هلك ؛ وهو مع ذلك محفوظ الحيوة ، وامّا النّفسانيّة فكما يعرض بعروض الخوف للخائف من سقوط الشّهوة وفساد الهضم والعجز عن الافعال الطّبيعيّة الّتى كان متمكّناً منها قبل الخوف لوقوف القوى الطّبيعيّة عن افعالها بسبب اشتغال النّفس بما اهمّها عن الالتفات الى تدبير البدن ، **واذا عرفت** امكان الامساك الخارج عن الوسع بسبب العوارض الغريبة **فاعلم** انّ السّبب فى تحقّقه فى حقّ العارف توجّه النّفس بالكلّيّة الى عالم القدس المستلزم لتشييع القوى البدنيّة لها وذلك انّ النّفس المطمئنّة اذا راضت القوى البدنيّة انجذبت القوى خلفها فى مهمّاتها الّتى تنزعج اليها ، واشتداد ذلك الانجذاب بشدّة ذلك الجذب فاذا اشتدّ الاشتغال عن الجهة المولّى عنها وقفت الافعال الطّبيعيّة المتعلّقة بالقوّة النّباتيّة فلم يكن من التّحليل الّا دون ما كان فى حال المرض وذلك لانّ المرض فى بعض الصّور مختصّ بما يقتضى الاحتياج الى الغذاء لتحلّل رطوبات البدن بسبب عروض الحرارات الغريبة المسمّاة بسوء المزاج الحارّ(٤) له لانّ الغذاء انّما يكون لسدّ بدل ما تحلّل من تلك الرّطوبات وشدّة الحاجة الى الغذاء انّما تكون بحسب كثرة التّحليل وكقصور القوى البدنيّة بسبب المرض المضادّ لها وانّما الحاجة الى حفظ تلك الرّطوبات لحفظ تلك القوى اذ(٣) كانت مادّة الحرارة الغريزيّة المقتضية(٥) لتعادل الاركان الّذى لاتقوم تلك الّا معه وشدّة الحاجة الى مايحفظ تلك

١- ج د : «الحارة». ٢- مأخوذ مما ذكره ابن‌سيناء فى اول النمط العاشر من الاشارات ونص عبارته هكذا «**تنبيه** - تذكر ان القوى الطبيعية التى فينا اذا شغلت عن تحريك المواد المحمودة بهضم المواد الردية انحفظت المواد المحمودة قليلة التحلل غنية عن البدل فربما انقطع عن صاحبها الغذاء مدة طويلة لو انقطع مثله فى غيرحالته بل عشر مدته هلك وهو مع ذلك محفوظ الحيوة». ٣- ا ج : «اذا». ٤- كذا ولعله: «الحاد». ٥- «المفضية».

القوى انّما هي بحسب شدّة فتورها . وامّا العرفان فانّه مختصّ بامر يوجب الاستغناء عن الغذاء وهو سكون البدن عند اعراض القوى البدنيّة عن افعالها حال مشايعتها للنّفس وانجذابها معها حال توجّهها الى الجناب المقدّس وتطعّمها بلذّة معارفة الحقّ ،واليه الاشارة بقوله تعالى حكاية عن خليله عليه السّلام : والّذى هو يطعمني ويسقين[1] و بقول سيّد المرسلين صلّى الله عليه وآله وسلّم : انّى لست كاحدكم ،ابيت عند ربّى يطعمني ويسقيني. واذا عرفت ذلك ظهر انّ المرض وان اقتضى الامساك الخارق للعادة الّا انّ العرفان بذلك الاقتضاء اولى ، **وامّا القدرة على الحركة** الّتى تخرج عن وسع مثله فهي ايضاً ممكنة **وبيان - سببها** انّك علمت انّ مبدأ القوى البدنيّة هو الرّوح الحيوانىّ فالعوارض الغريبة الّتى تعرض للانسان تارة تقتضى انقباض الرّوح بحركته الى داخل كالخوف والحزن ، وذلك يقتضى انحطاط القوّة وسقوطها ، وتارة تقتضى حركته الى خارج كالغضب او انبساطاً معتدلاً كالفرح المطرب والانتشاء[2] المعتدل وذلك يقتضى ازدياد القوّة ونشاطها واذا

١- آية ٧٩ سورة الشعراء. ٢- ب : «الانتشاب» **اقول**: هذا المطلب مأخوذ من كلام ابن سيناء في اوائل النمط العاشر من كتاب الاشارات ونص عبارته: «**تنبيه** - قد يكون للانسان وهو على اعتدال من احواله حد من المنة محصور المنتهى (الى ان قال) وكما يعرض له عند الانتشاء المعتدل وكما يعرض له عند الفرح المطرب فلاعجب لو عنت للعارف هزة كما يعن عند الفرح فاولت القوة التي يعرض له سلاطة او غشيته عزة كما يغشى عند المنافسة فاشتعلت قواه حمية (الى آخر ما قال) » قال المحقق الطوسى (ره) ضمن شرح العبارة ما نصه : « والانتشاء السكر (الى ان قال) واعلم ان مبدأ القوى البدنية هو الروح الحيوانى فالعوارض المقتضية لانقباض الروح وحركته الى داخل كالحزن والخوف يقتضى انحطاط القوة والمقتضية لحركته الى خارج كالغضب والمنافسة اولانبساطه انبساطاً غير مفرط كالفرح المطرب والانتشاء المعتدل يقتضى ازديادها **وانما قيد الانتشاء بالاعتدال** لان السكر المفرط يوهن القوة لاضراره بالدماغ والارواح الدماغية، ثم لما كان فرح العارف ببهجة الحق اعظم من فرح غيره بغيرها وكانت الحالة التى تعرض له وتحركه اعتزازاً بالحق اوحمية الهية اشد مما يكون لغيره كان اقتداره على حركة لا يقدر غيره عليها امراً ممكناً ومن ذلك يتعين معنى الكلام المنسوب الى على(ع): والله ماقلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن قلعته بقوة ربانية».

عرفت ذلك فنقول: لمّا كان فرح العارف ببهجة الحقّ اتمّ واعظم من فرح من عداه بما عداها وكانت الغواشي الّتي تغشاه وتحرّكه اعتزازاً بالحقّ اوحميّة ربّانيّة اعظم ممّا يعرض لغيره لاجرم كان اقتداره على حركة غيرمقدورة لغيره ممكناً وسنبيّن وقوعه ان شاءالله تعالى، **وامّا السّبب في الامورالباقية** على الاصول السّابقة هو انّك علمت انّ تعلّق النّفس بالبدن ليس بانطباعها فيه انّما هوعلى وجه انّها مدبّرة له مع تجرّدها[1] ثمّ انّ الهيئات النّفسانيّة قد تكون مبادئ لحدوث الحوادث **وبيانه امّا اوّلا** فلانّك تشاهد انساناً يمشي على جذع ممدود على الارض ويتصرّف عليه كيف يشاء[2] ولوعرض ذلك الجذع بعينه على جدارعال اوموضع عال لوجدته عندالمشي عليه راجفاً متزلزلاً يوعده[3] وهمه بالسّقوط مرّة بعداخرى لتصوّره وانفعال بدنه عن وهمه حتّى ربّما سقط. **وامّا ثانياً** فلانّ الامزجة تتغيّر عن العوارض النّفسانيّة كثيراً كالغضب وكالحزن والخوف والفرح وغير ذلك وهو ضروريّ . **وامّا ثالثاً** فلانّ توهّم المرض او الصّحّة قد يوجب ذلك وهو ايضاً ضروريّ ؛ **اذا عرفت هذا فنقول** : انّ الامزجة قابلة لهذه الانفعالات عن هذه الافعال النّفسانيّة فلامانع اذاً ان يكون لبعض النّفوس خاصيّة لاجلها يتمكّن من التّصرّف في عنصر هذا العالم بحيث تكون نسبتها الى كلّيّة العناصر كنسبة انفسنا الى ابدانها[4] فيكون لها حينئذٍ تأثير في اعدادات الموادّ العنصريّة لان يفاض عليها صور الامور الغريبة الّتي تخرج عن وسع مثلها فاذا انضمّت الى ذلك الرّياضات فانكسرت سورة الشّهوة والغضب وبقيا[5] اسيرين في يد القوّة العاقلة فلاشكّ انّها حينئذٍ تكون اقوى على تلك الافعال

١ـ مأخوذ من كلام ابن سيناء في اواخر النمط العاشر من الاشارات ونص عبارته: «تذكرة وتنبيه ـ اليس قد بان لك ان النفس الناطقة ليست علاقتها مع البدن علاقة انطباع بل ضرباً من علائق اخر، وعلمت ان هيئة تمكن العقد منها ومايتبعه قد يتأدى الى بدنها مع مباينتها له بالجوهر حتى ان وهم الماشي على جذع معروض فوق فضاء يفعل في ازلاقه مالا يفعله وهم مثله والجذع على قرار (الى آخر ماقال)». ٢ـ ب ج: «شاء». ٣ـ في النسخ: «يواعده».

٤ـ في شرح نهج البلاغة للشارح (ره): «ابداننا». ٥ في شرح نهج البلاغة: «و بقيتا اسيرتين».

وتلک الخاصیّة امّا بحسب المزاج الاصلیّ او بحسب مزاج طار غیر مکتسب او بحسب الکسب والاجتهاد فی الرّیاضة وتصفیة النّفس، والّذی یکون بحسب المزاج الاصلیّ فذو-المعجزات من الانبیاء أو الکرامات من الاولیاء، فان انضمّ الیها الاجتهاد فی الرّیاضة بلغت الغایة فی ذلک الکمال،وقد یغلب علی مزاج من له هذه الخاصیّة ان یستعملها فی طرف-الشرّ وفی الامور الخبیثة[1] ولایزکّی نفسه کالسّاحر فیمنعه خبثه عن التّرقّی الی درجة-السّابقین فی الکمال فهذا القدر هو الّذی اردنا من المقدّمات وبالله التّوفیق.

القسم الثّانی فی المقاصد؛ وفیه فصول:

الفصل الاول

فی المباحث المتعلّقة بالعقل والعلم والجهل والظّنّ والنّظر وفیه اثنتان وعشرون کلمةً:

الکلمة الاولی قوله علیه السّلام: لو کشف الغطاء ماازددت یقیناً.

اقول: الغطاء فی اصل اللّغة هو مایستر به الشّیٔ ویغطّی، والیقین فی عرف العلماء هو اعتقاد انّ الشّیٔ کذا مع اعتقاد انّه لایمکن ان لایکون کذا، وهو اخصّ من العلم الّذی هو اخصّ من الاعتقاد الجازم المطابق الّذی هو اخصّ من الاعتقاد المطابق الّذی هو اخصّ من مطلق الاعتقاد. **واعلم** انّه لیس المراد من لفظ الغطاء والمغطّی والتّغطیة ههنا هو ما یتعارفه افهام الخلق حال اطلاقه والّا لم یبق للکلام فائدة بل لابدّ من مفهوم آخر یحتاج الی تفطّنٍ ما زائد علی نباهة اهل الظّاهر سواء کان اطلاق لفظ الغطاء علی ذلک المعنی وعلی غیره حقیقة امّا بحسب الاشتراک اللّفظیّ او المعنویّ علی سبیل التّواطی بان یکون الغطاء حقیقةً نوعیّةً ذلک المعنی من جملة اشخاصها الّتی لایخالف بعضها بعضاً الّا

۱- ج د: «الخسیسة».

بالعدد[1] اوعلى سبيل التّشكيك على معنى انّ فى افراد الغطاء ماهو اشدّ تغطيةً واقوى من غيره . أو مجازاً على معنى انّ الغطاء حقيقة عرفيّة فى جسم ستر جسماً مجاز فى المعنى الّذى نريده فانّ البحث عن ذلك لفظىّ غيرمهمّ. **فامّا بيان ذلك المعنى فقبل تقريره نقول :** انّك قد علمت انّ النّفوس الانسانيّة فى الكمال والنّقصان على مراتب، وعرفت انّ اعلى تلك المراتب مرتبة نفوس قدسيّة استغرقت فى محبّةالله تعالى وابتهجت بمطالعة أنوار كبريائه غاية الابتهاج ؛ وهى درجة الانبياء ومن يليهم من الاولياء الكاملين فى قوّتيهم النّظريّة والعمليّة المشاراليها بقوله تعالى : السّابقون السّابقون * اولئك المقرّبون[2] ثمّ عرفت انّ ذلك الاستغراق مستلزم لاعراضهم عمّا سوى الحقّ تعالى من العوائق البدنيّة واللّذّات الدّنيّة اعراض استحقارٍ لها واستهانةٍ بها، بل اعراضاً لاالتفات معه اليها بوجهٍ **واذا عرفت ذلك فنقول :** المراد من الغطاء المذكور فى الخبر هو البدن والشّوائب المادّيّة الحاصلة حال تعلّق النّفس به وكونها مدبّرة له ، **امّا وجه كونه غطاءً** فلانّ الاشارات النّبويّة مشتملة على مواعيد ووعيدات بانواع من الكرامات الاخرويّة وضروبٍ من العقوبات لاتفى بدركها القوّة الانسانيّة الّا لوقد نضت هذا البدن وتجرّدت الى عالمها فالنّفس مادامت ملابسة له فهى ملتحفة مغطّاة بالشّوائب العارضة والهيئات اللّازمة لها من ملابسته ، فاذا فارقته وتجرّدت عنه ابصرت ما اعدّ لها بعدالمفارقة من سعادة اوشقاوة واليه اشير فى التّنزيل الالٰهىّ: فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد[3] وهذا الحكم وان كان عامّاً للنّفوس الانسانيّة الّا انّ النّفوس القدسيّة البالغة فى الكمال الى الحدّ المذكور وان كانت فى الظّاهر ملتحفةً بجلابيب الابدان متغطّيةً بأغطية الشّوائب المادّيّة وكأنّها[4] لمّا[5] رزقت من الاعراض عمّا سوى القبلة الحقيقيّة ومن التّوجّه والاقبال

١ـ ب : «بالعداد» . ٢ـ آية ١٠ و ١١ سورة الواقعة . ٣ـ ذيل آية ٢٢ سورة ق.

٤ـ ب ج : «فكأنها» . ٥ـ يمكن قراءة الكلمة بكسر اللام وتخفيف الميم بناءً على انها مركبة من لام الجر وما الموصول .

عليها بالكلّيّة فصار كلّ كمالٍ لها بالقوّة فعلياً قد نضت تلك الاغطية وخلعت تلك الاغشية والقت تلك الجلابيب الحسّيّة وخلصت الى الحضرة القدسيّة متّصلة بالملأ الاعلى، مرتوية بالكأس الاوفى، مشاهدة لامورٍ تعجز عن ادراكها الاوهام وتكلّ عن بيانها العبارات والافهام مبتهجة بما لاعينٌ رأت ولا اذنٌ سمعت صادرة عن كمالاتها الحاصلة لها آثار هي المعجزات والكرامات حتّى انّها لوفارقت ابدانها بالكلّيّة لمازاد ذلك الاستغراق وتلك المشاهدة على ماكان قبل المفارقة.

ثمّ لمّا كان وليّ الله اميرالمؤمنين عليّ عليه السّلام متسنّماً لذروة ذلك المقام رائياً ببصيرته الاسرارالالهيّة مطّلعاً بقوّته القدسيّة على الاطوار الورائيّة لاجرم صدق فى مقاله الكاشف عن كماله: لوكشف الغطاء مازددت يقيناً ؛ ولم يكن ذلك منه دعوى عريّة عن البرهان بل دلّت على صدقه اخباراته وانذاراته الصّادقة ونجوم حكمه(١) الزّاهرة(٢) وكشفت عن حقيقة مقاله آياته الباهرة و كراماته الظّاهرة، وقد اشرنا لك الى اسباب التّمكّن من تلك الآيات وسنبيّن وقوعها منه انشاءالله تعالى.

اللّهمّ ياواهب الحياة ويا منتهى طلب الحاجات(٣) اذقنا حلاوة العرفان، وملّكنا ملكة التّجرّد عن جلابيب هذه الابدان، واهّلنا لاستشراق سنا خواطف انوارك، واجعل ذواتنا من اتمّ قوابل فيض اسرارك، وهيّئ لنا من امرنا رشداً(٤).

الكلمة الثانية

قوله عليه السّلام: النّاس نيام فاذا ماتوا انتبهوا.

اقول: النّوم كما يقال بحسب الحقيقة على تعطّل الحواسّ الظّاهرة عن الادراك

١ـ ب: «حكمته». ٢ـ ج : «الظاهرة». ٣ـ كذا فى النسخ ولابأس به الا ان العبارة وردت فى الصحيفة السجادية ؛ وهناك هكذا : «اللهم يا منتهى مطلب الحاجات (انظر اول الدعاء الثالث عشر وهو من دعائه فى طلب الحوائج). ٤ـ ذيل آية ١٠ من سورة الكهف.

للأسباب الّتی ذکرناها کذلک قد یقال مجازاً علی اشتغال النّفس بالعلائق الجسمانیّة ومتابعة القوی البدنیّة وغفلتها عن مبدئها المفارق وعدم التفاتها الیه **وکذلک الانتباه** کما یقال حقیقةً علی استعمال الحواسّ الظّاهرة للأسباب المذکورة کذلک یقال مجازاً علی اقبال النّفس علی القبلة الحقیقیّة وانتقاشها بالجلایا القدسیّة **بیان وجه التّجوّز** عن النّوم انّ عدم انصباب النّفس الی الجناب القدسیّ حین اشتغالها بالعلائق الجسدانیّة وتعطّلها بسببه عن الانتقاش بصورالمعقولات مشابه لعدم انصباب الرّوح النّفسانیّ الی الحواسّ‌الظاهرة وتعطّلها بسبب‌ذلک عن‌الانتقاش‌بصورالمحسوسات، **بیان وجه‌التّجوّز عن الانتباه** هو انّ الانتباه المحسوس لمّا کان عبارة عن انتقاش لوح الحسّ المشترک عن المحسوسات بسبب استعمال(1) الحواسّ الظّاهرة عن‌انصباب الرّوح النّفسانی الیها کذلک الانتباه المعقول هوانتقاش لوح النّفس بصورالمعقولات عن مبادیها بسبب التفاتهاواقبالها علیها، **واذا عرفت ذلک فاعلم** انّه علیه السّلام اشار بالموت الی‌مفارقة الحیاة،وبالنّوم والانتباه ههنا الی المعنیین المجازیّین، وانت بعد وقوفک علی وجه التّجوّز تستفتح(2) بعین بصیرتک سرّ هذه الکلمة، ثمّ انّ النّاس نیامٌ فی مرقد الطّبیعة لن ینتبهوا الّا عند مفارقته؛ ثمّ یلوح لک انّ القضیّة مهملة فی قوّة الجزئیّة وانّ الحکم خاصّ بمن عدا درجةالسّابقین‌فانّهم ابداً ایقاظ فی‌صورة نیام‌قدهجرواامضاجع‌الطّبائع‌فهم‌فی‌لجّة الوصول سابحون، ثمّ للباقین فی النّوم درجات متفاوتة فأقربها الی الیقظة نفس کان اشتغالها عن الالتفات الی الجناب المقدّس بمجرّد مصالح البدن ومتابعتها للقوی البدنیّة فیما لابدّ منه فی اقامة تدبیره وفی حاجته الی مایقود الضّرورة الیه ممّارخّصت فیه الشّریعة؛ هذا بعدأن تکون متحلّیةً بالمعرفة عن البرهان مراعیةً لشرائط الایمان، واشدّها فیه اغتماراً وابعدها عن ساحة الرّضوان داراً نفس ألقت زمامها الی قواها البدنیّة وانهمکت فی طاعتها؛ فأعرضت بالکلّیّة عن مبادیها؛ ولم تستیقظها من رقدة الغافلین شدّة استماع منادیها،

١ـ کذا فی‌النسخ والصحیح: «اشتغال». ٢ـ ب: «تستلیح» ج د: «تستنتج».

فخوطبت تقريعاً بألهاكم التكاثر* حتّى زرتم المقابر[١] ومنع[٢] مناديها[٣] من التّكرير عليها اذ[٤] كان قد اعذر اليها ، فذرهم فى غمرتهم حتّى حين * أيحسبون أنّما نمدّهم به من مال وبنين* نسارع لهم فى الخيرات بل لايشعرون[٥] ومابينهما درجاتٌ بعضها فوق بعض ، فاذا فارقت النّفوس مضاجعها ابصر كلّ منها بعين بصيرته ماكان قد اعدّله وهيّئ ، فأبصر الاوّلون بها العزّة وجمالها، ولاحظوا جلال الحضرة القدسيّة وكمالها، وجوهٌ يومئذ ناضرة* الى ربّها ناظرة[٦] ووجوه يومئذ مسفرة* ضاحكة مستبشرة[٧] وشاهد الاخرون سلاسل الهيئات البدنيّة واغلال الملكات الرّديّة ،وجوه يومئذ باسرة* تظنّ ان يفعل بهافاقرة[٨] ووجوه يومئذ عليها غبرة* ترهقها قترة[٩] ومابين الدّرجتين بحسابه.

فانظر الى هذه الالفاظ الخفيفة كيف انطوت على هذه الاسرار اللّطيفة..! واحسن بهذه العبارات الوجيزة كيف استلزمت هذه التّشبيهات العزيزة..! وكيف لاوقد قال فيه النّبيّ صلّى الله عليه وآله: اعطيت جوامع الكلم ، واعطى علىّ جوامع العلم ،ولمّا نزلت وتعيها اذن واعية[١٠] قال(ص) : اللّهمّ اجعلها اذن علىّ ؛فقال(ع) : والله مانسيت بعدها ابداً. وقال عليه السّلام: علّمنى رسول الله(ص) من العلم الف باب فانفتح لى من كلّ باب الف باب. وكان مصداق ذلك قوله صلّى الله عليه وآله : انا مدينة العلم وعلىّ بابها، فليت شعرى كم فى الخزائن الّتى وراء تلك الابواب من الكنوز والذّخائر؟! وكم فى بحور اولئك عوّامها من زواهر الجواهر؟! شعر:

اشتاقكم حتّى اذا نهض الهوى بى نحوكم قعدت بى الايّام[١١]

١- آية ١و٢ سورة التكاثر. ٢- ب : «وضع». ٣- ج: «مباديها». ٤- اب د : «اذا». ٥- آية ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ سورة المؤمنين. ٦- آية ٢٢و ٢٣ سورة القيامة. ٧- آية ٣٨و٣٩ سورة عبس. ٨- آية ٢٤و٢٥ سورة القيامة. ٩-آية ٤٠و٤١ سورة عبس.
١٠- ذيل آية ١٢ سورة الحاقة وصدرها : لنجعلها لكم تذكرة،وسابقتها: انا لما طغا الماء حملناكم فى الجارية.
١١- لم اعرف قائل البيت الا ان فى هامش نسخة الالف بيتين هكذا «تمامه:
وكأنها مع قربكم مر الحيا وكأنها مع بعدكم اعوام
ولقدوقفت بربعكم اشكوالجوى فعليكم منى و منه سلام»

یقولون لو واصلتنا سکن الهوی بقلبک یا مجنون وانقطع الْحَزَن
فها انا قد واصلتهم مثل قولهم وماهدأ الاشواق والقلب ماسکن

الکلمة الثالثة

قوله علیه السّلام: من عرف نفسه فقد عرف ربّه.

اقول: المعرفة بحسب عرف العلماء یخصّ التّصوّر دون التّصدیق وان قلّ الفرق بینهما وبین العلم فی وضع اللّغة ثمّ ما اسهل مایتأتّی لک الاطّلاع علی معنی هذه المتّصلة بعداحاطتک بالاصول السّابقة فانّک قدعلمت انّ للنّفس الانسانیّة قوّتین عالمة وعاملة هما فی مبدء الامر خالیتان عن الکمال، وعلمت انّ العاملة هی الّتی تکون لها بحسب حاجتها الی تدبیر البدن وتکمیله، وانّ العالمة هی الّتی تکون لها بحسب تأثّرها عن مبادیها وحاجتها الی تکمیل جوهرها عقلاً بالفعل[1]، ثمّ اطّلعت علی مراتب استعدادات هذه القوّة **واذا عرفت ذلک فاعلم** انّ المراد حینئذٍ من اطّلع علی نفسه فعرفها بکثرة عیوبها ونقصاناتها وفقرها الی کمالات خارجة عن ذاتها لیست لها من حیث هی هی بل یحتاج لها الی استعدادات مترتّبة حتّی یفاض علیها بحسب استحقاقها حالاً بعد حال ثمّ علم کیفیّة تنقّل قوّته العاقلة فی المراتب المذکورة امّا بحسب ذوق العرفان او بحسب سوق[2] البرهان فقد استلزم ذلک معرفته لربّه بحسبها استلزاماً ضروریّاً لما انّ العلم بالمعلول مستلزم للعلم بعلّته الّا انّه ینبغی ان یعلم انّ معرفته بالکنه غیرممکنة الّا له اذ کانت حقیقته بریئةً عن جهات التّرکیب العقلیّة والخارجیّة المستلزمة للامکان المستلزم للفقر والنّقصان، ومعرفة الشّیٔ بکنهه انّما تحصل بالاطّلاع علی اجزاء ماهیّته وابعاضها فالمطّلع علیه اذاً لوازم[3] سلبیّة او اضافیّة تلزم معقولیّته وواجبیّته لزوماً عقلیّاً وعند ذلک المقام تزاحم

١- راجع ص١٧-١٤. ٢- ج د: «شوق» (بالشین المعجمة). ٣- ج د: «لورام».

اقدام العقول وغايتها الغرق فى لجّة ذلک الوصول.

فان قلت : لم لم يقل عليه السّلام : من عرف ربّه عرف نفسه ؛ ومعلوم انّ ترتيب هذه المتّصلة على هذا الوجه أو لى فانّ استلزام مقدّمها لتاليها يكون اقوى من استلزامه له ان لو كانت[١] على التّرتيب المذكور الآن لانّه استدلال ببرهان لمّ ، ولاشکّ انّ برهان لمّ اقوى من برهان انّ ؛ لما انّ العلم بالعلّة المعيّنة مستلزم للعلم بالمعلول المعيّن وامّا العلم بالمعلول المعيّن فلايدلّ الّا على العلّة المطلقة ؛ امّا المعيّنة فلا ، لجواز تعليل المعلول النّوعىّ بعلّتين فلايتعيّن الشّخصىّ[٢] لاحديها ؟

قلت : لاشکّ فيما ذكرته من انّ برهان لمّ اقوى والاستدلال به اولى الّا انّا نقول : انّ هذه الكلمة خرجت منه عليه السّلام مخرج التّأديب والحثّ على جماع مكارم الاخلاق واقتناء الفضائل ؛ وذلک انّ الانسان اذا عرف نفسه بكثرة عيوبها ونقصانها وحاجتها الى التّكميل كان ذلک داعياً له على اصلاح قوّتيه العمليّة والنّظريّة ثمّ **انّه نبّه** على وجوب معرفة النّفس بعد ذكرها بانّها اقرب قريب الى الانسان بحيث يحتاج فى معرفتها الى طلب زائد هى وسيلة الى الغاية المطلوبة للكلّ الواجبة على الاطلاق وهى معرفة الصّانع وهذا شأن المؤدّب الحاذق ان يعيّن مطلوبه اوّلاً لمن[٣] يؤدّبه عليه ثمّ ينبّهه على حسنه و وجه وجوبه عليه وليس مقصوده الاوّل ههنا هو التّنبيه على وجوب معرفة الله ولو انّه قدّم معرفة الله تعالى لفات الغرض المذكور من الكلمة ؛ ولما بقى ذلک الذّوق لها ، ولما كان ذلک حثّاً للانسان على الاطّلاع على عيب نفسه ، وانت بعد مخض هذه الكلمة فى سقاء ذهنک وارسال الرّائد الفكرىّ فى جميع مفهوماتها ستجمع لک زبدتها ؛ والله ولىّ هدايتنا ، وبه حولنا وقوّتنا ، اللّهمّ اهّلنا لاستشراق نفحات عزّتک ، وملّكنا ملكة الاتّصال بارباب حضرتک ، وانشر لنا جناح الفرح[٤] بمطالعة كبريائک ، ولمحات جمالک وبهائک ، انّک انت الوهّاب.

١- ب : «ان كانت» . ٢- ب : «الشخص» . ٣- ب ج : «سمن» . ٤- «الفرج» بالجيم .

الکلمة الرابعة

قوله علیه‌السّلام: ماهلک امرؤٌ عرف قدره[۱].

اقول: الهلاک فی اللّغة هوالسّقوط ؛ وهذه القضیّة سالبة کلّیّة تقدیرها: لاواحد ممّن عرف ربّه بها لکٍ، ینتج: لاواحد ممّن عرف نفسه بهالکٍ، امّا الصّغری فقد مرّ بیانها ، وامّا الکبری فبیانها انّه لمّا کانت السّعادة الابدیّة والکمال المسعد[۲] هوالاتّصال بالملأ الاعلی ومطالعة بهاء[۳] الاسرار الالٰهیّة والمثول بین یدی الواجب الاوّل، وکان ذلک الکمال هوالمستلزم للسّلامة المطلوبة للخلق من الهویّ فی قعرجهنّم وحافظاً لزلل - اقدام السّالکین الواصلین من السّقوط عن الصّراط المستقیم الی حضیض الجحیم لاجرم صحّت کبری هذا القیاس وصحّت بصحّتها نتیجته ، وهذا المطلوب وان حصل لغیر هذا الصّنف اعنی اصحاب النّوع الانسانیّ فانّما یحصل لهم بحسب الباعث علی الحرکة المنبعثة فی‌تحصیل الحدّ الاوسط والتّفطّن للتّرتیب؛وامّا حصوله لمثله علیه‌السّلام[فلا]فانّ قوّته الشّریفة البالغة غیرمفتقرة فیه الی شوق باعث علی الحرکة فی تحصیل الاوسط بل تنساق قوّته القدسیّة الیه طبعاً فیحصل المطلوب طبعاً. شعر:

ذی المعالی فَلْیَعْلُوَنْ من تعالی　　هکذا هکذا والّا فلا لا

الکلمة الخامسة

قوله علیه‌السّلام: رحم‌الله امرءً عرف قدره ولم یتعدّطوره.

اقول: **قدر** الانسان مقداره، وقیمته فی کلّ وقت من فضیلةٍ یکون علیها اورذیلةٍ اوشرفٍ او خسّةٍ، اوکمال او نقصان، و **طوره** حالته القولیّة او الفعلیّة الّتی ینبغی ان

۱- هو مذکور فی نهج‌البلاغة هکذا : «هلک امرء لم یعرف قدره» (انظر ص ۶۰۱ من شرح ابن میثم‌من‌الطبعة الاولی). ۲- ج د: «العد»د: «المعد». ۳- فی‌النسخ: «بها».

يكون عليها عند كونه فى ذلك المقدار من الكمال او النّقصان، وتعدّاه تجاوزه الى حالة اخرى لايليق بمقداره ذلك، **واذا عرفت هذا** كان المقصود من هذه الكلمة استنزال الرّحمة بدعائه عليه‌السّلام لعبد اطّلع على مقداره فى مدّة حياته الدّنيا مراعياً لموافقة طوره وهوقوله او فعله و بالجملة الحال الّتى يليق بمقداره لمقداره بحيث لايتعدّاه الى حالة وطور يكون اليق بمقدار آخر غير مقداره، وذلك كان يكون مثلاً من اهل الدّناءة فيأخذ فى الكبر والفخر بالآباء وغير ذلك، اويكون شريف العقل عالماً فيعمل اعمال الملوك ويقتنى مقتنياتهم؛ فانّ ذلك فى الحقيقة جور وهوطرف الافراط من فضيلة العدالة وتجاوز منها اليه.

ويمكن ان تأوّل هذه الكلمة على وجه آخر

فنقول: انّ **قدر الانسان** مقداره ومبلغه الّذى ينبغى ان يصل اليه، وطوره حدّه الّذى ينبغى ان يقف عليه وتعدّاه تجاوزه، ثمّ المبلغ الّذى ينبغى ان يطلب هوما عرفت انّه الوسط الحقيقىّ من كلّ حركة اراديّة خيريّة وهو الفضيلة النّفسانيّة الّتى تحدث عنه[١] متسالمة[٢] القوى البدنيّة بعضها لبعضٍ، واستسلامها للقوّة المميّزة حتّى لايتغالب ولا يتحرّك نحومطلوباتها على حدّ[٣] طباعها وهى الفضيلة المسمّاة بالعدالة وقد عرفتها وعرفت انّها تحدث عن اجتماع الفضائل الثّلاث الّتى هى امّهات الفضائل، وهى الحكمة والعفّة والشّجاعة وقد عرفت حدودها وانواعها، **واذا عرفت ذلك فنقول**: مقصود هذه الكلمة انّما هو استنزال الرّحمة الالهيّة بدعائه عليه السّلام لعبدٍ عرف هذه الفضيلة المستلزمة لحصول هذه الفضائل ثمّ وقف عندها فانّها طوره الّذى ينبغى ان يقف عنده و لم يتجاوزها الى طرف الافراط فيدخل فى زمرة الجائرين[٤] الملعونين بلسان الله: الا لعنة الله على الظّالمين[٥].

فان قلت: لو اراد ذلك لقال تماماً لذلك: ولم يقصر عن طوره؛ اذ كان تحقّق

١ـ ب: «عنها». ٢ـ فى النسخ: «مسالمة». ٣ـ ا: «جد» ج: «حده».

٤ـ د: «الجابرين» (بالباء الموحدة؛ من الجبر). ٥ـ ذيل آية ١٨ سورة هود.

تلك الفضيلة لايتمّ مع التّقصير عنها والوقوف دونها والدّخول فى المهانة الّتى هى طرف التّفريط من تلك الفضيلة ؟

قلت : انّه لاحاجة به عليه‌السّلام الى ذكر هذا القيد اذيكون تكريراً وقد تنزّهت الفاظه الّا عن الوجازة المستلزمة للجزالة؛اذ المعنى الّذى‌اردت واليه قصدت مذكور فى الكلام مدلول عليه بطريق‌الالتزام، وذلك انّ استنزال الرّحمة لمن يتجاوز هذه الفضيلة يستلزم النّهى عن تجاوزها ، والنّهى عن التّجاوز مستلزم للأمر بالوقوف عندها ، وهو مستلزم للأمر بطلبها وعدم الوقوف دونها فلاجرم ذكر عليه السّلام هذا القيد ولم يذكر ذلك؛والاوّل اظهر، والله ولىّ التّوفيق.

الكلمة السادسة

قوله عليه‌السّلام : قيمة كلّ امرءٍ مايحسنه(١).

اقول : القيمة يقال بحسب‌الحقيقة على مايقوم مقام الشّئ ويعوّض عنه وهوالثّمن ويقال بحسب المجاز على‌الامور الّتى‌تكتسبها النّفس‌الانسانيّة من‌الهيئات كالعلوم‌والاخلاق الفاضلة واضدادها، و **وجه المجاز** انّ التّفاوت كما انّه حاصل فى قيمة الشّئ بحسب تفاوت جوهر المثمن فى الجودة والرّداءة والشّرف والخسّة،وبحسب تفاوت انظار اهل‌التّقويم ورغبات الطّالبين كذلك هو حاصل فيما يحسنه الانسان ممّا هو مكتسب له من تلك الهيئات كالاعتقادات‌المختلفة؛فمنها علوم موصلة الى‌السّعادة‌الابديّة،ومنها اعتقادات

١ـ شرحها الشارح (ره) فى شرحه على نهج‌البلاغة هكذا (ص ٥٩٠ من‌الطبعة‌الاولى) : « غرض هذه الكلمة الترغيب فى‌اعلى مايكتسب من‌الكمالات النفسانية والصناعات‌ونحوها، وقيمة المرء مقداره فى اعتبار المعتبرين ومحله فى نفوسهم من استحقاق تعظيم وتبجيل ، او احتقار وانتقاص ، وظاهر ان ذلك تابع لما يحسنه المرء ويكتسبه من الكمالات المذكورة، فأعلاهم قيمة وارفعهم منزلة فى‌نفوس الناس اعظمهم كمالا ، وانقصهم درجة اخسهم فيما هو عليه من حرفة او صناعة ، وذلك بحسب اعتبار عقول الناس للكمالات ولوازمها » .

مخلّدة في الشقاوة السّرمديّة،وما بينهما درجات. وكذلك الحال في باقي الامور المكتسبة للإنسان والطبيعيّة له. ثمّ انّ ذلك التّفاوت دلّ على انّ الموصوف باحد هذه الصّفات كيف هومستلزم لتفاوت درجات الاستدلال على احواله في ذاته وكمالها ونقصانها بحسب تفاوتها في ذلك فلاجرم صدق عليه السّلام انّ «قيمة كلّ امرء مايحسنه».

واعلم انّ في هذا الكلام مع اشتماله على الوجازة والصّدق والبلاغة حثّاً على اكتساب اشرف انواع الثّمن المذكور من الكمالات النّظريّة والعمليّة واقتناء المكارم، وذلك انّ العاقل اذا سمع هذا اللّفظ واطّلع على سرّه مع ما في نفسه من محبّة ان يكون اشرف ابناء نوعه فلابدّ وان يجتهد ويبالغ في طلب اقصى المراتب الشّريفة فيكون ساعياً في تحصيل القيمة الاوفى حتّى اذا حصلت دلّت على شرف ذاته وكمالها في نفسها كما تدلّ القيمة على شرف ماهي قيمة له.

واعلم انّه يحتمل ههنا ان تفسّر القيمة باعتبار الخلق بعضهم لبعض ويكون التقدير انّ اعتبار النّاظرين ووزنهم للانسان في نفسه بميزان العقل لا بالنّظر الى ذاته من حيث هي ذاته بل بالنّظر الى مايحسنه؛ فيكون اعتبارهم لذاته تابعاً لاعتبارهم الهيئات الّتي اكتسبها والاعمال الّتي ارتكبها، ويكون رجحان ذاتها وشفّافيّتها وكمالها في انظارهم ونقصانها وشرفها وخسّتها الّذي هو قيمته في الحقيقة تابعاً لشرف احواله وافعاله وما يحسنه من الصّناعات الموجبة للتّكميل والتّنقيص، والاعتبار الاوّل اظهر؛ وبالله التّوفيق.

الكلمة السابعة

قوله عليه السّلام: النّاس ابناء مايحسنون.

اقول: معنى هذه الكلمة قريب من معنى الّتي قبلها وذلك لانّ[1] الابن كما يطلق حقيقةً على حيوان يتولّد عن آخر من نوعه نطفته من حيث هو كذلك وينسب اليه فيما يصدر عنه من الافعال ويشاهد منه من الاخلاق والاقوال وكثيراً ما تختلف تلك

١- ب ج د: «ان».

النّسبة بحسب اختلاف درجات افعال آبائهم فی الخیر والشرّ وتفاوت اخلاقهم فی الشّرف والخسّة حتّی لوکان الاب رجلاً شریفاً أو وضیعاً ففعل الابن فعلاً مناسباً لفعل ابیه أو تکلّم بکلام مناسب لکلامه قیل: فلان ابن ابیه؛ کذلک یطلق مجازاً علی من ینسب الی امرٍ شریف أو خسیس یکون عالماً به وعاقلاً له وذلک من باب الاستعارة والتّشبیه حتّی اذا تکرّر عنه ذلک الامر أوعرف منه فضیلة أو رذیلة نسب الیها وصار معروفاً بها کما کان یعرف بانّه ابن فلان وینسب[1] الیه **وفی هذا الکلام ایضاً ما فی الاوّل من الحثّ علی طلب اشرف الرّتب** واعلی الدّرجات الموصلة الی السّعادة الدّنیاویّة والاخرویّة **وتنبیه** للعاقل علی ما عسی ان یکون غافلاً عنه من انّه یجب ان لایرضی بناقص الاعمال ودنیّها بل یواظب علی طلب الاشرف من ذلک والاعلی حتّی لاینتسب الّا الیه ولاینتسب الی ابٍ ساقطٍ وضیعٍ فیعلم حینئذٍ انّ الفخر السّنّی والکمال البهیّ والشّرف الاصیل والمنصب الجلیل انّما هو بتخلیة الذّات عن المنجّسات وتحلیتها باشرف الصّفات لابشرف القنیات[2] والنّسبة الی العظام الرّفاة ؛ شعر:

وما الفخر بالعظم الرّمیم وانّما | فخار الّذی یبغی الفخار بنفسه

الکلمة الثامنة

قوله علیه السّلام : المرء مخبوءٌ تحت لسانه[3].

اقول: یقال : **خبأت الشیء اخبأه خبئاً** اذا سترته وحفظته عن النّظر ، و **اللّسان**

۱ـ ا: «نسب» . ۲ـ ب : «القینات» (بتقدیم الیاء علی النون) ج: «العنیات» (بالعین المهملة) د: «العینات» (بتقدیم الیاء علی النون) . ۳ـ شرحها الشارح (ره) فی شرحه علی نهج البلاغة بهذه العبارة (انظر ص ۶۰۱ من الطبعة الاولی):

«ای حاله مستورة فی عدم نطقه فحذف المضاف للعلم به، وتحت لسانه کنایة عن سکوته وذلک ان مقداره بمقدار عقله ، ومقدار عقله یعرف من مقدار کلامه لدلالته علیه، فاذا تکلم بکلام الحکماء ظهر کونه حکیماً، اوبکلام السفهاء عرف کونه منهم، وما بین المرتبتین بالنسبة» .

يطلق حقيقةً على اللّحمة المخصوصة الموجودة فى الفم ويقال مجازاً على نفس العبارة كما اشير اليه فىالتّنزيل الالـٰهىّ: واختلاف السنتكم والوانكم[1] والمعنيان محتملا الارادةوتقدير الخبر: معرفة المرء مخبّو تحت لسانه لانّ نفس حقيقه المرء لايظهرها العبارة **واعلم** انّه لمّا كان الانسان ليس عبارة عن مجرّد هذا البدن المحسوس بل لابدّ فى تحقّق الانسان من امرٍ آخر كما علمت قبل وكان لاينفكّ ذلك الامر عن ان يكون موصوفاً بصفة كمال او صفة نقصان و كان ذلك الجزء منه ومايصحبه من الصّفات الكماليّة والنّقصانيّة مستوراً لايطّلع عليه[2] احدمن ابناء نوعه بشئ من الحواسّ،اذ كان غيرمحسوس بل لابدّ فى الاطّلاع عليه بحسب العقل من دليل يوضح تحقّقه لاجرم صدق عليه انّه مستورمخبوء.

ثمّ انّ العناية الالهيّة اقتضت ان يكون له قوّة نطقيّة معربة عن تلك الصّفات بحسب الالتزام كاشفة لستر الجهل بها عن بصائر المبصرين وضمائرالمختبرين فلاجرم صدق انّ المرء مخبوء تحت لسانه ، والمقصود من جهة «تحت» انّما هى الجهة الوهميّة لاالمكانيّة وانّما خصّصها بجهة «تحت» لانّ العبارة الّتى هى المقصود من وضع اللّسان لمّا كان سبباً يكشف لذلك السّتر ويظهر معرفة المرء من خباء الجهل به الى ظاهره بالانتقاش فى اذهان المختبرين و كان السّبب اعلى من المسبّب لاجرم كان المسبّب الّذى هو المعرفة تحت سببه الّذى هواللّسان المشاراليه.

وان حملنا اللّسان على حقيقته كان ايضاً حسناً فانّ هذه اللّحمة المخصوصة لها سببيّة فى تلك المعرفة واظهارها فانّها محلّ العبارة فهى سبب معدّلها وباقى التّقرير بحاله، وهذه نكتة لطيفة فى باب الاستعارة وهى قطرة من بحراسرار كلامه عليه السّلام فانظر الى عناية الله كيف خصّته بهذه القوّة القدسيّة الشّريفة البالغة تقريراً وبياناً لقوله تعالى: يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً ومايذّكّر الّااولوا الالباب[3].

١- من آية ٢٢ سورةالروم. ٢- ب ج : «عليها». ٣- آية ٢٦٩ سورة البقرة.

الکلمة التاسعة

قوله علیه السّلام: الشّرف بالعقل والادب لا بالحسب والنّسب.

اقول: الشّرف العلوّ فی المرتبة، **وامّا العقل** فقد عرفت حقیقته واقسامه ومراتبه، **وامّا الادب** فهو اصلاح القوّة العملیّة بجماع مکارم الاخلاق، **وامّا الحسب** فهو الکفایة من المال ومایجری مجراه وان کان قد یراد به مایؤثر من المکارم ایضاً ولکنّه بهذا المعنی یکون من اجزاء الشّرف، **والنّسب** الأصل.

وامّا بیان هذا الحکم فهو انّک قد علمت انّ الکمال الّذی یخصّ الانسان علی قسمین، وذلک لانّک علمت انّ لنفسه قوّتین؛ نظریّة وعملیّة فلذلک کان کمال احداهما وهی النّظریّة تحصیل المعارف الحقیقیّة والعلوم الیقینیّة وکان کمال الاخری وهی العملیّة وغایتها نظم الامور وترتیبها فاذا حصل للانسان الکمال فی هاتین القوّتین فقد سعد السّعادة التّامّة، **امّا کماله النّظریّ** فان یحصّل لنفسه المعقولات الاولی الّتی هی العلوم الاوّلیّة المعدّة لتحصیل المعقولات الثّانیة وینتهی فی التّرقّی الی درجة العقل المستفاد کما قرّرناه، **وامّا کماله بحسب قوّته العملیّة** فهو الکمال الخلقیّ ومبدؤه من ترتیب قواه وافعاله الخاصّة بها حتّی لاتتغالب[1] وتتسالم فیه بحسب تمیز قوّته النّظریّة مترتّبة منظومة کما ینبغی وینتهی الی التّرتیب المدینیّ[2] الّذی یترتّب فیه الأفعال والقوی بین النّاس حتّی ینتظموا کذلک[3] الانتظام ویسعدوا سعادة مشترکة کما وقع ذلک فی الشّخص الواحد فاذاً الکمال الاوّل بمنزلة الجزء الصّوریّ والکمال الثّانی بمنزلة الجزء المادّیّ ولاتمام لاحدهما دون الآخر[4] فانّ بالعمل یتمّ العلم والمبدأ بلاتمام ضائع، والعلم مبدءٌ للعمل والتّمام بلامبدءٍ ممتنع، وفی کلام علیّ علیه السّلام: «العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل، والعلم یهتف بالعمل فان اجابه والّا ارتحل» وهو یحقّق ماقلناه، فاذا بلغ الانسان الی النّهایة فی هاتین المرتبتین

١- اج د: «حتی تتغالب». ٢- ج د: «الدینی». ٣- ج د: «ذلک». ٤- ج د: «الا بالاخر».

فقد فازالفوز التّامّ اذ[1] صار عالماً صغيراً فتصوّر حقـائق الموجودات وتمثّلت فى ذاته ثمّ حصل على فضيلة العدالة بجميع اجزائها وانواع اجزائها فحصل على الوسط الحقيقىّ المعبّر عنـه فى الرّموز الالـهيّة بالصّراط المستقيم فلم يفته من النّعيم شئ اذا استعدّ بهذا الكمال لجوار ربّ العالمين **اذا عرفت ذلك فاعلم** انّه عليه‌السّلام عبّربالعقل عن‌الكمال الاوّل و بالادب عن الكمال الثّانى ، **وينبغى ان يعلم**[2] انّه لافخر ولامبـاهاة الّا بهذه الفضائل فقط ، وامّا الفخر الوهمىّ كافتخار من يفتخر بما جمع من مال او بماسبق له من الاسلاف لانّهم كانوا على شئٍ من انواع الفضائل او عليهـا كلّها فليس بفخر ؛ امّا بالمـال فلانّ الشّرف الحقيقىّ لايعتبر الّا بالكمال النّفسانىّ البـاقى ابـداً فالفخر والمباهاة ليس الّا به .

والمال ليس كذلك امّا اوّلاً فلانـّه ليس بفضيلةٍ نفسانيّةٍ فلايكسب سعادة اخرويّة بل ربّما اكسب ضدّها واذا كان خارجاً عن نفس‌الانسان‌كان المباهى‌به مباهياً بأمرٍ خارجٍ عنه، ومن‌باهى بماهو خارج عنه فقد باهى بمالايملكه. **وامّا ثانياً** فلانّه غير باقٍ وكيف يبقى ماهومعرض للآفات والزّوال فى كلّ لحظةٍ وليس صاحبه منه على ثقةٍ فى وقتٍ من الاوقات،واذا كـان كذلك فترى انّه ممّالا[3] يستحقّ ان يباهى[4] به ويفخر واصدق الأمثال فيه قوله تعالى: واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لاحدهما جنّتين من اعنابٍ (الى قولـه) فأصبح يقلّب كفّيه على ما انفق فيهـا وهى خاوية على عروشهـا ويقول ياليتنى لم اشرك بربّى احداً[5] وقوله: واضرب لهم مثل الحيوة الدّنيا كماءٍ أنزلناه من السّماء فاختلط بهنبات الارض فأصبح هشيماً تذروه الرّياح وكان الله على كلّ شئٍ مقتدراً[6] وقد اشتمل القرآن والسّنّة النّبويّة لذلك[7] على امثلة كثيرةٍ .

١- ا : «اذا». ٢- ب د : «تعلم». ٣- كلمة «لا» ليست فى ا ب. ٤- د : «لايباهى» فالكلمة فى موضع من نسخة «د» زائدة ومن نسختى «اب» ساقطة. ٥- اشارة الى سبعة آيات فى سورة الكهف (من آية ٣٢-٣٨). ٦- آية ٤٥ من سورة الكهف.
٧- ج د : «كذلك».

واماّ الفخر بالنّسب فغاية مايدّعيه المفتخر المتشرّف به اذا كان صادقاً انّ آباءه واسلافه كانوا قد جمعوا الفضائل وحصلوا على الكمالات الّتى بها الفخر والشّرف لكن انظر اليه لو حضر اسلافه وقالوا: الفضل الّذى تدّعيه فينا هولنا دونك فنحن مستبدّون به فما الّذى فيك منه ممّا ليس فى غيرك؟ فانّك تجده حينئذٍ مفحماً مسكتاً خجلاً غير حاصل على شيءٍ؛ واليه الاشارة بقوله عليه السّلام: لاتأتونى بأنسابكم وائتونى بأعمالكم. **وحكى عن مملوكٍ** كان لبعض الحكماء انّه افتخر عليه بعض رؤساء زمانه فقال له المملوك: ان افتخرت علىّ بفرسك فالحسن والفراهة للفرس لالك، وان افتخرت ببزّتك(1) وآلاتك(2)، فالحسن لها دونك، وان افتخرت بآبائك فالفضل كان لهم(3) دونك، فاذا كانت المحاسن والفضائل كلّها خارجة عنك وانت منسلخ منها وقد رددناها على اهلها بل لم تخرج عنهم حتّى تردّ اليهم(4) فانت من!؟(5) **وحكى عن بعض الحكماء** انّه دخل على بعض الاغنياء وكان يحتشد فى الزّينة(6) ويفتخر بكثرة ماله وآلاته وحضرت الحكيم بصقة فتنخّع بها والتفت فى البيت يميناً وشمالاً فوجد البيت كلّه مزيّناً بالآلات المستحسنة فلم يجد لها موضعاً فبصق فى وجه صاحب البيت؛ فلمّا عوتب على ذلك قال: نظرت الى البيت و جميع مافيه فلم اجد اقبح منه فبصقت عليه؛ وهذا يكون استحقاق الخالين(7) من الفضائل النّفسيّة المفتخرين بالامور الخارجيّة الوهميّة، شعر:

من كان مفتخراً بالمال والنّسب فانّما فخرنا بالعلم والادب
لاخير فى رجلٍ حرٍّ بلا ادبٍ لاخير فيه ولو يمشى على الذّهب

ولهذا السّرّ صدق عليه السّلام فى مقاله الصّادر عن كماله: الشّرف بالعقل والادب لابالحسب والنّسب.

١- ج: «بنزاكك» د: «بمنزلك». ٢- ا: «وبالائك». ٣- اب: «فيهم». ٤- ب ج د: «عليهم». ٥- كذافى النسخ: وكان القياس ان يقال: من انت؟ فكأنه كان اصطلاحاً خاصاً مستعملافى مقام التحقير هكذا. ٦- ج د: «يحتسد فى الرتبة». ٧- ج د: «استخفاف الحالين»

الکلمة العاشرة

قوله علیه‌السّلام: لاتنظر الی من قال وانظر الی ماقال.

اقول: المراد بالنّظر ههنا الاعتبار العقلیّ لاالنّظر بالبصر فانّه غیر لائق ههنا وذلک انّه لمّا کان الفخر الابدیّ والشرف السّرمدیّ انّما هو بالتّحلّی بالکمالات العقلیّة والفضائل الخُلقیّة بعد التّخلّی عن ادناس اضدادها ونزع اطمار مقابلاتها، وکان مایعدّ فی العرف کمالاً ونقصاناً ویظنّ فی الظّاهر جمالاً وقباحةً[1] من حسن البزّة ونضارة الوجه وقبح منظرهما ومایعتبر من مشخّصات الشّخص اللّازمة له فی الوجود وما یصحبها من عزٍّ وذلٍّ، وفقرٍ وغنیً، وشرف بیتٍ وخسّةٍ، ورفعة اصلٍ ودناءةٍ، وغیر ذلک اموراً وهمیّةً واحکاماً خیالیّةً صیر الیها من متابعة النّفس للقوّة الشّهویّة وغفلتها عن الکمال الحقیقیّ والنّقصان البائر، وکانت العنایة الالهیّة قد اقتضت انّ[2] القوّة النّطقیّة معربة عمّا یحصل فی ضمیر الانسان ومفهمة لما فی ذهنه ممّا لایطّلع علیه غیره من الکمالات والنّقصانات النّفسانیّة المدلول علیها بالالتزام من مخاطباته، والمستنبطة بالانتقالات الفکریّة من اقواله ومحاوراته؛ لاجرم حقّ لذوی العقول ان یلاحظوا بنواظر بصائرهم مایقول القائل حین یقول، فیستدلّوا[3] بنظم قوله وترتیب الفاظه واستلزامها للحکم النّفسیّة والآداب الخُلقیّة علی کمال عقله؛ وبضدّ ذلک علی نقصان عقله، ویکون ذلک سبباً لفهم مقداره وادراک وزنه، وانّه هل هو فی حیّز الملائکة المقرّبین، اوفی مرابض البهائم، او بین ذلک، ولاینظروا الی من قال ای الی الشّخص من حیث انّه ذلک الشّخص والی الامور المشخّصة له والکمالات المزیّنة لذلک الشّخص الّتی انّما تعدّ کمالاً فی بادی الرّأی فاذا اعتبرت حقیقتها کانت وبالاً، والمنهیّ عنه ههنا هو النّظر الأوّل الیها

١ـ ج د: «قباحاً» وهو بالضم مصدر بمعنی القباحة. ٢ـ «ان» لیست فی ب ج د، وکان الاولی ان تکون العبارة هکذا «ان تکون». ٣ـ ا ج د: «ویستدلوا».

الحاكم بكونهـا من الكمالات الّتى ينبغى ان تقتنى فانّه يجب على العاقل ان لاينظر[١] الى الشّخص من حيث انّه موصوف بتلـك الكمالات الوهميّة ولا يعتبره ويلتفت[٢] اليه[٣] من هذه الجهة، وكذلك لايعتبره من حيث انّه ذوفقرٍ ومسكنةٍ او فى اطمارٍ ورثاثة حالٍ او انّه ليس من الاصول الشّريفة والآباء المعرقة[٤] فيرفضه لذلك ويستنقصه فانّ المرء بأصغريه؛ قلبه ولسانه، ولايغرّنّك جُلٌّ تحته دبر[٥] فانّ مايعدّ فى الظّاهر كمالاً لوكان هو الكمال الحقيقىّ لكـان الاحقّ به والاولى سيّدالمرسلين والكامل من عبادالله ولما منح البعداء عن واهب الكلّ من ذلك الكمال مثقال خردلةٍ ،والتّاليان باطلان فالمقدّم كذلك امّا الملازمة فلانّ العناية الالـٰهيّة جلّت عن وضع الأشياء الّا فى مواضعها، وامّا التّاليان فظاهر البطلان بل يعتبره[٦] من اقواله المستلزمة لنقصانه او كماله فيحكم عليه بأحدهما بعد الاختبار فيكبره ويكـرمه او يحتقره ويهينه عن سهـام بصيرة خرقت استارغيبه ولمحت اسرارلبّه، والله تعالى هوالموفّق.

الكلمة الحادية عشر

قوله عليه السّلام: اذا تمّ العقل نقص الكلام[٧].

اقول : سرّ هذه الكلمة ظاهر ممّا سبق وذلك انّ النّفس كلّما ازدادت علوّاً فى

١- ا: «ان ينظر». ٢- ب: «يلفت». ٣- فى النسخ: «عليه». ٤- من قولهم: اعرق فلان اى صار عريقاً فى الكرم. ٥- ا: «وبر» ب «دبره» وفى كتب اللغة: «دبر البعير كفرح فهودبر اى صارذادبرة وهى بالتحريك قرحة الدابة والبعير ومنه المثل المعروف: هان على الاملس مالاقى الدبر، والانثى دبرة ودبراء». ٦- ج: «تعتبره» (بصيغة الخطاب) وكذا فى الافعال الاتية. ٧- نقل السيد الرضى(ره) هذه الكلمة فى نهج البلاغة فى باب الكلم القصار و شرحها ابن ميثم (ره) ضمن شرحه لذلك الكتاب هكذا (ص٥٨٨ من الطبعة الاولى): «تمام العقل يستلزم كمال قوته على ضبط القوى البدنية وتصريفها ←

مراتب الكمال كـان ضبطها للقوّة المتخيّلة اشدّ فكان الكلام الصّادر عنهـا اقلّ وجوداً اذلايصدر عنها حينئذٍ كلمة الّا عن تروٍّ وتثبّتٍ ومراجعةٍ لعقلها فى كيفيّة وضع تلك الكلمة واستلاحة ماتؤول اليه ومايلزم عنها من المفهومات وتمييزاحتمالاتها وحركةالفكر[1] فى استحضار السّبب الموجب للكلام حتّى تصير الكلمة الخارجة مهذّبـة مميّزة محكمة متقنة لايكون منهـا حذر ولايلحق بسببهـا ضرر ، واذا كانت كلمة تامّة العقل موقوفة الوجود على هذه الشّروط الكثيرة والاسباب البعيدة فلابدّ وان تكون اقلّيّـة الوجود وتزداد اقلّيّة وجودها بحسب زيـادة درجات العقل الى ان يصير السّكوت فى موضعه والكلام فى موضعه ملكةً وخلقاً للعاقل،وهذا بخلاف ناقص مراتب العقل فانّه كلّما كان عقله انقص كان خروج الكلام منه اكثرواقبح،وذلك لقلّة ضبطالقوّة العاقلة للمتخيّلة وعدم مراجعة العقل العمليّ للقوّة النّظريّـة فىاستنباطالآراء الصّالحة والاقوال المصلحيّة وذلك لنقصان درك القوّة النّظريّة وبالجملـة لأقلّيّة الشّروط الموجبة لقلّة الكلام ، والعلّة كلّما كانت ابسط كان صدورالمعلول عنها اقرب واسرع ،وبالله التّوفيق .

الكلمة الثانية عشر

قوله عليهالسّلام: لاداء أعيا منالجهل.

اقول : الدّاء المرض **والاعيا**[2] الّذى لادواء له كأنّ الاطبّاء عيوا عن دوائه ، **والجهل** قد يرادبه عدم العلم عمّا من شأنه ان يعلم كالانسان ، وقد يرادبه الاعتقاد الجازم الغير المطابق الحاصل من شبهة[3] الدّليل ،والمعنى الاوّل عدميّ ويقـابل العلم تقـابل العدم

← بمقتضىالاراءالمحمودة الصالحةو وزن مايبرز الىالوجود الخارجىعنها منالاقوالوالافعال بميزان الاعتبار ، وفى ذلك من الكلفة والشرائط مايستلزم نقصان الكلام بخلاف مالايوزن ولايعتبر من الاقوال .»

١- ب : « خ ل : الفعل » . ٢- : اب : «العياء» . ٣ - ج د : « شبه».

والملكة ويسمّى جهلاً بسيطاً والثّانى وجودى ويقابل العلم تقابل التّضاد ويسمّى جهلاً مركّباً، واطلاق لفظ الجهل بحسب الاشتراك اللّفظى. **واعلم انّ الدّاء** قد يكون بدنيّاً وقد يكون نفسانيّاً وعلى الحالين فقد يكون ذاعياءٍ وقدلايكون؛ **ثمّ النّفس** وان كانت ذات ادواءٍ كثيرةٍ غير انّ اشدّها عياءً واقواها سببيّةً للبعد عن الرّحمة الالٰهيّة هوداء الجهل المركّب خصوصاً ما كان منه مضاداً للعلم بالصّانع تعالى وصفاته فانّه لايرجى له صلاح ولايتوقّع لصاحبه[1] فلاح ، وهوالمنبع[2] لاكثرالامراض النّفسانيّة وذلك انّك لمّا[3] عرفت انّ الكمال الدّائم والسّعادة التّامّة للنّفس انّما هوبحصول العلم بمباديهاوتصوّر الحضرة الالٰهيّة كما هى بحسب الامكان فاعرف انّ النّقصان الّلازم والشّقاوة الثّابتة انّما هى بحصول الاعتقادات المضادّة لذلك اليقين وتمكّنها من جوهر النّفس لعدم امكان اجتماعها ، **وامّا الجهل البسيط** فيمكن علاجه اذا كان غيرمناف للعلم الّذى هو سبب السّعادة وكذلك سائر الامراض النّفسانيّة بعدان تكون للنّفس الملكة[4] التّامّة بمباديها العالية فانّ اكثرها تكون امّا حالات غيرمتمكنّة من جوهر النّفس او هيئات مستفادة من الامزجة فتزول بزوالها ، وامّاسائرالأمراض البدنيّة فانّه وان كان فيها مالايمكن علاجه لكن تفاوت مابين الموتين[5] بتفاوت مابين المريضين[6] وتفاوت مابين المريضين[7] بتفاوت مابين الغايتين من صحّتها وعافيتها ، وعرفت انّ غاية عافية النّفس هوتحصيل الكمال الباقى وغاية صحّة البدن فى الغالب كمالٌ فانٍ فانّ بصحّته للنّفس كمالاً مايكون باقياً[و] كان ذلك مشروطاً بصحّتها عن داء الجهل حتّى لوكان متمكّناً من جوهرها لكان كلّ سعى بدنىّ عليها وبالاً ونقصاناً وخيبةً وخسراناً ولو كان اشكل مرضٍ بدنىٍّ حاصلاً[8] مع صحّة النّفس عن ذلك المرض لما ضرّها ذلك فى معادها اذلاتخلو مع ذلك من استفادة كمالٍ ما ، والوصول الى سعادة تليق بها لو فقدت[9] بسبب ذلك المرض علماً و كمالاً ما

١- ا: «لعلاجه». ٢- فى النسخ : «المنع». ٣- ب : «اذا». ٤- ج د : «الملكة» . ٥- ج : «الوجهين» د : «المرتبتين» . ٦ و٧- ج د : « المرضين » فى كلاالموردين . ٨- كذا. ٩- ب «فقد».

فقد تحقّق انّ داء الجهل أعيا كلّ داء ، ولمّا كان الدّاء من حيث هوغير ملائم للطّبع وكان الدّاء الّذى هوالجهل أعيا الادواء واعسرها برءً واكثرها مضرّة على الانسان كان فى هذه الكلمة تنبيه له على انّه يجب عليه ان يجتهد فى حسم اسباب هذا الدّاء فى الابتداء قبل استحكامه وتمكّنه من جوهرنفسه ويبالغ فى ان لايعرض له فانّ الصّحّة قبل المرض انفع منها بعده ، و طريق ذلك الحسم ان يلازم الاعمال الجميلة الّتى توجب كمال النّفس من اوّل زمانه ويتخيّرلنفسه افضل الاطبّاء بحسب اجتهاده فان لم يفعل واستعرض شيئاً من تلك الاسباب قبل تمكّن الدّاء الّذى تلك اسبابه وتنبّه لطلب العلاج فليرُض نفسه بلجام الصّبر وليلفتها بمقود النّدم وليجرّها بالتّمرين والتّعويد الى ان ينقّى لوح نفسه من مقدّمات ذلك المرض ثمّ ليغذّها [1] بالعلوم اليقينيّة وملازمة الأعمال الجميلة فانّها سترجع الى الصّحة التّامّة اللّذيذة والسّعادة الدّائمة ويكون فى غاية الغبطة والسّرور ابداً فقد صدق بحر العلم والفضائل: لاداء أعيا من الجهل.

الكلمة الثالثة عشر

قوله عليه السّلام: لامرض أضنى من قلّة العقل.

وفى نسخة : اخفى من قلّة العقل.

اقول: الضّنى مخامرة المرض كلّما ظنّ المريض انّه برأ انتكس [2] **وامّا العقل** فقد عرفته وهومقول بحسب الاشتراك اللّفظىّ على القوّة الّتى بها يكون التّمييز بين الامور الحسنة والقبيحة والسّعى فى مصالح البدن وتدبير المعاش وهى المسمّاة عقلاً عمليّاً ، وعلى القوّة الّتى بها يكون تكميل جوهر النّفس [وهى المسمّاة] عقلاً بالفعل ، وعلى درجات استعداد هذه القوّة لتباين حدودها وحقائقها وقداومأنا الى ذلك غير مرّة **واذا عرفت ذلك فنقول:** قدتطلق

١ـ ب: «ليعدها» ا : «ليبعدها» . ٢ـ ب ج : «منكس» وفى اللغة : «انتكس المريض عادته العلة بعد النقة».

قلّة العقل على النّقصان الحاصل من جميع هذه المراتب لكنّ المقصود الظّاهر والنّقصان الباثر[1] المذموم بحسب العرف هوالنّقصان فى العقل بالملكة اعنى الاستعداد الّذى يكون لدرك المعقولات وفى العقل العملىّ اعنى الاستعداد للتّميز بين الامور الحسنة والقبيحة، وان كان قد يكون النّقصان ههنا تابعاً للنّقصان الاوّل وهذا التّخصيص بحسب المفهوم من هذه الكلمة والّا فقد تطلق قلّة العقل ايضاً على عادم الغريزة وعلى العقل الهيولانىّ، والسّبب فى ذلك هو اختلال امر القوى النّفسانيّة؛ امّا لضعف الارواح الحاملة لها وقلّة كمّيّتها او لسوء تركّبها وامتزاجها وخروجه عن الاعتدال الّذى تتمكّن النّفس من تصريف القوى معه فيكون سبب عدم تمكّن النّفس من تصريف تلك القوى فيما يصلحها فيكون بسببه قصور استعدادها لقصور آلتها، وقد يكون السّبب فى قلّة تدبير امر المعاش واصلاح الدّنيا ونقصان الاستعداد لذلك هو التفات النّفس فى غالب احوالها الى الوجهة الحقيقيّة واصلاح امر المعاد وقطع العلائق الجسمانيّة فيسمّى صاحبها فى العرف ابله ومغفّلاً اى سليم الصّدر قليل الاهتمام بشأن الدّنيا غافل عن طلبها قليل العقل لكيفيّة اكتسابها وهم الّذين قال صلّى الله عليه وآله فيهم: أكثر اهل الجنّة البله؛ لكنّ هذا المعنى غير مراد ههنا لانّ المرض ليس بمضنٍ فضلاً ان يكون اضنى من غيره **اذا عرفت ذلك فنقول: امّا اطلاقه** عليه السّلام المرض على النّقصان المذكور من استعداد النّفس **فاطلاق مجازىّ** لانّ المرض من الكيفيّات المختصّة ببدن الحيوان و **وجه المناسبة** انّ الكيفيّة المسمّاة بالمرض لمّا كانت مانعةً من السّعى فى مصالح البدن ومايتعلّق به وكان نقصان استعداد النّفس فى المراتب المذكورة مانعاً لها من قبول تمام الفيض الالٰهىّ الّذى من شرطه تمام الاستعدادات لاجرم اطلق عليه السّلام لفظ المرض عليه؛ وهى استعارة حسنة وانتقال لطيف لايصدر مثله الّا عن مثل ذلك الذّهن الصّافى المتوقّد. **وامّا اثبات المطلوب من هذه الكلمة** وهو انّه لامرض اضنى من هذا المرض فيستدعى اوّلاً بيان انّ الضّنى من

١- ب ج : «الباتر» د: «الباطن» وفى هامشه: «الباتر».

يطلق على هذا المرض واطلاقه ايضاً مجازىّ و ذالك انّ الضنى من عوارض الأمراض البدنيّة وقد بيّنّا وجه التّجوّز بلفظ المرض فكذلك يطلق لفظ عارض المرض البدنىّ على عارض هذا المرض لمكان المشابهة ، **و بيانها** انّ المرض البدنىّ كما يشتدّ و يخامر البدن حتّى كلّما ظنّ المريض انّه برأ نكس (١) فكذلك للمذكور (٢) فى درجات الاستعداد(٣) مرض قد يشتدّ ويخامر نفساً قام بها حتّى كلّما ظنّت انّه قد كمل عقلها وتمّ استعدادها فهى منتكسة(٤) فى ذلك المرض ناقصة العيار عند صحّة الاعتبار.

وامّا انّه اضنى من سائر الامراض فلانّ خوف المرض وقوّة ضرره تابع لشرف الجزء المريض وخطره وكلّما كان المرض اقرب الى جزءٍ شريف كان خوفه اكثر وخطره اكبر وكان اشدّ واضنى من غيره وعرفت انّ النّفس هى الجزء الاشرف من الانسان بل هى تمام الانسان وانّ صحّتها و كمالها هو المطلوب الاصلىّ من خلقها والسّبب الغائىّ من وجودها فاعرف انّ مرضها اشدّ مرضٍ واضناه ونقصانها ارذل نقصان وارداه، وتجد كلّ مرض بالنّسبة اليه صحّةً وكلّ الم بالقياس الى المه راحةً.

وامّا على الرّواية الثّانية:

وهو انّه اخفى الامراض فلاشكّ فيه وخصوصاً بالقياس الى من لحقه وتعلّق به فانّ نقصان صاحب هذا المرض به هو الموجب لاعتقاده انّه كامل فكلّ من كان استعداده للفضل انقص كان اعتقاده الوهمىّ لكماله اقوى وازيد، شعر:

كدعواك(٥) كلٌّ يدّعى صحّة العقل ومن ذاالّذى يدرى بما فيه من جهل؟!

وكلّ من كان استعداده للفضل ازيد كان اعترافه بالعجز عن الوصول اتمّ؛ والسّبب فى ذلك محبّة النّفس للكمال من حيث هو وغفلة نفس الاوّل عن نقصانها فيعتقد انّ الكمال لها لازم، واطّلاع الثّانى على عيب نفسه وحاجتها الى التّكميل من نقصانها ومعرفتها

١- من قولهم: «نكس المريض مجهولا = عاوده المرض كأنه قلب الى المرض».
٢- ا: «فلذلك المذكور» (باللام بعد الفاء). ٣- ج: «الاستعدادات». ٤- ا: «متنسكة» ب ج د: «سنكسة». ٥- ا: البيت مطلع قصيدة للمتنبى (انظر طبعة صادر ص ٤٤١).

بقدرما هی محتاجة الیه من الکمال وشرفه وعزّته ، ربّنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هدیتناوهب لنا من لدنک رحمةً انّک انت الوهّاب[۱].

الکلمة الرابعة عشر

قوله علیه السّلام : نعمة الجاهل کروضةٍ فی مزبلةٍ.

اقول : النّعمة فی الأصل هی المال وقد کثر استعماله حتّی قیل فی کلّ کمال یلحق الانسان انّه نعمة امّا بحسب الاشتراک اللّفظیّ او المعنویّ، **والرّوضة** مستنقع الماء ومنبت الخضر، **والمزبلة** موضع الزّبل ومرماه، **والمقصود** الذّاتیّ من هذه الکلمة بیان انّ الجاهل وان حصل علی النّعمة[۲] الدّنیاویّة بأجمعها فهی غیر لائقة به وهو غیر صالح لان یکون محلّاً لها ومع ذلک فلابدّ ان تزول عنه **و تقریر ذلک** انّ النّعمة قد تکون نعمة باقیة وهی الکمال النّفسانیّ، وقد تکون نعمة فانیة وهی الکمال البدنیّ؛ وعلی التّقدیرین فقد تحصلان معاً للإنسان الواحد وقد یخلو منهما وقد یحصل له احداهما دون الاخری والاوّل آخذٌ بطرفی السّعادتین ؛ هذا عطاؤنا فامنن اوأمسک بغیر حساب، وانّ له عندنا لزلفی وحسن مآب[۳]، والثّانی حاصل علی خسران الصّفقتین ؛ خسر الدّنیا والآخرة وذلک هو الخسران المبین[۴]، والثّالث ان حصل علی النّعمة الباقیة فهو فی عیشةٍ راضیةٍ فی جنّةٍ عالیة[۵]، وان اشتمل علی النّعمة الفانیة فقط فامّه هاویة[۶]؛ الّذی جمع مالاً وعدّده * یحسب انّ ماله أخلده * کلّا لینبذنّ فی الحطمة[۷]، والاشارة فی هذه الکلمة الی صاحب هذه النّعمة.

وامّا تشبیهه علیه السّلام لهذه النّعمة بالرّوضة الکائنة فی المزبلة **فبیانه من وجهین:**

۱ـ آیة ۸ سورة آل عمران. ۲ـ ا : « وان حصل له النعمة». ۳ـ آیة ۳۹ و ۴۰ سورة ص. ۴ـ ذیل آیة ۱۱ سورة الحج وصدرها: «ومن الناس من یعبدالله علی حرفٍ فان اصابه خیر اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب علی وجهه». ۵ ـ آیة ۲۱و۲۲ سورة الحاقة. ۶ـ آیة ۹ سورة القارعة. ۷ ـ آیة ۲ و ۳ و ۴ سورة الهمزه.

احدهما. انّ المزبلة لايبقى الماء فيها بل عن قليلٍ تكون يبساً لانداوة فيها فكذلك الجاهل تكون نعمته معرضة[١] للزّوال فهى ان لم تزل فى حياته فلابدّ من زوالها بموته.

الثّانى. انّ المزبلة لمّا كانت محلّ النّجاسة كانت غير لائقةٍ لاستنقاع الماء المنتفع به فيها فكذلك الجاهل ذوالمال لمّا كان غير واضع للأشياء مواضعها من حيث انّه جاهل وغير مصرّف لذلك المال كما ينبغى وفى الوجه الّذى ينبغى لعدم العلم بالوجوه والمصارف لاجرم كان غير لائق لان يكون محلاً لها اذا كان غير منتفع بها بوجهٍ.

ويحتمل وجهاً آخر

وذلك انّ العادة فى الرّوضة ان تعشب وتخضرّ بسبب استنقاع الماء فيها فربّماتبقى هذه الاعشاب وتلك الخضرة زماناً لجودة الأرض وحفظها للنّداوة ونما وزاد ماينتفع به الحيوان فاذا كانت الرّوضة فى مزبلةٍ لم تكن لائقة للانتفاع بخضرتها فى مسرّة وابتهاج وغير ذلك ولم يكن للحيوان عليها اعتماد فى مرعىً فكذلك حال الانسان مع النّعمة الحاضرة ان كان عالماً بمصارفها واضعاً لها فى مواضعها كان كروضة فى ارض حرّة[٢] ينتفع هو بها [فيدّخر] فى الدّنيا والآخرة حمداً[٣] جميلاً وثواباً جزيلاً وينتفع غيره بنضارة خضرتها ونداوة[٤] عشبتها[٥]، وان كان جاهلاً غير واضع لها فى مواضعها كان كالرّوضة فى مزبلة غيرمنتفع بها، وهذه الوجود محتملة لبيان هذا المثل؛ وتلك الأمثال نضربها للنّاس لعلّهم يتفكّرون[٦].

الكلمة الخامسة عشر

قوله عليه السّلام : اغنى الغنى العقل.

اقول: الغنى قد يطلق ويراد به عدم الحاجة ، وقد يطلق ويراد به حصول الامور

١- كذا فى جميع النسخ. ٢- ب : «حر». ٣- ا: «حميداً». ٤- ب ج : «لذاذة». ٥- ب ج : «عشبها». ٦- ذيل آية ٢١ سورة الحشر.

المحتاج الیها ویقابله الفقر بمعنیین ، وعلی التّقدیرین فانّه مقول بحسب التّشکیک علی جزئیّاته اذ منه ماهو اشدّ ومنه ما هواضعف ، **واما العقل** فقد عرفت اقسامه ومراتبه وحقائق تلک المراتب؛ واذا کان کذلک **فنقول: المراد** من الکلمة بیان انّ اشدّ درجات الغنی العقل ، **والمراد بالغنی** حصول الامور المحتاج الیها ههنا ؛ فانّ اعظم الامور المحتاج الیها واشرفها درجةً فی حصول الکمال بها هو العقل اذ کان سبب السّعادتین وبه تنال المقاصد الکلّیّة وبه تحصل الکمالات الحقیقیّة دون مایحتاج الیه من مال وغیره ، **ویمکن ان یفسّر الغنی** أیضاً ههنا بعدم الحاجة الّا انّا نحتاج[1] الی زیادة اضمار اذ الاستعداد المسمّی عقلاً لیس بعدم الحاجة بل مستلزم لعدم الحاجة الی حصوله بعد حصوله فیصیر التّقدیر: اقوی درجات الغنی لازم عن حصول العقل؛ الّا انّه جعل المحمول ههنا نفس العقل لما[2] انّ حمل الملزوم مستلزم لحمل اللّازم واعلم : انّا لانعنی انّ بمجرّد حصول العقل یحصل الغنی المطلق بل یحتاج الی قید آخر به یحصل ثمرة العقل المطلوبة من افاضته بالعنایة الازلیّة وهو ان یعتنی باصلاح القوی البدنیّة و تطویعها للقوّة العاقلة و تصریفها بحسب اوامرها ونواهیها فانّک ان لم تفعل ذلک لم تخلص لذوقک حلاوة ثمرة عقلک من شوب مرارات ثمرات طاعات تلک القوی ، ولم تصف لک بها لذّة عن کدورات لحقت من متابعة الهوی ، والله ولیّ توفیقنا ؛ وایّاه نستعین علی قهر الشّیاطین ، وهو حسبنا[3].

الکلمة السادسة عشر

قوله علیه السّلام : احمق الحمق الفقر[4].

اقول : الحمق نقصان العقل ویقال بحسب التّشکیک علی درجات النّقصان فانّ

١- ا : «الا ان یحتاج» فلعله : «الاانه یحتاج». ٢- ب ج : «کما». ٣- ج: «وهو حسبنا ونعم الوکیل». ٤- یقرب منه قوله (ع) الاخر : «واکبر الفقر الحمق» وهو مما نقله الشریف الرضی (ره) فی نهج البلاغة وشرحه ابن میثم (ره) ضمن ماشرحه فمن اراده فلینظر شرح نهج البلاغة (ص ٥٨٥ من الطبعة الاولی).

منها ماهو اشدّ؛ومنها ماهو اضعف ، والفقر يطلق ويرادبه الحاجة الى المال؛ ويطلق ويرادبه الحاجة الى الفضائل النّفسانيّة؛ والاستعداد الّذى به يكون ادراك الامور الكلّيّة الاوّليّة ومافوقه من الدّرجات وان كانت الحاجة اعمّ من ذلك ، وقديراد به عدم المحتاج اليه فى الوجهين ، **واعلم انّ** تقدير القضيّة على هذا الوجه : اشدّ درجات العقل نقصاناً هو الفقر فموضوع القضيّة قولنا : اشدّ درجات العقل نقصاناً،ومحمولها : الفقر ، والمراد بالفقر ههنا الحاجة الى الفضائل والاستعداد المذكور ، وحينئذٍ يلوح لك صدق هذه القضيّة فانّ اشدّ درجات نقصان العقل عدم الاستعداد المذكور المستلزم للخلوّ عن الفضائل النّفسانيّة ، **وقد يحمل الفقر ههنا على المعنى** وهو الحاجة الى المال او عدمه الّا انّ ذلك المعنى لايحمل على اشدّ درجات نقصان العقل بانّه هو؛ فانّ الحاجة ليس نفس نقصان العقل بل يحتاج الى اضمار شىءٍ آخر فى ايضاح هذه القضيّة حتّى يصير التّقدير: اشدّ درجات نقصان العقل لازم عن الفقر الّا انّه لمّا كان حمل الملزوم يستلزم حمل الّلازم اكتفى فى الكلام مراعاة للوجازة بحمل الملزوم. **وامّاعلّة هذا الحكم** فلانّ العقلاء اتّفقوا على انّ المال مهذّب لصاحبه وموجب لزيادة العقل ومنشّط[1] لاكتساب الملكات الفاضلة عند استعماله فى الوجوه الّتى ينبغى ولذلك قالت الحكماء : انّ المال انّما جعل زيادة فى القوّة[2] والرّأى وضربوا لذلك الامثال كالمثل المشهور فى كتاب كليلة ودمنة فى الباب الثّالث منه على لسان الجرذ الّذى زعموا انّه كان فى بيت النّاسك[3] واذا كان كذلك علمت انّ الحاجة الى المال المسمّى فقراً عند تحقّقه فى محلٍّ يستلزم خلوّ ذلك المحلّ عن تلك الكمالات النّفسانيّة مع مايلزم الفقر من حيث هو فقر من عدم مقاومة النّفس للهوى وانقيادها لقبائح اللّذّات ومن ارتكاب الرّذائل الرّديّة كالحسد والمهانة وانقهار[4] النّفس وانفعالها فيما يطلب منها ممّا يوجب السّقوط فى مواقع[5] التّهم والدّخول فيما لاينبغى المستلزم كلّ ذلك نقصان العقل ورداءته، وحينئذٍ يتّضح المعنى على هذا التّقدير الّا انّ فى هذا

١ـ ا د : «ينشط» . ٢ـ ا : «للقوة» . ٣ـ انظر باب الحمامة المطوقة .

٤ـ ا : «انتهار» . ٥ ـ فى النسخ : «ومواقع» .

الوجه تعسّفاًما، ومع ذلک فانّ لقائل ان یقول: انّ الفقر بالمعنی المذکور وان اوجب نقصاناً للعقل الّا انّه لایکون اشدّ نقصان ، **ویمکن ان یقال :** انّ الاشدّیّة ههنااضافیّة ای انّ الدّرجة من النّقصان الّتی یوجبها الفقر اشدّ بالنّسبة الی ماهو اضعف منها ، وفیه مافیه من التّکلّف.

الکلمة السابعة عشر

قوله علیه السلام: افقر الفقر الحمق[1].

اقول : قد عرفت انّ الفقر یطلق علی الحاجة المذکورة الی طرفی المال والفضیلة النّفسانیّة وعلی عدم الامور المحتاج الیها اطلاقاً فی کلّ معنی من هذه الثّلاثة علی جزئیّاته بحسب التّشکیک فانّ درجات الفقر متفاوتة بالشّدّة والضّعف ، **واذا عرفت ذلک فنقول :** المقصود من هذه الکلمة الحکم بانّ اشدّ درجات الفقر هو نقصان العقل وعلّة هذا الحکم انّه لمّا کان بین درجة الفقر الّتی هی الحاجة الی المال والّتی هی الحاجة الی الفضائل النّفسانیّة من التّفاوت بالشّدّة والضّعف مایکاد یوجب الحکم بانّه لانسبة بینهما ولااشتراک فلاجرم صحّ حمل الحمق علی اشدّالفقرحملاً بانّه هو؛اذ الحمق فی الحقیقة اشدّ فقر یفرض کما علمت، وهاتان الکلمتان آخذتان بمجامع الحسن لفظاً ومعنیً فانظر ایّها الاخ الی هذا الامام الفاضل سلام الله علیه کیف جمع فی هاتین الکلمتین بین الوجازة والجزالة؛ شعر:

وهل فیه عیب لمن عابه ؟!　　　سوی انّه رجل فاضل

---

۱ ـ اشرنا فی ذیل الکلمة السابقة الی ما فی نهج البلاغة مما یقرب من ذلک فان شئت فراجع شرح نهج البلاغة للشارح (ره) ص ۵۸۰ من الطبعة الاولی.

الكلمة الثامنة عشر

قوله عليه السلام : الحكمة ضالّة المؤمن(١).

اقول : قد عرفت اقسام الحكمة وحقائقها ، **والضالّة** ماضاع من البهيمة للذكر والانثى ، **والايمان** فى اللغة التصديق ؛ وفى عرف الشريعة عبارة عن التصديق بكلّ ما علم مجيء الرسول به ضرورةً وهومذهب المحققين من المتكلمين كأبي الحسن الأشعريّ واتباعه ، [والمؤمن من اتّصف بصفة التّصديق](٢) ويقابله الكافر لمن لم يتحقّق(٣) فيه هذه الكلّ وعليه رأى ابي حنيفة ، وعند جمهور المعتزلة والسّلف الصّالحين رضى الله عنهم انه اسم للمطيع . ولمّا كانت الطّاعة عندهم(٤) لايتحقّق الّا باجزاءٍ ثلاثة ، التّصديق بالقلب لما جاء به الرّسول ، والاقرار باللّسان ، والعمل بالاركان ؛ كان الايمان ايضاً كذلك فالمؤمن لايستحقّ اطلاق هذا الاسم عندهم الّا اذا تحقّقت فيه هذه الأجزاء الثّلاثة فهى اجزاء ماهيّة الايمان ويقابله الفاسق لمن اخلّ بشيءٍ من هذه الأجزاء اذ يمتنعون من تسمية التّارك لاحدها مؤمناً لعدم ماهيّة الايمان منه ، ويخصّون اسم الكافر بتارك الكلّ او(٥) الجاحد ظاهراً(٦) وان عمل لانّ العمل مترتّب على التّصديق وعليه الامام الشّافعيّ رضى الله عنه(٧) من الفقهاء **واذا عرفت ذلك فاعلم** انّه عليه السّلام حكم بانّها ضالّة المؤمن **وشبّهها بالضّالّة من وجهين :**

احدهما ـ انّ من شأن الضّالّة انّ صاحبها ينشدها ويطلبها ويجتهد فيها بالجعل وغيره

---

١ ـ نقلها الشريف الرضى (ره) فى نهج البلاغة وقال الشارح ابن ميثم (ره) فى شرحها (ص ٥٩٠ من الطبعة الاولى) : « استعار لفظ الضالة للحكمة بالنسبة الى المؤمن باعتبار انها مطلوبه الذى يبحث عنه وينشده كما ينشد الضالة صاحبها » . ٢ ـ كأن مثل العبارة سقطت من هنا بقرينة ذكر الكافر بعده بعنوان المقابلة ولعله « والمؤمن من تحققت فيه هذه الصفة » .
٣ـ ب : «يتحقق فيه» . ٤ـ ب : «عنهم» . ٥ـ ج د: «و» . ٦ـ ب ج: «ظاهر» .
٧ـ كلمة الترضى فى ب فقط .

فكذلك طالب الحكمة يجتهد فی طلبها بحسب البرهان ويبالغ فی التّفتيش عن كيفيّة المسالك فی طلبها ويلتمس معرفتها من أفواه الاستاذين من العلماء وأهل المعارف كما يلتمس صاحب الضّالّة ضالّته من أفواه المنشدين والعارفين بها وبمظانّها فلاجرم كانت ضالّةً بالنّسبة اليه .

الثّانی- انّه لمّا كان من شأن الضّالّة ان لاتنفكّ عن أحد وجهين؛ امّا ان يجدها طالبها ويفوز بمقاصده وخاصّةً ان كان متقرّباً بطلبها الی من هو أعلی منه متوقّعاً علی وجدانها الحباء[1] والمنحة ، وامّا ان لايجدها فيبقی فی الاسف والخوف والحرمان فكذلك الحكمة لمّا كان من شأنها انّه امّا ان يجدها طالبها اوليس ؛ فان وجدها فقد فاز بالمقاصد الكلّيّة وحصل علی الاغراض الباقية؛ وان لم يجدها وهو متقرّب بها الی نيل رضا الله تعالی ومستعدّ بها لقبول نعمه الباقية فی جواره المقدّس فقد حصل علی الخيبة وضياع السّعی وحرمان ما الحكمة الی نيله وسيلة فكانت بالحقيقة ضالّةً وایّ ضالّة.

وامّا تحصيص المؤمن بها فلانّ غير المؤمن امّا غير المصدّق وامّا العاصی؛ امّا غير المصدّق فتكذيبه ينافی طلبه لانّ الجزء الاشرف من الحكمة هو معرفة الصّانع والمكذّب بوجوده كيف يطلب معرفته؟! وكذلك عصيان العاصی حال عصيانه[2] منافٍ لطلبه وهو ظاهر، فهذا هو المفهوم من هذه الكلمة ؛ والله تعالی يجعل خاتمة سعينا فی طلبها وجداناً لها، ويرشدنا علی منشديها ، ويدلّنا علی معرفتها والعارفين[3] بها عن صدقٍ ؛ والمطّلعين علی اسرارها بيقينٍ وهو[4] الموفّق.

الكلمة التاسعة عشر

قوله عليه السّلام : المرء عدوّ ما جهله[5] .

اقول : العداوة بغض صادق يهتمّ معه بجمع[6] الاسباب الموذية للمبغوض ومحبّة فعل

١- الحباء بالكسر بمعنی العطاء بالفتح . ٢- «عصيانه» ليس فی نسخة ١ .

٣ - «معرفتها العارفين» . ٤- ا: «والله» .

٥- وفی معناه ما نقله الشريف الرضی (ره) فی الباب الثالث من نهج البلاغة بهذه العبارة: ←

الشرّ الّذی یمکن فعله به ، **وامّا الجهل** فقد عرفت اقسامه و حقائقها **والمقصود اثبات العداوة للجاهل مع مایجهله** بالمعنیین المذکورین للجهل **وبیانه** هو ان ّ القوّة الوهمیّة غیر مدرکة للامور المعقولة بل **انّما تدرك المحسوسات** وتوافق الحسّ و تتبعه فی احکامه من[1] المحسوسات حقّه[2] و یصدّقها العقل فیها ولمطابقتها العقل کانت الهندسیّات وما یجری مجراها سدیدة الوضوح لا یکاد یقع فیها اختلاف فی الآراء اذ[3] لا یعارض العقل فی شیء منها **وامّا المعقولات الصّرفة فهی** منکرة لها ومکذّبة بها لقصورها عن ادراکها ، ولذلك کانت احکامها فیها کاذبة یکذّبها العقل فیها کحکمها بانّ کلّ موجود فلابدّ وان[4] یکون فی جهة لما[5] انّ کلّ محسوس کذلك فکذّب العقل ذلك بما انّ بعض الموجودات لیس کذلك کالباری تعالی[6] **فاذا**[7] **عرفت** انّ هذه القوّة لاحظّ لها فی ادراك المعقولات الصّرفة وانّها منکرة لها ومائلة بمقتضی طبعها وفطرتها الی الامور المحسوسة **فنقول : انّ الجاهل بالشّیء ان کان جهله به بسیطاً** کان السّبب فی بغضه له ومقابلته بالانکار قصور قوّته العاقلة عن ادراکه ومطاوعتها للقوّة الوهمیّة الّتی هی بمقتضی جبلّتها منکرة له وغیر قابلة للتّصدیق به الّا فی صورة محسوس[8]، **وان کان مرکّباً** کان السّبب فی ذلك البغض والنّفار هو مساعدة القوّة

← «الناس اعداء ماجهلوا» وقال شارح هذا الکتاب الحاضر فی شرح العبارة فی شرح نهج البلاغة ما نصه (ص ٦٠٣ من الطبعة الاولی):

« الجهل بالشیء مستلزم لعدم تصور منفعة العلم به فیحصل الجاهل من ذلك علی اعتقاد انه لافائدة فی تعلمه فیستلزم ذلك مجانبته له ثم یتأکد تلك المجانبة والبعد بکون العلم اشرف فضیلة یفخر بها اهله علی الجهال ویکون لهم بها الحکم علیهم وانتقاصهم وحطهم عن درجة الاعتبار مع اعتقاد الجهال لکما لهم ایضاً لذلك فیشتد لذلك مجانبتهم للعلم واهله وعداوتهم لهذه الفضیلة». ٦ - ب ج : «بجمیع».

١- ب ج د : «فی». ٢- کذا فی جمیع النسخ. ٣ - ا : « و ».
٤ - ج د : « فلابد ان ». ٥ - ا : « کما ». ٦ - ب ج : « عز اسمه ».
٧ - ب ج : « و اذا ». ٨- ج د : « محسوسة ».

العاقلة للقوّة الوهميّة على الانكار لقصورها عن الاطّلاع على ذلك الامرمع زيادة اقوى وهی تکیّف النّفس بالاعتقاد الثّابت الجازم المضادّ لحصول ذلک المعقول ولذلک کانت عداوة من تلبّس بظاهر الشّريعة ممّن يدّعی التّفقّه والزّهد وليس به للمحقّقين واصحاب الانظار الدّقيقة وجمع العلوم الجليلة اشدّ واقوى من عداوة العوامّ والخالين من العقائد المضادّة للعلم حتّى ربّما أطلقوا الفتيا باباحة دمائهم وأوهموا الملوك بالاباطيل الصّادرة عن عقائدهم الفاسدة الّتى ربّما كان اكثرها متأكّداً بالحسد فی الرّتب الحاصلة عن ذلک العلم والكمال انّهم كفّار يضلّون الخلق ويفسدون فی الارض بغير الحقّ،وهؤلاء لايرجى صلاحهم ولا ينتظر فلاحهم. **وامّا الاوّلون فهم** وان عادوا ما جهلوه وأبغضوا مالم يتصوّروه فانّهم ربّما انقادوا بالتّعويد والممارسة وجذب المؤدّب الحاذق بلطافته الى سبيل الخير اذ[1] كان فطام النّفس عن رضاع لبان الوهم وان كان صعباً لكنّه ممكن بحسب التّدريج والتّعويد فقد لاح لك سرّ قوله عليه السّلام: المرء عدوّ ما جهله.

الكلمة العشرون

قوله عليه السّلام: قلب الاحمق فی فيه ولسان العاقل وراء قلبه[2].

اقول: قد سبق انّ **المراد بالقلب** فی عرف اهل العرفان النّفس ثمّ ليس المقصود

۱- ا : « اذا ».

۲- فی الباب الثالث من نهج البلاغة وهو باب الكلم القصار (انظر شرح ابن ميثم (ره) شارح هذه الكلمات على ذلک الكتاب ص ۵۸۵ من الطبعة الاولى).

« وقال عليه السلام: لسان العاقل وراء قلبه ، وقلب الاحمق وراء لسانه ، قال السيد(ره) : وهذا من المعانی العجيبة الشريفة والمراد به ان العاقل لايطلق لسانه الابعد مشاورة الروية و مؤامرة الفكرة ، والاحمق يسبق حذفات لسانه و فلتات كلامه على مراجعة فكره و مماخضة رأيه فكأن لسان العاقل تابع لقلبه وكأن قلب الاحمق تابع للسانه.

←

ههنا انّ القلب نفسه فى الفم فاذاً هو ما يقوم بالنّفس من التّصوّرات وجودها(١) فى الفم عبارة عن ظهورها فى العبارة اللّسانيّة الخارجه من الفم، وكذلك ليس المقصود من لسان العاقل هو هذه اللّحمة المخصوصة فانّا لو قلنا: انّ المراد بالقلب ايضاً اللّحمة المخصوصة لم يكن اللّسان وراء لها بل المقصود العبارة اذ يطلق عليها انّها لسان ايضاً كما يقال: اللّسان الفارسىّ مخالف للعربىّ، واليه الاشارة بقوله تعالى: واختلاف ألسنتكم والوانكم(٢) وليس المقصود هو هذا الشّكل اللّحمىّ، ثمّ ليس المقصود من الوراء ايضاً الجهة الحسّيّة فانّ النّفس لا جهة لها حتّى يتعيّن لها وراء؛ بل الجهة العقليّة ، ولا من النّفس ايضاً ذاتها بل تصوّراتها الصّادرة عن الافكار الصّادقة ؛ وحينئذ يصير تقدير الكلمة هكذا : الأسرار القائمة بنفس الاحمق وما ينبغى منه ان لا يظهره موجود فى فمه اى فى عبارته اللّسانية ، **و امّا العاقل فعبارته** بما(٣) يتكلّم به **تابعٌ لتصوّراته** العقليّة الصّادرة عن **الافكار الصّادقة** .

وامّا السّبب فى تكلّم الاحمق بالجزاف وبما لا ينبغى هو امّا عدم الفكر فى استنباط الواجب فيما يجب ان يفعل من الامور الانسانيّة اورداءة تلك الافكار لقصور استعداد

← **وروى عنه هذا الكلام بلفظ آخر و هو:**
قلب الاحمق فى فيه و لسان العاقل فى قلبه .

واقول: انه استعار لفظ الوراء فى الموضعين لما يعقل من تأخر لفظ العاقل عن رويته و من تأخر روية الاحمق وفكره فيما يقول عن بوادر مقاله من غير مراجعة لعقله **والمعنى ما اشار اليه السيد(ره) وعلى الرواية الاخرى** فأراد أن مايتصوره الاحمق هو فى فيه اى يبرز على لسانه من غير فكر واما نطق العاقل فمخزون فى عقله لا يخرج الا عن روية صادقة ، ولفظ القلب فى الاول مجاز فيما يبرز من تصوراته فى الفاظه ولفظ اللسان مجاز فى الفاظه الذهنية» .

١-ج : « ووجودها » .

٢- من آية ٢٢ سورة الروم و تمامها: «ومن آياته خلق السماوات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان فى ذلك لايات للعالمين» .

٣- ا :« لما » ج د: «مما» .

النّفس عن التّرتيب الصّحيح فهي لقصورها غير مطّلعة على قصورها بل معتقدة للكمال ومع ذلك فاذا لم يتوقّف تحريكها وفعلها على فكرٍ ولاتروٍّ كان كلّ ما يتصوّره مبذولاً مذاعاً[1] سواء كان ممّا يجوز ابداؤه اولايجوز . **وامّا العاقل** فلمّا كانت افعاله واستنباطه للواجب موقوفاً على الافكار الصّحيحة والنّظر والتّروّى لاجرم كانت اقواله المعبّر عنها بلسانه تابعةً لافكارعقله فكان لسانه وراء قلبه ؛ والله الموفّق للصّواب .

الكلمة الحادية والعشرون

قوله عليه السّلام :ظنّ العاقل كهانة .

اقول : الظّن هوالاعتقاد باحد النّقيضين فان كان مطابقاً للمعتقد كان ظنّاًصادقاً وان لم يطابقه كان كاذباً ، وصدق هذا الاعتقاد وكذبه تابعان لصحّة ترتيب الأمارات و فسادها وصدقها وكذبها ؛ فانّ ترتيب الأمارات الصّادقة ترتيباً صحيحاً على القانون الّذى يجب رعايته فى صحّةالقياس استلزم ذلك التّرتيب افاضة الظّنّ الصّادق على الذّهن وان اختلّ قيدٌ من تلك القيود لم يحصل اولم يحصل مطابقته للمعتقدوهوقابل للشّدّة والضّعف وتنتهى مراتبه فى القوّة الى الجزم وفى الضّعف الى الشّكّ ، ويستعان فى طلب قوّته بكثرة الأمارات وجمعها والنّظرفيها ، وقد يحصل هذا الاعتقاد عن كثرة التّخيّلات بسبب اليبس العارض لمزاج الرّوح الحامل للقوّة المتخيّلة فتخفّ حركتها بسبب ذلك و يقلّ ضبط النّفس لها لفساد آلتها ولكنّه يكون ظنّاً كاذباً ولا عبرة به.

وامّا الكهانة فهى ضرب من الاطّلاع على الامور الغيبيّة وقد علمت كيفيّة السّبب فى الاطّلاع عليها غيران الآثار الصّادرة عن الكاهن ضعيفة قليلة بحسب ضعف استعداده وقلّته ولذلك لاتتمكّن فى الغالب من الاخبار بشىءٍ من غير سؤالٍ بل يحتاج الى سؤال باعثٍ له على التّلقّى والاعداد لنفسه بالحركة وغيرها ممّا يدهش الحسّ و يحيّرالخيال كما حكيناه عند بيان السّبب فعندما يعتنى الوهم ويتوكّل بذلك الطّلب فكثيراً ما يعرض

١ - ا : « مبدداً لامراعى ».

للكاهن اتّصال ويكون لمح الغيب؛ تارةً بضرب من الظّنّ القوىّ، وأخرى بجنّىّ خطّاف[١] اوهاتفٍ لا يرى[٢].

واذ قدبان لك انّ الكهانة ضرب من تلقّى المغيبات

فنقول : انّ ظنّ العاقل فى اغلب احواله يكون بحسب نظره فى الأمارات الصّادقة الكثيرة فتتعوّد نفسه بالاستعداد بذلك لسرعة الانتقال من المبادئ الى المطالب، وقد يكون العاقل ذاقوّةٍ قدسيّةٍ فيكون استعداده اتمّ واقوى فيكاد يخطئ، اولا يكون ظنّه مطابقاً؛

١ـ اشارة الى قوله تعالى: «الا من خطف الخطفة ؛الاية» (سورة الصافات ؛ آية ١٠) .

٢ـ اعلم ان للشارح (ره) كلاماً نفيساً فى بيان معنى الكاهن و الساحر ذكره فى شرح نهج البلاغة فى شرح قول اميرالمومنين (ع) : «فانها تدعو الى الكهانة» فمن اراده فليراجع الكتاب (ص ١٩٥-١٩٤ من الطبعة الاولى) .

فليعلم ايضاً ان الشارح (ره) يشير بما قال هنا الى ما ذكره ابن سيناء فى اشارة من اشارات اواخر الشفاء فلا بأس بذكر كلامه وهوقوله:

« **اشارة** ـ انه قد يستعين بعض الطبائع بافعال يعرض منها للحس حيرة وللخيال وقفة فتستعد القوه المتلقية للغيب تلقياً صالحاً و قد وجه الوهم الى غرض يعينه فيتخصص بذلك قوله مثل ما يؤثر عن قوم من الاتراك انهم اذا فزعوا الى كاهنهم فى تقدمة معرفة فزع هوالى شد حثيث جداً فلا يزال يلهث فيه حتى يكاد يغشى عليه ثم ينطق بما يخيل اليه والمستمعة يضبطون ما ينطق له ضبطاً حتى نبهوا عليه تدبيراً ومثل ما يستنطق فى هذا المعنى بتأمل شيىء شفاف مرعش للبصر برجرجته او مدهش اياه بشفيفه، ومثل ما يشغل بتأمل لطخ من سواد براق، وباشياء تترقرق وباشياء تمور فان جميع ذلك مما يشغل الحس بضرب من التحير، و مما يحرك الخيال تحريكاً محيراً كأنه اجبار لاطبع، وفى حيرتهما احتيال فرصة الخلسة المذكورة ،و اكثر مايؤثر هذا ففى طباع من هو بطباعه الى الدهش اقرب وبقبول الاحاديث المختلطة اجدر كا لبله من الصبيان ، وربما اعان على ذلك الاسهاب فى كلام المختلط لمسيس الحس وكل ما فيه تحيير وتدهيش فاذا اشتد توكل الوهم بذلك الطلب لم يلبث ان يعرض ذلك الاتصال فتارة يكون لمحان الغيب ضرباً من ظن قوى ، وتارة يكون شبيهاً بخطاب من جنى اوهتاف من غائب، وتارة يكون مع تراء من شيء للبصر مكافحة حتى يشاهد صورة الغيب مشاهدة » .

كما انّ الكاهن يكاد ان لايكون تلقّيه للامور الغيبيّة صادقاً، ويختلف ذلك بحسب اختلاف الاستعدادات فى الظّانّ والكاهن فأطلق عليه السّلام لفظ الكهانة على ظنّ العاقل تجوّزاً حسناً للمشاركة فى انّ كلّ واحد منهما يتلقّى بقوّة استعداده الافاضة وان اختلفت اسباب ذلك الاستعداد، والمقصود بيان شرف ظنّ العاقل بتشبيهه بالكهانة، وتسمّى العرب مثل هذا الظّانّ ألمعيّاً؛ قال الشّاعر[1]:

الألمعىّ الّذى يظنّ بكَ الظّنّ ـــــــ كأن قد رأى وقد سمعا

والله ولىّ التّوفيق.

الكلمة الثانية والعشرون

قوله عليه السّلام: من نظر اعتبر.

اقول: هذه شرطيّة متّصلة قد اثبت عليه السّلام فيها انّ الاعتبار لازم للنّظر ولنبيّن حقيقة النّظر والاعتبار **فنقول**: **النّظر والفكر** عبارة عن حركة النّفس بالقوّة الفكريّة

---

١ ـ يريد بالشاعر الاوس بن حجر فان البيت من قصيدة له يرثى بها فضالة بن كعب ابن كلدة؛ اولها:

ايتها النفس أجملى جزعا ــــ ان الذى تحذرين قد وقعا

(الى ان قال)

ان الذى جمع السماحة ـــــ والنجدة و البر و التقى جمعا

الا لمعى الذى يظن بك ـــــ الظن كأن قدر أى وقد سمعا

(الى ان قال)

اودى فلا تنفع الاشاحة من ــــ امر لمن قد يحاول البدعا

والبيت مما استشهد به فى المختصر و المطول لاثبات ان « الذى يظن بك؛ الى آخره» وصف كاشف عن معنى الا لمعى فان معنى الا لمعى ما يستفاد من الوصف المذكور.

متوجّهة بها من المطالب متردّدة فى المعانى الحاضرة عندها طالبة مبادىء تلك المطالب الموصلة اليها حتّى يظفر بالحدّ الاوسط منها ويضعه[١] مع طر فى المطلوب احد الاوضاع المخصوصة الّتى يستلزم المطلوب فيرجع منها اليه وان كان قديطلق على غير هذا المعنى ،وامّا الاعتبار فهو مأخوذ من العبور و هو المجاوزة والتعدّى من شيء الى شيء، ولمّا كان السّالك بالنّظر متجاوزاً بقدم فكره المبادىء الى المطالب لاجرم كان معتبراً **واذا عرفت ذلك لاح لك حينئذٍ وجه الملازمة بين النّظر والاعتبار** وانّ من نظر النّظر التّام بشروطه الّصحيحة فلابدّ وان[٢] يعتبر.

فان قلت :المراد من الاعتبار ليس هو العبور بل الاتّعاظ والانزجار بدليل قوله تعالى: وانّ لكم فى الانعام لعبرةً[٣] وقوله تعالى: انّ فى ذلك لعبرةً لاولى الابصار[٤]؟

قلت : لانسلّم بل الاعتبار حقيقة فيما ذكرنا بدليل انّه يقال : اعتبر فاتّعظ فتعليل[٥] الاتّعاظ بالاعتبار والنّاظر فى كيفيّة خلقة الانعام و فى خلق السّماوات والارض عابرٌ بحركته الفكريّة فى ترتيب دليل من خلقها على وجود الّصانع وحكمته الى ذلك المطلوب الّا انّ الاتّعاظ لمّا كان من لوازم ذلك العبور حتّى اذا تقرّرت فى النّفس حقائق الاشياء وما يجب ان يقتنى فتطلبه وما ينبغى ان يترك فتجتنبه ممّا هو ضارّ لها فى امر معادها فحينئذٍ تنزجر عن متابعة هواها فيما يوجب لها العذاب الاليم و ذلك معنى اتّعاظها؛ والى ذلك اشير فى التّنزيل الالـهىّ: انّما يخشى الله من عباده العلماء[٦] الّذين لمحوا بلواحظ افكارهم عواقب الامور ونتائج المقدّمات فلازموا خشية الله تعالى وانزجروا عن متابعة الهوى لاجرم اطلق فى موضعٍ آخر لفظ العبرة والاعتبار على الاتّعاظ مجازاً من باب اطلاق اسم الملزوم

---

١ - أ : « تضعه ». ٢-ج :«فلابدان» .

٣ - صدر آيتين وهما ٦٦ سورة النحل و ٢١ سورة المؤمنين .

٤ - ذيل آيتين ؛ ١٣ سورة آل عمران و ٤٤ سورة النور .

٥ - ا ب د « فتعلل » . ٦ - من (وسط) آية ٢٨ سورة الفاطر.

علی لازمه وصار هذا المجاز لحسنه متداولاً کثیراً ما یعتبر به عن الاتّعاظ لظهور معنی الاتّعاظ فربّما التبس علی من لم یفرق بین المعنیین انّه حقیقة فی الاتّعاظ دون غیره والتّحقیق هوما ذکرناه .

وفی هذه الکلمة تنبیه علی وجوب النّظر اذ[1] کان لایحصل الاعتبار المؤدّی الی نیل المطالب العلیّة والسّعادة الابدیّة المستلزم للانزجار عن النّواهی المردیة والاتّعاظ[2] عن المطارح الشّقیّة ، ومالایتمّ الواجب الذّاتیّ الّا به کان اولی بوجوب الوجود ، والله الموفّق للصّواب .

---

١ - ب : « اذا » .　　٢ - یشبه فی بعض النسخ : «الایقاظ» .

الفصل الثانی

فی المباحث المتعلّقة بالاخلاق الرّضيّة والرّديّة والآداب المتعلّقة بها؛ وفيه اثنتان وثلاثون كلمةً.

الكلمة الاولی

قوله عليه السّلام: من عذب لسانه كثر اخوانه.

اقول: العذب الماء الطّيّب الخالص من الشّوب ويقال بحسب المجاز على كلّ لذيذ خالص من شائبة اذىً، والمراد من اللّسان ههنا الكلام كما سبقت الاشارة اليه لانّ جرم اللّسان لاينسب اليه الطّيب والعذوبة، والاخوان الاصدقاء والاعوان، والمقصود الصّريح انّ من لانت كلمته للخلق وتمرّن لسانه بالملاطفة الحسنة لهم بطيب الكلام والاستجابة منهم وتواضع لهم فانّ طباعهم تميل اليه وتشتاق الى مصاحبته ومخالطته فيكون ذلك سبباً لكثرتهم وهذه القضيّة من المجرّبات من انواع القضايا الواجب قبولها، و امّا علّة تلك الميول الطّبيعيّة فاعلم انّ الشّهوات والنّفرات الطبيعيّة للحيوان تكون بحسب تصوّر الوهم او[1] العقل للامور الموذية الضّارّة او[2] المريحة النّافعة فان تصوّر الحيوان انّ كذا موذٍ له فانّه ينبعث بسبب ذلك التّصوّر شوق طالب لدفع ذلك الضّارّ امّا بالمقاومة اوالهرب، وان تصوّر انّ ذلك نافع اولذيذ فانّه ينبعث عن ذلك الادراك شوق طالب لادراك الملائمة من ذلك النّافع اللّذيذ وقد اعلمناك ذلك كلّه و بيّنّا كيفيّة تحريك القوی وبعث بعضها لبعضٍ على اختلاف طبقاتها؛ واذا عرفت ذلك فاعلم انّ التّودّد بالملاطفة الحسنة بطيب الكلام

---

١ - ب ج: «و». ٢ - ب ج: «و».

وحلاوته ولینه قدیکون طبیعیاً فی‌الانسان‌وقدیکون‌تکلیفیاً [۱] وعلی‌التقدیرین فانّ ادراك الخلق له من صاحبه داعٍ لهم الی محبته والمیل الیه باعث لشوقهم الطّالب لادراك الملائمة فیما[۲] یتوهّم فیه او یعقل من الامور النّافعة او[۳] اللّذیذة فتنبعث[۴] ارادتهم علی السّعی فی‌مصالحه[۵] وطلب اخوّته و مصادقته، وفی‌هذه الکلمة تنبیه علی تحصیل هذا المعنی‌فانّه سبب عظیم من الاسباب الدّاعیة الی الالفة المستلزمة للمحبّة فی‌الله الّتی هی مطلوبة من من‌الشّریعة بوضع کثیرمن‌السّنن‌وبهاتکون السّعادةالدّنیاویّة والاخرویّة فانّ امرالمعاش لایتمّ الّا بمعاونة اودّاء واخوان واعوان ناصحین و ذلك امرظاهر،وکذلك‌التودّد سبب للالفة ، والالفة سبب للمحبّة ، و المحبّة سبب لاجتماع القلوب و الابدان ، وهما سببان لاستنزال‌الرّحمة بالدّعوات و انزال البرکات کما یبیّن فیما بعد ان شاءالله تعالی ، وبالجملة فکلمة الانبیاء متطابقة علی‌الامر بتحصیل المودّة بهذه الطّریق قال علیه‌السّلام: من‌لانت کلمته وجبت محبّته ، و التّنزیل الالٰهیّ ناطق به : وقولوا للنّاس حسناً [۶] ، و فی حقّ الوالدین: وقل‌لهما قولاً کریماً [۷] وقل‌لهم‌قولاً میسوراً [۸] وفی‌کلمات‌علیّ (ع): التودّد نصف العقل،واشرف‌انواع‌التودّد ماکان‌عن‌عذوبة الکلام،والاستشهادفی‌ذلك کثیروالله‌الموفّق .

الکلمة الثانیة

قوله علیه السّلام : من‌لان عوده کثفت أغصانه[۹].

اقول : العود یطلق حقیقةً علی ساق الشّجر وبحسب المجاز علی ما یشابهه فی امرٍ

۱- ب:«تکلفاً» ج : «تکلفیاً»د: «تکلیفاً» . ۲- ج د: « سما» . ۳ - ب ج :«و».
۴-ج د :« فتلتفت ». ۵- کذا ولعله : « مصاحبته ». ۶- من‌آیة ۸۳ سورة البقرة .
۷ - ذیل آیة ۲۳ سورة الاسراء. ۸- ذیل آیة۲۸سورة الاسراء و صدرها : « واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها ». ۹ - قال الشارح (ره) فی شرح نهج‌البلاغة فی شرح تلك الفقرة مانصه (انظر ص۶۰۷ من الطبعة اولی) :
« استعار لفظ العود للطبیعة وکنی‌بلینه عن التواضع،وکذلك استعار لفظ الاغصان ←

ما، وقد أطلقه عليه السّلام ههنا على الانسان ، وكذلك **اللّين** يقال بحسب الحقيقة على ماقبل الانغماز حسّاً ؛ فعبّر به عن التّواضع وكرم الاخلاق وطيبها ، و**الكثافة** تقال على كثرة الاجزاء الحسّيّة فعبّربها ههنا عن شدّة الشّوكة وكثرة الاخوان والاعوان، **وهذه القضيّة متّصلة ايضاً يحتاج فى تحقيقها الى بيان وجوه التّجوّزات المذكورة ثمّ الى بيان الملازمة بين تاليها ومقدّمها؛ امّا الاوّل** فامّا بالعود عن[1] الانسان فلانّ التّجوّز يكفى فيه أدنى ملابسة وههنا وجوه من المشاركة فى القوّة النّباتيّة والنّامية وقوّة التّغذية وفى النّموّ باستقامةٍ وغيرها، والمشاركة فى [بعض[2]] هذه الاموريوجب المشابهة فضلاً عن كلّها فكان ذلك التّجوّز اطلاقاً حسناً لاحد الانواع على نوعٍ آخر للمشابهة بينهما وهو استعارة حسنة. **وامّا باللّين عن التّواضع وطيب الاخلاق** فلانّ اللين كما انّه اذا حصل فى الجسم دلّ على وجود الرّطوبة الّتى تقبل معها الانغماز من الغامز كذلك التّواضع وطيب الاخلاق اذا حصل فى الشّخص دلّ على رطوبة سرّه و لينه بالاستعداد للرّحمة الالهيّة وقبوله للانغماز بانفعال طباعه و استجابته لمصادقة الاصدقاء ، واكرام الخلطاء ، وتأهّله لفيض العناية الالـٰهيّة بالرّغبة فى تحصيل شريف الصّفات وجميل الاحدوثات ، وتصوّر[3] اللّذّة والمنفعة فى تحصيل الاخوان وتقوية الشّوكة بهم، **وامّا بالكثافة عن ازدحام الاخوان** فظاهر فانّه لامعنى للكثافة الّا تراكم الاجزاء و ازدحامها وهوظاهرههنا، و[4] هذا بيان التّجوّز فى المفردات.

امّا بيانه فى الملازمة والتّركيب فلانّه كما انّ الشّجرة انّما تكثف وتعظم وتكثر أغصانه وتلتفّ بكثرة الاوراق عن الرّطوبة الحاصلة المنمية[5] المستعدّة للانبات كذلك

← للاعوان والاتباع وكنى بكثافتها عن اجتماعهم عليه وكثرته و قوته بهم ، والمراد ان من كانت له فضيلة التواضع ولين الجانب كثرت اعوانه واتباعه و قوى باجتماعهم عليه ».

١- ا : « على ». ٢ - ما بين القوسين زدناها تصحيحاً للعبارة. ٣ - ج : « بصور اللذة ». ٤ -ب ج: ليست الواو فيهما. ٥ - ا ج د : « المتمنة » ب : «الممتنة» فالتصحيح نظرى.

الانسان يشرّف‌وتشتدّ شوكته وتكثراخوانه واعوانه وأحبّاؤه ؛ الصّادر كلّ ذلك عن تواضعه ولين جانبه وكرم اخلاقه وطيبها فى حقّهم المعبّر عنه فى الكلمة بلين العود حتّى يتّصلوا[1] به اتّصال الاغصان و يعظم بهم عظم الشّجرة بأغصانها الملتفّة الكثيفة ، **وامّا صحّة‌الملازمة** فأمر ظاهر معلوم بالتّجربة والله ولىّ التّوفيق .

الكلمة الثالثة

قوله‌عليه‌السّلام : بشّر مال البخيل بحادثٍ اووارثٍ.

اقول : اطلاق البشارة ههنا مجاز من باب اطلاق احد الضّدّين على‌الاخر و **البخل** هو طرف التّفريط من الرّذيلتين اللّتين هما طرفان للوسط الّذى هو السّخاء و قد عرفته ، **وامّا سببه** فحكم الوهم بانّ فى بذل المال مضرّةً تلحقه فيكون ذلك سبباً لحركة القوّة الشّهويّة الى‌جمعه‌فتحرّك بسببها‌الآلات الى‌الجمع والتّحصيل وقديختلف بالشّدّة والضّعف بحسب اختلاف ذلك الادراك فيها فمن النّاس [من هو] مستعدٌّ بحسب أصل مزاجه وجبلّته لقوّة هذا التّوهّم[2] الموجب لتحريك تلك القوّة ، ومنهم من يعرض له ذلك بحسب حدوث استعداد قوّته‌الوهميّة لادراك سببه‌الوهمىّ ، **وههنا دقيقة** وهى‌انّ تخصيص مال البخيل بهذه البشارة المجازيّة المستلزمة لانذاره لايدلّ على انّ مال الجواد ليس كذلك فانّ احدالامرين المبشّر بهما لابدّ منه فى المالين وقد عرفت انّ تخصيص الشّىء بالّذكر لايدلّ على‌نفيه عمّا عداه ؛ وقدورد فى‌كلامه عليه‌السّلام بلفظٍ آخرمايعمّ البخيل وغيره فقال : لكلّ امرءٍ فى ماله شريكان ؛ الحادث و الوارث[3] لكن لابدّ من فائدةٍ يستلزمها هذا الحكم وهى الاهانة للبخيل اذكان قد استعمل لفظ التّعظيم فى الاهانة كقوله

١ـ ا ج د : « حتى‌يتصلون ». ٢ـ ا :«الوهم». ٣ـ شرحه فى‌نهج‌البلاغة هكذا (ص٦٢٠ من الطبعة‌الاولى):« نفرعن ادخارالمال بذكر الشريكين المكروهين »وهناك بدل «الحادث»:« الحوادث» .

تعالى: ذق انّك انت العزيز الكريم[١] وتبكيته لعدم بذل المال فى وجهه وتقريع له وتقرير لما يكرهه ومواجهته بما ينفّر طبعه اشدّ نفار بما الابدّ منه اذ[٢] كانت مفارقة المال عليه اشدّ من مفارقته على الجواد، ثمّ لو حمل الجواد على نفسه فى انّ هذه النّذارة واردة عليها لهوّن[٣] عنده بعض ما يجده من هذه المواجهة لما انّ المصيبة اذا عمّت هانت لاح له حينئذٍ الفرق بين الاصل والفرع بما انّ بذل المال عن الجواد يكسبه حمداً و مجداً أثيلاً فى العاجل ونعيماً وثواباً جزيلاً فى الآجل ، وهو محروم من ذلك لعدم علّة استحقاقه[٤] فيه وربّما كان ذلك سبب رشده وسبب حرصه على التّخلّق بضدّ خلقه واعداد نفسه لاقتناء اسبابه ان كان قد قضى له ذلك ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور[٥].

الكلمة الرابعة

قوله عليه السلام : النّاس بزمانهم اشبه منهم بآبائهم.

اقول: تقدير الخبر: النّاس بأهل زمانهم ؛ وانّما حذف المضاف للعلم به كما فى قوله تعالى: واسأل القرية ، اذ لا مشابهة للنّاس مع ذات الزّمان ، ثمّ ليس المراد من مشابهتهم المشابهة فى الصّور الجزئيّة او الشّخصيّة كما يقال: وجه فلان يشبه وجه فلان فانّهم بالآباء فى ذلك أشبه ؛ بل المراد أنّهم أشبه فى أفعالهم وعاداتهم وأخلاقهم وحالاتهم العارضة الغالبة. **ثمّ انّه** عليه السّلام **نبّه** بقوله « اشبه » على عدم نفى الشّبه بالآباء بالكلّيّة فانّهم وان كانوا يشبهون الاباء الّا انّهم بأهل زمانهم أشبه.

وامّا السّبب الغالب فى ذلك فاعلم انّه لمّا كان الغالب على الخلق الغفلة و الجهل البسيط وكانت النّفوس الانسانيّة قد جبلت على محبّة البدن وكثيراً ما تكون مطيعةً للقوى متّبعةً للهوى مواظبةً على اقتناء الكمالات الوهميّة ولم يكن لتلك القوى البدنيّة

١- آية ٤٩ سورة الدخان. ٢- ب: «اذا». ٣- ب ج: «ليهون عنه ».

٤- ا: «لعدم استحقاقة ». ٥- ذيل آية ٤٠ سورة النور .

كما علمت حظّ فی ادراك الامور الكلّيّة بل لاتدرك الّا الامور الحاضرة المحسوسة الجزئيّة او[1] المتعلّقة بالمحسوس وكان الغالب انّ وجود الابناء وغالب حياتهم وتصرّفاتهم فی زمان غير زمان الاباء لاجرم كانت نفوسهم اكثر انفعالاً واطوع لاخلاق زمانهم وعاداتهم وزيّهم وحالاتهم منها لعادات الآباء وحالاتهم لمكان المشاهدة للحال الحاضرة والمنادمة والاتّصال والمعاشرة والغفلة عن حال الآباء لاقلّيّة معاشرتهم ومصاحبتهم لتقضّيهم واقلّيّة وجودهم فی زمان وجود الابناء حتّى انّ انساناً لوعاشر أباً صالحاً وتأدّب بآدابه وتخلّق بأخلاقه ثمّ فقده وعاشر من له ضدّ تلك الاخلاق فانّه ربّما استنكرها فی اوّل الصّحبة ثمّ انّ نفسه بعد حين تنفعل عن تلك الاخلاق وتكتسبها لكثرة مشاهدتها وتكرّرها على قوى الحسّ وعتلة[2] النّفس بها وتحلّل الاخلاق الاولى على التّدريج فربّما انسلخ بالكلّيّة عن تلك الاخلاق الصّالحة الى التّكيّف بضدّها وبالعكس وكذلك لو كان لابيه صنعة[3] مستحسنة فی وجوده اولباس يليق بحاله من اهل زمانه وكذلك سائر العادات الّتی يعتادها ذلك الأب ويتخلّق بها ويليق بحاله فی وقته ثمّ نشأ ولده فی وقت آخر بين آخرين المنكرين للزّيّ الاوّل ومستحسنين لزيّ ثانٍ وعادةٍ قد اكتسبوها غير الاولى فانّه لايتزيّا الّا بذلك الزّيّ ولا يغيّر تلك العادة ولايتخلّق بغير تلك الاخلاق الحاضرة دون اخلاق آبائه وعاداتهم، ولوفرضنا انّه نشأ عليها وتزيّا بها مدّةً وتكلّف البقاء عليها فانّ طبعه لابدّ وان يقوده الى العادات والاخلاق الحاضرة امّا كلّها اوبعضها وليس ذلك الّا لما قلناه من من كثرة المشاهدة والاطّلاع الحسّيّ على الامور الحاضرة الّتی عليها أهل زمانه وانفعال النّفس بها وغفلتها عن الاحتراز بمراجعة العقل فی مراعاة أنفع تلك الاخلاق الماضية والحاضرة فی امر المعاش والمعاد واكتسابه[4] واعتبار أضرّ تلك العادات والحالات فيهما

---

۱ - ج :«و ». ۲-كأنه بضم العين المهملة وسكون القاف ويمكن ان يكون مقلوب ومصحف « علاقة » فيكون كالالفة بالشیء وزناً و معنى، وللعقلة ايضاً هنا معنى مناسب لانه يقال:« لفلان عقلة يعقل بها الناس؛وهی مايعقل به كالقيد اوالعقال». ۳ - ج : « صفة ».
۴- فی النسخ :«واقتنائه».

واجتنابه حتّى لوكانت لاهل زمانٍ مضى خلّة حميدة تقود الى الهدى وهى مستنكرة فى الزّمان الحاضرلم يلتفت فى ارتكابها[١] الى انكار منكريها بل ارتكبها و واظب عليها ، ولو كان لاهل زمانه عادة اوحالة تقود الى ردى تركها ؛ وان كانت مستحسنة بينهم ، واللّه ولىّ الاعانة على الالتفات الى ما يرضيه[٢] وهوالموفّق.

الكلمة الخامسة

قوله عليه السّلام : اكرم الحسب حسن الخلق[٣] .

اقول: قدعرفت انّ **الحسب** يقال بحسب الاشتراك اللّفظىّ على ما يعدّ من المآثر وعلى الكفاية من المال وما يجراه مجراه . **وامّا الخلق** فقدعرفت حدّه وهوينقسم الى طبيعىٍّ يقتضية اصل المزاج كالضّحك المفرط من أدنى معجبٍ وكالحزن والغمّ من ادنى شىءٍ يعرض والى غير طبيعىٍّ يستفاد من التّمرّن[٤] والتّعوّد ، وقديكون مبدأه بالرّويّة والفكر ثمّ يستمرّ عليه مرّةومرّة حتّى يصير ملكةً وخلقاً وعلى التّقديرين فامّا ان تكون تلك الحال داعيةً الى افعال الخير و ايثار الجميل وهو الخلق الحسن ، او الى عكسه و هو الخلق السّيّىء الرّدىّ .

اذا عرفت ذلك فاعلم انّه يحسن تأويل الكلمة على حسب مفهومى الحسب امّا على المفهوم الاوّل فاعلم انّه عليه السّلام قد وصف حسن الخلق بافضليّة كرم ما يعدّ من المكارم الّتى تؤثر عن الانسان ؛ وبرهان صدقه انّك علمت انّ اصول الفضائل الخلقيّة ثلاثة ؛ الحكمة والعفّة والشّجاعة ، ومجموعها العدالة ؛ ثمّ انّ الملكة الّتى للنّفس المسمّاة **خلقاً** هى الاصل الّذى تصدر عنه هذه الفضائل وانواعها ولاشكّ انّ الاصل اشرف

١- فى النسخ : « لم يرتكب فى التفاتها » . ٢ ـ ب ج د : « يرضينا » .

٣- شرحها الشارح (ره) فى شرحه على نهج البلاغة بقوله فى كلام له (ص ٥٨٥ من الطبعة الاولى) : « رغب فى حسن الخلق بكونه اكرم الحسب لكونه اشرف الكمالات الباقية » (الى آخر ما قال) . ٤- فى النسخ : « البدن » ويمكن ان يكون «المرن» (بفتح الميم وكسر الراء) وهو العادة .

واکرم[١] من الفرع ، **وامّا علی المفهوم الثّانی** فهو انّ حسن الخلق لمّا کان منبعاً لاصول الفضائل المذکورة کان اکرم کفایةٍ تکون اذ[٢] کان کفایة الجزء الباقی من الانسان و کان المال کفایة للجزء[٣] الحیوانیّ الفانی منه، والباقیات الصّالحات خیرٌ عند ربّک ثواباً وخیرٌ املاً[٤].

وفی‌هذه الکلمة تنبیه علی مراعاة حسن الخلق ان کان موجوداً، وعلی‌الاجتهاد فی اکتسابه ان کان مفقوداً؛ اذ بیّنّا انّه قد یکون مکتسباً وانّ اکتسابه ممکن وذلک انّه منشأ لجماع مکارم الاخلاق والفضائل الّتی هی سبب للسّعادة الباقیة، والله ولیّ الهدایة.

الکلمة السادسة

قوله علیه‌السّلام: لاظفرمع البغی.

اقول : الظّفر الفوز بالمطلوب بغلبة عدوٍّ وغیره، **والبغی** الظّلم وحقیقته انّه ضرار غیرمستحقّ للتّوصّل الی کثرة المقتنیات من حیث لاینبغی والمقصود انّ من قهر خصمه علی‌سبیل ظلمٍ لم یعدّ فی‌الحقیقة ظافراً به؛ وان کان قد یطلق ذلک بحسب‌العرف، وذلک لانّ[٥] الظّفر الحقیقیّ انّما یکون بمطلوبٍ مستحقٍّ فانّ المطلوب الغیرالمستحقّ وان حصل للطّالب الّا انّه فی قوّة المنتزع وکیف یکون ظفراً وفی مقابلته الذّمّ العاجل بألسنة الخلق اجمعین من بعد لسان الوحی : الا لعنة‌الله علی الظّالمین[٦] مع انّ ذلک قد یکون مقرّباً لاجل الظّالم لمقابلة بقائه ودفعه باجتماع همم الصّالحین کماجاء فی الاثر : الظّالم قصیرالعمر ، مع النّتیجة الکبری والطّامّة العظمی وهو حرمان الرّضوان لتحقّق الوعید الصّادق فی‌حقّه: والظّالمین‌أعدّلهم‌عذاباً الیماً[٧] والظّالمون مالهم‌من‌ولیٍّ ولانصیرٍ[٨]؛ الی‌غیر

١ـ ج د : « واکمل». ٢ـ ا : «او». ٣ـ ج د : «الجزء». ٤ـ ذیل آیة ٤٦ سورة الکهف وصدرها : «المال والبنون زینة الحیوة الدنیا». ٥ـ ج د : «ان».
٦ـ ذیل آیة ١٧ سورة هود. ٧ـ ذیل آیة ٣١ سورة‌الدهر وصدرها: «یدخل من یشاء فی رحمته» وهی آخر آیة تلک السورة. ٨ـ ذیل آیة ٨ سورة الشوری.

ذلك ممّا اشتمل عليه التّنزيل الالٰهىّ والسّنّة النّبويّة فأىّ ظفرٍ لمن القى زمام عقله بيد شهوته ؛ فقادته الى حلول(١) دارالبوار * جهنّم يصلونها وبئس القرار(٢) واىّ فوزٍ لمن أخبر أصدق القائلين بما يلقاه من عدم الولىّ والحميم؟! وتوعّده(٣) مالك يوم الدّين بما أعدّله من العذاب الاليم؟! وتطابقت على خسرانه كلمة النّبيّين؟! وانطلقت(٤) بلعنه(٥) وتوبيخه ألسنة اللّاعنين؟! نعوذ بالله من سيّئات العمل(٦) وقبح الزّلل وبه نستعين فقد علمت انّ الباغى لايسمّى ظافراً وان تصوّر بصورته، والظّالم لايعدّ فائزاً وان اتّسم بسمته، ولذلك قال عليه السّلام: ماظفر من ظفر الاثم به، والغالب بالشّرّ مغلوب، وذلك سرّ قوله عليه السّلام: لاظفر مع البغى.

الكلمة السابعة

قوله عليه السلام : لاثناء مع كبر(٧).

اقول : الثّناء الكلام الجميل، **وامّا الكبر** فهو العظمة والتّرفّع على الخلق واستحقارهم وهو لازم للظّنّ الكاذب بالنّفس فى استحقاق رتبةٍ هى غير مستحقّةٍ لها تكون(٨) لغيرها من غير ان يكذّب الانسان نفسه الأمّارة فى ذلك لقهرها القوّة العقليّة **والمقصود ههنا** نفى وقوع الكلام الجميل فى حقّ المتكبّرين وبان انّ(٩) الثّناء مع الكبر ممّالايجتمعان وصدق هذه القضيّة بيّن بعد تقديم ماسلف **ونزيده تقريراً فنقول:** انّ بين الثّناء الجميل والكبر منافاةً تقرب من منافاة الضّدّين وذلك انّ الكبر مستلزم لاستحقار الخلق بسبب

١- هذه اللفظه ليست فى ا. ٢- ذيل آية ٢٨ وتمام آية ٢٩ سورة ابراهيم وصدر الاية الاولى: «الم تر الى الذين بدلوا نعمةالله كفراً وأحلوا قومهم». ٣- ب ج: «يوعده» د: «يوعده» (بتشديد العين). ٤- كذا فى النسخ والمعنى ايضاً صحيح ومع ذلك يمكن ان يوضع موضعها «ونطقت». ٥- ب: «بلعنته». ٦- اب: «العقل» ج: «الخلق العقل» د: «الخلق» فالتصحيح قياسى. ٧- د: «الكبر». ٨- ب: «لاتكون». ٩- ب ج د: «وبيان».

اعتقاد الانفراد بالمرتبة الّتى لاتوجد للغير **وذلك الاحتقار والاستصغار مستلزم لتنفير طباع الخلق عمّن صدرعنه، امّا العقلاء** فلاستحقارهم ايّاه وأنّه لامقدار لما يتكبّر به عندهم ولا اعتداد به لخساسة (١) ادبه وسوء خلقه ونزارة حظّه من السّعادة الباقية واطّلاعهم على عدم اطّلاعه على عيب نفسه فهو وان كان مستحقراً لهم غير ناظرٍ اليهم كبراً فهو فى عيونهم أحقر ومن طباعهم أبعد؛ ومع ذلك كيف يتصوّر ثناؤهم عليه ومدحهم له، **وامّا الباقون من العوامّ وغيرهم** فانّها تميل طباعهم الى من يتواضع لهم ويقرّبهم الى نفسه بلين الكلمة والاحترام والشّفقة وبذل النّفع بالمال والجاه وغيره(٢) سيّما وكثيرٌ منهم يعتقد لعجزه عن الاطّلاع على نقصانه انّه كامل فى ذاته فلايسلّم انّ لأحدٍ عليه فضلاً البتّة، ومعلوم انّ المتكبّر عليهم المستحقر لشأنهم المستصغر لهم لايبذل لهم من نفسه ماذكرنا(٣) واذا(٤) كان كذلك لم يتحقّق منهم الميل اليه ؛ فلم يتصوّر منهم الثّناء عليه لعدم الموجب له ولم يصدر منهم مدح له لفقد علّة المدح فقد صدق عليه السّلام فى بيان هذا السّلب الكلّىّ، والله ولىّ التّوفيق.

الكلمة الثامنة

قوله عليه السّلام : لا برّ مع شحّ .

اقول : البرّ ههنا الاحسان وان كان قد يرادبه أيضاً الصّدق على سبيل الاشتراك اللّفظىّ، **والشّحّ** البخل مع زيادة حرصٍ، وحدّه انّه منع ماينبغى بذله عن المستحقّ مع شدّة طلب الجمع، **واذا كان كذلك فاعلم انّ المراد** من «لا برّ» انّ الاحسان مع الشّحّ

١- ج د : « لكناسة ». ٢- د: « وغيرهما ». ٣- ب : « ذكرناه »
٤- ب : « واذ ».

ممّا لايجتمعان **بيانه** انّ الاحسان بذل بعض مالايجب بذله،و بذل بعض مالايجب مع منع مايجب بذله متنافيا الاجتماع في محلّ عاقل؛لانّ من منع بذل الواجب عن[1] مستحقّه كيف يتصوّر منه بذل ماليس بواجبٍ فقد تحقّقت صحّة هذا السّلب الكلّيّ.

وفى هذه الكلمة تنبيهٌ على وجوب ترك الشّحّ اذا كان لايمكن فعل الواجب من البرّ الّا به،ومالايتمّ الواجب الّا به كان واجباً.**فان قلت:** قديكون الشّحّ ملكة طبيعيّة وحينئذٍ لايمكن زوالها فيخرج عن الوسع فيخرج عن التّكليف بتركه؟-**قلت:** انّ التّجربة شاهدة بامكان زواله لكن لادفعةً بل بالتّعويد والتّدريج ويؤيّده قوله تعالى: ومن يوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون[2]،الّذين يبخلون ويأمرون النّاس بالبخل[3]؛ذمّهم على البخل والشّحّ وعلى الامر به،ولوكان لايمكن زواله لما كان متعلّق الذّمّ والعقاب؛والله ولىّ التّوفيق.

الكلمة التاسعة

قوله عليه السّلام : لااجتناب محرّم مع حرص.

اقول : الحرص هو بذل الوسع فى طلب الامور الّتى يمكن تحصيلها وهو امر اضافيّ يختلف فى استحقاق الحمد والذّمّ به بحسب اختلاف الامر المطلوب فى الشّرف والخسّة فان كان المطلوب أمراً شريفاً كاقتناء[4] الامور الباقية والكمالات المسعدة كان الحرص عليه امراً محموداً،وان كان امراً خسيساً كاكتساب الامور الفانية واللّذّات الوهميّة المنقصة[5] كان حرصاً مذموماً،والحرص المشار اليه فى هذه الكلمة هو الحرص على

١- ليست فى ب. ٢- ذيل آية ٩ سورة الحشر و ١٦ سورة التغابن. ٣- صدر آية ٣٧ سورة النساء و ٢٤ سورة الحديد. ٤-ج د: «كاكتساب». ٥- ا: «النقصية» ولكن قال الفيومى فى المصباح المنير: «نقص نقصاً من باب قتل ذهب منه شىء بعد تمامه ونقصته يتعدى ولايتعدى هذه اللغة الفصيحة وبها جاء القرآن فى قوله ننقصها من اطرافها،وغيرمنقوص،وفى لغة ضعيفة يتعدى بالهمزة والتضعيف ولم يأت فى كلام فصيح».

اقتناء الامور الفانية من اقتناء الاموال وجمعها والازدياد بها من اىّ وجهٍ كان وعلى اىّ وجهٍ كان اعنى(١) ان لايكون مراعياً فيها قانون العقل والحرّيّة ويعلم ممّاسبق انّ الحرص المذموم مستلزمٌ لطرف الافراط من طرفى فضيلة العفّة اذ كان مستلزماً للخروج فى(٢) الطّلب الى مالاينبغى وما لايرخّص فى طلبه الشّريعة ولا العقل فيكون المطلوب من(٣) محالّ الحرمة ومواضعها واذا تحقّق الحرص المذموم فى الانسان فقد صدق عليه انّه مواقع للحرام لامحالة(٤) فهو غير مجتنب لمحرّم وبه يخرج عن العفّة وبخروجه عنها يخرج عن العدالة ويدخل فى زمرة الفجّار ولذلك كثيراً ما ذمّ عليه السّلام ارباب التّجارات فقال: التّاجر فاجر والفاجر فى النّار الّا من أخذ الحقّ وأعطى الحقّ؛ فقوله: «التّاجر فاجر» اشارة الى انّ التّاجر لايخلو فى غالب الامر من الحرص المذموم فيخرج به عن ملكة العفّة الى طرف الفجور، وقوله: «الّا من أخذ الحقّ وأعطى الحقّ» اى الخالى عنه الملازم لفضيلة الحرّيّة الّتى هى نوع من أنواع العفّة، ولمّا كان تعلّم الأحكام الشّرعيّة والتّحلّى بآداب الشّريعة كثيراً ما يصدر عن ذلك الحرص كان من الواجب ان يقدّم الانسان على السّعى فى التّجارة العلم بتلك الاحكام ليتميّز للمتّجر ماترخّص الشريعة فيه من غيره، روى انّه عليه السّلام كان يدور فى الاسواق ويقول: معاشر النّاس الفقه ثمّ المتجر، الفقه ثمّ المتجر، والله للرّبا فى هذه الامّة أخفى من دبيب النّمل على الصّفا. وقال عليه السّلام: من اتّجر بغير علمٍ ارتطم فى الرّبا ثمّ ارتطم؛ والارتطام التّوحّل، وروى عن الصّادق عليه السّلام انّه قال: من لم يتفقّه فى دينه ثمّ اتّجر تورّط فى الشّبهات، وكلّ ذلك اشارة الى انّ تعلّم الاحكام(٥) الفقهيّة والآداب الشّرعيّة مانعٌ للخلق من الحِرص المذموم كافّ(٦) لهم عن الانهماك فى الشّهوات وذلك يستلزم امتناع اجتماع اجتناب المحارم مع الحرص المذموم.

١-ا: «يعنى». ٢- ا: «عن». ٣- فى النسخ: «هى». ٤- فى النسخ: «فى محاله». ٥- ج د: «العلم بالاحكام». ٦- فى النسخ مع تخفيف الكاف.

الكلمة العاشرة

قوله عليه‌السّلام : لاراحة مع حسدٍ[۱].

اقول :الرّاحة السّكون عن الحركات المتعبة حسيّة كانت اوعقليّة ،**وامّاالحسد** فهو انبعاث القوّة الشّهويّة الى تمنّى مال الغير أو الحالة الّتى هو عليها وزوالها عن ذلك الغير وهومستلزم لحركة القوّة الغضبيّةولثبات الغضب ودوامه وزيادته بحسب زيادة حال المحسود الّتى يتعلّق بها الحسد ولذلك قيل : الحاسد مغتاظ على من لاذنب له ، وهونوع من أنواع الظّلم والجور،**واذا تصوّرت حقيقة الرّاحة والحسد فاعلم** انّ المطلوب بيان عدم اجتماعهما وذلك ظاهرٌ حينئذٍ فانّ حركة شهوة الحاسد وفكره فى كيفيّة حصول الحالة المحسود فيها وفى كيفيّة زوالها عمّن هى له المستلزمة[۲]لحركة آلات البدن فى ذلك مستلزم[۳] لعدم الرّاحة والمستلزم لعدم الشىء غير مجامع لوجوده والّا لزم اجتماع النّقيضين وهومحال .

واعلم انّ العقلاء[٤] قد اتّفقوا على انّ الحسد مع انّه رذيلة عظيمة للنّفس فهو من الاسباب العظيمة لخراب العالم اذ كان الحاسد كثيراًما تكون حركاته وسعيه فى هلاك ارباب الفضائل واهل الشّرف والاموال الّذين يقوم بوجودهم عمارة الارض اذ لايتعلّق الحسد بغيرهم من أهل الخسّة أو الفقر،ثمّ لايقصّر فى سعيه ذلك دون ان تزول تلك الحالة المحسود بها عن المحسود أو[٥] يهلك هو فى تلك الحركات الحسّيّة الفعليّة والقوليّة[٦] ولذلك قيل: حاسد النّعمة لايرضيه الّا زوالها ؛ ومادام الباعث للقوّة[۷]

۱ـ د : «الحسد». ۲ـ ب ج د : « المستلزم ». ۳ـ ا : « المستلزم ».

٤ـ د: العلماء». ٥ـ ا ج د:«و». ٦ـ ج: «والقوائية». ۷ـ ج د:«الى القوة».

الغضبيّة[١] قائماً فهي قائمة متحرّكة ومحرّكة واكثر ماتؤثّر السّعاية بين يدى الملوك لعلم السّاعى بقدرتهم على تنفيذ أغراضه ولاعتقاده انّهم أقرب الى قبول قوله من الغير لغلبة القوى الشّهويّة والغضبيّة فيهم ، وانّما كانت فيهم أقوى لتمرّنهم عليها وأكثريّة وقوعها منهم لتمكّنهم من اعطائها لمطلوباتها من المشتهيات والانتقامات فيصير جريانها منهم[٢] سريعاً ويحصل لهم من ذلك ملكات ارسال القوى الشّهويّة والغضبيّة وتصير الغفلة عن المصالح الكلّيّة ملكةً لهم ايضاً ، وكثيراًما تؤثّر السّعاية معهم لذلك الّا من لمحه[٣] الله بعين العناية منهم حتّى راض نفسه بالآداب الشّرعيّة وساسها بالتّعويد بالفضائل الخلقيّة فيراعى المصالح الكلّيّة والتّدبيرات المدنيّة فملك زمام شهوته وغضبه بكفّ عقله العملىّ وصرفه بها فاولئك ماعليهم من سبيل[٤] وقليلٌ ماهم . انّما السّبيل على الّذين يظلمون النّاس ويبغون فى الارض بغير الحقّ[٥] فيصير بغيهم سبباً لخراب الارض فيفسد الحرث والنّسل والله لايحبّ الفساد[٦] .

فقد علمت انّ الحسد من أعظم أسباب الخراب ولاح لك انّ الحاسد وان أتعب غيره فهو متعب لنفسه بتلك الحركات النّفسانيّة والبدنيّة وتوابعها من اللّوم والذّمّ العاجل والشّقاوة التّامّة فى الآجل وذلك ممّا يستلزم عدم الرّاحة المستلزم لعدم امكان اجتماع الرّاحة والحسد وذلك تحقيق لهذا السّلب الكلّىّ ، والله الموفّق.

١- ا : « العملية» . ٢- ب ج : « فيهم» . ٣- ا : «منحه» . ٤- ذيل آية ٤١ سورة الشورى . ٥- صدر آية ٤٢ سورة الشورى . ٦- مأخوذ من قوله تعالى: « واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد» (وهى آية ٢٠٥ من سورة البقرة) .

الكلمة الحادية عشر

قوله عليه السّلام: لازيارة مع زعارّةٍ.

أقول : الزّعارّة بتشديد الرّاء شكاسة[١] الخُلق، والمراد بيان انّ الزّيارة لاتحصل ولاتصدق مع شكاسة الاخلاق سواء كانت من طرفى المتزاورين أو من طرف احدهما؛ فاذاً هما أمر ان متضادّان **بيان ذلك** انّ الزّيارة الصّادقة انّما تكون بين المتؤانسين[٢] المتحابّين وقد عرفت انّ رأس أسباب الالفة والانس هوحسن الخلق الّذى يحسن معه المعاشرة فاذا كان محلّ الاخلاق الفاضلة مشغولاً باضدادها وهى الاخلاق الشّكسة[٣] وهى سبب عظيم لتنفير[٤] طباع الخلق الّذى هوسبب التّفرقة والتّباين بينهم كان ذلك سبباً لقطع الزّيارة وامتناعها منهم، **وتحقّقت حينئذٍ** انّ الزّيارة مع شكاسة الاخلاق ممّا لايجتمعان .

وفى هذه الكلمة تنبيه على وجوب ترك الزّعارّة لانّ الزّيارة لمّا كانت مأموراً بها لما انّها سبب المحبّة المطلوبة من الشّريعة ومحرّضٌ[٥] على القيام بها ومداومتها لتحصيل الوداد وكان وجود الزّيارة منافياً لوجود الزّعارّة كان وجوب الزّيارة والامر بها مستلزماً للنّهى عن ارتكاب الزّعارّة ولوجوب تركها؛ والله ولىّ التّوفيق.

الكلمة الثانية عشر

قوله عليه السّلام: لامروّة[٦] لكذوب[٧].

اقول: المروّة فضيلة للنّفس بها يكون التّرفّع والاحتشام عن مواقعة[٨] القبيح

---

١ ـ الشكاسة بمعنى الشراسة. ٢ ـ لعله «المتونسين» لان «تآنس» (من باب التفاعل) لم اجده فى كتب اللغة. ٣ ـ ب د: «الشكيسة». ٤ ـ ج د: «لتنفر». ٥ ـ ج د: «محرص» (بالصاد المهملة». ٦ ـ اصلها: «مروءة» (بالهزة). ٧ ـ ج: «للكذوب». ٨ ـ ج د: «موافقة».

حذراً من الذمّ والسبّ الصّادق، والكذب هو القول الغير المطابق لما عليه الامر فى نفسه، **والكذوب** هو متعوّد الكذب، والمقصود من هذه الكلمة بيان انّ المروّة والتعوّد للكذب ممّا لايجتمعان **وبيانه** انّ الكذب لمّا كان من الرّذائل المستقبحة اذ كان مضاداً[1] لمصلحة العالم ولأنّه قد يوقع بالمكذوب عليه اموراً مكروهةً لايكون شاعراً بها فيكون ذلك سبباً منفّراً للطبّاع وعلّة لاستقباح[2] العرف والشرع وكان التعوّد به يكسب النّفس ملكة متمكّنة من جوهرها بسببها يجترئ على التّظاهر بلزوم القبيح وعدم التّخفّى بفعله واحتمال المكافحة[3] بالذّمّ والسّبّ الصّادق وعدم تصديق الخلق له فى وجهه[4] ولذلك قيل: انّ الكذوب لايُصَدَّق ومنه المثل السّائر فى العامّة: من عرف بالصّدق جاز كذبه، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه، قال ابوعبيد: وممّا يحقّق هذا المثل حكم الله فى الشّهادة انّها مردودة من اهل الفسوق، ولعلّهم قد شهدوا بالحقّ، هذا مع مايلزم ذلك من جرأته على مقابلة النّهى الشّرعىّ وقلّة مبالاته بالوعيد فسمّى وقحاً وخسيساً لاجرم كانت المروّة منافيةً لذلك لانّ ملكة مواقعة القبيح والميل اليه مع الملكة الموجبة للاحتشام والترفّع ممّالايجتمعان؛ ولذلك قال بعض الحكماء: لو لم يترك العاقل الكذب الّا للمروّة لقد كان حقيقاً بذلك[5] فكيف وفيه المأثم والعار، وذلك يدلّ على انّ المروّة تسقط مع الكذب فكيف مع تعوّده.

واعلم انّ المروّة لمّا كانت من صفات الكمال الانسانىّ كانت ممّا يجب طلبه فكان ذلك مستلزماً للأمر بترك مالايجتمع معه وهو تعوّد الكذب وهذا مع مااتّفقت عليه كلمة النّبيّين وتطابقت عليه مقالات الحكماء الرّاسخين من قبح الكذب وذمّه ووجوب الرّدع

١- د: «مضاراً». ٢- ا: «لاستقباع». ٣- ب: «المكافى». ٤- ب ج د: «وجه». ٥- ا: «لذلك».

عنه بالعقوبة[١] وانّه مضادّ لمصلحة العالم وسبب من الاسباب الموجبة لخرابه اذ كان صاحبه قد ألقى زمام قوّته العقليّة الى حكم شهوته وغضبه فصرّفاه على مقتضى طباعهما فتارةً تميل به الشّهوة فيهيج به الحرص أو الحسد فيحمله ذلك على القول الباطل فى سلب الاموال، وتارةً يميل به الغضب فيهيج به شهوة الانتقام فيقوده ذلك الى القول الباطل الموجب لسفك الدّم بين يدى الملوك وغيرهم وقد عرفت انّه لانظام للعالم الّا بهما.

وامّا[٢] الذّمّ فقال عليه السّلام: الكذب رأس[٣] النّفاق وذلك لخروج[٤] الكاذب عن الصّدق الّذى هو صنف من اصناف الورع كما يخرج المنافق من ربقة الايمان، واشتقاق النّفاق من قولهم: نفق اليربوع اذا خرج من جحره، وقال تعالى: ومن أظلم ممّن افترى على الله كذباً[٥]، فمن أظلم ممّن كذب على الله[٦] ويوم القيامة ترى الّذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة[٧] وبالجملة فذمّ الكذب فى الكتب الالٰهيّة والسّنن الشّرعيّة وبين اهل العالم اكثر من ان يحصى؛ ولو لم يكن فيه الّا ماذكرناه لكان كافياً فى قبحه فكيف وهو من أعظم الاسباب لحرمان الخير الدّائم والنّعيم فى الآخرة اذ كان من يتعوّد الكذب ملطّخاً لنفسه بملكة تحدث عنه يحرم[٨] معها صحّة المنامات[٩] وصدق الألهامات ويسوّد لوحها[١٠] بتلك الملكة فتشتغل عن قبول الانتقاش بالحقّ والتّحلّى[١١] بالجلايا القدسيّة والاستشراق للأنوار العلويّة فأعظم به سبباً لخراب[١٢] الدّارين..! وعلّةً لحرمان السّعادتين..! نعوذ بالله من سوء الاختيار ونستجيره من عذاب النّار.

---

١ - ا: «بالمعقولية». ٢ - د: «اما». ٣ - د: «أس». ٤ - ا ج: «بخروج».
٥ - صدر آية ٢١ و ٩٣ سورة الانعام و ٦٢ سورة العنكبوت و ١٨ سورة هود. ٦ - صدر آية ٣٢ سورة الزمر. ٧ - صدر آية ٦٠ سورة الزمر. ٨ - فى النسخ: «تحرم».
٩ - ا ج د: «المقامات». ١٠ - ا: «لوجهها» ج: «اوجها» فلعل الصحيح: «مسوداً لوجهه». ١١ - ب: «بالتجلى». ١٢ - د: «لخسران».

الكلمة الثالثة عشر

قوله عليه‌السّلام: لاوفاء لملول[١].

اقول: الوفاء فضيلة نفسانيّة بها يكون حسن اتمام الامور المعاهد عليها والقيام بها والمواظبة عليها وان اشتملت على احتمال كلفة ومشقّة وتصدر[٢] عن فضائل وهى كبر النّفس والشّهامة والحياء فانّ الانسان اذا كان مقتدراً على حمل الكرامة والهوان موهلاً نفسه للامور العظام حريصاً عليها متوقّعاً[٣] للاحدوثة الجميلة يحذر من الذّمّ والسّبّ الصّادق بمواقعة القبيح لابدّ وان يكون وفيّاً؛ ويقابله الغدرمقابلة التّضادّ أو مقابلة العدم والملكة؛ فيه تردّد.

وامّا الملال فهو انصراف النّفس واعراضها عن اتمام ماهى بصدده من الافعال وله اسباب:

احدها ــ تلعّب[٤] الوهم بالقوّة المتخيّلة وتشويشه للفكرو معارضته للعقل عند التفات النّفس الى الاعمال وشروعها فيها بتحسين ملذّ أو نافع آخر بالتّخييل الكاذب هو اشرف ممّا هى بصدد تحصيله فينحلّ[٥] عزمها عن الحركة فيه أو بتهوين ذلك الفعل[٦] واعتقاد سهولته فى كلّ وقت تنشوّق[٧] فيه الآمال أو غيرذلك فينصرف عنه الى البطالة فيتبعها القوى الى التّعطيل.

وثانيها ــ ضعف الآلة وعجزها عن الحركة أو ضعف القوى المحرّكة وكلالها وعجزها عن التّحريك فينصرف عنه طلباً للراحة كما يعرض عند الافكار الكثيرة فتعتاد

---

١ ـ « للملوك ». ٢ـ ج د : «يصدر». ٣ـ ج د : « توقعاً ». ٤ـ ا: « تعلب » ج د : « باعث ». ٥ـ د : « فيختل ». ٦ ـ ب ج : « العقل ».
٧ـ ب ج د : « فتشوق ».

النّفس الوقوف عن الاعمال ويصير ذلك ملكة لها الى غير ذلك من الأسباب، **والملول** هو من حصلت لنفسه ملكة ذلك الانصراف والالتفات وكثرته لكثرة عروض اسبابه، **و اذا عرفت ذلك عرفت** انّ فضيلة الوفاء لاتوجد لنفس الملول لانّه اذا تكيّف بهذه الملكة لم يتمكّن من اتمام امرٍ فضلاً عن حسن القيام به والمواظبة عليه وكان داخلاً فى زمرة الغادرين وكان ذلك موجباً لتنفّر طباع الخلق عنه فى المعاملات حتّى انّه لوكان صاحب حرفة أوسالكاً لطريق[1] العلم لم يمكنه ان يتوصّل بشيءٍ من هذه الاسباب الى اصلاح معاشٍ أو معادٍ بل كان اسوأ حالاً من أصحاب البطالة لانّهم قد ربحوا الرّاحة عن الحركات المتعبة فى تعلّم تلك الطّرق[2] والصّنائع .

وفى هذه الكلمة تنبيه للملول على وجوب معالجة نفسه والاجتهاد فى حلّ عقدة الملال بتحصيل أضداد أسبابه والتّعويد لها والتّمرّن عليها ليمكن ان **تحصل له ملكة الوفاء** الّتى هى من الفضائل العظيمة وهى محمودة بكلّ لسانٍ ومستحسنة عندكلّ عاقلٍ ويعترف بها كلّ انسانٍ وان قلّ حظّه من الانسانيّة وتجدها موجودة فى اصناف الخلق كالرّوم والحبشة والنّوبة وكثير من اجناس[3] العبيد[4].

ويقابلها الغدر فى جميع ماذكرنا اعنى انّه مذموم بكلّ لسانٍ ينفر السّامع من ذكره ويأنف منه كثيرٌ من اجناس العبيد وشرف الشّيء يبين من خساسة ضدّه وقد أثنى الله تعالى على صاحب هذه الفضيلة فى مواضع من كتابه قال تعالى : والّذين يوفون بعهدالله ولاينقضون الميثاق[5] وقال: والموفون بعهدهم اذا عاهدوا[6] وقال تعالى فى الامر به: واوفوا بعهدالله اذا عاهدتم ولاتنقضوا الايمان بعد توكيدها[7] وقد تمدّح تعالى باثبات

١- ب ج د : « بطريق». ٢- كذا فى النسخ واظن انه: «الحرف». ٣- ج د: «اصناف». ٤- ب : «كثير من العبيد». ٥- آية ٢٠ سورة الرعد. ٦- من آية ١٧٧ سورة البقرة. ٧- صدر آية ٩١ سورة النحل.

اشدّيّته وقال: ومن أوفى بعهده من الله[1] **وبالجملة** فهى من الصّفات الكماليّة والفضائل النّفسانيّة بحظّ وافر؛ والله الموفّق.

الكلمة الرابعة عشر

قوله عليه السّلام: لا كرم أعزّ من التّقى[2].

اقول: الكرم هو انفاق المال الكثير بسهولة من النّفس فى الامور الجليلة القدر الكثيرة النّفع بمقدار ماينبغى على الوجه الّذى ينبغى؛ وهى من انواع فضيلة السّخاء، **والتّقى** فى اللّغة الخوف، وفى العرف الخاصّ هوخوف النّفس من التّدنّس بأدناس الهيئات البدنيّة والتّكيّف بالملكات الرّديّة ورفض المشتهيات البدنيّة وتباعدها وهربها منها بمقاومة الشّياطين وأبناء الجنّ السّاكنين فى القلل[3] وإلهامات المنشبّثين[4] باطراف الفطن عن ان يلحق اعلى المقامات مقاومة بمقدار معتدل كما ينبغى موافق لرسم الشّريعة غيرخارج عن الرّسوم الموضوعة للرياضة الحقيقيّة وكيفيّتها فان تعدّى الكمال نقصان، **والعزة** الجلال وعظمة الشّأن **واذا عرفت ذلك فاعلم** انّ الكرم كمايطلق حقيقةً ويراد به ماذكرنا فكذلك قديطلق مجازاً ويراد به انفاق النّفس وسمحها بالمشتهيات البدنيّة وقلّة الالتفات الى اللّذّات الحسيّة الّتى يخاف من الاشتغال بها الالتفات عن القبلة الحقيقيّة الموجب لسخط الله وما[5] اعتبرناه من القيود فى حقيقة التّقى «بسهولة منها وطيب» على

١- من آية ١١١ سورة التوبة. ٢- قريب من ذلك قوله(ع) فى باب الحكم من نهج البلاغة: «ولاعز اعز من التقوى» وقال الشارح(ره) فى شرحه (ص ٦٢٤ من الطبعة الاولى): « لان التقوى تستلزم جميع مكارم الاخلاق الجامعة لعزالدنيا والاخرة فكان عزها اكبر عزاً من غيرها». ٣- ا: «فى الفلك». ٤- ج د: «المتلثين». ٥- ا: «وقد».

سبيل الاستعارة الّتى هى اجلّ انـواع المجاز، ووجه المشابهة انّ الكريم كما يسمح بالمال الكثير ويفـارقه بسهولةٍ من نفسه فى تحصيل الامور الجليلة القدر الكثيرة النفع بمقدار ما ينبغى على الوجـه الّذى ينبغى كـذلك المتّقى من جهـة انّه متّق يسمح باللّذّات الحسّيّة والمشتهيات البدنيّة بسهولةٍ من نفسه فى تحصيل الامور الجليلة القدر الكثيرة النّفع وهى اللّذّات العالية والمشتهيات الباقية بمقدار ماينبغى وعلى الوجه الّذى ينبغى ممّا لايخالف الرّسوم الشّرعيّة والاوضاع الحقيقيّة ولهذه المشابهة الشّريفة والملاحظة اللّطيفة أطلق(ع) عن التّقى انّه كرم .

وأمّا بيان انّه اعزّ مايطلق عليه اسم الكرم وهو المقصود من هذه الكلمة فلان التّقىّ قد سمح[1] بجميع اللّذّات المستحسنة الحسّيّة وأعرض عنها فان تناول شيئاً منها فلا[يتناوله] لانّه ملذّ بل لانّه مقوّم للحياة حتّى لوقامت حياته بغير ملذّ لكان هو والملذّ على سواءٍ بالنّسبة اليه، والكريم وان سمح فبالمال الّذى هو جزئىّ من جزئيّات تلك الملذّات، وقد يكون ذلك البذل منه تحصيلاً للذّة فانية وشتّان مابين اللّذّتين وفرقان مابين الكرمين . شعر:

اذا ماظمئت الى ريقه جعلت المدامة منه بديلاً
واين المدامة من ريقه ولكن اعلّل قلباً عليلاً

فقد عرفت انّ التّقى أعزّ كرم وأجلّه وأعظم مسمّياته شأناً وارفعها مكاناً وانّ صاحبه هو المستفتح لاغلاق سبل الهدى اذا[2] اغلق عن نفسه ابواب مسالك الرّدى. اللّهمّ خذ بأزمّة قلوبنا الى اجابة داعيك حتّى لانلتفت[3] الى غيرك ولانجترىء[4] على هتك استار ابواب محارمك، فتزلّ قدمٌ بعد ثبوتها ونذوق[5] السّوء بماصددنا عن سبيلك[6]

١-ج د : «يسمح» . ٢- ب ج د : «اذ» . ٣-ا ب : «تلتفت» . ٤-ج: «تجترىء» . ٥- ا : «وتذوق» . ٦- هى مأخوذة من آية ٩٤ سورة النحل بتغيير←

ربّنا لاتزغ قلوبنا بعد اذهد يتنا وهب لنا من لدنك رحمةً انّك انت الوهّاب[1].

الـكلمة الخامسة عشر

قوله عليه السّلام: لامعقل احصن من الورع[2]

اقول **المعقل** والعقل الملجأ[3] والحرز، **والحصن** المكان الّذى يحفظ فيه الشّى، **والورع** فى اللّغة العفّة، وفى عرف العلماء عبارة عن لزوم الاعمال الجميلة الّتى فيها كمال النّفس كما بينّاه[4] قبل، **وعرفت** انّه نوع من أنواع العفّة وقد اطلق عليه السّلام لفظ المعقل[5] الّذى هو حقيقة فى الملجأ الجسمانىّ على الورع مجازاً من باب الاستعارة والتّشبيه **ووجه المناسبة** انّ الملجأ كما يتحصّن الشّخص فيه من الامور الّتى يخافها ويلجأ اليه من عذاب او هلاك يلحقه كذلك لزوم الاعمال الجميلة تلجأ اليها النّفس وتتحصّن بها فى الدّار الاولى من الذّمّ والعقاب العاجل وفى الدار الاخرى من العذاب بسعير[6] ملكات الرّذائل والهلاك الآجل، ولمّا كاد[7] لايكون بين العذاب الاوّل والثّانى نسبة لشدّة التّفاوت بينهما فى الشّدّة والضّعف عرفت حينئذٍ التّفاوت بين الحصنين والفرق بين الحرزين، وتحقّقت انّ

← يسير ونص الاية: «ولاتتخذوا ايمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بماصدد تم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم».

١- آية ٨ من سورة آل عمران. ٢- قال الشارح (ره) فى شرحه على نهج البلاغة فى شرح الفقرة (ص ٦٢٤ من الطبعة الاولى):

«واستعار له لفظ المعقل باعتبار تحصن الانسان به من عذاب الله، ولما كان عبارة عن لزوم الاعمال الجميلة فلامعقل احصن منه». ٣- ج د: «المعقل الملجأ» ولعله هو الصحيح. ٤- ب د: «بينا». ٥- ب ج: «العقل». ٦- ا ج د: «السعير». ويمكن ان تكون العبارة هكذا: «من عذاب سعير ملكات الرذائل». ٧- ج د: «كان».

الّلاجی الی غیرالورع غیرلاجٍ الی مفزع انّ ولاناجٍ من الفزع وانّه ملحوق بالعقاب[۱] مدرك باشدّ العذاب،وانّ المتحصّن بحصن-الورع لاخوف علیه اذلاملجأ من الله الّا الیه، وحقّ للعاقل ان لایلجأ الّا الی حرزٍ ینفعه و[۲] حصن یمنعه والّا لم یکن واضعاً للشّیٔ موضعه فکان[۳] ساقطاً عن درجة العقلاء ؛ والله الموفّق.

الکلمة السادسة عشر

قوله علیه‌السّلام : نفاق المرء ذلّة.

اقول : قد عرفت حقیقة النّفاق واشتقاقه من أیّ شیءٍ،**وأمّا الذّلّة** فهی‌المهانة وهی الانظلام والاستجابة لکلّ احدٍ وقد عرفت ایضاً انّها طرف التّفریط من‌العدالة **والمقصود من هذه الکلمة** بیان انّ النّفاق لازم من[٤] الذّلّة وبیان ذلك انّ المنافق لمّا کان خارجاً عن اعتقادٍ الی اعتقادٍ[٥] متنّقلا[٦] فی احوالٍ لایجوزالتّنقّل[۷] فیها دلّ ذلك علی انقهار نفسه لما یرد علیها من الامور الخیالیّة واستجابتها للوساوس الّشیطانیّة ولکلّ مایرد علیها من ذلك فیوجب تردیدها فی العقائد المتضادّة واتّباعها لهذه تارةً ولهذه[۸] تارةً وذلك معنی المهانة والذّلّة لاجرم صدق انّ نفاق المرء صادر عن ذلّه وکذا المنافق یتحقّق هذه الرّذیلة فی نفسه الّتی یخرج بها عن العدالة ویکون سبباً لحرمانه سلوك[۹] سبیل الخیر والانقیاد لاسباب السّعادة الباقیة؛انّ المنافقین فی الدّرك الاسفل من النّار[۱۰].

۱- ب : «بالعتاب». ۲-د: «او». ۳- ج د :« وکان». ٤- اج‌د: «عن». ٥- ب ج د : «اعتداد». ٦- ب : «ستنقلا» ج د : «ستنقل». ۷- ج د: «النقل» ویقال:«تنقل من مکان الی آخر ای تحول وقیل اکثر الانتقال». ۸- د : «ولذا». ۹- د: «عن سلوك». ۱۰- العبارة صدر آیة ١٤٥ من سورة‌النساء وذیلها: «ولن تجدلهم نصیراً».

وفى هذه الكلمة تجوّز حسن فى اطلاق اسم الذّلّة على سببها وهو من اقوى وجوه المجاز **وهى مستلزمة للتّنبيه** على وجوب حسم اصل هذه الرّذيلة بالسّعى والتّرفّع[1] الى الحصول على العدالة الّتى هى الوسط ليسلم الانسان من دنس هذه الرّذيلة ومايلزمها من النّفاق وغيره؛ وبالله[2] التّوفيق.

الكلمة السابعة عشر

قوله عليه السّلام: الجزع أتعب من الصّبر.

اقول: الجزع ألم نفسانىٌّ يعرض من تصوّر فقد محبوبٍ او فوت مطلوبٍ، **وامّا الصّبر** فقد عرفت انّه فضيلة للنّفس بها يكون مقاومتها لهواها لئلّاتنقاد الى مقابح[3] اللّذّات وقد عرّفناها[4] فيما قبل بانّه مقاومة النّفس لهواها؛ وهو تعريفٌ للشّىء ببعض لوازمه الخاصّة به **اذا عرفت ذلك فاعلم** انّ المقصود من هذه القضيّة بيان انّ الجزع أشدّ تعباً على النّفس من الصّبر وانت عند[5] ادنى تفطّن ومراجعة لباطنك ترى انّ ذلك امرٌ وجدانىّ ويزيدك[6] تنبيهاً على صحّة ذلك النّظر الى غايتى الجزع والصّبر فانّ الانسان لو لم يقاوم هواه ليسلم من مطاوعته على تعوّد الجزع لم يزل فى حزنٍ دائمٍ وجزعٍ غير منقضٍ وشقاءٍ[7] لامحيص عنه والمٍ دائمٍ لاأتعب من تحمّله، وان هو استشعر العادة الجميلة وهو ان يرضى بكلّ مايجده حتّى يحصّل تلك العادة ملكةً وخلقاً ويكون مقاوماً لهواه لئلّايقوده الى الحزن على مالايجدى الحزن عليه شيئاً اكثر من التّألّم لم يزل مسروراً مغبوطاً فرحاً، وكان نسبة مايعانيه من تعب الصّبر الى تعب الجزع كالقطرة بالنّسبة الى البحر ولو لم يكن التّفاوت الّا انّ تعب الجزع فى زيادة وتعب الصّبر فى نقصان[8] لكان

۱-ا ب: «والرفع». ۲- ب: «من الله». ۳- ب ج د: «قبائح». ٤- ب د: «عرفناه» ج: «عرفنا» (بلاضمير). ٥- ج د: «بعد». ٦- ج د: «ونزيدك». ۷- ج د: «وتعبٍ». ۸- ب: «النقصان».

ذلك كافياً فى تفاوت الشّدة فيها وفارقاً فى قوّة التّعب بينهما **فان توهّمت** انّ هذا الاستشعار لايتمّ او لاينتفع به فانظر الى استشعارات الخلق فى مطالبهم ومعايشهم تر عياناً فرح المتعيّشين بمعايشهم على تفاوتها وسرور المحترفين بحرفهم على تباينها؛ وتصفّح ذلك فى كلّ طبقة منهم فانّه لايخفى عليك فرح كلّ احدٍ منهم بما هو فيه، وليس ذلك الّا لقوّة استشعار كلّ قوم بحسن طريقتهم ولزومهم لها بالعادة الطّويلة، فاذا لزم طالب الفضيلة مذهبه وقوى استشعاره وطالت عادته بذلك كان اولى بالسّرور من هذه الطّبقات الّذين يخبطون فى الجهالات وأخفّهم مؤنةً وأقلّهم تعباً وأحظاهم بالنّعيم المقيم لانّه محقّ وهم مبطلون، ومتيقّن وهم ظانّون، وهو ولىّ الله وهم أعداؤه؛ الا انّ اولياء الله لاخوفٌ عليهم ولاهم يحزنون(١) واذا تبيّنت غاية الجازع والصّابر فما اظنّك بشاكٍّ فى صحّة هذه القضيّة وصدقها؛ والله ولىّ الاعانة.

الكلمة الثامنة عشر

قوله عليه السّلام: الذّلّ مع الطّمع.

اقول: قد عرفت انّ الذّلّ هو المهانة وهى انقهار النّفس واستجابتها وانفعالها عن الامور الصّادرة(٢) عليها، وامّا الطّمع فهو قوّة نزوع الشّهوة الى طلب شيءٍ مع تصوّر امكانه للطّالب، **واعلم** انّ الطّمع قد يكون محموداً وقد يكون مذموماً؛ فالمحمود هو ما كان طمعاً فى تحصيل أمرٍ باقٍ ممّا يكون كمالاً للنّفس او وسيلةً اليه؛ وعليه يحمل قوله عزّوجلّ حكايةً عن الخليل عليه السّلام: والّذى أطمع ان يغفرلى خطيئتى يوم الدّين(٣) وأمثاله، والمذموم هو ما كان طمعاً فى تحصيل ما لاينبغى من الاستكثار فى المقتنيات

١- آية ٦٢ سورة يونس. ٢- ج: «الصادة» والظاهر: عنها. ٣- آية ٨٢ سورة الشعراء.

الفـانية ومالايعود بنفع فى امر المعـاد ، والمراد ههنـا هو الطّـمع بالمعنى الثّانى، واذا كـان كذلك فلابدّ وان يكون الذّل ملازماً للطّمع واللّازم مع ملزومه فى الوجود ثمّ السّبب فى ذلك اللّزوم انّ قوّتى الغضب والشّهوة تتغالبان[١] فأىّ القوّتين كان أغلب فلابدّ وان تكون النّفس تـابعةً لهـا وحينئذٍ تنجذب القوّة خلفهـا، فاذا فرضنا انّ القوّة الشّهويّة ثارث بصاحبها وقويت فى الطّلب الى حدّ لاينبغى فلابدّ وان يكون العقل مأسوراً فى يدها، ويتبعها سائر القوى فتنقهر معها قوّته الغضبيّة وتسكن عن الحركة فيما يجب ان يتحرّك فيه، وحينئذٍ تكون المهانة المستلزمة لزوال الانفة والحميّة.

وفى هذه الكلمة تنبيه على وجوب ترك رذيلة الطّمع بترك متابعة القوّة الشّهويّة وقهرها؛ لانّ رذيلة الذّل لمّا كانت مهروباً منها[٢] مجتهداً فى تحصيل مايقابلها من الفضائل الّتى فيها كمال النّفس وكان ترك الطّمع وسيلةً الى تحصيل تلك الفضائل وجب ذلك التّرك لوجوبها؛ والله ولىّ التّوفيق.

الكلمة التاسعة عشر

قوله عليه السّلام : الحرمان مع الحرص.

اقول: الحرمان منع العطيّة، وأمّا **الحرص** فقد سبق بيانه وهما لفظـان مهملان فالقضيّة مهملـة، والمتيقّن منهـا حكم جزئىّ **وعند ذلك نقول :** لمّا كـانت الموهبـات والعطايا[٣] قد تكون دنيويّـةً وقد تكون أخرويّـةً ، وكان الحرمان نسبة تستدعى حارماً ومحروماًومحروماً منه[٤] كان الحرمان صادقاً على منع الموهبة الاخرويّة وعلى منع الموهبة الدّنيويّة؛ غير انّ الاليق بكلامه عليه السّلام حمله على منع الموهبة الأخرويّة، اذ[٥] كـان

١- ج : «متتابعتان». ٢- د : «عنها». ٣- ج د: «والعطيات». ٤- ب: «يستدعى محرماً و محروماً منه» د : «محروماً ومحروماً منه». ٥- ب ج : «اذا» د : «او».

حرمانها لازماً من لوازم الحرص المذموم لما عرفت انّ المقبل بوجهه على الانهماك فى طلب حاضر الـلّذّات منقاد بكفّ سلطان الـشّهوة الى دنىّ المشتهيات؛ مشغول الـلّوح عن الانتقاش بالآثار العلويّة ؛ غير مستعدٍّ لقبول الانوار القدسيّة ، ومن لم يستعدّ لامرٍ كان محروماً منه وهو سبب الحرمان وعلّة فوت الاحسان من غير تقصيرٍ من الفاعل ولا نقصان ؛ ما أصابك من حسنةٍ فمن الله وما أصابك من سيّئةٍ فمن نفسك[١] ؛ بمتابعة[٢] هواها وعدم الاستعداد لاحسان مولاها ، واعتبر ماقلنا [فى انّه] من لم يستعدّ لشىءٍ كان محروماً منه تجد الحريص على اقتناء أبقى الـلّذّات وهو الحرص المحمود مشغولاً بأضداد ما اشتغل به المحروم الـشّقىّ محروماً[٣] بعدم استعداده للملذّ الدّنىّ والكمال الوهمىّ البدنىّ فيصدق حينئذٍ انّ الحرمان مع الحرص فى المحرومين الحريصين من الطّرفين .

وقد تصدق هذه القضيّة فى المتعارف الظّاهر على وجهٍ آخر

وهو انّ الحرص فى طلب العطايا والمنح الدّنيويّة قد يكون مستلزماً لحرمان الطّالب ، واذا[٤] قلنا انّ القضيّة مهملة امكن حملها ايضاً على هذا المطلوب **وبيانه** انّ الحرص يستلزم اللّجاج والالحاف[٥] فى الـسّؤال ممّا ينفّر طباع المطلوب منه لما انّهما لازمان للرّذيلة المنفور منها طبعاً ويولّد الـسّأم ، والنّفرة مستلزمة للبغض المنافى للميل الى العطاء ، وحينئذٍ يصدق انّ الحرص سبب الحرمان والمعلول مع علّته فى الوجود .

وانت اذا سبح فكرك فى بحر جواهر كلامه علمت انّ ينابيع الحكم[٦] منبعثة منه ، وانّ علوم كثير العلماء جداول تأخذ[٧] عنه ، شعر :

واذا قضى فى المشكلات ترادفت حكم تريك الوحى كيف تنزّلا

١- صدر آية ٧٩ سورة النساء . ٢- ا : «فمتابعة» . ٣- ليست فى ا . ٤- ب : «واذ» .
٥- د : «والالحاح» ؛ اقول : هما بمعنى واحد . ٦- ا : «ان الحكمة» . ٧- ج د : «تؤخذ» .

الكلمة العشرون

قوله عليه‌السّلام :عبدالشّهوة أذلّ من عبدالرّقّ.

اقول : اثبات هذا الحكم ببيان امرين :

احدهما ـ انّ المنقاد لشهوته ذليل أى مهين خاضع.

والثّانى ـ انّ مهانته‌واستجابته لشهوته أشدّ من‌مهانة عبدالرّقّ‌واستجابته‌لسيّده.

امّا الاوّل فلااشكال فيه اذلامعنى لانقياده لشهوته وعبوديّته لها الّا خضوعه وامتهانه فى يدها ،والضّرورة حاكمة بانّ المنقاد للشّىء والخاضع له ممتهن فى يده.

وامّا الثّانى فواضح ايضاً ويزيده[1] وضوحاً انّ خضوع عبدالرّقّ لمولاه وتذلله له قد يكون عن كره وعدم شهوة بل بحسب الغلبة والقهر والخوف من‌الاذى وحينئذ تكون الاعمال الصّادرة عن ذلك كثيراًما تكون سجعة[2] غيرمنظومة ولاتامّة ومع‌ذلك لايخلو من مشاغبة ونفرة طبع يلحقه بحسب ملال يعرض له او بحسب شرّة فى‌طبعه بحيث لايفى بضبطها السّيّد فلايصدق معها الخضوع والامتهان والتّذلّل ،وامّا خضوع المنقاد لشهوته وامتهانها له فربّما خرج به الى حدّ لوقطع من جلده قطعة لم يحسّ بها‌حال انقياده لها؛واعتبرذلك فيمن‌غلبته[3] شهوته وحكمت عليه بالوصول الى امرأة مستحسنة ممانعة له الى غيرذلك من المشتهيات؛فتجده بحسب خضوعه لشهوته‌وانقياده لها ممعناً فى امتهان نفسه فى احكام مايصدرعنه من الافعال واتقان[4] مايتحرّك فيه من‌الاعمال من‌غيرسأم[5] ونفار ومن دون انفة اومراعاة حشمة وجاه ،ولوكان مايدعوه اليه الشّهوة أقبح الاعمال وأشنعها كبذل اللّصّ نفسه وماله فى تحصيل‌آلات السّرقة واصلاحها والخروج بها متخفّياً فى ظلام اللّيل والامكنة المخوفة والمواضع المخطرة الّتى يتيقّن غيره فيها الهلاك

---

١ ـ ج د:«نزيده». ٢ـ كذا وفى‌نسخة ج د:«منتخبة»والظاهر:سمجة. ٣ـ ج : «غلبت عليه» د : «غلب عليه». ٤ ـ ج : «وانفال» د:«وانفعال». ٥ـ ا : «تسأم».

لو سلكهـا ومع ذلك فتجده غير خائف بالنّسبة الى حكم شهوته وطاعة هواه وغافلاً عن كلّ شيءٍ سواه، وربّما وقع فى الاسر وأشفى على الهلاك مرّةً ومرّةً وقطعت يده أو رجله فلايبقى الّا ريثما يبرأ قطعه ثمّ يعود الى ماكان عليه حتّى لوقطعت آلات بدنه الّتى يتمكّن بها من السّرقة لكان فى خياله بحسب حكم شهوته انّه لو كانت له آلة يتوصّل بها الى صنعته تلك لعاودها، كلّ ذلك طاعةً لشهوته ومهانةً وخضوعاً فى يدها بحيث يجزم الانسان انّه لو كلّف عبد الرّقّ الّذى أحسن اليه المدّة الطّويلة بأقلّ تلك الاعمال وأيسرها أو فى وقتٍ لم تجر عادته بتكليفه فيه ولم يكن العبد مشتهياً لها لنفر طبعه منها ومانع[1] فى عدم قبول امره فيها، **واذا عرفت ذلك ظهر لك** انّ ذلّ[2] عبد الشّهوة اقوى من ذلّ الرّقّ بأضعافٍ وانّ من ساوى بينهما فقد فقد الانصاف وكابر عقله، وذلك مفهوم مقصده العزيز وسرّ لفظه الجزيل الوجيز، **وفيه تنبيه على وجوب قهر الشّهوة وكسرها** اذا كانت داعية[3] الى اتّباع الشّيطان والعدول عن[4] طاعة الرّحمن. وكان كثيرٌ ممّن يدّعى الشّرف والفضل ويزعم انّه كامل العقل ويسخط ويأنف ان ينسب اليه نقصان ورذيلة ويأبى ان يسلب عنه كمال وفضيلة؛ فضلاً عن ان يقال: هو رقّ لمولى منقاداً فى اسر الشّيطان متهالكاً فى طاعته وهو عن رشده غافل مذعناً ومشتغلا[5] بقبول[6] اوامر شهوته وهو لما يراد به جاهل؛ حتّى يتنبّه بهذه الاشارة اللّطيفه على انّه اذا كان انفته وعزّة نفسه ونفار طبعه من ان يقال: انّه رقّ لفلان العبد الصّالح انّما كان لما فى ذلك من الخضوع والامتهان ولما ينسب اليه من النّقصان فلِمَ ارتكب من طاعة شهوته والانقياد لها مايوجب له الامتهان التّامّ الّذى هو اشدّ والنّقصان الّلازم الّذى هو آكد، بل مايعدّه[7] للعذاب الاليم بسبب زيغه عن الصّراط المستقيم وهل ذلك الّا من جهلـه بالعواقب وقلّة عقله لما يلزمه من المصائب

١ـ ب ج د : «و بالغ». ٢ ـ ج د : «ذلة». ٣ـ فى النسخ : «داعياً».
٤ ـ د : «من». ٥ـ ب ج د : «سنفعلا». ٦ـ فى النسخ : «لقبول». ٧ـ ا ج : «يعده» (بالباء الموحدة).

فينبغى للعاقل كما يأنف ان يقال: انّه عبد لمولى ان يأنف بالطّريق الاولى من ان يقال: هورقّ الهوى فيتقهقرعن متابعة الشّيطان ليخلص من[١] اسره؛ وينقاد لآثارالرّحمن وينفعل عن امره، ومن يتّخذالشّيطان وليّاً من دون الله فقد خسرخسراناً مبيناً[٢].

الكلمة الحادية والعشرون

قوله عليه السّلام: الحاسد مغتاظ على من لاذنب له.

اقول: قد سبق بيان ماهيّة الحسد، **وامّا الغيظ** فظاهروالمقصود ههنا اثبات الغيظ للحاسد فى حال حسده على من لم يكن له ذنب معه **وبيان ذلك** انّا لمّا ذكرنا ماهيّة الحسد اعتبرنا فى ماهيّته حركة القوّة الشّهويّة وانبعاثها ثمّ انّ تلك الحركة مستلزمة لحركة القوّة الغضبيّة ودوام الغضب وثباته المسمّى حقداً بدوام الامرالمحسود بهلتصوّر الاذى الحاصل من حركة القوّة الشّهويّة فى تحصيل ما لايمكنها تحصيله من حال المحسود وحينئذٍ يظهرلك المطلوب من هذه القضيّة وهو اثبات الغيظ الّذى هوالغضب للحاسد فى حقّ المحسود **وامّا انّ غيظ الحاسد يتحقّق فيمن** لاذنب له مع المحسودفظاهر؛ اذقد يتّفق ذلك بمشاهدة الحاسد للمحسود على حالةٍ معيّنةٍ مرّة واحدة، وقد يتّفق الحسد بحسب السّماع فلاذنب حينئذٍ الّا ماهو فيه من النّعمة والحالة المحسود بها كقوله[٣]:

تعدّ ذنوبى عند قومٍ كثيرةً ولاذنب لى الّا العلى والفواضل

وكقول الامير علىّ بن مقرّبٍ فى شكايته من قومه[٤]:

١- ج د : «ليتخلص عن». ٢- ذيل آية ١١٩ سورة النساء. ٣- هوالبيت الخامس من قصيدة لابى العلاء المعرى تشتمل على واحد واربعين بيتاً (انظر سقط الزند؛ الجزء الاول؛ ص ١١٠ من النسخة المطبوعة سنة ١٢٨٦). ٤- هومن قصيدة تشتمل على اثنين وسبعين بيتاً والبيت المذكور هوالبيت العشرون من تلك القصيدة (انظر ص ٣٧٢ من ديوان الامير جمال الدين على بن مقرب العيونى الشاعر الفحل المشهور وقد طبع ديوانه ←

ولا ذنب لى الّا الحجىّ وبراعةٌ   ومجدٌ وبيتٌ فى ربيعة عال

وفى هذه الكلمة تنبيه على قبح الحسد ورداءة التّخلّق به والتّكيّف بهذا الغضب الخالى عن السّبب اذ(1) كـان الغضب الّذى ينبغى يستدعى تقديم جريمة من المغضوب عليه، امّا الغضب الخالى عن السّبب فمن باب وضع الاشياء فى غير مواضعها وذلك خروج عن مقتضى العقل ومفارقة للانسانيّة؛ وباللّه التّوفيق.

الكلمة الثانية والعشرون

قوله عليه السّلام: منع الموجود سوء الظّنّ بالمعبود.

اقول : منع الموجود اشارة الى البخل وهو منع ما ينبغى اخراجه من المال على الوجه الّذى ينبغى بحسب القـانون المراعى فى استكمـال فضيلة العفـّة، وامّا سوء الظّـنّ بالمعبود فتصوّره على الوجه الّذى لاينبغى ان يتصوّر عليه فى ذاته أو فى الحاق ذاته بصفات يجب ان ينزّه عنها، والمقصود من هذه الكلمة بيان انّ من جملة أسباب منع الموجود وعدم صرفه وفى وجهه وبذله لمستحقّه هو عدم تصوّر الخالق الرّازق على الوجه الّذى ينبغى وتصوّره كما لاينبغى الّا انّه **اطلق لفظ الملزوم** وهو سوء الظّـنّ **على لازمه** وهو منع الموجود مجازاً

← هذا سنة١٣٨٣ بمصر بتحقيق وشرح لعبد الفتاح محمد الحلو) **فليعلم ان** هذا الديوان طبع مرة اخرى قبل ذلك فى بمبئى سنة١٣١٠ الا ان فيه نقائص كثيرة فان طلبت البيت من هذه الطبعة (انظر ص٣٨١) وشرح البيت فيه هكذا «الحجى العقل، وبرع الرجل بضم الراء وفتحها اذافاق اصحابه فى العلم وغيره» ومما يحقق ماذكرناه من كون الطبعة الاولى ناقصة ان القصيدة المشار اليها بانها اثنان وسبعون بيتاً فى الطبعة الثانية لم يطبع فى الطبعة الاولى منها الاسبعة وخمسون بيتاً من دون اشارة الى انهـا تشتمل على اكثر من ذلك والتفصيل موكول الى ملاحظة الطبعتين وقراءة مقدمة الطبعة الثانية.

١- ب ج د : «اذا».

وبيان ذلك انّ الوجه الّذى ينبغى ان يعتقد هو انّ صرف المال فى وجوهه معدّ له لاستحقاق امثاله وانّ معبوده هوالجواد المطلق والكريم المطلقو[١] لاتوقّف لافاضته العالية على أمرٍ فائتٍ من جهته[٢] ولانقصان عارض لذاته بل على تمام استعداد القابل لاحسانه واستكماله باستعمال العقل فى وضع الاشياء مواضعها؛فاذا هوعدم ذلك الاعتقاد فقد استلزم ذلك عدم معرفته بالمعبود كما ينبغى ، ومن لم يعرفه على الوجه الّذى ينبغى ان يعرفه عليه لم يخل[٣] فى تصوّره له من تكيّفه[٤] بكيفيّاتٍ غيرلائقةٍ بجوده و وصفه بهيئات غيرلاحقةٍ لكمال وجوده من تشبيهه[٥] بملوك[٦] الدّنياواصحاب الأموال الّذين ينسب اليهم الاعطاء والمنع والمفاخرة بجمع الاموال و كثرتها وادّخارها ، ويتضرّرون بانتقاصها وعدمها ، وانّ من صفات هؤلاء وجارى عاداتهم جمع الاموال الّتى هى قوام مناصبهم وبها استقامة أمورهم ومنع كثيرٍ من المستحقّين وعدم الالتفات من كثيرٍ منهم الى الفقراء والمساكين وكان هذا التّشبيه سوء ظنٍّ به اذ[٧] كان اعتقاداً غيرمطابق لما عليه الامر فى نفسه[٨]، وكان مستلزماً لمتابعة النّفس الامّارة بالسّوء الحاكمة بانّ المال هوالكمال الّذى ينبغى ان يطلب ويقتنى ، وانّه ثمرة الاعمال الّتى يجب ان تجتنى؛وانّ مطلق الانفاق داعية للفقر وسبب للحاجة[٩] الى من للمال عنده حرمة ويجوّز ان لايعطى المستحقّ ولايفيض الكمال على المستعدّ له النّاشىء كلّ ذلك من عدم معرفته كما ينبغى وتصوّره على الوجه الّذى لاينبغى وكان[١٠] ذلك سبباً لمنع الموجودات الفانية وسدّاً لسبل الخيرات الباقية وصدّاً عن الصّعود الى المقامات العالية، ومن يكن الشّيطان له قريناً فساء قريناً[١١] وماذا عليهم لوآمنوا بالله واليوم الآخر[١٢] بالتّصوّرات المناسبة لمقتضى الاوامر الشّرعيّة «وأنفقوا

١- الواو فقط فى نسخة ا. ٢- د : « من وجهه». ٣- ا ب : « ولم يخل » (بواو). ٤- ج د: «تكيفه». ٥- ج د: «تشبهه». ٦- ب: «لملوك». ٧- ب: «اذا». ٨- ا: « عليه الامر نفسه ». ٩- ج د: « و سبب الحاجة ». ١٠- ج د : «فكان».

١١و١٢- ذيل آية ٣٨ و صدر آية ٣٩ سورة النساء.

ممّا رزقهم الله[1]» على وفق تلك المناسبات العقليّة « و كان الله بهم عليماً »[2] مطّلعاً على تفاوت درجاتهم ومراتب استحقاقاتهم فينزّل بقدر مايشاء[3] انّه حكيم عليم[4].

وفى هذه الكلمة اشارة الى وجوب السّعى فى تحصيل المعرفة الممكنة الّلائقة بالمعبود لتحصل بها السّلامة عن رذيلة البخل الّذى هو سبب الحرمان فى الدّارين، والله ولىّ التّوفيق.

الكلمة الثالثة والعشرون

قوله عليه السّلام: العداوة شغل القلب.

اقول : قد عرفت معنى العداوة وانّها رذيله تقابل فضيلة الصّداقة تقابل الضّدّين، **وامّا اثبات المطلوب من هذه الكلمة** وهو انّها شغل القلب مستلزمة للغضب الثّابت وقد عرفت انّ الغضب حركة للنّفس[5] يحدث منها حرارة دم القلب وغليانه شهوةً للانتقام، فاذا كان الغضب ثابتاً دائماً كان ذلك الغليان متجدّداً فى كلّ وقتٍ ولحظةٍ وذلك شغل عظيم للقلب ملفت عن سائر أشغاله الواجبة، **وان شئت فاحمل ذلك بنظرٍ آخر ادقّ من هذا النّظر على ما هو ادقّ من هذا المعنى** وذلك انّك قد علمت انّ القلب قد يعبّر به فى عرف العارفين عن القوّة العاقلة الّتى هى محلّ العلوم الكلّيّة ثمّ قد علمت انّ العداوة بغض صادق يهتمّ معه بجمع[6] الاسباب الموذية للمبغوض واذا كان كذلك كان كون العداوة شغلاً للقلب ظاهراً لانّ اهتمام النّفس بجمع اسباب الاذى للمغبوض وتحصيلها وفكرها فى كيفيّة التّحصيل وفى كيفيّة الخلاص والسّلامة من مماكرة[7] العدوّ وكيده والاحتراز عن ذلك شغل شاغل لها وملفت عن توجّهها الى المقاصد الحقّة الّتى يجب سعيها فيها ، **واذا لاح**

۱و۲- ذيل آية ۳۹ سورة النساء. ۳- مأخوذ من آية ۲۷ سورة الشورى باضافة الفاء على اولها. ٤ - ذيل آية ۱۳۹ سورة الانعام. ٥- ج د : « فى النفس ».
٦- فى النسخ : «من جميع». ۷- ا ج د : « والسلامة مماكره».

لك سرّ هذه الكلمة عرفت انـّه مستلزم للتّنبيه على ترك هذا الشّغل وذلك انّما يكون بحسم سببه المذكور فانّه رذيلـة يستلزم وجودها نفى فضيلة الصّداقة الموجبة للاتـّحاد فى الواحد الحقّ[۱] الموجب لسعادة الدّارين.

الكلمة الرابعة والعشرون

قوله عليه‌السّلام: لاحياء لحريصٍ.

اقول : قد علمت انّ الحياء هو انحصار النّفس خوف اتيان القبائح وحذراً من الذّمّ والسّبّ الصّادق ، وانّ الحرص المذموم هو بذل الوسع فى طلب الأمور الفانية كاقتناء الاموال وجمعهـا والسّعى فى تحصيل اللّذّات الحاضرة الوهميّة الّتى هى بالحقيقة دفع آلامٍ ،واذا تصوّرت هذين‌المعنيين لاح لك وجه المضادّة بينهما اذ[۲] كان باذل‌الوسع فى تحصيل ماذكرنا[۳] غيرمنفكّ عن[٤] قحةٍ وخشونه وجهٍ يتمكّن معها من المنازعات والمخاصمات والمماحكات فى البيع والشّراء وغيرهما من التّصرّفات، واذا كان كذلك لم يتحقّق فى‌حقّه حينئذٍ خوف اتيان القبائح و لم يكن عنده حذر من الـذّمّ ،ولا مبالاة بالشّتم والسّبّ؛وذلك يستلزم عدم الحياء ونفيه[٥] عن‌محلّ الحرص بالكلّيّة، ولمّا كان الحياء والحرص ممّا لايجتمعان وعلمت انّ الحياء فضيلة من‌الفضائل الّتى‌تحت العفّة وانّ العفّة جزء عظيم من اجزاء العدالة الّتى بها يكون الانسان[٦] كاملاً فى قوّتيه[۷] العمليّة والنّظريّة وجب عليك ايّها الأخ ان يكون بُعدك من الحرص بعد حرصك على لزوم فضيلة الحياء والمحافظة عليها ان كانت موجودة فيك وان لم تكن فليكن حرصك على غسل درن الحرص لتحصيلها؛ والله يوفّقنا وايّاك لما يزلف لديه؛انّه جواد كريم.

۱ـ ب : « الحى ». ۲ـ ب : «اذا». ۳ـ ب : «ذكرناه». ٤ـ ب ج د : « من ». ٥ـ ج د : «وبعثه». ٦ـ ج : «النفس». ۷ـ ا ب ج : «قوته».

الكلمة الخامسة والعشرون

قوله عليه السّلام : البخل جامع لمساوى العيوب(١).

اقول : قد عرفت ماهيّة البخل ، ومساوى العيوب مقابحها وقبل بيان المقصود نذكر **درجات البخل** وهى اربع ؛ **فالاولى** منع ماينبغى منه لمستحقّ هو غيره وهو اهون درجاته. **الثّانية** منع ماينبغى منه لمستحقّ هو نفسه وهذه اشدّ من الاولى ؛ لانّ منع نفسه الّتى هى اكرم عليه من الغير اشدّ من منع الغير اذ كان لم يسع فى تحصيل ذلك الممنوع الّا لنفسه. **الثّالثة** منع ماينبغى من غيره لمستحقّ غيره وهى اشدّ من الثّانية ؛ لانّ حبّه لما يتوهّم انّه يملكه اهون من منعه لمالايملكه لامكان تصوّرا نتفاعه بما يملكه دون مالايملكه، **الرّابعة** منع ماينبغى من غيره لمستحقّ هو نفسه وهذه اشدّ الدّرجات وصاحبها ابعد الجماعة عن الرّشح للخير ؛ لانّ هذه الدّرجة مستلزمة للثّلاث الاول مع زيادة وهى انّه منع احقّ مستحقّ عنده لأبعد الاشياء عن ملكه ؛ هذه(٢) هى الدّرجات ، فامّا اسبابها فاعلم انّ السّبب امّا فى الدّرجتين اللّتين يمنع فيهما ماله عن(٣) غيره وعن نفسه فأكثر مايكون فى الابتداء خوف الفقر والحذر من الحاجة الى من يمنع الرّزق الصّادر ذلك عن سوء الظّنّ بالمعبود كما عرفت قبل الى ان(٤) يصير ذلك بحسب التّكرّر والتّعوّد ملكةً وخلقاً وحينئذ لايبقى له مع المنع مراعاة تلك الاسباب وخطورها ببساله بل يصير ذلك المنع طبيعة ، وامّا فى الباقيتين اللّتين يمنع فيهما مال غيره عن نفسه وعن غيره فلانّه لمّا كان تكيّف بالملكة الرّديّة المذكورة وتخلّق(٥) بهاصار عند مشاهدة البذل من غيره يقدّر بحكم وهمه انّه واقع فى ذلك البذل وانّه هو الفاعل له فيلحقه حينئذ من ذلك نفرة طبيعيّة(٦) يحكم معها بقبح ذلك البذل من فاعلـه ويحبّ منه ان لايبذل ليكون موافقاً لطبعه(٧) ولايزال يسمعه التّوبيخ

١ـ لهذه الكلمة شرح للشارح (ره) فى نهج البلاغة ونورده فى آخر الكتاب ان شاءالله .

٢ـ ج د: «فهذه» . ٣ـ ا: «على» . د : «من» . ٤ـ ا: «قبل ان» . ٥ـ ا : «تحلى» .

٦ـ ج د : ا«طبعية» . ٧ـ ا : «لطبعه بطبعه» .

وینسبه الی‌تجاوز قدره الّذی یجب‌ان یقف عنده ومایشبه ذلک ممّا ینفّرطبعه منه لکیلا- یعود الی ذلک البذل ولایکثر منه **واذا عرفت ذلک فنقول** : المراد من هذه الکلمة بیان انّ رذیلة البخل مستلزمة لمقابح[۱] الرّذائل وقد عرفت انّ اجناس الرّذائل‌اربعة؛ الجهل والشّره والجبن[۲] والجور؛ونحن نبیّن انّ هذه الأربعة لازمة لرذیلة البخل موجودة فی محلّهـا ، امّا الجهل ونعنی به ههنـا المرکّب فلانّک عرفت انّ البخیل لایخلو تصوّره لمعبوده من تکییفه[۳] بکیفیّاتٍ غیر لائقة بجوده وغیرلاحقة لکمـال وجوده من تشبیهه[٤] بخلقه المنتفعین بوجود الاموال والمتضرّرین بفقدها وذلک اعتقاد غیرمطابق لما علیه‌الامر فی نفسه وهوحقیقة الجهل المرکّب،**وامّا الشّره** فقد عرفت انّه غلبة الحرص علی اقتناء الملذّات[٥] البدنیّة والانهماک فیها والخروج فی ذلک الی مالاینبغی.

ولایخفی انّ البخل‌مستلزم لغلبة الحرص‌فی‌جمع[٦] الملذّات[۷] المالیّة‌والانهماک فیها والخروج الی الحدّ المنهیّ‌عنه،**وامّا الجبن** فقد عرفت ان حقیقته الخوف ممّا لاینبغی ان یخاف منه **ولایخفی** انّ البخیل ابداً خائف من الفقر وجل من حدوث الحوادث فی ماله بحیث لاینسب مثل ذلک الخوف الی غیره وذلک خوف ممّا لاینبغی ان یخاف منه لانّ مایحافظ علیه منه لاشکّ انّه من الأمورالکائنة الفاسدة ومن خاف فیما[۸] لابدّ من کونه ورجا ان لایفسد فقد خاف ممّا لایجوز ان یخاف منه وهو عین الجبن ، **وامّا الجور** فقد عرفت انّ حقیقته التّوصّل‌الی کثرة المقتنیات من‌حیث لاینبغی‌وکما لاینبغی‌ویلزمه طلب- الزّیادة من النّافع للنّفس[۹] وطلب النّقصان منه للغیر ولایخفی انّ البخل مستلزم لذلک فانّ البخیل لغلبة حرصه وجهله یجتهد فی‌طلب‌الزّیادة من‌ایّ الوجوه[۱۰] کانت ویتوصّل الی جمع الاموال من حیث لاینبغی بحکم وهمه الکاذب انّ ذلک ممّا ینبغی.

۱- اج د : «لقبائح» . ۲- د : «والجبن والشره». ۳- ب د : «تکیفه» .
٤- ب‌د: «من‌تشبهه» . ٥-ج‌د : «اللذات» . ٦-ب: «جمیع» . ۷- ج‌د: «اللذات» .
۸- ج د: «مما». ۹- ب : «النفس» (بدون لام الجر) . ۱۰- «الوجود» .

واذا ثبت(١) انّ اصول الرّذائل الاربعة لازمة للبخل موجودة فى محلّه كان ما يلزمها من الرّذائل ايضاً كذلك فتجد الكذب الّذى هورأس النّفاق عارضاً عن الشّره اذا كان الشّره خارجاً ممّا(٢) يطلبه الى مالاينبغى على وجه لاينبغى كالاكاذيب(٣) والحيل الباطلة وغيرها وكالجرأة(٤) والتّعوّد لسلب الاموال وسفك الدّماء وهلاك الانفس(٥) النّاشئ من طبيعة الجور، وكالاعراض عمّا يجب فعله من المحافظة على الحريم والذّبّ عنهم(٦) والقصور فيما ينبغى القيام به من السّياسات وتنفيذ الاحكام الّتى(٧) يجب تنفيذها المستلزم لعظم الهمّة اللّازم ذلك للجبن المذكور وكالنّقصان البائر(٨) اللّازم للجهل الى غير ذلك من العيوب الفاحشة وبالجملة فاذا تأمّلت اصناف قبائح الرّذائل ومساوى العيوب وجدتها منبعثة(٩) عن هذه الاربع.

وينبغى ان يتنبّه من هذه الكلمة على وجوب الهرب من هذه الرّذيلة وغسل لوح النّفس عن درنها ليسلم ممّا يلزم عنها من مقابح(١٠) الرّذائل وما يصحبها من مساوى العيوب فيترشّح لاقتناء الباقيات الصّالحات فعسى ان يكون من المفلحين(١١) والله يدعو الى دار السّلام ويهدى من يشاء الى صراطٍ مستقيمٍ(١٢).

الكلمة السادسة والعشرون

قوله عليه السّلام: كثرة الوفاق نفاق وكثرة الخلاف شقاق.

اقول: الوفاق الموافقة فيما يقال من الآراء ويختار من الافعال الصّادرة عن الاغراض والارادات(١٣) الّتى قد تختلف، **وامّا النّفاق** فقد سبق بيانه **والخلاف** المخالفة فيما يقال

١- ج د: «بينت». ٢- ا ج د: «فيما». ٣- ج: «كالاكاذب». ٤- ب: «وكالجراءة». ٥- ب: «النفس». ٦- كذا فى النسخ والظاهر انه: «عنه». ٧- ب: «الذى». ٨- ا: «الثائر» ب: «الباتر» ج د: «التاثر» فالتصحيح قياسى. ٩- ا ب: «مستتبعة». ١٠- ا: «قبائح». ١١- ذيل آية ٦٧ سورة القصص. ١٢- آية ٢٥ سورة يونس. ١٣- ج د: «والارادة».

من تلك الآراء و**التّشقاق** الافتراق من شقّ العصا؛اذا قسمتها بنصفين، **وههنا حكمان؛ الاوّل** انّ كثرة الوفاق نفاق وليس المراد انّ كثرة الموافقة هونفس‌النّفاق بل المراد انّه لازم له فأطلق اسم الملزوم على لازميّة[1] كثرة الوفاق للنفاق مجازاً اذالتّقدير كثرة الوفاق لازم من‌لوازم‌النّفاق ، واظهرمن‌ذلك‌انّه حذف المضاف للعلم به‌واقام‌المضاف‌اليه مقامه، **وامّا علّة هذا الحكم** فلانّ‌الآراء مختلفة اختلافاً شديداً تكادلاتتناهی[2] بحسب‌اختلاف التّصوّرات وجودة الحدس وضعفه واستقامة التّخيّل[3] واعوجاجه الصّادرعن‌التّفاوت فی الامزجة حتی انّك تجد لكثير[4] من النّاس‌آراء يستبدّون[5] بها لاتكاد تتصوّر[6] موافقة احد لهم فيها **ثمّ ان كان لابدّ من‌الوفاق** الصّحيح الّا انّ ذلك لايكون الّا فی الاحكام الضّروريّة أو البرهانيّة وهی مع انّها اقلّيّة الوجود بالنّسبة الی الاحكام الّتی تخفی اسبابها فتكاد تسلم من اختلاف الآراء فيها ، أو[7] لايقع لها انكار أوتصوّرعلی وجه آخر ، **واذا عرفت ذلك فاعلم** انّ الّذی يكثروفاقه فی‌كلّ‌مايقال أويستشار فيه‌يستحيل أو يكون فی‌غاية البعد ان يقال : انّ تلك الموافقات منه مطابقة اعتقاده الصّادرعن النّظر فی‌الامارات الصّادقة وعن تخالف الامور وانّ ذلك هوالّذی ادّی اليه اجتهاده بل‌الّذی ينبغی ان يعتقد انّ ذلك انّما هو نفاق لخروجه[8] به عن الصّدق فی‌عدم مطابقة ظاهره لباطنه وقد علمت انّ النّفاق ذلّة[9] واستخذاء[10] نفس واستجابتها وانفعالها عن‌مقابلة المستشير والقائل وخاصّة ان يكون معظّماً فی ملكه أو علمه أو حال يوجب له الاحتشام **وهذا الحكم مستلزم للتنبيه علی وجوب الحذر عن كثرة الوفاق** فانّها من آثار رذيلة المهانة والانظلام الّتی هی طرف التّفريط من الشّجاعة اذ تبيّن لك من هذا البحث

١ـ ب : «الزمية». ٢ـ ا ب : « يكاد لايتناهی». ٣ـ ج د : « البخيل ».
٤ـ ب ج د : «للكثير». ٥ـ ا : «مستبدون». ٦ـ ا : «لايكاد يتصور». ٧ـ ج د : « و». ٨ـ ا ج د : «بخروجه». ٩ـت ج د : « لذلة » . ١٠ـ ا : « و استجذاب ».

ترتيب البرهان على ذلك وصار الترتيب «كثرة الوفاق نفاق، والنفاق ذلة» فانتج انّ كثرة الوفاق ذلة، **امّا المقدّمة الاولى** فبيّنة من بحثنا؛ **وامّا الثّانية فقد تقدّم تقريرها** وتبيّن من بيانها انّ كثرة الوفاق من لوازم النّفاق الّذى هو من لوازم المهانة ولازم-الّلازم لازم ولن يتخلّص عن ذلك الّا بمعاجلة المعالجة(١) لغسل الباطن من رذيلة المهانة لانّ معالجة هذه الامراض تستدعى حسم اسبابها اوّلاً بتعويد النّفس وتطويعها باضداد تلك الاسباب ، **وامّا الحكم الثّانى** فهو انّ كثرة الخلاف سبب للشّقاق وملزوم له واطلاق الشّقاق على لازميّة كثرة الخلاف مجاز، **وامّا برهان هذا الحكم** فلانّ الخلاف بطبيعته مثير للقوّة الغضبيّة المحرّكة الى طلب الانتقام من المتخالفين الموجب للعداوة والبغضاء وتنافر الطّباع واذا كان اصل طبيعته فما ظنّك بكثرته والخروج فيه الى مالاينبغى وايراده فيما لاينبغى وقد كنت عرفت انّ طلب الانتقام مثير للعداوات(٢) ومن لوازم العداوة التّباين والافتراق فتعلم حينئذ انّ كثرة الخلاف موجبة للشّقاق لما انّ علّة العلّة علّة ، **واعلم** انّ هذين الحكمين مستلزمان للتّنبيه على وجوب لزوم الوسط بين طرفى الافراط والتّفريط الّذى هو الشّجاعة امّا طرف الافراط فعلّته(٣) كثرة الخلاف فانّ ذلك بالحقيقة صادر عن تهوّر واقدام على ما لاينبغى الاقدام عليه، وامّا طرف التّفريط فهو علّة كثرة الوفاق الّتى هى المهانة فانّ الانسان بارتكاب الطّرف الاوّل يحصل على الشّقاق والتّباين الموجب للتّباغض المنافى للمحبّة والاتّحاد فى الله تعالى الّتى هى سبب لاستنزال(٤) رحمته وبركاته، و بارتكاب الطّرف الثّانى يحصل على الرّذيلة المذكورة وملزومها؛ وكلاهما منهىّ عنهما، **فينبغى للعاقل** ان يثبت على الوسط ويتثبّت(٥) بعرى عقله دون ان يجذبه هواه الى سلوك احد الطّرفين فيكون من الهالكين؛ والله ولىّ العصمة.

١- ا : «بالمعالجة العاجلة» ج د : «بمعالجة المعالجة». ٢-ج د: «للعداوة».
٣ - ا ج د : «فعله». ٤ - ا : «لاشتراك». ٥- فى بعض النسخ بلانقطة فيمكن ان يقرأ « يتشبث » (بالشين المعجمة).

الكلمة السابعة والعشرون

قوله عليه السّلام : البغى سائقٌ الى الحين.

اقول : البغى الظّلم ، و **الحَيْنُ** ههنا بفتح الحاء الهلاك ، **والمراد** انّ الظّلم من الاسباب المعدّة لبطلان حياة الظّالم ومقرّبٌ لهلاكه ، و **أطلق** عليه السّلام لفظ **السّائق** على الظّلم مجازاً من باب الاستعارة ، و وجه المشابهة انّ السّائق(١) كما يكون لسرعة الوصول بسيره الى المكان المقصود كذلك الظّالم يكون ظلمه سبباً لسرعة وصوله الى أجله ؛ **وامّا علّة هذا الحكم** فهو انّ الظّالم انّما ينتزع بظلمه من الخلق مايكون هممهم معلّقةً بحفظه واقتنائه ونفوسهم حريصةً على بقائه فى أيديهم وهو سبب لذّتهم ومُتعتهم(٢) ومايتوهّمون انّه ملكٌ فيكون بذلك معرّضاً نفسه لاجتماع هممهم(٣) فى اذاه واجتهادهم فى دفعه واهلاكه امّا باستعداء ظالمٍ آخر اوعادلٍ عليه وامّا بأيديهم وامّا بفزع نفوسهم الى الله تعالى وتفريغ خواطرهم واعدادها بالادعية والابتهالات لان تفاض عليها اجابة الدّعوات بانزال العقوبة العاجلة له كما عرفت كيفيّة ذلك الاستنزال وامكانه ، وحينئذٍ تكون حركة الظّالم فى ظلمه سبباً باعثاً لحركة المظلوم فى طلب الانتصار وأخذ الثّار على احد الوجوه المذكورة فكان(٤) ظلمه سبباً قائداً له الى حينه ، ولمّا كان قرب الحين منفوراً منه(٥) طبعاً للخلق وكان الظّلم سبباً سائقاً اليه **وجب عليك ايّها الاخ** ان تنظر بعين بصيرتك ماستلزمته هذه اللّفظة من التّنبيه على وجوب ترك الظّلم سيّما و قد علمت انّه من أعظم الرّذائل وأقبحها ، والله يثبّت أقدامنا فى مزالّ الاقدام ، و يطهّر نفوسنا من ادناس الاثام ، انّه ولىّ الانعام وصاحب الأيادى الجسام .

---

١ - كأن الشارح (ره) قرأ الكلمة « السابق » بالباء من مادة «س ب ق» والحال انه معتل العين من ساق « س و ق » كما هو ظاهر .
٢ - ب ج د : « و منفعتهم » .
٣ - ب : « هممهم » .
٤ - ا : «وكان» .
٥ - ب : «عنه» .

الكلمة الثامنة والعشرون

قوله عليه السّلام: أوحش الوحشة العجب.

اقول : الوحشة نفرة طبيعيّة تعرض للحيوان عن تصوّر الموذى؛ وتقابل الانس تقابل الضدّين ، **واماّ العجب** فهو ظنّ كاذب بالنّفس فى استحقاق مرتبة هى غير مستحقّة لها ، ولمّا كانت الوحشة مقولةً بالتّشكيك على ماتحتها ؛ اذ[1] كان من الوحشة ماهو أشدّ ومنهاماهوأضعف ظهرحينئذ انّ تقديرالقضيّة: «اشدّ درجاتالوحشة وأبعدها عنالانس العجب» واعلم انّ العجب نفسه[2] ليس بوحشةفيعود التّقدير الى «انّ اوحش الوحشة مسبّب عن العجب ولازم له» **فأطلق** لفظ العجب عليه مجازاً كما سبق بيان مثله ، **اذا عرفت ذلك فنقول : امّا برهان سببيّة العجب للوحشة** فلانّ المعجب بنفسه اذا اعتقد ماله علىغيره منالفضيلة فهو وانأكذب نفسه فيها فىبعضالاحوال الّا انّه كثيراًما يبعثه[3] الالتذاذ بتصوّر تلك المرتبة ولوازمها وتخيّل زينة نفسه بها وتميّزها عناغيارها[4] بسببها علىاكذابها[5] فيعبر[6] الى حدّ التّيه فيتيه ويتجبّر على غيره ويستنقص ابناء نوعه لتصوّر التّفرّد بالمرتبة الّتى لنفسه **فكان ذلك سبباً لتنفّر[7] طباع الخلق عنه ووحشته منه من وجهين :**

احدهما ــ انّا بيّنا انّ التّواضع ولين الجانب واظهار النّقص من الكمال لنفسه تقريراً للتّواضع وبسطاً من طباع الاخوان مميلٌ لطباعهم اليه وموجبٌ للالفة الموجبةللانس والمحبّة فكان التّيه والعجب وما يصحبهما من اضداد ماذكرنا موجبين للنّفرة الطّبيعيّة المستلزمة للتّباين المستلزم للوحشة والانقطاع وعدم المحبّة .

---

١ ـ ب : «اذا». ٢ ـ ا : «ان الانس وحده». ٣ ـ فى النسخ : «تشغله» فالتصحيح نظرى. ٤ ـ ج د : «على اعتبارها». ٥ ـ د : «على اكذبها». ٦ ـ ج د : «فتصير». ٧ ـ ا ب : «لتنفير».

الثّانی ــ انّ الکمال من حیث هو کمال محبوب للنّفس ومطلوب لها ثمّ انّ الانسان یکاد یخلو عن الحکم الوهمیّ فی حقّ نفسه باستحقاق کمالٍ ما لایکون لغیره او ان کان لکنّه یکون لآحاد النّاس کانسانٍ اطّلع بصفاء سریرته وارشاد الله تعالی ایّاه علی عیوب نفسه فکسر غلوّ العجب عنها، واذا کان کذلک فالمعجب اذا أعجب بنفسه وتاه علی غیره لاعتقاد المزیّة علیه لم یخل ذلک الغیر من ان یکون له مثل ذلک الاعتقاد اویکون مطّلعاً علی قبحه لعلمه بانّه عیب من العیوب الفاحشة **وعلی التّقدیرین فانّ ذلک العجب موجب للنّفار**[۱] **امّا فی حق الاوّل** فلعدم تسلیمه لما یعتقده هذا المکبر[۲] لنفسه علیه من التّفرّد بالمزیّة والکمال لانّ الکمال المعتقد هناك قد یکون عند المتکبّر علیه اشدّ وارسخ فی اعتقاده؛ وعند عدم التّسلیم والانکار للدّعوی ممّن اصرّ[۳] علیه لابدّ وان یحصل الوحشة بینهما، **وامّا فی حقّ الثّانی** فلاستنقاصه عقل المتکبّر والمعجب واطّراحه عن درجة الاعتبار وعدم تأهّله فی نظره واعداده للمعاشرة والالفة والصّداقة فهذه اسباب النّفرة الطّبیعیّة للخلق من المعجب **بقی علینا** ان نبیّن انّ الوحشة الصّادرة عن العجب أشدّ درجات الوحشة وأبعدها عن الانس **وبیان ذلک** انّ اقوی ما یتصوّر من اسباب الوحشة قد یکون علاج ما یوجبه منها سهلاً ومعاناة حسمها هیّناً؛ فانّ من أعظمها وأقواها قتل الاحبّاء والاولاد وقطع بعض الاعضاء اوالضّرب المؤلم الممرض فقلّما یکون مثل هذه الاسباب فی القوّة وایجابها للوحشة والقطیعة ومع ذلک فانّ علاج مثل هذه الوحشة یکون سهلاً امّا ببذل الاموال الکثیرة او بالرّفق واللّین او ببذل القصاص ویکون ذلک فی أقصر مدّة وأیسرها، **وامّا العجب** فانّ علاجه وحسمه قد لایمکن وان امکن فانّه یکون غایةً من[۴] العسر وبیانه انّ علاج ذلک متوقّف فی الانسان علی معرفة نفسه اوّلاً[۵] وهی درجة عظیمة قلّ الواقفون علیها واذ اعرفها فینبغی ان یعرفها بکثرة العیوب والنّقصانات المعتورة لها وهذه درجة فی غایة الصّعوبة ایضاً فانّ

---

۱ ــ ج د : «للعناد». ۲ ــ ج : «التکبر» د : «المتکبر». ۳ ــ ج د : «نظر».
٤ ــ ا : «فی». ٥ ــ ب ج : «اولی».

احصاء العيوب النّفسانيّة بالاطّلاع عليها وكسر توهّم النّفس لكمالها عسر بالكلّيّة ثمّ اذ اعرفها بكثرة العيوب [فينبغي] ان يعرف(١) انّ الفضل مقسوم بين البشر وليس يكمل منهم احد الّا بفضائل تجتمع له وكلّ من كانت فضيلته عند غيره فينبغي ان لايعجب بنفسه ولايفتخر على غيره وكلّ هذه المراتب وان كانت ممكنة في نفس الامر الّا انّها في حقّ كثير من الخلق غير ممكنة وفي حقّ الأكثر منهم عسرة التّحقّق صعبة التّناول، واذا كان كذلك الوحشة العارضة عن اسبابها دائمة قويّة عسرة العلاج لعسر علاج أسبابها فكانت أقوى وحشة وأشدّها فانّ قوّة المعلول مستفادة من قوّة علّته وحينئذ يتبيّن(٢) لك سرّ قوله «اوحش الوحشة العجب» .

وينبغي لك ايّها الاخ ان تتنبّه مما يسنح لك من سرّ هذه الكلمة على وجوب ترك العجب والاجتهاد في حسمه اذ(٣) كان سبباً عظيماً من اسباب الهلاك فرتّب في ذهنك دليلاً هكذا : العجب سبب(٤) من الاسباب المانعة من استعداد النّفس لكمالاتها المسعدة(٥) وكلّ ما كان كذلك كان واجب التّرك ينتج(٦) من الشّكل الاوّل انّ العجب واجب التّرك ، **امّا المقدّمة الاولى** فجليّة ممّا قرّرناه ، **وامّا الثّانية** فلانّ الكمال المسعد(٧) واجب الطّلب والاسباب المانعة من الاستعدادات للطّلب منافية له فكان تركها وسيلة الى تحصيل الواجب ومالايتمّ الواجب الّا به وكان مقدوراً للمكلّف كان واجباً ؛ وانت بعد ان علمت كيفيّة علاج حسمه عليم بما تصنع ؛ والله وليّ توفيقنا وبه هداية طريقنا .

---

١ ـ كذا. ٢ ـ ا ج «تبين». ٣ ـ ب ج د : «اذا». ٤ ـ ج د : «سبباً». ٥ ـ ب : «المستعدة» ج د : «المعدة». ٦ ـ ب ج : «لينتج» (بلام في اوله). ٧ ـ ب : «المستعد» ج د : «المعد».

الكلمة التاسعة والعشرون

قوله عليه‌السّلام :

اذا قدرت على عدوّك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه

اقول: المقصود من هذه‌الكلمة الحثّ على الفضيلة‌الّتى تسمّى عفواً وتسمّى فى عرف العلماء مسامحةً وهى بالحقيقة ترك بعض ما يجب بالارادة والاختيار ولاشكّ انّ هـذه الفضيلة مستلزمة لكثير مـن الاخلاق الفاضلة كالسّخاء والنّبل والسّماحة وكذلك هى مستلزمة لفضائل اخرى من‌باب الشّجاعة كالملكة المسمّاة بالحلم فانّ نفس صاحب العفو تكون مطمئنّة خالية عن الشّغوبة بحيث لايحرّكها الغضب بسهولةٍ وكاحتمال الكدّ فانّ استعمال النّفس للعفو مرّة ومرّة يدلّ على انّ لها قوّة تستعمل بها الآلات البدن فى الامور الحسنة[1] بالتّمرين‌وحسن‌العادة‌الى غير ذلك‌من‌الفضائل ، **وانّما علّقه عليه‌السّلام‌بالقدرة** لانّ ظهور فضيلة‌العفو للنّفس انّما يتحقّق بعد تحقّق القدرة بحسب اعتقاد العافى‌انّه متى شاء العقوبة كان متمكّناً منها سواء كان ذلك التّمكّن حاصلاً فى‌نفس الامر او ليس ، وامّا قبل ذلك الاعتقاد فلا يتحقّق العفو اذ لم يكن فى‌هذه تاركاً لبعض ماهو واجب له لعدم تحقّق وجوب الانتقام، وامّاالامر له بجعل‌العفو عنه شكراً للقدرة عليه‌فلانّ القدرة الّتى‌وهبهاالله‌تعالى له‌نعمة عظيمة والشّكرعلى‌النّعمة واجب وان كانت هذه القضيّة‌ليست باوّلية بل‌من‌المشهورات‌المحمودة والتّأديبات‌الصّلاحية‌الّتى‌توافقت‌عليهاالشّرائع وتطابقت عليها آراء الخلق فى اصلاح معاشهم ومعادهم ومع ذلك **فانّ للشّكر وخاصّةً للمنعم المطلق اثراً عظيماً** اذ هو من‌الاسباب القويّة فى‌اعداد القوّة العقليّة بالمداومة عليه لقبول الثار الرّحمة وتأهّلها لاستنزال[2] المطلوبات بالابتهالات وصالح‌الادعية واذاكان كذلك

---

۱ ـ ج د : «الحسية». ۲ ـ ج د : «لاشتراك».

فينبغى من العاقل اذا قدر على عدوّه ان يعلم انّ الشكر كما يكون معدّاً للنفس لقبول الخيرات المذكورة كذلك العفو فانّه مستلزم للفضائل الّتى ذكرناها وبها تحصل على الخيرات الدّائمة فلذلك أطلق عليه السّلام لفظ الشّكر عليه لمكان المناسبة فكما انّ تلك الخيرات يجب ان يجتهد فى تحصيلها بالشّكر الّذى بيّنا كيفيّة حصولها عنه كذلك يجب ان يجتهد فى تحصيل الفضائل الّتى يستلزمها العفو بالمداومة عليه مرّةً ومرّةً حتّى تظهر تلك الفضائل الّتى تلزمها عن النّفس، فان اقام العافى عفوه مقام شكر الله تعالى على اقداره على عدوّه فنعم العوض، وان جمع بينهما كان أجمع لطريق الخيرات وذلك هو المراد من قوله «فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه» اى عوضاً من الشّكر فانّ حقيقة العفو ليست نفس الشّكر؛ والله ولىّ التّوفيق.

الكلمة الثلاثون

قوله عليه السّلام: البخيل مستعجل الفقر يعيش فى الدّنيا عيش الفقراء ويحاسب فى الآخرة حساب الاغنياء.

اقول: قد عرفت حقيقة البخل وأقسام البخلاء **وقد ذكر عليه السّلام ههنا للبخيل ثلاثة أحكام:**

الاوّل ـ انّه مستعجل للفقر وبرهانه انّ الاستعجال هو طلب الشّىء الّذى لابدّ من وقوعه وذلك الطّلب امّا ان يكون طلباً ارادياً ذاتياً، او طلباً عوضيّاً عارضاً بسبب الاخلاق الرّديّة، ولمّا كان الفقر لابدّ من وقوعه للبخيل بسبب انتقال ملكه الى احد شريكيه كما قال عليه السّلام: لكلّ امرىءٍ فى ماله شريكان؛ الوارث والحوادث[1] كانت غاية ذلك عدم الانتفاع بالمال وعدم تصريفه فيما ينبغى من وجوهه، وكانت هذه الغاية حاصلةً فى حقّ البخيل فى مدّة وجوده بحسب اقتضاء اخلاقه الرّديّة لها لاجرم كان مستعجلاً للفقر.

---

١ ـ أ: «والحادث».

الحكم الثّانى ــ انّه يعيش فى‌الدّنيا عيش الفقراء ، وهذا الحكم ايضاً ظاهر ؛ فانّ مقتضى رذيلةالبخل‌التّقتير وجمع المال وضبطه وذلك مستلزم لقلّة[۱] الانفاق‌المستلزمة[۲] لسوء المطاعم ورداءة العيش وقلّته‌الّتى هى‌بالحقيقة صفات[۳] عيش الفقراء فظاهر[٤] انّ البخيل يعيش فى‌الدّنيا عيش الفقراء .

الحكم‌الثّالثـ انّه‌فى‌الاخرة‌يحاسب‌حساب‌الاغنياء،والحساب‌على[٥]ماورد‌به‌ظاهر الشّريعة ظاهر ؛ والخلاف بين المتكلّمين فى كيفيّه ايقاعه مشهور ، وفى‌نظر قوم اخرين هو إحصاءالرّذائل‌والفضائل الّلاحقةللنّفس‌من‌تعلّقها بالابدان‌وضبطهافى‌اللّوح‌المحفوظ بقلم العلم الالـهىّ ، ولمّا كانت الاغنياء هم‌الجامعين[٦] للاموال والمدّخرين[٧] لمالاينبغى ان يدّخر من الامور الجسمانيّة وكان حسابهم أشدّ وأخطر لكثرة الملكات الرّديّة اللاحقة لهم بسبب ميلهم وعشقهم لمتاع الحياة الدّنيا ورغبتها وكان البخيل أشدّهم للجمع محبّة[۸] ولمتاع الدّنيا عشقاً لاجرم كان محاسباً حساب الاغنياء .

واذا عرفت ذلك لاح لك انّ من مقاصد هذه الكلمة التّنبيه على الحذر من ارتكاب رذيلة البخل **و وجه ذلك التّنبيه** انّ مطلوب‌العاقل وغاية سعيه فى‌الدّنيا انّما هو تحصيل السّعادتين والبخل مستلزم لعدم حصول احداهما[۹] امّا فى‌الاولى فلانّ البخيل يعيش فيها عيش الفقراء فهـو فاقد لذّتها وسعادتها ، وامّا فى‌الاخرى فلانّه يحاسب فيها حساب الاغنياء ؛ ولمّا كان من لوازم حساب الاغنياء عدم خلـوّهم عن العذاب بسبب ماتمكّن[۱۰] من جواهر نفوسهم من محبّة متـاع الدّنيا وزينتها وبسبب تفريطهم وافراطهم فى‌وضع الاموال مواضعها لاجرم كان‌البخيل اكدهم استحقاقاً لذلك واشدّهم استعداداً لحصوله وبالله التّوفيق .

---

۱ ـ ج د : «لعلة» . ۲ـ ج : «المستلزم» . ۳ ـ د : «صغار» . ٤ ـ ب: «وظاهر» . ٥ ـ «على» ليست فى‌اب . ٦ ـ فى‌النسخ : «الجامعون» . ۷ ـ فى‌النسخ : «المدخرون» . ۸ ـ ب : «من‌الاموال» . ۹ ـ ابد : «احدهما . ۱۰ـ اب: «يمكن» .

الكلمة الحادية والثلاثون

قوله عليه السّلام : لسانك يقتضيك ماعوّدته[1]

اقول : الاقتضاء ههنا طلب الشيء والميل اليه **واللّسان** اللّحمة المخصوصة **وقيل بيان المقصود نذكر الفائدة من وجوده فنقول** : انّك قد علمت فيما سبق انّ الانسان الواحد لايمكنه ان يستقلّ باصطناع جميع مايحتاج اليه بل لابدّ من جمعٍ عظيمٍ ليعين بعضهم بعضاً حتّى يتمّ لكلّ واحدٍ منهم مايحتاج اليه، ومن ضرورة هذا الاجتماع الحاجة الى ان يعرّف كلّ واحد منهم صاحبه مافي ضميره من الحاجات المطلوبة له، وذلك التّعريف لابدّ فيه من طريقٍ فاقتضت العناية الالٰهيّة وضع الاٰلة المخصوصة ووضع الالفاظ المركّبة من الاصوات والحروف المتولّدة من حركات هذه اللّحمة المخصوصة على اوضاعٍ مخصوصةٍ فعرفت حينئذٍ وجه الحاجة الضّروريّة الى وجودها وهو الاعراب عمّا في النّفس من الأغراض.

واذا عرفت ذلك فنقول: لمّا كانت الالفاظ انّما وضعت بازاء مايتصوّر من المعاني الذّهنيّة التّصوّريّة والتّصديقيّة لتكون دالّة على ماوجد منها هناك وكان الغالب انّ تلك التّصوّرات والتّصديقات الّتي تقصد النّفس التّعبير عنها صادرة عن **ملكاتٍ امّا فاضلة** كالهيئات والاخلاق الفاضلة والاعتقادات الحقّة بحيث يقصد بالتّعبير عنها اصلاح امرٍ معاشيّ اومعاديّ **اوردية** كالرّاسخ من أضداد ماذكرنا بحيث يقصد بالتّعبير عنها مجرّد الاذى للغير وخبيث[2] الكلام وسخيفه والسّبّ واللّعن والغيبة وغير ذلك فاذا كانت صادرة عن ملكاتٍ فلا شكّ انّها تكون دائمة الحضور[3] في الذّهن فيكون التّعبير عنها اكثريّاً في الالفاظ وبسبب كثرة التّعبير عنها وتكرّرها في الوجود اللّسانيّ وتمرين اللّسان بالعبارة

---

١ ـ هذه الكلمة وشرحها لم تذكرا ههنا في نسختي ج د.
٢ ـ ا : «وخبث».
٣ ـ ب : «الخطور».

الدّالّة عليها يصير للّسان انفعال وتطويع لاوضاع تلك الالفاظ فيصير اسهل واخفّ فيه من سائر الالفاظ ويصير له ميل طبيعىّ[1] بحسب ذلك التعويد والتّطويع الى تلك العبارة وذلك هو الاقتضاء لما تعوّده ان خيراً فخيرٌ وان شرّاً فشرّ[2] وان كان الاقتضاء الحقيقىّ انّما هو اقتضاء النّفس لتلك التّصوّرات والتّصديقات الصّادرة عن الملكة الحاصلة لها لكن لمّا كان فى هذه الكلمة قصد الى التّنبيه على قبح الكلام القبيح والنّهى عن التّخلّق والميل الى مالاينبغى ان يتكلّم به وحسن الكلام الحسن النّافع والامر بملازمة مايحسن التّكلّم به وينبغى ، وكان هذا الحسن والقبح والامر والنّهى ممّا رسخ فى الاعتقادات وانطوت عليه الضّمائر الّا انّه ربّما غفل عنه لسببٍ ما فيحتاج الى تنبيهٍ للسّامع على ماعساه غلبه عليه هواه فيتقهقر عن التّكلّم القبيح لاجرم ذكر اقتضاء اللّسان لما تعوّد من الكلام دون غيره ؛ والله الموفّق .

الكلمة الثانية والثلاثون

قوله عليه السّلام : لاصحّة مع النّهم

اقول : النّهم افراط الشّهوة فى الطّعام وهو جزئىّ من جزئيّات الشّره اذ كان الشّره عبارة عن طرف الافراط من فضيلة القوّة البهيميّة وهى القوّة الشّهويّة وقد عرفته ، **والصّحّة العافية** والمقصود الاصلىّ ههنا هو التّنبيه على وجوب ترك رذيلة النّهم وذلك ببيان انّ الصّحّة لاتجامعه والصّحّة من أعظم المطالب وأهمّها ويجب ترك مالايجتمع معه **فامّا بيان انّ الصّحّة لاتجامع النّهم فاعلم** انّ الاطبّاء قد اتّفقوا على انّ الامتلاء من الطّعام الى حدٍّ يخرج عن الواجب فى اصلاح البدن مولّد لامراضٍ كثيرةٍ مخوفة لايخلو البدن عند الامتلاء الكثير من احدها **ولنذكر منها عدّة ممّا ذكروها احدها** الحميّات المركّبة لتعفّن[3]

---

١ ـ ب : «الميل الطبيعى» . ٢ ـ حديث نبوى معروف ضمنه كلامه. ٢ ـ ا : «لتعفين» .

اكثر من خلطٍ واحد . **وثانيها** بطلان الهضم عن كثرة التّخم . **وثالثها** الهيضة لفساد الطّعام لكثرته ورداءة كيفيّته . **ورابعها** الغثيان والقئ من جملة اسبابه ايضاً كثرة الغذاء . **وخامسها** الفواق الامتلائىّ لكثرة الطّعام وتوليده الفضلات الغليظة . **وسادسها** سدّ المنافذ للسّبب المذكور . **وسابعها** برد المعدة ورطوبتها للاستكثار من الطّعام والشّراب . **وثامنها** الرّبو وسببه خلط غليظ متولّد من الامتلاء لاحج فى العروق الضّوارب الّتى فى الرّية . **وتاسعها** عرق النّساء خلط[٢] غليظ يحدث عن الامتلاء دموىّ او بلغمىّ . **وعاشرها** صلابة المفاصل وتعقّدها للخلط الغليظ المنصبّ اليها[٣] وعسر تحلّله ، **وماذكرناه بعض من كلّ الامراض المتولّدة عن الامتلاء وادخال الطّعام على الطّعام** فهذه وامثالها وان خلاالنّهم عن احدها لم يخل عن الآخر ؛ وان خلامنه فى وقتٍ يسيرٍ لم يخل من سببه القريب ويتبعه ذلك عن قريب ، وحصوله او حصول سببه فى البدن مرض ، وكلّ ذلك منافٍ للصّحّة .

تنبيه ــ اعلم انّه يمكن ان يكون المقصود ايضاً بالصّحّة صحّة النّفس من الامراض النّفسانيّة الّتى تعرض بسبب النّهم وذلك انّ الحسّ والاستقراء دلّ على انّ **البطنة تذهب الفطنة**[٤] لتبلّد[٥] الحواسّ عن كثرة الابخرة المتصاعدة عن التّخم وكذلك دلّ على انّه يزيل الرّقّة ويورث القسوة وكلّ ذلك ممّا يسدّ على النّفس باب الخير ويلطخها[٦] بسواد الهيئات البدنيّة فيحجبها عن الاستعداد لقبول الرّحمة وذلك مرض عظيم يستحقر بالنّسبة اليه اعظم مرضٍ بدنىٍّ وهو منافٍ لصحّة النّفس **فاذاً النّهم منافٍ لمطلق الصّحّة مضادّ لانواع العافية .**

فانظر ايّها الاخ بعين الانصاف فانّك تجد من عداه بالنّسبة الى بحره جداول

---

١ ـ ا : «الغشيان» . ٢ ـ ا : «بخلط» ب : «لخلط» . ٣ ـ ا : «لها» .
٤ ـ حديث منسوب الى اميرالمؤمنين عليه السلام . ٥ ـ ب : «لتبدل» . ٦ ـ ج : « يلطحها » (بتشديد الطاء) وفى كتب اللغة : « لطخه بالمداد وغيره = لوثه ولطخه بمعناه شدد للمبالغة » .

وانهاراً بل خفافيش برزت [١] نهاراً ؛ وهل يقايس بين البحر والوشل ، واذا تأمّلت اسرار هذه الكلمة مع سائر كلامه فى هذا المعنى قد تحقّقت انّه قد اطّلع من علم الطبّ على ما لم يطّلع عليه غيره من حذّاق الاطبّاء ولمح ببصره اطواراً وراء عقول الحكماء اطّلاعاً لدنّياً من غير بحثٍ واكتساب ، او اكباب [٢] على مطالعة كتاب ؛ شعر :

لو انّ جالينوس فى طبّه ادركه كان تلميذاً

١ ـ ا : تزرق. ٢ ـ ج د : «وا كتساب اولو الالباب».

الفصل الثّالث فی المباحث المتعلّقة بالآداب والمواعظ والحکم المصلحیّة الّتی تطابقت علیها الشّرائع الالٰهیّة وصحّحتها البراهین الحکمیّة ؛ وفیه ستّ واربعون کلمة :

الکلمة الاولی

قوله علیه السّلام : اکرم النّسب حسن الادب .

أقول : النّسب هو ماینسب الیه الانسان من آبائه اوفرع لآبائه او فضیلة نفسانیّة او بدنیّة ، **وامّا الادب** فاشتقاقه من المأدب وهو دعاء النّاس الی الطّعام والمراد به ههنا مافهمته من معنی الرّیاضة فی القسم الاوّل وذلک انّک قد عرفت انّ القوّة الحیوانیّة فی الانسان الّتی هی مبدأ الادراکات والأفاعیل الجزئیّة اذا[1] لم یکن لها ملکة الانقیاد لأوامر القوّة العاقلة کانت بمنزلة بهیمة غیر مؤدّبة[2] تدعوها شهوتها تارةً وغضبها أخری بحسب بعث المتخیّلة والوهم لها لما[3] یتذکّرانه ، وبحسب ماتؤدّیه الحواسّ الظّاهرة الیها الی[4] الامور الملائمة لها فتتحرّک حرکاتٍ مختلفةً حیوانیّةً بحسب تلک الدّواعی وتصیر حاکمة علی القوّة العاقلة فی تحصیل مراداتها فتکون هی الامّارة بالسّؤ والقوّة العاقلة مؤتمرة لها ، امّا اذا ادّبتها القوّة العاقلة بمنعها عن التّخیّلات والتّوهّمات والاحساسات والافاعیل الباعثة لقوّة الشّهوة والغضب الی مالاینبغی ، وجبرتها علی مایقتضیه العقل العملیّ الی ان تصیر متمرّنةً علی طاعتها متأدّبةً فی خدمتها منقادةً لاوامرها سائرةً تحت ظلال اعلامها فذلک معنی حسن ادبها .

---

١ - ب ج : «اذ» . ٢ - ج د : «غیرموذیة» (من الایذاء) . ٣ - ب : «ولها بما» .
٤ - ج د : «ای» .

واذ اعرفت ذلک فاعلم انّ الاٰباء والاصول الکریمة وان کان الانسان یفتخر بالانتساب الیها ولکن قد عرفت انّ ذلک افتخار وهمیّ دالّ علی محبّة‌الدّار الفانیة مستلزم للشّرف بفضیلة او فضائل غیر حاصلة لمن یتشرّف بها بل فیمن سلف ممّن ینتسب الیه لایتعدّاه بل **اکرم اصل ینتسب الیه الانسان الادب** اذ کان سبب الخیر الدّائم والموصل الی نیل السّعادات الباقیة؛ وبه یکون الرّفعة والتّعظیم الحقیقیّ، وانّما خصّ الکلمة بلفظ الکرم دون شیء اٰخر لانّه ههنا فی‌معرض بیان‌النّسب والاصل، والعرب تخصّ‌الاصول والاباء المنجبة[1] بالکرم فتقول فیمن صدرت عنه افعال خیریّة وکانت له سابقة اصل فی ذلک : انّه ذو اصل کریم، وهذا فعل اٰبائه‌الکرام؛ فلاجل ذلک خصّه علیه‌السّلام ههنا بلفظ الکرم دون‌الشّرف والعزّ وغیر ذلک من‌الالفاظ ، **وانّما خصّ الادب** دون فضیلة العلم او غیرها من‌الفضائل الجلیلة لکونه اذا وقع کما ینبغی مستلزماً لسائر الفضائل ، والانتساب الیه اشهر لکونه أقرب الی طباع عامّة الخلق، فقد عرفت انّ اکرم درجات النّسب درجة حسن الادب . والله تعالی هوالموفّق لمتحلّی بحلیته ، وهوالمستعان .

الکلمة الثانیة

قوله علیه‌السّلام : بالبرّ یستعبد الحرّ

اقول : البرّ الاحسان **وامّا الحرّ** فقد عرفته والمراد به ههنا هوالخالص من وثاق الرّقّ **ویستعبد** ای یتّخذ عبداً وذلک لتحقّق معنی العبودیّة فیه عندالاحسان وهو الخضوع والتّذلّل ولانّ الغایة المطلوبة من تسلیم الثّمن فی شراء العبد انّما هو الانتفاع بخدمته وتصریفاته[2] وکذلک من أسدی الی حرّ معروفاً قد یکون انتفاعه بسببه امّا انتفاعاً عاجلاً[3] کخدمته وتصرّفاته والتّأمّر علیه ، وامّا اٰجلیّاً وهو التقرّب الی الحقّ تعالی والامتثال

---

١ ـ یقال : انجب الرجل = ولد ولداً نجیباً» . ٢ ـ ج د : «وتصرفاته» . ٣ ـ ج: «عاجلیاً» وهو الاوفق بالمقام لکونه قرینة لکلمة «آجلیاً» .

لأوامر الشّريعة وحثّها على ذلك ، وقد يكون أعمّ من الانتفاع كصدور[١] الاحسان من العناية الالٰهيّة على المستعدّين .

واما سبب ذلك الانقياد وتحقّق الاستعباد فلادراك النّافع اللّذين وانبعاث القوّة الشّهويّة الطّالبة لادراك الملائم من ذلك النّافع وتصوّر انّ ذلك الخضوع والتّذلّل ممّا يؤكّد تحقّقه اوتوقّع زيادة احسان او يكون جزاءً لذلك البرّ والاحسان او أمر أعمّ من ذلك كخضوع العارفين اطّلاعاً على عظمة الحقّ الاوّل وكبريائه **وانّما خص الحرّ ههنا بالذّكر** لانّ الحرّ الّذى يأنف من الاسترقاق ويشمئزّ من نسبته الى العبوديّة لأحد اذا كان بالبرّ يستعبد الحرّ فغيره يكون أولى بذلك وذلك من باب الايجاز الجزيل، **ويمكن ان يحمل الحرّ ههنا على صاحب فضيلة الحرّية حينئذٍ يحتمل تخصيصه بالذّكر وجهاً** آخر وهو انّ من اشتمل سرّه على فضيلة الحرّية وأسدى اليه برٌّ فانّه لابدّ وان يعترف به ويلمح انّ ذلك البرّ غير مقابلٍ منه بجزاءٍ فيذلّ ويخضع وينفعل عنه بحيث يتحقّق معنى العبوديّة فى حقّه وذلك بخلاف من ليست فيه هذه الفضيلة اذ كان قد يأخذ المال من غير وجهه فلو أسدى اليه معروف جاز ان لا يعترف له بجزاء فلايكون منه خضوعٌ ولايتحقّق فى حقّه استعبادٌ فيكون الحرّ بهذا المعنى أخصّ من الاوّل من وجهٍ وأعمّ منه من وجهٍ ، **امّا انّه اخصّ** ؛ فلانّ الحرّ بالمعنى الاوّل قد يكون له فضيلة الحرّيّة وقد لايكون، **وامّا انّه اعمّ** فلانّ من له فضيلة الحرّيّة قد يكون رقّاً وقد لايكون .

وفى هذه الكلمة تنبيه على حسن البرّ وحثّ عليه لانّه لمّا كان تعوّد[٢] البرّ ممّا يصرف عن محبّة المال ويكسر حدّة القوّة الشّهويّة فى طلبه واقتنائه ويستلزم[٣] فضيلة الكرم وكثيراً[٤] من الفضائل الّتى تحت ملكة العفّة مع مافيه من أنواع الخيرات كاستنزال الرّحمة والبركات[٥] على صاحبه من اجتماع همم الخلق المبرورين وكان كثير أذهان أصحاب البرّ وأهل

---

١ ـ ا : «لصدور». ٢ ـ ا : «يعود.» ٣ ـ ب : «مستلزم». ٤ ـ ا ب ج : «كثير». ٥ ـ ج د : «البركة».

الاحسان انّما تنفعل فی ابتداء تعوّدهم للاسداء مثل الشّکر والثّناء وتذلّل الخلق لهم وخضوعهم وخدمتهم لاجرم نبّه علیه‌السّلام علی حسنه بان ذکر سببیّته لاستعباد الأحرار فاذا انفعل البارّ عن ذلک تبیّن له عن قریب مافی البرّ من أنواع الخیرات الّتی یجب ان تقتنی وماحمّل[1] معروفه من الذّ ثمرة تستطاب وتجتنی ؛ والله ولیّ التّوفیق .

الکلمة الثالثة

قوله علیه السّلام : الجزع عند البلاء تمام المحنة

اقول : قد عرفت انّ **الجزع** الم نفسانیٌ یعرض من تصوّر فقد المحبوب او فوت المطلوب **والبلاء** ههنا الاختبار بالامر المکروه الی الطّبع وان کان البلاء قد یکون بالخیر ایضاً کما یقال أبلاه بلاءً حسناً وکذلک **المحنة** الامتحان وهو الاختبار بالمکروه ایضاً ، **والمقصود من هذه الکلمة** بیان انّ من قدّر له الاختبار بمکروه وقع علیه من القضاء الالٰهیّ فتألّمت نفسه بسببه کان ذلک التألّم ابتلاءً ثانیاً أعدّ نفسه لحصوله زیادة علی البلاء الاوّل الّذی یجب دفعه عن نفسه ویرید ان لایکون مقضیّاً علیه ولامقدّراً له وتماماً لمحنته ، **وهذه الکلمة مستلزمة للنّهی عن الجزع** اذ بیّن علیه‌السّلام للجازع انّ الّذی یهرب منه من البلاء قد جلب الی نفسه مثله بجزعه .

ثمّ اعلم انّ سبب الجزع هو الحرص علی اقتناء اللّذّات الجسمانیّة والنّزوع الی بقاء الشّهوات البدنیّة والحسرة علی مایفقد ویفوت منها وانّما یجزع علی المحبوب من ذلک من یظنّ انّ مایحصل له منها یجوز بقاؤه وثباته وانّ جمیع مایطلبه من مفقوداتها لابدّ وان کان یحصل فی یده ویصیر فی ملکه وکلّ ذلک غفلة منه وغرور فانّه لولاحظ الحقّ بعین بصیرته والتفت الی خالص سریرته واستعمل الانصاف مع نفسه لعلم[2] انّ جمیع مافی عالم الکون والفساد غیر ثابت ولاباقٍ وانّ الثّابت الباقی هو مافی العالم العلویّ فلم یطمع فی المحال

---

۱ ـ ب ج د : «حمل» (بلاتشدید للدال) . ۲ ـ د : «یعلم» .

ولم يطلبه ومن قطع طمعه من شيءٍ لم يحزن لفقده بل صرف سعيه الى المطلوبات الصّافية واقتصر بهمّته على اقتناص المحبوبات الباقية وأعرض عمّا ليس فى طبيعته ان يثبت ويبقى فاذا حصل له منها شيء بالعرض بادر الىوضعه فىمواضعه واقتصر منه علىمقدار[١] لابدّ منه فىدفع الآلام المحصاة منالجوع والعرى وترك الاستكثار والتماس المباهاة به والافتخار ولم يحدّث نفسه بالمكاثرة بها[٢] والتّمنّى لأمثالها حتّى اذا فارقته لم يأسف عليها فانّه متى فعل ذلك آمن[٣] فلم يجزع وفرح فلم يحزن وفاز بالسّعادة الاخرويّة ونال الدّرجات العليّة، ومن لم يتدبّر الوصيّة ولم يعالج نفسه بما ذكرناه لم يزل فىجزعٍ دائمٍ؛اذ لايعدم[٤]فى كلّ وقت فوت مطلوب او فقد محبوب اذ[٥] كان ذلك من لوازم عالمنا عالم الكون والفساد ، ومن طمع منالكائنالفاسد انلايكون ولايفسد فقد طمع فى المحال ولم يزل خائباً؛ والخائب ابداً محزون ، والمحزون ابداً شقىّ ومن استغشى[٦] العادة الجميلةٍ وهو الرّضا بما يجده ولم يحزن لشيءٍ يفوته لم يزل سعيداً مسروراً ورضوانالله اكبر؛ ذلك هوالفوز العظيم[٧].

واعلم انّالجزع ليس امراً طبيعيّاً ولاضروريّاً بلهو ممّا يخيّله الانسان ويضعه وضعاً اذ لو كان طبيعياً لماانفكّ منه[٨] لكنّه قد ينفكّ منه ويعود الىحال الغبطةوالسّرور وهو امر مشاهد كمارأينا[٩] كثيراً ممّن فقد[١٠] الاولاد والاعزّة والاصدقاء والاحبّة فاشتدّ[١١] جزعهم عليهم ثمّ لم يلبثوا انعادوا الى حال المسرّة والغبطة والاعجاب والضّحك وكذلك ممّن فقد المال والصّنائع والمقتنيات المستحسنة رأيناهم بعد الجزع الشّديد قد سلوا وعادوا الى حال السّرور **فالجزع اذاً من العوارض الطّارية الزائلة** الّتى لايختصّ بها شخصٌ دون

---

١ ـ د : «مقدار ما» . ٢ ـ ا : «لها» . ٣ ـ ب ج د : «امن» (بلا مد) .
٤ ـ ج د : «لاتقدم» . ٥ ـ ب : «اذا» . ٦ ـ ا : «استعشى» ج د : «استغنى» .
يقال : «استغشى ثوبه بثوبه استغشاءً = تغطى به» فهو بمعنى استشعر ويمكن ان يكون محرفاً منه . ٧ ـ ذيل آية ٧٢ سورة التوبة . ٨ ـ ج د : عنه . ٩ ـ ا : «رأيت» .
١٠ ـ ا : «يفقد» . ١١ ـ ا ج د : «واشتد» .

اخر فلا عذر للعاقل بعد اطّلاعه علی حقیقته و أسبابه وما ذکرناه من أحواله فی‌معاودته و ارتکابه .

اللّهمّ جلّلنا عافیتک ، فان قدّرت علینا بلاءً فألهمنا صبرک ، ولا تکشف عنّا سترک ، و أفض علینا رضوانک ، وهیّئ لنا من أمرنا رشداً (١) .

الـکلمة الرابعة

قوله علیه‌السّلام :

رحم‌الله امرءً قال خیراً فغنم اوسکت فسلم .

اقول : الغنیمة النیء ، وقد استعمله علیه السّلام ههنا فی اکتساب المدح و الثّناء و الثّواب و غیره من أنواع الخیرات ، **و انّما سمّی القول خیراً** لانّ کلّ وسیلة الی الخیر فهی(٢) خیر؛ وان کان عرضیّاً بالنّسبة الی‌ما هی‌وسیلة الیه، و مقصوده علیه‌السّلام من هذه الکلمة استنزال الرّحمة الالهیّة بدعائه الموثوق بأنّه‌لایردّ لعبدٍ حبس لسانه وزمّه بزمام العقل‌عن‌التّلفّظ الّا بالکلام الخیریّ وقد عرفت انّ خیرالکلام ما تعلّق باصلاح [معادٍ (٣)] او تدبیر معاش کما ینبغی و علی‌الوجه الّذی ینبغی من مراعاة القانون العدلیّ و طلب الفضیلة الّتی سبق بیانها و هی فضیلة العدل فانّه اذا فعل ذلک کان الکلام‌خیراً له عن السّکوت اذ (٤) کان یحصل (٥) له بذلک غنیمة الدّارین و اکتساب‌السّعادتین ثمّ أدرج فی ذلک الدّعاء من لم یتمکّن من قصد الکلام الخیریّ بل کان یعبر فی کلامه عند

١ ـ ذیل‌آیة ١٠ سورة الکهف . ٢ ـ د : « فهو » . ٣ ـ اظن ان‌اصل المطلب مأخوذ من قول امیرالمؤمنین علیه‌السلام : « ولیس للعاقل ان یکون شاخصاً الا فی ثلاث ؛ مرمة لمعاش‌او خطوة فی‌معاد او لذة فی‌غیر محرم » . ٤ ـ ب : « اذا » .
٥ ـ ب ج د : « یحصل (بصیغة باب التفعیل) » .

ما يتكلّم الى الحدّ الّذى هو رذيلة من القول الكاذب و السّخيف و الهذر والموذى وغير ذلك ممّا لا يقتضي مصلحةً ولا يصدرعن تروٍّ و تثبّتٍ و انّما يصدر عن عدم رصانة العقل و قلّة عقليّته (١) لما ينبغى ان يوضع عليه الكلام من الوجوه المصلحيّة فسكت عن الكلام اذ (٢) كان محصّلاً بذلك السّلامة فى الدّارين و السّلامة احدى (٣) الغنيمتين **امّا فى الاولى** فلانّ كثيراً ممّن كان يدّعى كمال العقل و ينسب الى تمام الفضل اشرقت على نفوسهم شموس القدس فتبجّحوا بزينة الحقّ فى ذواتهم فأطلقوا القوى المحرّكة فباحوا(٤) باسرارهم فى الفاظٍ و رموز نبت عنها افهام العوامّ و اعتقدوا مخالفتها لظاهر الشّريعة فأصبحوا حصائد ألسنتهم و قتلى كلماتهم ولو لزموا السّكوت ولم يهتكوا أستار تلك الاسرار لما اصابهم ما اصابهم، و اذا كان حال أصحاب العقل والاسرار الالهيّة كذلك فما ظنّك بالباقين من العوامّ و من لم يؤدّب بالآداب الشّرعيّة ولم تليّن (٥) عريكته التّجارب الصّلاحيّة فحقّ لاولئك و امثالهم (٦) ان لا يفوهوا بحرفٍ واحدٍ اذ كان اكثر كلامهم يصدر عن غير رويّة و ان كان فعن رويّة فاسدة ، **و امّا فى الاخرى** فلانّ السّاكت عمّا ذكرناه من الكلام السّاقط عن درجة الاعتبار سالم بسكوته عن اكتساب الملكات الرّديّة و الهيئات المنقصة (٧) بالتّمرين على ذلك الكلام و التّعوّد باجرائه (٨) و المحاورة (٩) به خالص (١٠) عن التّعذيب بها فى الاخرة . و قد تطابقت كلمة النّبيّين و

---

١ - كذا . ٢ - ب د : « اذا » . ٣ - ب ج د : « احد » .

٤ - ج د : « فناجوا » . ٥ - فى النسخ : « لم تكن » . ٦ - فى النسخ : «لذلك و امثاله » . ٧ - قال الفيومى فى المصباح المنير : « نقص نقصاً من باب قتل ونقصاناً و انتقص ذهب منه شىء بعد تمامه، و نقصته يتعدى ولا يتعدى ، هذه اللغة الفصيحة ؛ و بها جاء القرآن فى قوله: ننقصها من اطرافها، و غير منقوص، و فى لغة ضعيفة يتعدى بالهمزة و التضعيف ولم يأت فى كلام فصيح ، و يتعدى ايضاً بنفسه الى مفعولين فيقال نقصت زيداً حقه و انتقصت مثله » . ٨ - ب د : « باجزائه » . ٩ - ج د : « والمجاور به ».

١٠ - ج د : « خلص » .

توافقت كلمة الحكماء الرّاسخين على مدح السّكوت حذراً من التّكلّم بما لا يجدى نفعاً ولا يعود على قائله بخير و حثّوا على لزومه و خاصّة بين يدى الملوك و القادرين على الانتقام فانّ فى الكلام تغريراً [1] بالنّفس الّا ممّن حصل على ملكة الكلام الخيرىّ **بيان ذلك المدح من وجوه .**

الاوّل — قال رسول الله صلّى الله عليه و آله : من وقى شرّ لقلقه و قبقبه و ذبذبه ضمنت له الجنّة ، وذلك يدلّ على انّ للّسان حصّة فى البعد عن الجنّة بسبب ماتكسب [2] النّفس بتعويده بما لا ينبغى من ملكات السّوء و قال عليه السّلام : من صمت نجا .

الثّانى — قال بعض الحكماء : الزم السّكوت فانّ فيه سلامة ، و تجنّب الكلام فانّ فيه ندامة .

الثّالث — قال بعضهم : افضل حلية العلماء السّكوت .

الرّابع — قال بعضهم : انفع الاشياء للانسان ان لا يتكلّم على نفسه و ذلك حذر من الكلام الموذى فيحتاج الى التّروّى .

الخامس — قال بعض ملوك الرّوم : ماندمت على ما لم اتكلّم به قطّ؛ ولقد ندمت على ما قلت كثيراً .

السّادس — قال بعض حكماء العرب فى هذا المعنى : من اكثر هجر [3] و المقصود انّه ربّما خرج الى الهجر .

---

١ - ا ج : « تغزيراً » (بالغين المعجمة ثم الراء المعجمة) ب : « تقريراً (بالقاف و الراء المهملة) » د : « تعزيراً » (بالعين المهملة و الزاء المنقوطة و الراء المهملة اخيراً) فالتصحيح قياسى يقال : غرزه بالابرة و نحوها (كضرب غرزاً) نخسه و غرز الابرة (تغريزاً) فى الشىء ادخلها فيه » . ٢ - ب : « تكتسب » . ٣ - كذا فى النسخ وفى كتب اللغة : « هجر فى منطقه و اهجر هجراً و اهجاراً تكلم بالهذيان » وفى نهج البلاغة : « من اكثر اهجر ، و من تفكر ابصر » . وهو من وصيته لابنه الحسن عليهما السلام (راجع شرح نهج الشارح ص ٥٢٥ و ص ٥٢٧ من الطبعة الاولى) .

السّابع ــ قال أكثم بن صيفى : المكثار كحاطب اللّيل و ذلك انّه ربّما نهشته الحيّة (١) او لسبته (٢) العقرب فى احتطابه ليلاً فكذلك المكثار ربّما اصابه فى اكثاره بغض النّاس .

الثّامن ــ قال أكثم ايضاً : الصّمت يكسب اهله المحبّة .

التّاسع ــ قال لقمان الحكيم : الصّمت حكم و قليل فاعله .

العاشر ــ قال بعض الحكماء :

فلئن ندمت على سكوتى مرّة   فلقد ندمت على الكلام مراراً

وقال الاخر :

احفظ لسانك ايّها الانسان   لا يلدغنّك انّه ثعبان

وقد استشهد الحكماء على انّ كثرة الكلام ليس بمطلوب من الحكمة الالٰهيّة بانّ آلة السّماع و الابصار اكثر من آلة الكلام فكان اقلّىّ الطّلب لذلك ؛ و الاحاديث و الامثال الموردة فى ذلك كثيرة **لكن ينبغى ان يعلم** انّ الكلام الخيرىّ الخالى عن المضارّ و المحتاج اليه عمّن (٣) عرف بمعرفة مواقع الكلام وحكم بحسن عقله (٤) للامور الّتى ينبغى ان يتكلّم فيها خير من السّكوت فانّ غاية السّكوت المحمود تطهير النّفس عن نجاسات الهيئات الرّديّة وذلك خير عدمىّ عرضىّ وغاية الكلام الخيرىّ اكتساب الهيئات الحاصلة و الملكات الشّريفة و ذلك كمال و جودىّ ذاتىّ و الوجودىّ الذّاتىّ اولى بالوجود من العدمىّ العرضىّ ، و كما علمت انّ الكلام ينقسم الى محمود و مذموم كذلك السّكوت ينقسم الى ماهو خير والى ما هوشؤم ، و انّ اللّائمة (٥) كما تقع بالمتكلّم بما لاينبغى كذلك تتعلّق بالسّاكت السّكوت الّذى لا ينبغى كما قال عليه السّلام فى موضعٍ آخر (٦) : لا -

١ ـ ب : « حية » .   ٢ ـ ج د : « لسعته » وكلتا اللفظتين بمعنىً وهو لدغته .
٣ ـ ا ب : « عن » ج د : « ممن » .   ٤ ـ ا ب : « عقلته » ج : « عقليته » د : « عقيلته » .   ٥ ـ ا : « الملائمة » و فى كتب اللغة : « اللائمة بمعنى اللوم يقال : استحق اللائمة اى اللوم و الملامة » .   ٦ ـ ا : « فى سواضع اخر » .

خیر فی الصّمت عن الحکم کما انّه لاخیر فی التّکلّم بالجهل غیر انّهم اکثروا الحثّ علی لزوم‌السّکوت و قلّة الکلام لانّ خطرالکلام اقوی و اعظم ولذلک کان الذّمّ للمکثار الزم، فقد علمت استحقاق الغانم بکلامه الخیریّ و السّالم بسکوته الّذی ینبغی لاستنزال الرّحمة الرّحمانیّة و العنایة الرّبّانیّة بدعائه المستجاب الّذی لیس دونه حجاب ؛ واللّه ولیّ التّوفیق .

الکلمة الخامسة

قوله علیه‌السّلام : الاعتذار تذکیر بالذّنب .

اقول : الاعتذار طلب العذر من المجنیّ علیه، و العذر محواثر الجریمة من الذّکر لیتبیّن انّ اعتقاد سبب ذلک الاثر [1] لم یکن مطابقاً و هو مأخوذ من قولهم : اعتذرت المنازل اذا درست ، و الذّنب الجرم و المقصود بیان انّ اعادة الاعتذار مستلزم لتذکیر المجنیّ علیه بالذّنب الصّادر فی حقّه و تقریر هذا الحکم ان نقول : انّ ترک الفعل او القول الّذی یحتاج معه الی الاعتذار واجب فان کان ولابدّ فلیکن الاجتهاد فی الاعتذار بخلوة من المعتذر الیه دون ان یکون هناک من لا یحتاج الیه فی قبول الاعتذار من الشّفعاء والوسائط فانّ‌الاعتذار بین‌الخلق ممّا یشهرحال‌المعتذر بفعل‌القبیح المبنیّ علی السّتر و یفید انکسارالحیاء و کشف قناعه علی الوجه وخشونة الحدقة وقحة الملاقاة و ضروب‌الشّرور ثمّ یجتهد المعتذران لایزید فی‌الاعتذارعلی‌المرّة الواحدة و کفی بها فانّ فی المعاودة شروراً؛ منها کثرة المطّلعین من الخلق علی ذلک القبیح الصّادر المحتاج الی طلب العذر ، و منها تذکیر الشّاعرین بذلک الجرم من الاعتذار الاوّل و دوام التّأذّی من قبلهم للمعتذر ، و منها و هو اصعبها تذکیر المعتذر منه بالذّنب الواقع فی حقّه و اثارة ضغنه [2] و احقاده

١ ـ ب : « الاثم » . ٢ ـ ج د : « صفته » .

على المعتذر؛ و لصعوبته خصّه عليه السّلام بالذّكر ، و فى هذه الكلمة تنبيه على التّأدّب بترك اعادة الاعتذار لما بيّنّاه من الاسباب و هو المقصود الذّاتىّ من الكلمة و هو من اشرف محاسن الكلام و اجمع مكارم الآداب ؛ والله ولىّ الهداية .

الكلمة السادسة

قوله عليه السّلام : النّصح بين الملأ تقريع .

اقول : النّصح و النّصيحة تنبيه الانسان على ماعساه غافل عنه من المصالح فى امر معاشه او معاده ، والتّقريع شدّة الضّرب بالكلام و قوّة اللّائمة و التّوبيخ ؛ والمراد فى هذه الكلمة تأديب النّاصح بالادب اللّائق باستجلاب الانس الموجب للمحبّة و الالفة الّذى بيّنّا وجوب تحصيله و ذلك انّ من آداب النّصح اخذ المنصوح بالرّفق و لين الكلام و خفض الصّوت و فى اخلى المواطن و اسرّ [١] الاحوال والتّعطّف [٢] اليه بالكلمات البعيدة عن الامر الّذى يتعلّق بالنّصيحة و بالتّعريض دون التّصريح فانّه ابلغ، و بضرب [٣] الامثال فانّه احسن من الكشف ، و بالجملة ما يبسط النّفس و يضع الانس و يتدرّج [٤] فى ذلك الى ان ينتهى الى المطلوب فيخاض [٥] فيه ، ولو كان التّعريض و ضرب الامثال فى مجلسٍ و التّصريح بالمطلوب فى مجلسٍ بعده فهو اصوب ، و اذا عرفت ذلك عرفت انّ النّصح بين الملأ من جملة اضداد الرّفق شديد الوقوع على ذهن المستمع مثير لقوّته الغضبيّة منفّر لطبعه لما فيه من اطّلاع الخلق عليه لما احتاج الى نصيحة [٦] فيه وتقريع عليه و ربّما كان السّبب فى اثارة قوّته الغضبيّة اعمّ ممّا ذكرنا [٧] و ذلك

---

١ ـ ج د : « اليسر ». ٢ ـ ا : « و تعطف » ب « و يتلطف » (بصيغة المضارع الغائب) ج د: « و بتلطف » (بباء الجر و لفظة المصدر). ٣ ـ ب د : « و يضرب » (بصيغة المضارع الغائب). ٤ ـ ا : « و تدرج » ج : « و يدرج ». ٥ ـ كذا فلعله : « فيخوض». ٦ـ ج د : « نصحه » ب : « نصح ». ٧ ـ ب : «ذكرناه».

لاحتمال ان يكون الامر الّذى يتعلّق به النّصيحة ليس ممّا يستخفى بفعله [۱] فاذا نصح صاحبه فيه ظاهراً ثارت قوّته الغضبيّة لما [۲] انّ ضربه بالكلام النّاصح يوجب لهاعتقاد انّ الخلق ربّما استنقصوا عقله و استصغروا رأيه فى عدم الاصابة لذلك الامر و حاجته فيه الى الضّرب بالكلام بينهم فينفرطبعه لذلك، و لهذا السّرّ كانت هذه الكلمة مستلزمة للتّنبيه على النّهى عن النّصح على هذا الوجه المخصوص؛ والله ولىّ التّوفيق .

الكلمة السابعة

قوله عليه السّلام : الشّفيع جناح الطّالب [۳] .

اقول : الشّفيع هو الطّالب لغيره كأنّه يشفعه فى قضاء حاجته بعد ان كان وتراً، و اطلاق لفظ الجناح الّذى يخصّ الطّائر بحسب اصل اللّغة على الشّفيع مجاز حسن من باب الاستعارة و التّشبيه ؛ و وجه المشابهة انّ جناح الطّائر لمّا كان وسيلة له الى طلب ما يحتاج اليه من المطالب والى الهرب عن كلّ مهروب [٤] منه كذلك الشّفيع وسيلة للمستشفع الى تحصيل الامر المطلوب له ؛ و الى الخلاص من الامر المهروب منه ، وفى هذه الكلمة تنبيه وحثّ للشّفيع على السّعى فى الشّفاعة فيما ينبغى و حثّ لطالب [٥] الحاجة على حفظ قلوب الاخوان [٦] و ادّخارهم لوقت الحاجة الى التّوسّل بهم فى المطالب **امّا الاوّل** فلانّها اعنى الشّفاعة سبب من اسباب حصول المطلوب للطّالب فيكون للشّفيع شركة فى وجود هذا المطلوب كالجناح الّذى هو آلة بها يحصل المطلوب ، ولذلك

۱ ـ ا : « فعله » . ۲ ـ ا : « كما » . ۳ ـ قال الشارح فى شرح نهج البلاغة فى شرح تلك الكلمة (ص ٥۸۷) : « استعار له لفظ الجناح باعتبار كونه وسيلة له الى مطلوبه كجناح الطائر » . ٤ ـ ب ج د : « المرهوب » . ٥ ـ ب ج د : « لصاحب » . ٦ ـ ج د : « الاعوان » .

كانت الشّركة بينهما حاصلة فى الجزاء لقوله [1] تعالى : من يشفع شفاعةً حسنةً يكن له نصيب منها ، ومن يشفع شفاعة سيّئة يكن له كفل منها [2] و ايضاً فانّ الشّفاعة من اسباب الالفة و المحبّة و قضاء الحوائج و المهمّات الّتى هى المطلوبة من كثرة الخلق و اجتماعهم ؛ فيكون تاركها كالكاسر لمقتضى العناية الالهيّة و الحكمة الرّبّانيّة و ذلك يدلّ على انّ السّعى فيها من القربات والوسائل الى الخالق المعبود جلّت قدرته ، و **امّا الثّانى فظاهر** ؛ و باللّه التّوفيق .

الكلمة الثامنة

قوله عليه السّلام : المسؤول حرّ حتّى يعد [3] .

اقول : قد عرفت معنى الحرّ و المراد به ههنا الخالص من وثاق الرّقّ و يقابله العبد ، و المقصود ههنا انّ المسؤول الخالص من الرّقّ هو حرّ مادام لايعد بحاجةٍ فاذا وعد صار الوعد من جملة اسباب استعباده ، و تقرير هذا الحكم انّ الانسان الموصوف بالحرّيّة بالنّسبة الى الامور المطلوبة منه له ثلاثة احوال و ذلك انّها امّا ان يبذلها او يمنعها رأساً او يعد بها ؛ و على الوجهين الاوّلين هو حرّ ؛ و على الوجه الثّالث هو عبد ، و اطلاق العبوديّة عليه مجاز عن الموثوق بوثاق الرّقّ و وجه المشابهة قد سبق بيانها فى قوله عليه السّلام « بالبرّ يستعبد الحرّ » و نزيدها تقريراً فنقول : لمّا كان من صفات العبد انّه مطالب من السّيّد فى كلّ وقتٍ بما اشتغلت به ذمّته من قضاء الواجب عليه من الخدَم و الاشغال فكذلك باذل الوعد اطلق عليه انّه عبد لتحقّق هذه الصفة فيه و ذلك انّه مطالب من السّائل فى كلّ وقتٍ بما اشتغل ذمّته به بقضاء الواجب عليه

---

۱ ـ ب : « كقوله » . ۲ ـ صدر آية ۸۵ سورة النساء . ۳ ـ هذه الكلمة موجودة فى شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد و شرحت فيه مفصلا ، و اما شرح ابن ميثم فلم اظفر بها فيه ؛ فلعل الكلمة لم تكن موجودة فى نسخته فلم يشرحها او سقطت من النسخة المطبوعة .

بوعده من قضاء حقّ الاخوان من الحوائج و المهامّ فيبقى فى رقّ الوعد الى ان يخلق (١) بقضائه الوثاق فيستحرّ حينئذٍ بلحوق العتاق ، و امّا حرّيّته فى الوجهين الاوّلين فلعدم تحقّق الصّفة المذكورة فى حقّه و **اعلم** انّ قضاء الامر المسؤول مع امكانه اشرف من الوعد؛ امّا بالنّسبة الى السّائل فلانّ الانتظار موت احمر ، و امّا بالنّسبة الى المسؤول منه فلانّه بذل فى حقّه على شرف قوّته العقليّة بملكة الحياء و السخاء و غيرهما من الفضائل بخلاف الوعد فانّ الوعد بما يمكن انجازه يدلّ على مجاذبة القوّة الشّهويّة للعقل و قوّتها عليه فى ترديد الامر المسؤول بالقضاء و المنع ، **ثمّ الوعد** اشرف و اولى من المنع بالكلّيّة فانّ الحرمان شؤم و سبب للمقاطعة والمباينة المضادّة (٢) لما هو مطلوب من العناية الالٰهيّة باجتماع الخلق و تكثّرهم(٣) مع ما يستلزم من ذهاب الحياء بتعويده و قحة الوجه و خشونة الجانب ، و الوفاء اشرف من الخلف لاستلزامه عدم فضيلة الحرّيّة و الوفاء و الذّمّ العاجل العارض من رذيلة البخل و ما يصحبها من الرّذائل ، و قد اطبق العقلاء على حسن قضاء الموعود و الوفاء به و فى المثل : انجز حرّ ما وعد. وعن عوف بن النّعمان الشّيبانىّ انّه قال فى الجاهليّة :لان اموت عطشاً احبّ الىّ من ان اكون مخلاف الوعد . و فى المثل السّائر : الوفاء من الله بمكانٍ ، و فى التّنزيل الالٰهىّ فى مدح اسماعيل عليه السّلام (٤): انّه كان صادق الوعد ، وعن عبدالله بن عمر انّه وعد رجلاً من قريش ان يزوّجه ابنته فلمّا حضرته الوفاة ارسل اليه فزوّجه ايّاها فقال : كرهت ان القى الله تعالى بثلث النّفاق ؛ واراد الكذب لانّ الخلف فى الحقيقة كذب ،و ذلك لانّ النّفاق فى الدّين مركّب من ثلاثة اجزاء ؛ احدها الخروج من الايمان بالقلب ، والثّانى الرّياء بالاعمال من اعتقاد صحّتها ، والثّالث الكذب وهوالقول باللّسان مع مطابقته للاعتقاد و اذا لقوا الّذين آمنوا قالوا آمنّا و اذا خلوا الى شياطينهم قالوا انّا معكم انّما نحن مستهزؤن (٥) و : اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انّك لرسول الله و الله يعلم انّك

---

١ ـ ب ج د : « يخلع» و من معانى الخلق القد و المعنى واضح . ٢ ـ ج د : « المضارة » (بالراء) . ٣ ـ ا : « و بكثرتهم » . ٤ ـ من آية ٤٤ سورة مريم.
٥ ـ آية ١٤ سورة البقرة .

لرسوله و الله يشهد انّ المنافقين لكاذبون (١) لعدم مطابقة اقوالهم اللّسانيّة لما انطوت عليه ضمائرهم من العقائد الفاسدة فالكذب حينئذٍ ثلث النّفاق و هو اقوى الاجزاء فساداً لتعدّى ضرره الواقع منه الى الغير دون الجزئين الباقيين و على ذلك يحمل قول النّبيّ صلّى الله عليه وآله : الكذب رأس النّفاق. وقد (٢) تنبّهت ايّها الاخ ممّا ذكرنا على وجوب انجاز المواعيد لتخلص به الى الحرّيّة من رقّ من وعدت فانّ هذا الرّقّ اعظم و اقوى لتعلّق الذّنب بالاخرة دون الرّقّ الحقيقيّ و اليك الاعتبار (٣) و الله ولىّ التّوفيق .

الكلمة التاسعة

قوله عليه السّلام : اكبر الاعداء اخفاهم مكيدةً .

اقول : المكيدة فعيلة من الكيد و هو الاحتيال و الخداع ، و المقصود فى (٤) هذه القضيّة بيان انّ كلّ من كان من الاعداء اخفى كيداً و ادقّ نظراً فى الاحتيال كان اكبر الاعداء اى اعلاهم درجةً فى العداوة و اولى بالتّحفّظ منه من سائر الاعداء ، و برهان هذا الحكم انّك قد عرفت انّ العداوة بغض صادق يهتمّ معه بجمع الاسباب الموذية للمبغوض ومحبّة افعال الشّرور الّتى يمكن فعلها به و اذا كان كذلك فنقول : كلّ من كان اقدر على اخفاء الحيلة و الخداع كان اقدر على تحصيل الاسباب الموذية لعدوّه و كلّ من كان كذلك كان اعظم الاعداء و اكبرهم مكيدة ينتج انّ كلّ من كان اخفى حيلةً كان اعظم الاعداء و اكبرهم ، امّا الصّغرى فظاهر اذ كان المتجاهر بالحيلة فى اذى عدوّه قلّما يظفر به لاطّلاع العدوّ على ذلك و احترازه منه ، و امّا الكبرى فلانّه لامعنى لاكبر الاعداء الّا من كان اقدر على النّكاية والانتقام فقد صحّت هذه القضيّة بالبرهان .

١ - آية ١ سورة المنافقين. ٢ - ب ج د :« فقد ». ٣ - ا : «الاعتذار ».
٤ - ا : « من » .

و اعلم انّ التّحفّظ و ان كان من كلّ الاعداء واجباً لما انّ اتفاق الحكماء على انّه لا ينبغى للعاقل ان يستصغر عدوّاً و ان صغر فانّه من فعل ذلك اغترّ و من اغترّ لم يسلم لكنّ التّحفّظ من دقيق النّظر فى الحيلة و الخداع اهمّ والعناية بشأنه اتمّ فانّه ان كان بعيداً لم تؤمن عودته و ان كان قريباً لم تؤمن وثبته ، و ان انكشف منك جانب لم تأمن كرّته و ان كنت متحزّماً لم تأمن مكره و حيلته ومثل هذا العدوّ وان عدّ ذكيّاً الّا انّه قد غيّر فضيلة الذّكاء الى جانب الافراط منها و هو الخبث وقد علمت انّه رذيلة نفسانيّة وصاحب هذه الرّذيلة يسمّى داهياً و متجر بزاً ، وهذه الكلمة من التّنبيهات المصلحيّة على مراعاة تميز اكبر الاعداء و التّيقّظ لاخفاهم حيلةً و الاحتراز من عداوته و الحيلة فى كيفيّة دفعه و دفاعه و عليك فى هذا المعنى بمطالعة الباب الرّابع[1] من كتاب كليلة و دمنة فتستفيد بتأمّله فوائد جليلة ، والله تعالى هو المنقذ من اعدائه وكفى به معيناً ينصر من يشاء وهو القوىّ العزيز .

الكلمة العاشرة

قوله عليه السّلام : من طلب مالايعنيه فاته ما يعنيه .

اقول : المقصود من هذه الكلمة الحثّ على الاشتغال بطلب الامور الّتى بها يكون صلاح المرء فى نفسه باصلاح طرفى معاشه و معاده امّا فى طرف المعاش فتحصيل الامور الّتى لابدّ منها فى قوام البدن و بقاء النّوع و ما يلزمها[2] و ترك الفضول الزّائدة الّتى لايعود اليها ضرورة وامّا فى طرف المعاد فالسّعى فى تحصيل الكمالات العلميّة[3] والفضائل الخلقيّة الّتى هى وسيلة الى نيل السّعادة الابديّة و الفوز بالنّعيم السّرمدىّ و اذا عرفت ذلك فنقول : الامور الّتى ذكرنا انّه يجب على الانسان طلبها هى الامور الّتى تعنيه اى

١ ــ كأنه يريد به باب البوم والغربان لانه الباب الرابع من اصل الكتاب ، ولان البحث فيه عن الحزم اكثر فيه من البحث عنه فى سائر الابواب.

٢ ـ ب ج د : « يلزمها » .

٣ ـ ا د : « العملية » (بتقديم الميم على اللام) .

الّتی یجب ان تدخل فی عنایته باحواله و الامور الّتی هی فضیلة بالنّسبة الی تلک الامور الّتی لا تعنیه اذ کانت خارجةً عن حاجته زائدةً علی الامور المکملة له فاذا فرض انّه اشتغل بالامور الّتی لا تدخل فی عنایته فقد اشتغل بما لایعنیه و بذلک یفوته ما یعنیه اذ کان قد اشغل [1] بها وقته الّذی یجب ان یستوعبه فی تحصیل کماله الّذی یعنیه فانّ وقته لوکان اضعاف ما یمکن ان یمتدّ فیه عمره لم یتّسع لاستیفاء کماله القویّ باخراجه الی الفعل فاذا اشتغل بما لایعنیه فقد فوّت علی نفسه کمالاً یعنیه فی وقتٍ اشغله بما لا یعنیه . **واعلم** انّ ذلک خروج عن [2] مقتضی العقل و وضع الاشیاء فی غیر موضعها و هو عبور الی طرف الجور الّذی هو طرف الافراط من العدالة و ذلک هو الخسران المبین [3] قل هل ننبّئکم بالاخسرین اعمالاً الّذین ضلّ سعیهم فی الحیوة الدّنیا وهم یحسبون انّهم یحسنون صنعاً . [4]

الکلمة الحادیة عشر

قوله علیه السّلام : السّامع للغیبة احد المغتابین .

اقول : الغیبة التّحدّث فی عرض [5] الانسان حال غیبته بما ینفر طبعه من [6] المواجهة به، و السّامع المستمع لها عن رضیً و ایثار؛ فانّ السّامع المطلق اعمّ من المستمع فانّ السّامع قد یکون سماعه بقصد ذاتیّ منه وقد لایکون بل یکون عرضیّاً کسماع المارّ و غیره، و المستمع اعمّ من المستمع عن رضیً فانّ المستمع قد لایکون راضیاً بل ینتظر سکوت المغتاب لجوابه او لغرض أخر فاذاً اطلاق لفظ السّامع علی المستمع علی وجهٍ

---

١ ـ ا ب ج : « اشتغل » . ٢ ـ ب ج د : « من » . ٣ ـ ذیل آیتین من القرآن (١١ سورة الحج و ١٥ سورة الزمر) . ٤ ـ آیة ١٠٣ و ١٠٤ سورة الکهف .

٥ ـ د : « اعراض » . ٦ ـ ج د : « عن » .

مخصوص مجاز من باب اطلاق العامّ على الخاصّ ، و الغيبة تنقسم الى مايكون بالكذب و الى مايكون بالصّدق ؛ و على التّقديرين فامّا ان يكون بما لو فعله المغتاب لخرج به عن ربقة الدّين او لايكون **فهذه اربعة اقسام** : الاوّل الغيبة الكاذبة بما يخرج به المغتاب عن الدّين ، الثّانى الغيبة الكاذبة بما لايكون كذلك ، و الثّالث الغيبة الصّادقة بما لايخرج به عن الدّين ، الرّابع الغيبة الصّادقة بما يخرح به عنه ، و الثّلاثة الاول مذمومة ملعون من اشتغل بها ، امّا الاوّلان فلاشتمالها على الكذب الموذى الموجب لتلطّخ النّفس بملكة الكذب ، وامّا الثّالث فلكونه مع خلوّه عن الفائدة اشتغالاً بما لا يعنى و مستلزماً لاذى الغير المؤدّى الى التّنافر(١) و التّباين والتّباغض المضادّ لمطلوب الله تعالى كما بيّنّاه . **وامّا القسم الرّابع** فهو و ان كان مذموماً من جهة انّه اشتغال بما لا يعنى لكثير من الخلق الّا انّ الشّريعة قد رخّصت فيه لاشتماله فى بعض الاحوال على نوع من المصلحة قال عليه السّلام: لاغيبة لفاسق ؛ و وجه تلك المصلحة انّ الغالب فى صاحب الفعل القبيح الّذى ينفر طبعهُ عن المواجهة به انّه يبلغه (٢) ما يقال من القبيح فى حقّه وما ينشر بين العالم من مطوىّ سرّه الّذى يستحيي و يأنف من ابدائه واظهاره و يلحقه بسببه الذّمّ والعار عاجلاً و الحسرة و العقاب آجلاً فيتقهقر بنفرته الطّبيعيّة عن ارتكاب ذلك القبيح و يبدّله بضدّه المليح فيكون ذلك سبباً داعياً له الى الله تعالى؛ ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه اولياء اولئك فى ضلال مبين(٣) اذا (٤) **عرفت ذلك فاعلم** انّ المقصود من هذه الكلمة بيان انّ الاحكام المذكورة الّلاحقة للمغتاب من الاقسام الثّلاثة الاول للغيبة كما انّها لاحقة له فهى ايضاً لاحقة للمستمع لها عن رضىً و مساعدة؛ اذهما مشتركان فى الرّضا ومتكيّفا الذّهن بالتّصوّرات المذمومة الّتى لاتنبغى وان اختلفا فى انّ احدهما قائل والآخر قابل لكن كلّ واحد منهما صاحب آلة امّا احدهما فذولسان

---

١ ـ ج د : « الموذى بالتنافر » . ٢ ـ ا : « لعفله » . ٣ ـ آية ٣٢ سورة الاحقاف . ٤ ـ ج د : « واذا » .

يعبّر عن نفسٍ قد تنجّست بتصوّر الكذب و العزم عليه و امّا الآخر فذوسمع تقبل عنه النّفس تلك الآثار عن ايثار و سوء اختيار فيألفها و يعتادها فيتمكّن من جوهرها سموم عقارب الباطل و لذلك قيل : السّامع شريك القائل ؛ فاسمع ايّها الاخ من بحثنا ما يجب ان تسمعه فعساك بعدها لا تسمع ما ينبغي ان لاتسمعه؛ والله وليّ السرائر و يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

الكلمة الثانية عشر

قوله عليه السّلام : الرّاحة مع اليأس .

اقول : الرّاحة لذّة تحصل للنّفس بالسّكون عن الحركات المتعبة سواء كانت تلك الحركات حسّيّة او عقليّة ، واليأس من الشّيء هو انقطاع الطّمع منه لاعتقاد انّه لم يصر ممكن التّحصيل بعد اعتقاد انّه كان كذلك ، و المقصود بيان انّ الرّاحة لازمة لليأس و ذلك ظاهر فانّ الحركات النّفسانيّة الموجّهة للحركات البدنيّة الى تحصيل المطلوب انّما تكون قائمة ما دامت النّفس متصوّرة لامكان تحصيله فاذا تبيّن لها انّ تحصيله غير ممكن فلابدّ و ان ينقطع حركة الطّلب الى تحصيله و تستبدل النّفس من تعب حركات الطّلب لذلك الرّاحة الّلازمة عن السّكون من تلك الحركات ، و فى هذه الكلمة تنبيه على ترك الطّلب و الحرص فيما لا يكسب تحصيله نفعاً ولا يعود على صاحبه الّا بالاذى و المكروه فيما يجب عليه اصلاحه من امر معاده كالاستكثار من متاع الدّنيا و اقتناء الكمالات الوهميّة لانّ الرّاحة لمّا كانت مطلوبة و هى لازمة عن ذلك التّرك وجب ان يكون ذلك التّرك واجباً فانّ كلّ تلك الامور سموم ان لم تجهز أعقبت [1]، و المثل

---

۱ ـ كأنه مثل او كلام يجرى مجراه و المراد انه «امور تعقب نتائج وخيمة ان لم تدفع ولم تعالج بدفعها و قلعها و قمعها » .

المشهور من سیّد المرسلین صلّی‌الله علیه وآله فی ذلک : و انّ ممّا ینبت الرّبیع لما یقتل حبطاً او یلمّ"(۱) و المرادبه انّ ملذّات الدّنیا و زینتها و ان‌کانت ذات زهرة و جمال فقد تؤل بصاحبها اذا خرج فی الاخذ منها الی ما لا ینبغی الی سوء المغبّة و الشّقاء الاشق فی الآخرة کما انّ اکلة الخضر من‌الماشیة اذا لم تقتصد فی مراعیها آل بها ذلک الی ان تحبط عنه بطونها ای تنتفخ فتهلک ، و الملمّة النّازلة من الامر فکما علمت فیما سبق انّ الذّل مع الطّمع فاعلم انّ الرّاحة مع الیأس ، والله الموفّق .

الکلمة الثالثة عشر

قوله‌علیه‌السّلام :

من کثر مُزاحه لم یخل من حقدٍ علیه او استخفافٍ به .

اقول : المزاح بضمّ المیم الدّعابة و هو امر اضافیّ ، و الحقد غضب ثابت لتقرّر صورة الموذی فی الخیال مع‌عدم اعتقاد انّ الانتقام فی غایة السّهولة او فی غایة الصّعوبة و فائدة قید کونه ثابتاً انّه لولم یکن کذلک لما کانت صورة الموذی متقرّرة فی الخیال

---

۱ ـ قال ابن‌الاثیر فی النهایة « فیه : احبط الله‌عمله ای ابطله یقال : حبط عمله یحبط و اهبطه غیره و هو من‌قولهم : حبطت الدابة حبطاً بالتحریک اذا اصابت مرعی طیباً فأفرطت فی‌الاکل فتنتفخ فتموت و منه‌الحدیث : و ان مما ینبت الربیع ما یقتل حبطاً او یلم و ذلک ان الربیع ینبت‌احرار العشب فتستکثر منه الماشیة و رواه بعضهم بالخاء المعجمة من‌التخبط و هو الاضطراب و لهذا الحدیث شرح یجییء فی موضعه فانه حدیث طویل لا یکاد یفهم‌اذا فرق » و قال فی « لم » : « وفی‌صفة الجنة : ولولا انه شیء قضاه‌الله‌لالم ان یذهب بصره‌لما یری فیها ای یقرب ؛ و منه الحدیث : ما یقتل حبطاً او یلم ای یقرب من‌القتل » .

فلا تشتاق النّفس الى الانتقام و فائدة عدم اعتقاد سهولته انّه لوحصل اعتقاد السهولة لكان كالحاصل فلا يشتدّ الشّوق الى تحصيله و لذلك لا يبقى الحقد مع الملوك ، و فائدة عدم اعتقاد صعوبته انّه لوحصل ذلك الاعتقاد لكان كالمتعذّر[1] فتقصر النّفس عن الشّوق الى حصوله و لذلك لايبقى الحقد مع الفقراء ، و امّا الاستخفاف و الاحتقار و الاستهانة بالمنزلة و المقصود بيان انّ من كثر مزاحه لم تخل حاله ممّن يمازحه و يحاربه من احد حالين امّا حقد عليه او استخفاف منه و هذه قضيّة متّصلة مقدّمها قولنا : من كثر مزاحه و تاليها الّلازم لها قضيّة منفصلة مانعة الجمع و الخلوّ و بيان ذلك انّ المتمازحين امّا ان يكونا شريفين او وضيعين او احدهما شريفاً و الآخر وضيعاً امّا الاوّل فلانّ المزاح يزرع بينهما حقداً باقياً ولا يحصل مع ذلك استخفاف من احدهما بالاخر لاعتقاد كلّ واحد منهما شرف الاخر ، وامّا الثّانى فلانّ المزاح يوجب بينهما استخفافاً و استصغاراً من كلّ واحد منهما لصاحبه ولا يتصوّر هناك حقدٌ امّا لانّ سلاطة كلّ واحد منهما على الاخر وجرأته عليه و استخفافه به قام مقام انتقامه منه ، اولاعتقاد كلّ واحد منهما انّ الانتقام صعب ، وامّا الثّالث فلانّ المزاح يوجب بينهما ايضاً الاستخفاف دون الحقد امّا من الشّريف فلاستصغاره امر الضّعيف و سهولة الانتقام منه فلا يبقى له غضب فى حقّه ، و امّا من الضّعيف فلانّ استخفافه بالشّريف و سلاطته عليه من جهة بسطه لنفسه معه يجرى فى حقّه مجرى انتقامه منه او انّه لاعتقاده صعوبة الانتقام لا يبقى له الحقد فثبت بما قرّرناه انّ الحقد و الاستخفاف لا يجتمعان ولا يرتفعان ، و امّا بيان الملازمة فلانّ كثير المزاح مستلزم لحركته تلك لثوران القوّة الغضبيّة من الممزوح معه و بثوران الغضب يكون احدالّلازمين المذكورين . **فاعلم** انّ المزاح قد يكون محموداً وقد يكون مذموماً ؛ و الاوّل هو المزاح المعتدل المقدار الّذى لا يخرج بصاحبه فى الكمّيّة و الكيفيّة الى ما لاينبغى، والوقوف على المقدار المعتدل منه وان كان صعباً لغلبة القوّة الشّهويّة

---

۱ ـ ب ج : « كالمعتذر » .

عند انبعاثها فی المزاح من اکثر الخلق وقلّة مراجعة العقل بالتّحدیق الی مایجرّه ذلک الفعل عند کثرته ولقلّة الاطّلاع من المزاح[1] علی تفاوت الامزجة فی قبول ذلک الفعل وعدم قبوله وسرعة انفعال طباعهم لسرعة تصوّر متخیّلاتهم للموذی وبطوءه لکنّه ممکن ومع امکانه هو موجود وذلک ممّن استکمل الفضائل العلمیّة والعملیّة وکانت قوّته الشّهویّة فی اسر قوّته العقلیّة وکان رسول الله صلّی الله علیه وآله یمزح ولایقول الّا حقّاً وکان امیر المؤمنین علیه السّلام کذلک، وذمّه علیه السّلام لکثرة المزاح فی هذه الکلمة دلیل علی انّه کان یقف منه علی القدر المحمود، والسّبب فی کون القدر المعتدل منه محموداً هو انّه من الاسباب الباسطة للنّفس الموجبة للانس الّذی هو سبب الالفة الّتی هی سبب المحبّة الّتی بیّنّا وجوبها فیما سبق وانّها مطلوبة من العنایة الالهیّة وحینئذٍ یکون ذلک المقدار متعلّقاً بالفضائل الخلقیّة و سبباً من اسباب الاستکمال النّفسانیّ ، وامّا المذموم منه فهو الّذی یبتدئ به صاحبه ولایدری این[2] یقف منه فیخرج به عن حدّ الاعتدال[3] الی مالاینبغی ولایزال یزداد به فی حقّ صاحبه حتّی یثیر قوّته الغضبیّة ویقع احد ماذکرنا، وکلّ ذلک موجب للوحشة الموجبة للمقاطعة والتّباین المضادّ للالفة والمحبّة فیحصل ضدّ ماذکرنا من انّه مطلوب العنایة الالهیّة فواجب علی من لایعرف این[4] یقف منه اذاً ان یحذره ویتذکّر قول القائل : ربّ حقدٍ قاده اللّعب ؛ وقول الآخر : لا تمازح الشّریف فیحقد علیک ولاالدّنیّ فیجترئ علیک ، وقول الشّاعر :

ایّاك ایّاك المزاح فانّه الی الشّرّ دعّاء وللشّرّ جالب

والعجب الّذی لاینقضی ممّن عاب امیر المؤمنین بالدّعابة فقال : لولا انّ فیه دعابة ؟! کیف یقبل منه ذلک فانّ هذا الانکار ان کان لانّه ارتکب القدر المعتدل منه وقد عرفت انّه أمر محمود کان ذلک انکاراً مستلزماً للنّهی عن المعروف وهو غیر جائز؛ وان کان ذلک لانّه ارتکب القدر الخارج منه الی مالاینبغی فتری انه علیه السّلام کان

١-ا ج د : «المزاح». ٢- : «او» د : «انی». ٣- ا ب : «العدل». ٤- ج د : «انی».

لايعرف القدر الّذى يجب الوقوف عنده من المزاح مع ما تواتر عنه ممّا يوضح انّه كان اكمل الخلق بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله فى قوّتيه النّظريّة والعمليّة وانّه ينبوع العلوم اليقينيّة والاخلاق الرّضيّة الّذى يستقى[1] من تيّاره فحول الاسلام من اكابر العلماء الرّاسخين واشراف الزّهّاد العارفين كما هو مأثور عنه مشهور وفى اذهان الخلق مقرّر مسطور، مع ما صدر عنه فى ذمّ المزاح المفرط فى هذه الكلمة وغيرها ومانقل عنه عليه السّلام من الرّدّ على العائب له بذلك وتكذيبه ايّاه وذلك قوله عليه السّلام فى ذكر عمرو بن العاص[2]:

يزعم لاهل الشّام انّ فىّ دعابةً وانّى امرؤ تلعابة، اعافس وامارس، لقد قال باطلاً ونطق آثماً، اما وشرّ القول الكذب؛ انّه ليقول فيكذب، و يعد فيخلف، و يسأل فيلحف، ويسأل فيبخل، ويخون العهد، ويقطع الإلّ، فاذا كان عند الحرب فاىّ زاجرٍ وآمرٍ هو مالم تأخذ السّيوف مآخذها؛ فاذا كان ذلك كان اكبر مكيدته ان يمنح القرم سبّته، اما والله انّى ليمنعنى من اللّعب ذكر الموت، وانّه ليمنعه من قول الحقّ نسيان الآخرة، وانّه لم يبايع معاوية حتّى شرط له ان يوتيه أتيّةً ويرضخ له على ترك الدّين رضيخة.

ومن انصف من نفسه وقهرها عن متابعة الهوى وسلوك سبيل العناد علم انّ هذه الالفاظ لم تصدر عنه عليه السّلام وهو مرتكب لما ينكره من ذلك. ويكفيك فى معرفة فضل المعيب نقصان العائب المذكور بما اشتهر عنه ممّا ذكره عليه السّلام فيه من الاخلاق الرّديّة والافعال القبيحة فانّ من اجتمع فيه ان يكون كذوباً مخلافاً للوعد بخيلاً ملحفاً[3] فى السّؤال يخون العهد ويقطع الرّحم ثمّ ينضاف الى ذلك معجباً بنفسه لظنّه الكاذب بنفسه فى الحروب وغيرها انّها مستحقّة لمرتبةٍ من الكمال مع انّها ليست كذلك فيكون فى ابتداء الحرب فى صورة آمرٍ وزاجرٍ ومشيرٍ مع انّه ليس لشىء من ذلك بأهل حتّى اذا اخذت السّيوف مآخذها كان حينئذٍ مستشعراً لباس الخوف والجبن فرّاراً غير كرّارٍ وكان وجه خلاصه من الهلاك باظهار رذيلة الخبث والخداع عن اردء وجهٍ واقبحه وهو كشف سوءته فى ردّ

١ ـ ا: «يستسقى». ٢ ـ انظر شرح النهج لشارح الكلمات (ص ٢١٠-٢٠٩).
٣ ـ ا: «ملحاً» (من الح بالحائين).

سيفه عليه السّلام الّذى لم يقتل به الّا كافراً ومن هو فى حكمه حتّى صار ذلك مثلاً يضمّن الاشعار والاخبار الى يوم الدّين قال: كما ردّها يوماً بسوأته عمرو؛ مع ماظهر من نفاقه وكفره ببيع دينه من معاوية. واذا كان عائبه عليه السّلام بهذا النقصان المستلزم لنهاية الخسران كفاك ذلك فى معرفة حاله وكذب مقاله واستلزم ذلك فضل المعيب وشرفه قال ابو الطّيّب:

واذا أتتك مذمّتى من ناقص فهى الشّهادة لى بأنّى فاضل

والعدوّ اذا اطلق عنان هواه فى اذى من عاداه اجتهد فى قلب الفضائل رذائل وتصوير صحيح افعاله بصورة الباطل وخاصّة عداوة عن حسد مرشّح[1] بحقد صار عن مشاجرات ومجاهدات فى الله، وما اكثر النّاس ولو حرصت بمؤمنين[2] وما يؤمن اكثرهم بالله الّا وهم مشركون[3].

الكلمة الرابعة عشر

قوله عليه السّلام: كفى بالظّفر شفيعاً للمذنب.

اقول: قد عرفت معنى الظّفر ومنه القدرة على العدوّ والفوز، ومقصود هذه الكلمة الحثّ على التّأدّب عند الظّفر بصاحب الجريمة بتشفيع الظّفر فيه وترك اذاه وهو فى الحقيقة اعنى ذلك التّأدّب عند التّعوّد به يكون اثراً للملكة المسمّاة بالحلم ويصير ملكة تسمّى بالعفو، ثمّ انّه عليه السّلام اطلق لفظ التّشفيع على معنى الظّفر مع تباين حقيقتهما فانّ التّشفيع كما علمت هو الشّخص الّذى يشفع المذنب فى طلب الخلاص من جريمته بعد ان كان وتراً، والظّفر معنىً من المعانى فتعرف[4] اذاً انّه اطلاق مجازىّ من باب الاستعارة والتّشبيه. وبيان المناسبة انّ التّشفيع كما يكون غايته فى التّلطّف والتماس الاعذار وتحمّل[5] الامتنان ممّن اليه الشّفاعة هو ازالة الامور المتوهّمة فى المشفوع له من وهم المشفوع اليه وذاكرته او

١ - ب ج د: «موشح». ٢ و ٣ - ذيل آية ١٠٣ و ١٠٦ سورة يوسف.
٤ - ب ج د: «فيعرف». ٥ - ب ج د: «ويحمل».

ازالة بعضها وبالجملة ماتسكن معه القوّة الغضبيّة عن الحركة والتّحريك فى اذى المذنب والانتقام منه كذلك الظّفر عند تحقّقه مزيل للحقد وكاسر للقوّة الغضبيّة من الظّافر عن التّحريك لشهوة الانتقام امّا لانّ المحرّك لذلك الشّوق وهو الوهم قد زال منه تصوّر الموذى اولاعتقاد الظّافر حالة ظفره قلّة الاذى وعدم تأثيره فى حقّه واذا لاحت هذه المشابهة الحسنة[1] لاح انّ ذلك التّجوّز من احسن الاستعارات فكفى اذاً بالظّفر الّذى فى معنى الشّفيع شفيعاً للمحتاج الى الشّفاعة فى الصّفح عن جريمته والتّجاوز عن سيّئته ومع ماذكرنا فيه من سرّ فائدة تشفيعه وهى انّه يحصل بالتّعويد به الملكة المسمّاة بالحلم[2] له فائدة اخرى وهى انّ تشفيع الظّفر فى الغالب موجب لانمحاء الحقد من جانب المظفور[3] به ايضاً فيكون العفو عنه وترك الانتقام منه سبباً لاعتقاده ايصال[4] المنفعة من العافى اليه فيكون ذلك سبباً داعياً الى الميل الى جانب الظّافر وموجباً لتبديل العداوة بالصّداقة والوحشة بالانس والفرقة بالالفة والبغض بالمحبّة ، وكلّ ذلك قد عرفت انّه مطلوب للعناية الالٰهيّة باجتماع الخلق وتكثّرهم فى الوجود فكفى اذاً بالظّفر شافعاً حافظاً للادب كاسراً للغضب واقياً من العطب موجباً للالفة والحبّ الّذى فيه رضا الرّبّ ، والله ولىّ التّوفيق .

الكلمة الخامسة عشر

قوله عليه السّلام : ربّ ساعٍ فيما يضرّه[5] .

اقول : السّعى قد يكون سعياً ذاتيّاً وقد يكون عرضيّاً ؛ امّا السّعى الذّاتىّ

---

١ - ج د : «الحسية» . ٢ - ج د : «بالحكمة» . ٣ - د : «المظفر» . ٤ - د: «اتصال» . ٥ - هو مروى فى نهج البلاغة فى وصية اميرالمؤمنين (ع) لابنه الحسن (ع) وشرحه الشارح (ره) هناك بقوله (انظر ص ٥٢٤ و ٥٢٦ من الطبعة الاولى) :
«نبهه بطريق التمثيل ايضاً على التحرز فى السعى والتثبت فى ارتياد المصالح بقوله : رب ساعٍ فيما يضره ؛ فالاصل هو الساعى ، والفرع هو المخاطب ، والعلة هى السعى ، والحكم هو التضرر» .

فانّها يكون فى تحصيل النّافع لاعتقاد المنفعة المستلذّ بها من جهته **امّا عاجليّة** كالسّعى فى تحصيل المنافع الدّنيويّة المستلذّ بها حسّاً، **او آجليّة** كالسّعى فى تحصيل اللّذّات الباقية والخيرات الدّائمة الموجبة لكمال النّفس وسعادتها. **وامّا العرضىّ** فقد يكون نحو المنفعة وقد يكون نحو المضرّة، مثال الاوّل امّا نحو المنفعة الحاضرة فكمن يحتفر بئراً فيقع على كنز؛ وامّا نحو المنفعة الباقية فكمن يسعى فى الاموال فيتّفق له استاذ مرشد الى العلم بصير بمناهجه فيهتدى به الى سواء السّبيل. **مثال الثّانى** امّا نحو المضرّة فكمن يحتفر بئراً فتنهشه حيّة او يكون سبباً لتردّيه فيه[1] وامّا نحو المضرّة الآجليّة فكمن يسعى فى تحصيل العلم فيتّفق له استاذ مضلّ جاهل فيكسبه الجهل بشبهه[2] فيبقى منكّساً فى الظّلمات، **وفى درج هذه الاقسام اقسام اخرى بحسب اعتبارات اُخر** غير انّ ماذكرناه كاف فى بيان المطلوب، **اذا عرفت ذلك ظهر لك** انّ السّاعى فيما يضرّه جزء من كلّ بالنّسبة الى مطلق السّعاة الطّالبين للمطالب فلاجرم استعمل سلام‌الله عليه ههنا لفظ «ربّ» المقتضية للتّقليل؛ وهذه الكلمة مستلزمة لوجوب التّيقّظ والاحتراز فى المساعى والاجتهاد فى تمييز نافعها من مضرّها ولزوم القانون العدلىّ فى تعرّف كيفيّة السّلوك للصّراط المستقيم فانّ الباطل قد يكون بصورة الحقّ بالنّسبة الى اوهام كثير من الخلق، والكذب فى كثير من مخارجه وقد[3] يتشبّه بالصّدق؛ والله ولىّ الهداية.

الكلمة السادسة عشر

قوله عليه السّلام: روّحوا القلوب فانّ القلب اذا أكره عمى.

اقول: المراد بالقلب النّفس والاكراه الالزام لما يكره وروّحوها اى اردّدوها

---

١ - كذا فى النسخ والصحيح: «فيها» لان البئر مؤنثة قال‌الله تعالى: «وبئر معطلة».

٢ - ا ج د: «بشبهة» (بلفظ المفرد لاباضافة جمعه الى ضمير الاستاذ كما فى المتن».

٣ - كذا؛ وفى نسخة د: «قد» (بلاواو). ٤ - ج د: «عادته».

عمّا هي عاديّة(١) فيه من قولهم: روّح ابله اذا ردّها وقت الرّواح من السّوم الى المنزل، **والعمى** ذهاب البصر من العينين معاً وهذه الكلمة من التّأديبات الصّلاحيّة للسّالكين فى العلوم والاعمال **والمقصود بها** انّ القوى البدنيّة الّتى هى آلات النّفس فى التّوصّل(٢) الى مراداتها المتعلّقة بالبدن لاشكّ انّها متناهية القوّة فلاتقوى على الاعمال الغير المتناهية فاذا وجّهتها النّفس فى تحصيل المطالب فتحرّكت كثيراً فانّه حينئذٍ يحصل لها من الكلال والملال مايوقف النّفس عن العمل لضعف آلاتها(٣) وملالها وربّما بقى فيها ميل ونزاع(٤) وان ضعفت آلتها وملّت قوّتها الفكريّة الّا انّه اذا كان كذلك فينبغى ان لاتبالغ النّفس فى المعاطفة(٥) على ذلك الفعل بعينه فانّها ان فعلت ذلك خارت(٦) قوّتها الفكريّة الّتى هى عينها الّتى تبصر بها وجوه المطالب ووهت(٧) فزال نورها وذلك معنى العمى ولم يمكنها فتح ذلك البصر واستعادة ذلك النّور الّا على عسرٍ لنفار الطّبع عن المعاودة من تصوّر الوهم للموذى، وعرفت من هذا انّ اطلاق معنى العمى على ماذكرناه استعارة حسنة للمشابهة البيّنة من بحثنا فينبغى للسّاعى فى تحصيل المطالب الفكريّة ان لايقهر نفسه و [لا] يلزمها السّعى فيما عجزت عن تحصيله بل يروّحها كما يروّح صاحب الابل ابله لمراعاة مصالحها وحفظها من(٨) العمى بالاكراه كما يراعى ذوالسّائمة ابله ويحفظها من العطب فان النّشاط فيما يصرفها اليه ويسيمها فيه بعد ذلك اتمّ والميل اصدق بحسب تجدّد قوّة القوى ونشاطها.

فان قلت: هذا التّأويل يتوجّه عليه **شكّان: الاوّل** انّ التّرويح يستدعى مروِّحاً ومروَّحاً والنّفس لاتكون مروّحة لنفسها فلمّا كانت هى المروِّح وجب ان يكون المروَّح غيرها ؟! **الثّانى** انّ الاكراه يستدعى مكرِهاً ومكرَهاً ؛ والنّفس لايتصوّر ان تكون مكرهة لنفسها ؟!

---

١ - ج د : «عادته». ٢ - ب : «فى توصل». ٣ - ب ج د : «آلتها». ٤ - ب ج د : «ميل ولها نزاع». ٥ - ب ج د : «المواظبة». ٦ - ا ج د : «حارت».
٧ - ا : «ورهت» (بالراء المهملة فى فاء الفعل). ٨ - ا : «عن».

قلت : الجواب عن الاوّل انّ المروّح للنّفس هو النّفس من جهة عقليّتها[1] للمصلحة فى ذلك والمروّح هو ايضاً باعتبار ضعف آلتها حال ضعفها والى مثل ذلك اشير فى التّنزيل الالٰهىّ : ياايّها الّذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم ناراً[2]؛ فانّ المعطى للنّفس الوقاية هو النّفس من جهة كونها عاقلةً لمصالحها ومايجب ان تفعل ، والآخذ للوقاية هو هى ايضاً من حيث كونها قادرةً متمكّنة ممّا فيه مصلحتها وذلك غير متناف . **وعن الثّانى** ان المكره للنّفس هو هى من جهه عقليّتها لما ينبعى ان يفعل وغلطها فى ذلك فالمكره على ذلك السّعى هو هى ايضاً من جهة كونها قادرة على التّصرّف .

فائدة ــ لو حملنا القلوب على القوى المفكّرة باعتبارٍ والمتخيّلة باعتبارٍ وحملنا المروّح لها على النّفس النّاطقة وحملنا المكره عليها والمكره على تلك القوى وحملنا العمى على عدم انتفاع النّفس بها وعدم رؤيتها لوجوه المطالب بواسطتها لكلالها وملالها حتّى كان ذلك صالحاً لان يكون هو المراد اوقريباً منه ؛ والله ولىّ التّوفيق .

الكلمة السابعة عشر

قوله عليه السّلام : الادب صورة العقل .

اقول : قد عرفت معنى الادب ومعنى الفعل ، وامّا الصّورة فتطلق ويراد بها فى الظّاهر مايشاهد من الشّكل والهيئة وتسمّى صورة شخصيّة وتطلق فى عرف قوم ويراد بها الجوهر الحالّ فى المحلّ المقوّم لما يحلّه[3] ويتحصّل متحيّزاً باقترانه به وتسمّى صورة طبيعيّة وتسمّى محلّه مادّة ويسمّى المركّب منه ومن محلّه جسماً طبيعيّاً ، وتارةً يراد به مايقع به اختلاف انواع الجسم بعد اشتراكها فى الصّورة الجسميّة العامّة وتسمى تلك صورة نوعيّة ؛ وقد اطلق عليه السّلام ههنا لفظ الصّورة على الادب مجازاً ، والاشبه انّ ذلك المجاز

١ ـ «عقليها» .　　٢ ـ صدر آية ٦ سورة التحريم .　　٣ـ ا : «يحله فيه» .

عمّا سمّيناه صورة شخصيّة ووجه المناسبة بينهما انّ الصّورة الشّخصيّة لمّا كانت سبباً يعرف به كلّ شخص شخصاً[١] ويميز الرّائى بها[٢] بعض الاشخاص عن بعض ويستثبتها خياله كذلك الادب هو سبب يوضح امر صاحبه ويستدلّ بوجوده فيه على وجود استعداده للنّفحات الالٰهيّة الّذى هو عقله ، وبتفاوته يستدلّ على تفاوت العقول ومغايرة بعضها لبعض كما يستدلّ بتفاوت الصّور فى حسنها وقباحتها على اختلاف الاشخاص وتغايرها . واذا لاح وجه التّجوّز الحسن ونظرت الى المعنى المجازىّ المستحسن فقد اشرفت من[٣] مصدرها[٤] على بحرٍ لا يعام وادركت صورة غاية لاترام ، وفى هذه الكلمة تنبيه على وجوب لزوم قانون الادب الكاشف عن وجود معنى العقل والمقرّر له ، والله يختصّ برحمته من يشاء[٥] وهو الموفّق .

الكلمة الثامنة عشر

قوله عليه السّلام : اليأس حرّ والرّجاء عبد .

اقول : الرّجاء توقّع حصول المطلوب، واليأس عدم الرّجاء عمّا من شأنه ان يكون راجياً ثمّ نقول: ليس المقصود انّ اليأس نفسه له صفة الحرّيّة ولا الرّجاء له صفة العبوديّة بالحقيقة بل الرّاجى والآئس فاذاً اطلاق هذين اللّفظين على معنى اليأس والرّجاء بحسب المجاز من باب اطلاق اسم المتعلّق على المتعلّق والمقصود بيان انّ الرّاجى لامرٍ ما امّا من الله تعالى او من احدٍ من ابناء النّوع لايزال مادامت نفسه منتظرةً لذلك المرجوّ خاضعاً للمرجوّ منه متذلّلاً له ، ذابّاً عنه ساعياً فى مصالحه مجتهداً فى ارضائه بكلّ انواع الرّضا ويظهر الملق والتّودّد ، ويحتمل[٦] المشاقّ فى المساعى من الذّمّ وغيره حتّى تجده فى رجائه من عالم الخفيّات والسّرائر امرءاً يبتهل ويدعو ويكثر زيارة المساجد ومواضع القرب

---

١ - ا ب : «كل شخص شخص» . ٢ - ا ب : «لها» . ٣ - ا : «فى» .
٤ - ج د : «مصادرها» . ٥ - مأخوذ من القرآن المجيد من آية ١٠٥ سورة البقرة .
٦ - ا : «تحمل» .

ويوجب على نفسه المنذورات فى خلاص مايرجوه ووصوله اليه ولامعنى للعبوديّة الّا ذلك فانّ الخضوع والتّذلّل ههنا اتمّ مايمكن ان يكون ، وامّا بيان انّ الآئس حرّ ؛ فظاهر ، اذ منقطع الرّجاء من الشّيء متخلّص العنق من وثاق التّذلّل والخضوع للمرجوّ منه ، وان كان اطلاق لفظ الحرّ والعبد على الرّاجي والآئس مجازيّاً بالنّسبة الى من وضعا له .

وههنا نظرٌ اخر وذلك انّ الحرّ يقال على ذى الفضيلة النّفسانيّة الّتى بها يكسب المال من وجهه ، ويعطى مايجب فى وجهه ، ويمنع من اكتساب المال من غير وجهه ، ويقابله العبد لمن له ضدّ تلك الفضيلة من الرّذائل[1] ومعلوم انّ الاوّل انّما كان قادراً على التّصرّف المذكور بحسب قهر النّفس الامّارة بالسّوء وتطويعها للنّفس المطمئنّة وانقيادها فى اسرها ، وانّ الثّانى انّما لم يقدر على ذلك لغلبة النّفس الامّارة على النّفس المطمئنّة وجذبها لها الى المشتهيات الدّنيّة واللّذّات البدنيّة فاذا كان كذلك لاح لك حينئذٍ انّ الرّاجى لامرٍ فانٍ لمّا كانت قوّته الشّهويّة قائدة لعقله الى الطّمع فيما لاينبغى ان يطمع فيه وتوقّع مالاينبغى ان يتوقّع ولايجوز ان يشغل النّفس بطلبه لاجرم كان عبداً لتحقّق معنى العبوديّة فيه وهى الرّذيلة الصّادرة عن متابعة الشّهوة ، وانّ الآئس لمّا كان منقطع الرّجاء وزائل الطّمع فى هذه الاشياء دلّ ذلك على قهر قوّته العاقلة لهواه ومتى كان كذلك كانت نفسه متحصّلةً لتلك الفضيلة المسمّاة بالحرّية فلاجرم كان حرّاً ؛ والاعتبار الاوّل أظهر وأشهر ، والثّانى أدقّ عند النّظر ، والله ولىّ التّوفيق .

الكلمة التاسعة عشر

قوله عليه السّلام : من لانت أسافله صلبت أعاليه .

اقول : المراد بالاسافل السّبّة[2] والاليتان ، وباللّين الخنث وهو الاسترخاء

١ ـ د : «من الرذيلة».   ٢ ـ السبة (بضم السين وتشديد الباء) الاست.

والتّكسّر[1] لامطلقاً فانّ مطلق استرخاء ما ذكرنا لايلزمه صلابة الاعالى بل على وجهٍ خاصّ وهو ان‌يكون ذلك عن مباشرة الرّجال والاتيان فى‌ذلك المحلّ للشّهوة العارضة الدّاعية الى‌الاتيان فيه ويسمّى صاحب هذا الفعل مخنّثاً لكون الاسترخاء من‌لوازم ذلك الفعل اذكان صاحب هذه الشّهوة كثيراًما يميل الى طباع النّساء وخاصّة فى‌البلدان الحارّة الرّطبة فاطلاق الخنث على هذه الشّهوة اطلاق اسم اللّازم على ملزومه . **وامّا الاعالى** فالوجه واللّسان والعين ؛ وليس المراد من صلابتها عدم قبول الانغماز فانّ قبولها للانغماز ظاهر بل المراد القحة والخشونة المتعارفة الّتى تصدر عن عدم الحياء كما ستعرفه فى‌الكلمة الّتى بعد هذه الكلمة . **وامّا السّبب فى‌تحريك هذه الشّهوة** فهو قوّة تخيّل[2] اللّذّة فى‌هذا الفعل الباعثة لتحريك الشّهوة بقوّة وكثرة الاسباب المادّيّة[3] للشّهوة وقوّتها فى‌بعض الامزجة . ثمّ قد يكون الاستعداد لهذا الانفعال والتّخيّل لازماً لوجود الشّخص من اصل مادّته فتراه من‌حيث الصّبا[4] وقبل تمام الشّهوة منخنث[5] الكلام يتعانى[6] لين كلمات النّساء وكثيراًما يرجى[7] لمثل‌هذا فلاح ، وقد يكون ذلك الاستعداد عارضاً امّا عن عادةٍ لذلك‌الفعل حدث ابتداؤها عن اجبارٍ او عن اختيارٍ فتكون الحركة عن‌ذلك الاستعداد الى ذلك الفعل والمبادرة اليه سريعة .

وامّا بيان لزوم‌التّالى للمقدّم فهو انّ ذلك‌الفعل لمّاكان أقبح مايرتكبه‌الانسان فى‌العرف وبين اهل‌العالم وكان التّظاهر به مستلزماً لاطفاء نور ملكة الحياء من‌وجه‌الفاعل المستلزم لغلظ الوجه وقحة الحدقة لاجرم كانت صلابة الاعالى لازمةً للين الاسافل كما سنزيده تقريراً فى‌الكلمة‌الّتى تأتى بعدها . **وقد عرفت** انّ هذه‌الكلمة مستلزمة للتّنبيه على قبح ارتكاب هذا الفعل لقبح مايلزمه من الرّذائل الّتى يجب اجتنابها وتطهيرالنّفس‌عنها؛ والله يطهّر سرائرنا عن ملكات السّوء انّه ولىّ كلّ نعمة ، وبه التّوفيق والعصمة .

۱ ـ ا : «والتكسير» ج د : «والتليين» . ۲ ـ ا : «تخييل» . ۳ ـ ا : «المادة» .
٤ ـ ب ج د : «الصبى» . ٥ ـ د : «متخنث» . ٦ـ كذا فى‌النسخ ولعل الصحيح : «يتعاطى» . ۷ ـ ب ج د : «لايرجى» .

الكلمة العشرون

قوله عليه السّلام : من طعن فى عجانه قلّ حياؤه وبذا(١) لسانه.

اقول : المراد من هذه الكلمة قريب ممّا قبلها فعبّر عليه السّلام بالطّعن الّذى هو فى الاصل عبارة عن الضّرب بالرّمح وكلّ محدّد مستقيم ممّا هو فى حكمه عن الضّرب بالقضيب مجازاً ووجه المشابهة ظاهر وفيه يقول بعض [أهل] الخلاعة :

يا ايّها النّاس من كانت له فرس فليركبنّ عليها نومة النّاس
وليشددنّ بسرجٍ لاحزام له وليطعننّ برمحٍ ليّن الرّاس

والعجان اسمٌ لآخر القضيب ممّا يلى السُّبّة وعبّر به عليه السّلام عن السُّبّة مجازاً اطلاق اسم المجاور على مايجاوره ، والبذاءة الكلام الفاحش ، وانّما خصّص (ع) العجان بالذّكر دون جوانب السّبّة لملاحظة لطيفة وذلك انّ سبب وقوع لذّة المفعول فيه بذلك الفعل انّما هو محاكّة قضيب الفاعل لاصل قضيب المنفعل وهو عجانه المستلزمة لثوران الشّهوة والموجبة للانزال دون سائر الجوانب فلذلك خصّه عليه السّلام بالذّكر دونها ، **وامّا بيان الملازمة** بين جزئى هذه الشّرطيّة فلانّ السّبّة لمّا كانت اخسّ مكانٍ واقبحه من الانسان وكانت طبيعة الخلق مجبولة على سترها اذ كانت جبلّة الانسان مبنيّة على ستر القبيح وكلّ ماعدّ بين الخلق نقصاناً ورذيلةً ؛ واظهار الجميل والمسارعة الى التّكميل بكلّ(٢) مايعدّ كمالاً وفضيلةً ؛ فاذا فرضت انساناً اتّصف بهذا الفعل لعروض أسبابه فاذا ثارت(٣) قوّته الشّهويّة الى ارتكابه فانّ عقله حينئذٍ يكون مقهوراً فى شهوته فينساق(٤) فى قيادها الى قبول ماهو مشهور القبح(٥) بين الخلق وماكان نافراً منه باصل جبلّته من العار والشّناعة القبيحة

١ ـ ا : «بذ» (بتشديد الذال) ولعله مصحف : «بذأ» بهمز الاخر. ٢ـ ج د : «فكل».
٣ ـ د : «تأدت». ٤ ـ ج د : «فيساق». ٥ ـ كذا والظاهر انه : «مشهور بالقبح».

والسّبّ الصّادق والذّمّ الفاحش بين الخلق ويأنس ولا يبقى له انكارٌ ولا له منه نفارٌ بل ربّما تزيّى بزيّ النّساء اللّاتى هنّ(١) محلّ الوطى بأصل الطّبيعة ؛ واستحسن ذلك والفه ، واذا كان كذلك لم تنحصر نفسه خشيةً من الذّمّ وحذراً من اتيان القبيح اشنعه واشتهاره به عن رضىً ومحبّةً ؛ وحينئذٍ تحصّلت له وقاحة الوجه والعين واللّسان لامتداد الرّوح النّفسانىّ عند المواجهة بالقبيح ولا يزال ذلك يتزايد بحسب التّعويد وطول المواجهة حتّى لا يبقى له استشعار خوفٍ من(٢) ذمّ ، ولا انفعال عن مواجهة بشتمٍ ، فقد ظهر لك لزوم قلّة الحياء للاتيان المخصوص فى المحلّ المذكور ، وامّا البذاءة فلازمة لقلّة الحياء ، ولمّا كانت هذه الرّذائل والظّلام(٣) العارض من عدم هذه الفضائل مهروباً منها وكان ذلك الفعل هو السّبب فى لزومها كانت هذه الكلمة مشتملةً على التّنبيه للحذر من قربه والبعد عنه ماامكن ؛ والله المستعان .

الكلمة الحادية والعشرون

قوله عليه السّلام : السّعيد من وعظ بغيره .

اقول: السّعادة فى اللّغة هى اليمن والمراد بها ههنا حصول الانسان على الكمال الذّاتىّ له ، **والاتّعاظ** الانزجار عمّا يبعّد عن الحضرة الالهيّة وينافى الكمال المطلوب ، **واعلم** انّ هذه القضيّة فى تقرير متّصلة وهى : من وعظ بغيره فقد سعد؛ وبيان الملازمة انّا بيّنّا انّ العلل العالية الفيّاضة بالخيرات ليس فى جانبها نقصانٌ ولا ينسب اليها تقصير وحرمانٌ بل الاصل فى عدم حصول الكمال وتأخّره هو نقصان المستعدّ فى ذاته او(٤) عدم استعداده لمطلوباته حتّى اذا تمّ استعداد النّفس لامرٍ يوجب فيضه من علّته التّامّة واذا كان كذلك **فاعلم** انّ الاتّعاظ هو انزجار النّفس عن متابعة قواها البدنيّة الّتى هى شياطينها(٥) حتّى لا ترد

---
١ - فى النسخ : «الذين هم» . ٢ - ا : «من خوف» . ٣ - ا : «والكلام» .
٤ - ج د : «و» . ٥ - ب : «شياطينهم» .

موارد[1] الهلكات ولاتتدنّس برذائل الملكات ولزومها لقانون العدل الّذى هو[2] وسط بين طرفى الافراط والتّفريط فيما يقودها اليه تلك القوى وتمنّيها من اباطيل المنى فاذا فرضنا انّها انزجرت مثل ذلك الانزجار عن نظرها بعين البصيرة الى حطام هذه الدّار فلاشكّ ولاشبهة انّها قد حصلت على الاستعداد المستلزم لنيل السّعادة الباقية ، واستشعرت لباس الامن من سموم عقارب اللّذّات الفانية ، **وامّا انّ ذلك الاتّعاظ من الغير** فلأنّ كلّ موجود ممكن لاينفكّ عن دليلٍ واضحٍ على الحكمة الالٰهيّة وبرهانٍ شاهدٍ على كمال العناية الرّبّانيّة

فى كلّ شيء له اٰية تدلّ على انّه واحد

فاذا اطّلعت النّفس على اثر رحمة الله او اثر سخطه لاح لها انّ المطلوب ليس هو مايميل قواها البدنيّة اليه وليس المراد ماتقبل بوجهها عليه فتتقهقر حينئذٍ عن طاعتها المردية وتنزجر عن متابعتها الموذية الى القانون العدلىّ ولاشكّ انّ لزوم ذلك القانون معدّ لقبول السّعادات الابديّة .

وقد وردت هذه الكلمة بروايةٍ أخرى وهى :

السّعيد من اعتبر بغيره . وتقديرها على هذه الرّواية : من اعتبر بغيره ؛ فان فسّرنا الاعتبار بالاتّعاظ لم يكن بين الرّوايتين مغايرة الّا فى اللّفظ ، وان فسّرناه بالمجاوزة والتّعدّى كما سبق احتجنا فى بيان التّلازم للملزوم وهو ثبوت السّعادة للمعتبر الى وسطٍ هو الاتّعاظ ، امّا **المقدّمة الاولى** فلانّ المعتبر اذا نظر الى وفق الامر الالهىّ : قل انظروا ماذا فى السّماوات والارض[3] فاعتبروا يااولى الابصار[4] فاستوفى شرائط النّظر كان ذلك النّظر مستلزماً للمجاوزة الى المطلوب استلزام الكلّ لجزئه[5] فاذا حصل المطلوب على وجهه كان

١ ـ ا : «سراد» . ٢ ـ ا : «لقانون العدل هو» . ٣ ـ صدر آية ١٠١ سورة يونس .
٤ ـ ذيل آية ٢ سورة الحشر . ٥ ـ ج : «الكلى الجزئية» د : «الكلى لجزئية» .

ذلك سبباً لكمال القوّة العاقلة يتمكّن معه من قهر قواها البدنيّة وجذبها لها الى المسالمة والمساعدة على تحصيل المطلوبات الحقيقيّة . **وامّا الكبرى** فبيانها ماسبق فى الرّواية الاولى وبتقدير صحّة هذه الرّواية تكون هذه الكلمة صالحة الدّخول فى القسم الاوّل وفيها تنبيه على وجوب الاتّعاظ فانّ السّعادة لمّا كانت هى المطلوب[1] بالذّات وكان الاتّعاظ وسيلةً اليها لاجرم كان واجباً ؛ والله ولىّ التّوفيق .

الكلمة الثانية والعشرون

قوله عليه السّلام : ربّ املٍ خائب .

اقول: الامل هو الرّجاء ، **والخيبة** عدم حصول المطلوب بعد السّعى فيه ، والمقصود من هذه الكلمة التّنبيه على وضع الامال مواضعها كما ينبغى وعلى الوجه الّذى ينبغى فانّ فيها ماهو خائب وان وجّهه الآمل مدّلاً[2] فيه نفسه وقد علمت انّ اعظم السّعى خيبة ماكان سعياً واملاً للامور الفانية الّتى تفنى لذّتها وتبقى حسرتها فنحّ ايّها الاخ شهوتك جانباً وحدّق بعين بصيرتك الى اين تضع املك فانّك ستراه ان شاء الله . **وامّا تصديره** عليه السّلام **للكلمة برب**ّ المقتضية للتّقليل فلانّ الآمل لمّا كان فى الغالب انّما يوجّه الآمال الى الامور الممكنة فى حقّه والّتى يكون متأهّلاً لها اذ مالايتصوّر امكانه فى حقّه ولاتأهّله له لايكون املاً له واذا كان فى الاغلب مستعدّاً لما يأمله كان ظافراً بحصوله بحسب تأهّله له سواء كان ذلك الامل بالنّسبة الى الله تعالى او الى احدٍ من ابناء النّوع ؛ **امّا بالنّسبة الى الله تعالى** فواجب عند تأهّل الآمل لمطلوبه ان يُظفره به ويفيضه عليه لما انّ الجواد المطلق لاتوقّف[3] فيه الّا على تمام القابل فى قابليّته ، **وامّا بالنّسبة الى ابناء النّوع** وان كانت أسباب الخيبة من القابل والمقبول منه كثيرةً ولكنّ الاغلب عند الاجتهاد من الآمل وتأهيل

---

١ ـ كذا . ٢ ـ اب : «وسد» . ٣ ـ ا ب : «توفق» ج د : «يوقف» .

نفسه لذلك المامول يقع ذلك المأمول ولذلك قيل(١) : من اجتهد وجدّ وجد ؛ والتّوصّل الى الامور الممكنة فى الاغلب ممكن وان كان على عسرٍ ؛ وحصولها وان كان على بُعدٍ جائز ؛ واذا كان كذلك كان خيبة الآملين اقلّيّة الوجود بالنّسبة الى ظفرهم بمطلوباتهم ، وامّا اسباب تلك الخيبة فأمور جزئيّة واسباب قضائيّة لاتضبطها قوى البشر وان عدّ الاٰمل فى أنظارهم مستحقّاً والمأمول منه فى العرف والعادة جواداً فلذلك صدّر القضيّة بربّ المفصحة عن الاخبار باقلّيّة خيبة الاٰملين ، ربّنا لاتجبهنا(٢) بخيبة اٰمالنا ، ولاتفضحنا بسوء أعمالنا ، وأفض علينا رياح رحمتك ، وأذقنا برد عفوك وحلاوة مناجاتك ؛ انّك انت الوهّاب .

الكلمة الثالثة والعشرون

قوله عليه السّلام : ربّ طمعٍ كاذب .

اقول : قد عرفت ماهيّة الطّمع ، وامّا الكذب فقد يطلق على مالايطابق من اخبار(٣) القائل اعتقاده وعلى مالايطابق من الاعتقاد(٤) معتقده فيقال : ظنّ كاذب ووهم كاذب ؛ ولمّا كان الطّمع مستلزماً فى بعض الصّور ظنّ حصول الشّيء المطموع فيه اطلق عليه انّه كذب اطلاقاً لاسم(٥) اللّازم على ملزومه والمقصود ههنا بيان اقلّيّة الطّمع الكاذب بحسب المطابقة والحثّ على وضع الاطماع مواضعها بحسب الالتزام وهو المقصود الذّاتىّ ؛ بيان الاوّل انّ الطّمع فى الغالب انّمايتوجّه نحو امرٍ ممكنٍ ممّن يؤهّل نفسه لتناوله وكان اعتقاد حصوله تارة يكون علماً وتارةً يكون ظنّاً وتارةً يكون وهماً ، وكان الاعتقاد العلمىّ لاكذب فيه وكان الاغلب فى الظّنّ ان(٦) لاكذب فيه وكان الوهم ايضاً قد يطابق لاجرم

١ ـ اب «ولذ لك ساقيل» . ٢ ـ ج د : «لاتخيبنا» يقال : «جبهه بالمكروه اذا استقبله به» . ٣ ـ ج د : «افعال» ٤ ـ كذا . ٥ ـ ب : «اطلاق الاسم» .
٦ ـ ب ج د : «انه» .

كان عدم مطابقة الطّمع الصّادر[١] عن تلك الاعتقادات وكذبه اقلّيّ الكون فلذلك صدّر عليه‌السّلام القضيّة بربّ . **بيان الثّانى** انّ الكلمة مستلزمة للتّنبيه على قبح الطّمع فى‌الامور الفانية اذ كان طلبها مع مايؤدّى اليه من امر المعاد مشتملاً على كذب اعتقاد حصولها بحيث يكون السّعى فى ذلك المطموع فيه ضائعاً لايعود الّا بالضّرر فينبغى ان يكون الطّامع فى مجرى مواقع[٢] طمعه العائد عليه بالنّفع على تثبّتٍ ؛ والله الموفّق .

الكلمة الرابعة والعشرون

قوله عليه‌السّلام : ربّ رجاءٍ يؤدّى الى الحرمان .

اقول : الحرمان مصدر قولك حرمت فلاناً العطيّة اذا منعته ايّاها بالكلّيّة ؛ والمقصود ههنا بيان انّ الرّجاء الّذى هو سبب فى العادة لحصول المطلوب قد يتّفق ان يكون سبباً لحرمانه وبيان ذلك انّ الرّجاء امّا ان يكون من الله تعالى او من احدٍ من ابناء النّوع وعلى التّقديرين فقد يكون سبباً للحرمان امّا من الله تعالى فصورته رجاء محصّل لوقرٍ او اوقار[٣] من المال غلبه الحرص والشّره وساقه[٤] امل الزّيادة فيه الى السّفر به فى البحار والقفار وكان فى القضاء الالـهىّ تلفه وحرمان صاحبه بالكلّيّة وان كان ذلك غير مقصود بالذّات للعناية الالـهيّة ، **وامّا من ابناء النّوع** فصورته ان يقصد الرّاجى الى بعض المثرين رجاء رفده فيغلبه الحرص والطّمع على طلب ما لايمكن اوالتماس ماينفر الطّبع من التماسه فيكون ذلك مثيراً للقوّة الغضبيّة وسبباً لمنعه بالكلّيّة بحيث انّه لو اقتصر على ماهو دون ذلك واسهل منه لاعطى ايّاه ولما كان ممنوعاً ، ولمّا كانت هذه الاحوال اقلّيّة الوجود بالنّسبة الى الرّجاء المؤدّى الى حصول المطالب وبلوغ الامور المرجوّة لاجرم صدّر القضيّة بربّ . **وفى هذه الكلمة ايضاً تنبيه** على وجوب وضع الرّجاء موضعه كماينبغى وعلى الوجه

١- ب : «الصادرة» . ٢- ب ج د : «تحرى مواضع» ٣- ا : «لوترا واوتارا» ج د : «لوفدا وفادا» . ٤ - ا : «سامه» .

الّذی ینبغی لیحصل عن ذلک ملکة الحرّیّة، ولانّ الرّجاء الخارج عن مجراه الطّبیعیّ مستلزمٌ للحرمان المنفورمنه طبعاً؛ والله ولیّ التّوفیق.

الکلمة الخامسة والعشرون

قوله علیه‌السّلام: ربّ ارباحٍ[1] تؤدّی الی الخسران.

اقول: الرّبح الزّیادة الحاصلة من التّصرّف فی‌قدرٍمخرجٍ من المال للتّجارة یسمّی برأس‌المال **ویقابله الخسران وهوالنّقصان** الحاصل بسبب التّجارة فی‌ذلک القدرالمخرج **والمراد** أنّ بعض الارباح سبب للخسران وهذا المطلوب یثبت[2] تصوّره. **واعلم أنّ** لفظ الرّبح وان کان حقیقة[3] فیما ذکرنا فقد یطلق مجازاً علی تحصیل المعارف والعلوم الحقیقیّة والحصول علی الکمالات النّفسانیّة،ورأس مال هذه التّجارة هی المعقولات الاولی والثّانیة بحسب تصرّف التّاجر وهوالعقل فیها واستخراج الارباح الّتی هی‌النّتائج من المقدّمات والحجج والحقائق من‌الحدود والرّسوم،**ووجه المشابهة بینهما** هو انّ لکلّ واحدٍ منهما زیادةً حاصلةً عن اصله بالتّصرّف فیه، وکذلک لفظ **الخسران** کما کان حقیقةً فی النّقصان الحاصل فی رأس المال کذلک یطلق مجازاً علی مایحصل من الخلل فی

۱ـ هذه الکلمة فی جمیع النسخ الموجودة عندی «ارباح»بصیغة الجمع،کما یلاحظ فی المتن وماذکره الشارح (ره) فی شرحها ایضاً یؤید کون الکلمة هکذا الان الکلمة فی کتاب «مطلوب کل‌طالب فی‌شرح کلمات امیرالمؤمنین علی بن ابی‌طالب(ع)»نقلت بلفظ المفرد علی وزن‌صباح،ومقابلتها لماسبقها من قوله(ع): «رب رجاء» تؤید کون‌الکلمة کذلک وکذا کونها مجرورة برب؛ **قال الطریحی**(ره) فی‌مجمع‌البحرین: «والربح بالتحریک اسم ماربحه‌الانسان وکذلک الرباح بالفتح» وصرح بمثل کلامه سائر علماء اللغة فالاولی کون الکلمة «رباح».

۲ـ ا ب: «ثبت». ۳ـ ج د: «حقیقته» (باضافته الی ضمیره).

ترتيب الحدود والبراهين الّتى هى رأس المـال المجازىّ . **واذا عرفت ذلك فنقول : قد** يكون الرّبح الوهمىّ وهو المتعلّق بالمال سبباً للخسران بالمعنى المجازىّ أيضاً ولست أعنى بالسّبب ههنا العلّة الموجبة فانّ احدالمتقابلين لايكون علّة ً للآخر؛اذلاواحد منهما بمجامعٍ للآخر و كلّ واحدٍ من العلّة والمعلول مجامعٌ للآخر بل المقصود انّه سبب عرضىٌ معدّ والعلّة لها شىءٌ آخر.

مثال سببيّة الرّبح الظّاهرىّ للخسران الظّاهرىّ ماشوهد بالحسّ ان ّرجلاً سافر الى الهند بسبعة عشر ديناراً ولم يزل يتردّد فى مدّةٍ يسيرةٍ بلغت تلك الارباح سبعة عشر ألفاً ؛ ثمّ عزم على القرار فنازعته نفسه الامّارة بالسّوء الخروج وغلبه الحرص على طلب الزّيادة فخرج فلم يلبث ان[1] هاج البحر على سفينته فغرقت وخرج عرياناً لايقدر على شىءٍ ممّا كسب فكـانت تلك الارباح مهيّجةً لحرصه على الطّلب والسّعى والازدياد فكان سبباً معدّاً لحصول الحركات الّتى معها وقع ذلك الخسران؛وامثال ذلك كثيرة.

ومثال سببيّة الرّبح الظّاهرىّ للخسران الاخروىّ هوان المشتغل بتحصيل أرباح- التّجارات المـاليّة وقد أضنى[2] بدنه وأفنى عمره فى الأسفار والمعاملات وتاقت[3] نفسه وانخرطت فى سلك هواها وتدنّس لوحها بالملكات الرّديّة فحصلت على اضداد الرّبح المجازىّ الّذى لايجامعه فكانت تلك الارباح الوهميّة أسباباً معدّةً لنفس صاحب هذه التّجارة لان يتّصف بأضداد الرّبح المجازىّ فكانت أسباباً مؤدّية الى الخسران.

ثمّ لمّا كانت تأديتها[4] الى الخسران اقليّة الوجود بالنسبة الى تأديتها الى الارباح الوهميّة والحقيقيّة او الى السّلامة من الخسران الكلّىّ المردى فى حضيض جهنّم لاجرم صدّرت هذه الكلمة أيضاً بربّ. **فينبغى للعاقل** ان يميز الارباح المؤدّية الى الخسران من غيرها ليسلم

١- ج د: «فلم يلبث الا ان». ٢- ب: «انضى» يقال: «انضى بعيره انضاءً = هزله بكثرة السير» و يقال : «اضناه المرض اضناءً = اثقله». ٣- ا ب : «وانافت» ج د : «واتاقت». ٤- ب ج د : «كان تأديها».

باجتنابها عن السّقوط فى مهاوى الصّغار وحلول دارالبوار سلامةٌ تستتبع غنيمةً عظيمةً وتستلزم مسرّةً مقيمةً؛ فانّ لها وجوداً وان كان أقلّيّاً؛ وعلى الله قصد السّبيل فى أربح التّجارات وأزكاها وأنفعها وأنماها، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الكلمة السادسة والعشرون

قوله عليه‌السّلام: فى كلّ اكلة غصّة، ومع كلّ جرعةٍ شرقة.

اقول: **الاكلة** الواحدة من الاكل، و **الغصّة** بفتح العين المرّة الواحدة من قولك «غصّ فلانٌ بالماء = امتلأ حلقه منه فلم يجزه[1]» وامّا بالضمّ فهى‌الشّجا، **والجرعة** من الماء وكلّ مائع شرب المقدارالّذى يجذبه القوّة[2] الجاذبة منه دفعةً دفعةً، **والشّرق** الالم العارض عندالشّرب من نفوذ الماء فى غيرالمجرى الطّبيعىّ من الحلق. **والمقصود من هذه الكلمة** بيان انّ اللّذّات الدّنياويّة غيرخالصةٍ من‌شوب‌الآلام، وغيرصافيةٍ من كدورات الشّرور؛ وانّ مايعدّ فيها خيراً ولذّةً هوعندالتّحقيق خلاصٌ من‌ألمٍ وراحةٌ من تعبٍ؛ ثمّ هوليس بخلاصٍ دائمٍ ولابراحةٍ مستمرّةٍ بل مستعقبة للألم وملحوقة بالنّصب **فكنّى** عليه‌السّلام **بالأكلة والجرعة عن‌اللّذّات[3] الدّنياويّة** لاستلزامها اللّذّةوكنّى‌بالغصّة والشّرقة عن‌الالم لاستلزامها ايّاه فكان ذلك اطلاقاً لاسم الملزوم على‌لازمه فى‌الموضعين وهو مجازٌ حسنٌ **وانّما خصّ هذين النّوعين بالذّكر** من سائر الأنواع المستلزمة للذّة **والالم** لما انّ الاكل والشّرب اكثرها وقوعاً فى الوجود، **وفى هذه الكلمة تنبيه لك ايّها الاخ** على[4] حال هذه اللّذّات‌الحاضرة فانّها مشوبة بالآلام موسّخة بالآثام فانظروفّقك الله بعين بصيرتك وجه المناسبة بينها وبين اللّذّات الباقية الصّافية وان كنت لاتطلّع منها

١ـ ا: «فلم يحزه» ب د: «فلم يخره». ٢ـ ا: «النفس». ٣ـ ا: «من اللذة».

٤ـ ب: «عن».

مادمت فى عالمك هذا الّا على قدرٍ مغطّىً(١) بقشور الخيال محفوفٍ من الّلذّات الحاضرة بامثال‌فانـك؛ تجد بينهما فرقاناً(٢) شديداً وامداً بعيداً، ولو جرّدت‌عقلك عن خيالك وأمكن لك ذلك لما وجدت بينهما مقايسة ولفقدت بينهما المناسبة ، والله تعالى هوالحاكم بالّسعادة ومن عنده حسن‌الوفادة.

الكلمة السابعة والعشرون والثامنة والعشرون

قوله عليه‌السّلام : اذا حلّت(٣) المقادير ضلّت التّدابير .

[و]اذا حلّ القدر بطل الحذر.

أقول: المقادير جمع مقدورٍ وهوالامر المقدّر من الله، **والضّلال** الضّياع والهلاك ، **والتّدابير** جمع تدبيرٍ وهو اجالة الفكر فى ايقاع الافعال على الوجوه الّتى هى أنفع و أوفق بحال الانسان **ونحتاج ههنا الى تفسير القدر** ولمّا كان معلّقاً بالقضاء احتجنا الى تفسيرهما معاً **فنقول :**

قالت‌الحكماء : لمّا كان جميع صور الموجودات كلّيّاتها وجزئيّاتها الّتى هى‌بلانهاية حاصلة من حيث هى‌منقوشة فى‌العالم العقلىّ بابداع الحقّ الاوّل تعالى ايّاها؛وكان ابداع الامورالمادّيّة منها ممتنعاً اذ المادّة غيرمستعدّةٍ لقبول صورتين منها فضلاً عن‌قبول ما لانهاية له وكانت‌العناية الالهيّة قد اقتضت تكميل المادّة بابداع تلك‌الصّورفيها واخراج مافيها من قبول تلك الصّورمن‌القوّة الى الفعل قدّربلطيف حكمته زماناً غيرمتناهٍ من‌الطّرفين يخرج فيه(٤) تلك الامور الى الفعل(٥) واحداً بعد آخر(٦) فتصير تلك الصّور فى جميع ذلك الزّمان موجودة فى موادّها والمادّة كاملة بها ، **واذا عرفت ذلك فاعلم انّ القضاء** اسم لوجود جميع‌الموجودات فى‌العالم العقلىّ مجملة على‌سبيل الابداع ، **والقدر** عبارة عن وجودها

١- ا : «مايغطى». ٢- ج د: «فرقاً». ٣- ا : «حصلت». ٤- ا: «مخرج» (بدلا من الكلمتين) . ٥- ج : «العقل». ٦- د : «بعد واحد آخر».

فى موادّها الخارجيّة مفصّلة واحداً بعد آخر واليها الاشارة فى التّنزيل الالهىّ: وان من شىءٍ الّا عندنا خزائنه وما ننزّله الّا بقدرٍ معلوم[1] واذا كان كذلك؛

فنقول: المقصود من هذه الكلمة انّ المقادير وهى وجود الموجودات المادّيّة اذا حلّت اى حدثت وقامت بالمادّة بالفعل وكانت اموراً مكروهةً الى طباع الانسان ككون[2] الامور المضادّة للحياة فى موادّها أوكون امورٍ اخرى يتضرّر بها و يتأذّى بوقوعها فانّ تقديراته واجالة فكره بقوّته العمليّة فى كيفيّة التّوقّى والسّلامة من ذلك التّأذّى بحسب توهّمه انّه مالكٌ لاموره قادرٌ[3] على تسليم أحواله[4] من الآفات ومقتدرٌ على التّوقّى بالحذر، والتّدابير حينئذٍ تكون ضائعةً باطلةً غيرمنتفعٍ بها اذ كان حكمه بالقدرة على التّوقّى حكميّاًو هميّاً[5] حتّى لو راجع عقله لعلم انّ المقادير أمورٌ غيبيّةٌ ولها اطوارٌ وراء- العقول لايحصن منها تدبيرٌ ولايطّلع على وجه الخلاص منها وان اطّلع على مثل مايعتاد معه دفع ذلك المكروه فيما مضى من الاوقات لقصور القوّة الانسانيّة عن ادراك تفاصيل اسباب وقوع الامر المكروه وعرفت من ذلك معنى بطلان الحذرعند وقوعها فانّ الحذر هوالتّحرّز والتّحفّظ من وقوع الامور المكروهة بحسب اجالة الفكرالعملىّ أيضاً فى الحيلة والخلاص من وقوعها بالانسان وقد عرفت انّ ذلك غيرنافعٍ عند حلول القدرفهو باطل.

تنبيه - ولايحملنّك هذا البحث على الانهماك فى المعاصى والاستكثار من الامور الموبقة فى . . . . . .[6] فاذا نوقشت على ذلك أحلته على القضاء والقدروزعمت[7] انّك بذلك متخلّصٌ من العقاب فانّك حينئذٍ تكون من الغالطين غلطاً تكون به من الهالكين بل ينبغى ان تقبل بكلّيّتك على قبول الاوامر والنّواهى الشّرعيّة والعمل بمقتضاها وتعلم

١- آية ٢١ سورة الحجر. ٢- ا: «لكون». ٣- ب ج د: «وقادر». ٤- ب: «أمواله» (بالميم فى اول مفرده على ان يكون جمع مال لا كما فى المتن من كونها جمع حال (بالحاء المهملة). ٥- فى النسخ: «حكم وهمى». ٦- هنا بياض بقدر كلمتين فى ثلاث نسخ (ا ج د) واما نسخة ب فليس فيها كلمة «فى» والبياض. ٧- ا: «فزعمت».

انّ موجدك قد أعطاك قدرةً وعقلاوامرك بفعلٍ هوممكنٌ فى نفسه وبالنّسبة الى ذهنك هوممكنٌ ايضاً لك فالتّكليف واردٌ عليك بحسب ذلك لابحسب مافىعلمه وانّ عقاب الانسان على خطيئته وهى الحركات الّتى لاتنبغى(١) منه المنسوبة اليه ظاهراً وفى اعتقاده الجازم بالقدرة عليها فيما يعدّ(٢)جوهرنفسه لتمكّن الملكات الرّديّة منهاورسوخها فيهاامر لازم لجوهرها وهى نارالله الموقدة * الّتى تطّلع علىالافئدة(٣)وكذلك مايتبعها مندوام التّعذيب بها(٤)وانت بالنّظر الى نفسك معتقد جازم بانّك قادرٌ علىتدبير الخلاصمن تلك الهيئات الرّديّة بالسّعى فىاكتساب أضدادها؛وعلىان لاتعرض لنفسك بالكلّيّة. **واماّ نسبتك ذلك الى القدر** فذلك ليس من تكليفك(٥) علىانّ الشرورالواقعة بك ليس اليها(٦) قصد ذاتىّ بالفضائـل من حيث انّه لايمكن برّ(٧) الخير الموجود فيك منها والّا لما كنت انت انت . **فان خطر ببالك مايقال :** انّ العقاب علىالأمور الواجبة ظلمٌ وقبيحٌ يجب تنزيهالله تعالى عنه فاعلم انّ حديث الظّلموقبحهوالعدلوحسنهآراءٌ محمودةٌ سبب شهرتها وحدنها(٨) من جمهور الخلق اشتمالها على مصالحهم وانتظام امورهم دون ان تكون بديهيّة(٩) فاذاً بناء احكامالله تعالى عليها غيرلازمٍ ولامستقيم.

١ـ ا : «لاتنتفى » ج د : «لاتبتغى». ٢ـ ا ج د : «بعد». ٣ـ آيتان من القرآن الكريم (٦و٧ سورة الهمزة) أتى بهما فى كلامه. ٤ـ ا : «لها». ٥ـ ا: «منه تكفيك». ٦ـج د : «انها». ٧ـج د : «بر». ٨ـ ب : « وحدثها » ج د : «و وجدتها ». ٩ـ هذا كلام عجيب جداً، وصدوره من مثله أعجب.

الکلمة التاسعة والعشرون

قوله علیه السّلام: لیس العجب ممّن هلك کیف هلك انّما العجب ممّن نجا کیف نجا(۱)

أقول: یشیر فی هذه الکلمة الی انّه لاینبغی ان یتعجّب من کیفیّة هلاك من هلك فی الاخرة باسباب الهلاك بل ینبغی ان یتعجّب من کیفیّة نجاة النّاجین **والعلّة فی هذا الحکم** انّه لمّا کان الانسان ذاقویً ثلاثةٍ بحسبها(۲) تصدرعنه الافعال الاختیاریّة وتصیر بسببها هالکاً او(۳) مالکاً وهی القوّة النّاطقة والشّهویّة والغضبیّة وکان الغالب علی النّاس فی اکثر الاحوال الانحراف عن الاحوال الّتی ینبغی ان یکونوا علیها وهی مطلوبة منهم

۱ - هذه الکلمة نقلت عن غیره علیه السلام ایضاً لکن باختلاف فی اللفظ؛ فمنه مانقله المحدث الکاشانی المولی محسن الفیض (ره) فی آخر رسالته الصغیرة الموسومة بمقالة ضیاء- القلب وقد طبعت ضمن رسائله الست مانصه (ص۱۸۵):

«و روی عن الحسن البصری انه قال: لیس العجب ممن نجا کیف نجا؛ انما العجب ممن هلك کیف هلك؛ مع کثرة الدلالات و وفور البینات، **وفی أمالی الصدوق** (ره) **باسناده قال:** کان الصادق (ع) کثیراً ما یقول:

علم المحجة واضح لمریده وأری القلوب عن المحجة فی عمی
ولقد عجبت لهالك ونجاته موجودة ولقد عجبت لمن نجا

و قال المجلسی (ره) بعد نقل البیتین عن امالی الصدوق مسنداً فی المجلد الاول من البحار (ص۱۱۷ من طبعة امین الضرب): «**بیان**- العجب من الهلاك لکثرة بواعث الهدایة ووضوح المحجة، والعجب من النجاة لندورها و کثرة الهالکین و کل أمر نادر مما یتعجب منه» و أوردهما ایضاً فی المجلد الحادیعشر فی ترجمة الصادق (ع) نقلا عن مناقب ابن شهرآشوب (انظر ص۱۱۱ من طبعة امین الضرب) **فلیعلم** ان الکلام الاول المنسوب الی الحسن البصری قد نسب الی مولینا ابی محمد الحسن المجتبی علیه السلام علی ما رأیت فی بعض الکتب فمن اراد التحقیق فلیراجع مظانه من مجلدات ناسخ التواریخ. ۲- ا: «بحقیقتها». ۳- ا ب «و».

باللّسان النّبوىّ وذلك الانحراف بسبب طاعة قوّتى الشّهوة والغضب والانهاك فيما تميلان اليه بمقتضى طباعهما(١) وتجرّان القوّة العاقلة اليه من مطلوباتهما وذلك ممّا يصرف عن التّوجّه الى القبلة الحقيقيّة و يمنع من التّعلّق بعصم النّجاة فلاجرم كان التّعجّب من كيفيّة هلاك الهالكين تعجّباً فى غير موضعه لانّ اسباب الهلاك غالبةٌ فى الخلق اكثريّة الوجود؛ و اكثريّة وجود المعلول تابعٌ لأكثريّة وجود اسبابه.

ولمّا عرفت انّ درجات السّعادة غيرمتناهية **فاعلم** انّ درجات الهلاك والشّقاوة [ايضاً] غيرمتناهية ولسنا نعنى بالهلاك الهلاك السّرمدىّ فانّ ذلك مختصّ بالانحراف على وجهٍ مخصوصٍ اعنى ان يوجب ذلك الانحراف والميل ملكاتٍ رديّةٍ تلزم جوهر النّفس فيدوم بها العذاب بل نعنى به ماهو أعمّ من ذلك حتّى يكون الهلاك المنقطع داخلاً فيه ويكون اكثر وجوداً من النّجاة، وما كان اكثريّاً و معتاداً لاينبغى ان يتعجّب منه؛ وكان التّعجّب من كيفيّة نجاة النّاجين تعجّباً فى موضعه لايستنكر(٢) لقلّة اسباب النّجاة وضعف وجودها من الخلق.

وفى هذه الكلمة ايماءٌ الى وجوب الاحتفاظ(٣) والأخذ بالحزم فى تحصيل اسباب النّجاة والاجتهاد فيها فانّها لاتدرك بالمنى ولاتحصل بالهوينا؛ واليك الاعتبار، والله تعالى ولىّ اعدادك لما هو اهله؛ وهو الموفّق.

الكلمة الثلاثون

قوله عليه السّلام : الاحسان يقطع اللّسان.

أقول: لفظ **القطع** يقال حقيقةً على تفريق اتّصال الجسم بالآلة القطّاعة كالسّكّين وغيرها ؛ وقد استعمله عليه السّلام ههنا مجازاً فى منع الكلام القبيح الخارج

١ـ ج د : «طباعهم». ٢ـ ا ب : «لايستكثر». ٣ـ ب ج د : «الاحتياط».

عن[1] لسان الذّام ّ وانّ الاحسان لایفعل ذلکٔ التّفریق فی الّلسان بل یکون بسببه منع الّلسان من الحرکة بما لاینبغی، **و وجه المناسبة** انّه کما انّ الغایة من قطع الّلسان بالآلة القطّاعة ترك الکلام فکذلکٔ فی الغایة من اسکاته بالعطیّة؛ وهذا من محاسن الاستعارة.

وامّا علّة هذا الحکم فنقول: الاحسان قسمان؛ ذاتیّ وعرضیٌّ؛ فالذّاتیّ هوالّذی یصدرعن الاخیارالفضلاء وذلکٔ انّ سیرهم محمودة محبوبة فهم محبوبون لذواتهم وأفعالهم مسرورون بأنفسهم مسرورٌ بهم غیرهم؛ و کلّ احدٍ یجب ان یواصلهم و یصادقهم، فهم أصدقاء انفسهم والنّاس أصدقاؤهم؛ ومن هذه سیرته فتجده یحسن الی النّاس بقصدٍ وغیر قصدٍ اذکانت أفعاله محبوبةً لذیذةً والمحبوب الّلذیذ مختارٌ ومطلوبٌ، واذا کان کذلکٔ فلابدّ وان یکثر المقبلون علیه والمحتفّون به، ومن کانت هذه حاله بریءٌ ان[2] یصل الیه ذمٌّ أو یلحقه لومٌ بل تکون الالسنة مقطوعةً عنه بل هی دائماً رطبةٌ بالثّناء علیه متحرّکةٌ بشکره فضلاً ان تکون ذامّةً له وهذا هوالاحسان الّذی یبقی ولاینقطع؛ ویزید ولاینقص، ویکون به الاخوّة الصّادقة والمحبّة المطلقة. **وامّا العرضیّ** فهو الّذی لیس بخلقیٍّ ولامعتادٍ لصاحبه ولاشکّ انّه منقطعٌ والمحبّة العارضة عنه محبّة عرضیّة مقیّد دوامها بدوامه باقیة ریثما هو باقٍ وفیها زیادة ونقصان من طرفی المحسن والمحسن الیه؛ فانّ محبّة المحسن تکون أشدّ من محبّة المحسن الیه؛ **واعتبر ذلکٔ فی المقرض والمستقرض** تجد المقرض اشدّ محبةً للمستقرض منه للمقرض وربّما کان داعیاً له بالبقاء وسبوغ النّعمة والکفایة وان کان کلّ ذلکٔ لیصل الی حقّه ولیعود الیه ماله لالمحبّةٍ خالصةٍ، **وامّا المقرض** فلیس له هذه الهمّة ولاذلکٔ الدّعاء ولکن یکون شهوته الی الاحسان ومحبّته له أشدّ من محبّة المحسن. **واذا عرفت ذلکٔ** فمثل هذا الاحسان وان کان قاطعاً للّسان الّا انّ قطعه لیس بدائمٍ ولامستمرٍّ بل هو موقوف علی دوام الاحسان، وقد یتّفق لمثل هذا المحسن ان لاتنقطع عنه الالسنة عند وقوف الخلق واطّلاعهم علی انّ ذلکٔ الاحسان عرضیّ.

١- ج د: «من». ٢- ا ب: «بریء انه» د: «من ان».

واعلم انّ الاوّل وان كان هوالمقصود الذاتىّ من الكلمة الّا انّ الثانى ايضاًمرادٌ؛ اذيصدق عليه انّه قاطع اللّسان أيضاً. **ثمّ اعلم** انّ الاحسان كما يقطع اللّسان **فهوموجبٌ** للالفة والمحبّة كما عرفت الّتى هى سببٌ لتحصيل السّعادتين، وعلّةٌ لاستحقاق المنزلتين، وموجبةٌ لمحبّة الخالق والحصول فى جواره المقدّس كما اشير اليه فى التّنزيل الالهىّ: والله يحبّ المحسنين[1] وانّ الله لمع المحسنين[2] و به يستعبد الاحرار كما يقطع السنة الاشرار؛ قال الشاعر[3]:

أحسن الى النّاس تستعبد قلوبهمُ   فطا لما استعبد الانسان احسان

وينبغى للعاقل ان يلزم محابّ الله فانّه يكون محبوباً لله، وان يكون من الكائنين مع الله، وان يختار لنفسه مااختاره الله لنفسه من التّسمية محسناً؛ فمن كان مع الله فقد حصل فى جواره، ومن كان محبوباً لله فقد فاز بجميع مقاصده، ومن تخلّق بأخلاق الله فقد استحقّ الخلود فى دارالبقاء، وكلٌّ ميسّرٌ لما خلق له[4].

الكلمة الحادية والثلاثون

قوله عليه السّلام: احذروا نفار النّعم فما كلّ شاردٍ بمردودٍ.

اقول: اسناد النّفار والشّرود حقيقة فى النّعم وقد استعملها عليه السّلام ههنا مجازاً فى النّعم و **وجه المشابهة** انّهما يستلزمان المفارقة فى الموضعين؛ والمقصود من هذه الكلمة التّحذير من مفارقة النّعم وهى الكمالات الخيريّة بمفارقة أسبابها، والتّنبيه بالسّالبة الجزئيّة وهى قوله: فما كلّ شاردٍ بمردودٍ؛ على انّ النّعم بعد مفارقتها قد لاتعود اليكم فانّ

۱- فى مواضع من القرآن؛ منها ذيل آية ۱۳٤ سورة آل عمران. ۲- ذيل آخر آية من سورة العنكبوت وهى (آية ٦۹). ۳- يريد به ابا الفتح البستى فان الشعر من نونيته المشهورة. ٤- هو وارد فى حديث نبوى معروف.

الابل الشّاردة کما یجوز ان لاتردّ فالواجب حینئذٍ ان یکونوا من نفارها على حذرٍ ویتّقوا ما فی ذلک من عظیم خطرٍ.

فان قلت : النّعم امورٌ موهوبة من واهبها فاسترجاعها جائز فضبطها وحفظها غیر ممکنٍ فلایدخل فی التّکلیف فانّ کثیراً من الخلق یحافظون على أموالهم و یجتهدون فی ضبطها ولایزیدها ذلک الّا نفاراً ؟—

قلت : لیس المقصود من التّحذیر من نفارها والامر بحفظها هو حفظها بالجمع والضّبط بل لعلّ المقصود من حفظها [حفظها] بالتّفریق فانّ الانسان اذا فرّق منها ماینبغی ان یفرّق على الوجه الّذی ینبغی ان ینفق و اکّد ذلک السّداد و ایّد[1] ذلک الاستعداد بالشّکر والثّناء على واهب تلک النّعم بما هو أهله مراعیاً[2] فی ذلک قانون العدل کان لذلک أثرٌ[3] عظیمٌ فی اعداد النّفس لقبول العنایة الالهیّة ببقاء تلک النّعم ودوام تلک الافاضة ، و اذا لم یفعل المنعم علیه شیئاً من ذلک وخالف مقتضى العدل فیها لم یلبث ان تنفر نفار النّاقة الشّرود الّتی یوشک ان لاتعود.

فان قلت : الیس قد قام البرهان على انّ خلاف معلوم الله تعالى محالٌ ، واذا کان کذلک فنقول : ان کان فی علم الله تعالى انّ تلک النّعم تنفر او لاتنفر فلابدّ وان تکون کذلک؛ فما الفائدة فی التّحذیر؟وهل ذلک الّا اجارٍ مجرى قولک للزّمن: لاتطر[4]؟! وان کان فی علمه عکس ذلک فلابدّ وان یکون؛ فلایتحقّق الحذر ایضاً ؟—

قلت: هذا کلامٌ[5] حقٌ الّا انّ ماعلم الله وقوعه اوعدم وقوعه قدیکون مشروطاً وقد لایکون؛ فما کان مشروطاً من ذلک فیستحیل ان یوجد من دون شرطه وان صدق انّه یعلم وقوعه لکن لامطلقاً بل بشروطه وأسبابه، فعلى هذا جاز ان یکون التّوقّی والحذر من نفار النّعم شرطاً لبقائها فلهذا الجواز کان مأموراً بالحذر. **بقی علینا ان یقال**: انّکم

۱ـ ا : «ابد» (بالباء الموحدة). ۲ـ ا : « فراعی ». ۳ـ ا ب : «اسر».
٤ـ ا : «لاتطیر». ٥ـ ب د : «الکلام».

اعترفتم بأنّ المشروط لايجب ان يكون هو كلّ النّعم مع انـّكم أوجبتم الحذر عند كلّ نعمة ؟ ــ **فنقول :** لمّا كان العبد غير مستقلّ وغير مطّلع على اسباب الكائنات وشروطها وكانت غير محصورة ولامتناهية فى حقّ الجليل[١] من الخلق فضلاً عن جملتهم حتّى يمكن ان يوقف[٢] عليها وعلى اسبابها المفصّلة لاجرم وجب ان يحذر الحذر المطلق لئـّلا يتوقّى فيما ليس من شرطه التّوقّى والحذر ويتركهما فى موضع هو فى الحقيقة مشروط بذلك؛ فانـّه اذا حذر فى كلّ نعمة مفارقتها فزع[٣] الى حفظها بالمواظبة على اسباب الحفظ الّتى اشرنا اليها جملة فتلك المواظبة وان لم تكن شرطاً لاستثبات تلك النّعمة فهى معدّة لضروب اخرى من النّعم ، وان كانت شرطاً فقد صادف محلّه؛ والله ولىّ التّوفيق.

الكلمة الثانية والثلاثون

قوله عليه السّلام :

اذا وصلت اليكم اطراف النّعم فلاتنفّروا أقصاها بقلّة الشّكر.

اقول: أطراف النعم أوائلها، و **أقصاها** أواخرها؛ والمقصود من هذه الكلمة التّنبيه على استدامة النّعم الموهوبة بدوام الشّكر **وبيانه** أنـّك عرفت أن دوام الشّكر عن نيّة صادقة وتحريك اللّسان بالذّكر عن اعتقادات صافية يستمريان[٤] مزيد النعم كما يستمرى الحالب الدّرّ من الضّرع لماان دوام الشّكر ومافى معناه من الابتهالات والتّضرّعات والتّعوّد بها أسباب معدّة للنّفس لدوام افاضات[٥] انواع الخيرات، واذا كان وجوده سبباً لوجود النّعم وبقائها واتّصال اواخرها باوائلها كان عدمه او قلّته سبباً عرضيّاً يكون معه نفارها وقلّة ثباتها وانقطاع تواترها واتّساقها؛

١- كذا فى النسخ ولعل الصحيح : «الجل» او «القليل». ٢- ا ب : «يوقفوا».
٣- ب ج : «فرع» (بالراء المهملة). ٤- ج د : «يستمرى». ٥- ج د: «اضافات».

لا القصور من مفيضها؛ فانّه برىءٌ عن النّقصان، أجود الاجودين، فيضه تامٌ وكرمه عامٌ بل لا نسبة لجودٍ الى جوده ولا اضافة لكرم عبدٍ الى كرمه بل لعدم امكان القابل لتقصيره فى السّعى الى تحصيل أسباب ذلك الامكان كالتّضرّع والدّعاء والشّكر والثّناء؛ **وامّا نسبة التّنفير اليهم** فلأنّهم بقلّة شكرهم سببٌ للنّفار بوجهٍ عرضىٍّ كما علمت فلاجرم نسبه اليهم.

واعلم انّه يتوجّه ههنا ايضاً ان نورد الشّكّ المذكور فى الكلمة الّتى قبلها وهو انّ ماعلم اللّه تعالى وقوعه اوعدم وقوعه كان معلومه واجباً فلافائدة حينئذٍ فى الشّكر والثّناء لأنّك[1] قد عرفت وجه الجواب هناك وهو انّ الثّناء والشّكر جاز ان يكون مشروطاً فى الدّوام والاتّصال كما قرّرناه وقد علمت انّ الشّكر كيف هو سببٌ لاستنزال[2] المنن الالهيّة وعلّة لاتّصالها ودوامها واليه الاشارة بقوله تعالى: لئن شكرتم لازيدنّكم[3] والى سببيّة انقطاعه وقلّته لانقطاع النّعم واستحقاق العذاب لتدنّس النّفس بالاشتغال بأضداده والاعراض عنه اشار بقوله: ولئن كفرتم انّ عذابى لشديد[4] وقال تعالى: ومن شكر فانّما يشكر لنفسه[5] اى انّ منفعة الشّكر عائدة على نفسه من الاستعداد للافاضات الخيريّة واشكروا للّه ان كنتم ايّاه تعبدون[6] فالشّكر من تمام العبادة الّتى بها تكون النّفس طاهرة مستحقّة لرضوان اللّه، ومن اللّه الهداية الى طلب مايرضيه؛ انّه ولىّ التّوفيق.

الكلمة الثالثة والثلاثون

قوله عليه السّلام: اكثر مصارع العقول تحت بروق الاطماع.

اقول: يقال: **صرع فلان فلاناً** اذا غلبه ورمى به الى الأرض، **والمصارع** جمع

١- فى النسخ: «الا انك». ٢- ب: «سبب استنزال». ٣- من آية ٧ سورة ابراهيم.
٤- ذيل آية ٧ سورة ابراهيم. ٥- من آية ١٢ سورة لقمان وكذا من آية ٤٠ سورة النمل.
٦- ذيل آية ١٧٢ سورة البقرة.

مصرع وهو موضع الفعل، **ومصارع العقول** مواضع أغلاطها،**وبروق الاطماع** هوتصوّر امكان حصول الامور الّتى يتوهّم الانتقاع بها فيقع الميل الى تحصيلها **والمقصود ههنا تنبيه الانسان** على وجوب التّثبّت عندما تلوح له المطامع حتّى لايميل فيها ولايتضرّع الّا لماينبغى منها على الوجه الّذى ينبغى ونبّه عليه السّلام على ذلك بأنّ اكثر أغلاط العقول منشؤها ومبدؤها(١) نزوع القوّة الشّهويّة نحوالمشتهيات بحسب اعتقاد حصولها.

وههنا تجوّز ان حسنان فى التّركيب والاسناد، احدهما اسناد المصارع الى العقول الّتى هى فى الحقيقة للاجسام وعبّر به عن انخداعها وغلطها و وقوع حركتها على غير قانونٍ صحيحٍ و **وجه المناسبة فى هذا المجاز** انّ العقول اذا لم تثبت على الصّراط المستقيم ولم تلزم قانون العدل المأمور بلزومه بلسان الحقّ بل مالت بها الشّهوة تارةً والغضب تارةً ولعبت بها القوّة الوهميّة فأزالت أقدامها عن حاقّ(٢) الوسط الى طرف(٣) الرّذيلة الّتى هى أرضٌ ونارٌ بالنّسبة الى سماء فضيلة العدل وجنّتها فلاجرم صدق عليها انّها مصروعة وانّ لها مصارع .

والثّانى نسبة البروق الى الاطماع واسنادها اليها.

واعلم انّ البرق فى الاصل هواشتعال اللّامع المشاهد من السّحاب ولنعيّن حقيقته لينكشف بها وجه المجاز؛ **فنقول**: انّ الدّخان المرتفع من الأرض جسمٌ لطيفٌ من مائيّةٍ وأرضيّةٍ عملت فيها الحرارة والحركة المازجة عملاً قويّاً فقرب لذلك مزاجه من الدّهنيّة فهو لامحالة يشتعل بأدنى سببٍ مشعلٍ فكيف بالحركة الشّديدة فاذا اشتعلت تلك المادّة من شدّة المحاكّة عند تمزيق السّحاب كان ذلك الاشتعال هوالبرق **واذا عرفت ذلك** وقد عرفت انّ الطّمع هو نزوع القوّة الشّهويّة الى تحصيل المشتهيات بحسب التّصوّر للمنفعة واللّذّة واعتقاد حصولها وكانت تلك التّصوّرات لاتفاض على النّفس الّا بعد

١ـ ب ج د : « منشأها ومبدأها». ٢ـ ا : « خان » ب : « خاف » د : « حاف » (بالحاء المهملة). ٣ـ كذا ولعل الصحيح : « طرفى ».

تهيّئها واستعدادها لقبولها من الفاعل عزّت قدرته جرى ذلك الاستعداد وقبول النّفس به[١] لاشراق تلك التّصوّرات عن مشرقها مجرى استعداد تلك الموادّ وقبولها بحسبه للاشراق بذلك الاشتعال فكما انّ ذلك الاشتعال والاشراق المخصوص من السّحاب سبب محرّك لشهوات الخلق و اطماعهم الى نزول المطر كذلك اشراق تلك التّصوّرات وبروقها فى سرّ الطّامع مبدؤمحرّك لقوّته الشّهويّة الى المشتهيات فلأجل هذه المشابهة صحّ اسناد البروق الى الاطماع.

وامّا برهان هذه القضيّة فظاهر بعد احاطتك بالأصول السّابقة وذلك انّك عرفت انّ سبب وقوع النّفس وتورّطها فى الرّذائل المستلزمة للنّقصان هوانحراف احدى القوّتين اعنى الشّهويّة والغضبيّة ومتابعة العقل لها وميلها به الى مقتضى طباعها من طرفى الافراط والتّفريط ممّا هوالمعنىّ بمصارعه. **وههنا دقيقة** وهى[٢] انّه عليه السّلام خصّص المصارع بجهة تحت دون سائر الجهات وذلك من اوضح[٣] الدّلائل على اطّلاعه على نكت الاسرار ومعرفته التّامّة بنظم الكلام ووجوه المجازات المستحسنة.

وانّما خصّصها بتلك الجهة لأحد وجهين:

احدهما ـ انّ مصارع العقول من مسبّبات[٤] بروق الاطماع والمسبّب أدون من السّبب و السّبب أعلى و المسبّب تحت بالنّسبة اليه و ليست الجهة الجهة الحسّيّة بل الجهة العقليّة.

الثّانى ـ انّ بروق الاطماع لمّا كانت علامات للطّامع على حصول المنفعة واللّذّة حتّى لزم عن ذلك ان انصرع عقله كانت بروق الاطماع دلالات[٥] على مصارع العقول ولاشكّ انّ الدّليل اظهرمن المدلول واعلى فى الذّهن واسبق وجوداً منه فينبغى ان تكون مصارع العقول الّتى هى المدلول تحت بالنّسبة الى دليلها؛ والله ولىّ الهداية والتّوفيق.

---

١ ـ كذا ولعل الصحيح : « له ». ٢ـ ا ب : «هو». ٣ـ ا : « افصح ».
٤ ـ ا : « حنيات ». ٥ـ ج : « دالة ».

الكلمة الرابعة والثلاثون

قوله عليه‌السّلام: من أبدى صفحته للخلق[١] هلك.

أقول: صفحة الشّىء جانبه و **أبدى** اى، اظهر، و **الهلاك** فى الاصل السّقوط و كلّ ساقطٍ عن حالة[٢] هى فى نفس الأمر كمالٌ وخيرٌ فهو هالك **واعلم** انّ لهذه الكلمة فى كلامه عليه‌السّلام تتمّة توضح معناها وهى: من أبدى صفحته للخلق[٣] هلك عند جهلة النّاس، وحينئذٍ يلوح لك انّ **المقصود** من جوّد نفسه لمقابلة الجهّال من الخلق الّذين لايعرفون قدر نفوسهم وما هى عليه من رذيلة الجهل والنّقصان الّلازم لها وزحمهم[٤] بجانبه فى اظهار الحقّ و نصرته وشهر سيف العصبيّة[٥] عليهم فيه وحملهم على ركوب طريق[٦] العدل من غير ان يشوب تلك الخشونة بلينٍ و يخلط تلك الصعوبة بهونٍ هلك فيما بينهم فلم يلتفتوا اليه وضاع فلم يقبلوا عليه لجهلهم[٧] بقدر الحقّ وعدم اطّلاعهم على المقاصد الّتى ينبغى ان تسلك وتعوّدهم بارتكاب أضداد ذلك بل نفروا منه وأبغضوه وعادوه لمخالفة[٨] اكثر الخلق[٩] الّذى ألزمهم به لأغراضهم الفاسدة وربّما ادّى ذلك الى قتله وإفنائه او اجتلاب[١٠] انواع الاذى عليه بسبب قوّة الاذى الحاصل لهم من تطعّم[١١] مرارات الحقّ وضعفه بالنّسبة الى اشخاص الجهّال ونفارتهم[١٢] فى قبول الحقّ وعدم قبوله.

وهذه الكلمة من أظهر الدّلائل على انّه عليه‌السّلام كان أعرف النّاس بوجوه التّدبير وأحسنهم ايالةً وانّه كان مقتدراً على اصلاح الدّارين متّسع القوّة للجمع بين الاطراف

١ـ ج د: «للحق». ٢ـ ا ب: «عن حاله» (بالاضافة الى الضمير). ٣ـ د: «للحق». ٤ـ ج د: «رحمهم». ٥ـ ج د: «الغضبية». ٦ـ ا ب: «الطريق». ٧ـ ا: «بجهلهم». ٨ـ ج د: «لمخارقة». ٩ـ ا ج د: «الحق». ١٠ـ ب ج د: «واختلاف». ١١ـ ب: «طعم». ١٢ـ ب ج د ل: «وتفاوتهم».

المتجاذبة اذکان معلّماً بهذه الکلمة انّه کیف ینبغی ان یستعمل‌الانسان اظهارالحقّ فانّه لمّا ثبت انّ الکاتم للحقّ الغیر العامل به بالکلّیّة مع تمکّنه من استعماله فی بعض موارده او فی کلّها هالکٌ فکذلک ینبغی ان یعلم انّ المجاهر بالحقّ بالکلّیّةوالمقابل له أباطیل الجهّال وأغراضهم‌الفاسدة هالکٌ؛ فلم‌تبق‌السّلامة الّا فی مزج الاظهاربالاخفاء وخلط ـ المجاهرةبالرّفق‌وضرب‌الخشونة باللّین‌والتّرخیص[۱]لهم بالسّکوت‌عنهم‌عند شوب‌الحقّ بالباطل مرّةً والعزم علیهم‌والقیام فی‌وجوههم فی‌نصرة الحقّ مرّةً بحسب ملاحظةالعقل[۲] للمصالح الجزئیّة المتعلّقة بشخصٍ شخصٍ ووقتٍ وقتٍ ،والله ولیّ التّوفیق.

الکلمة الخامسة والثلاثون

قوله علیه‌السّلام : اذا أملقتم فتاجروا الله بالصّدقة .

اقول:الاملاق الفقروالحاجة ، و **المتاجرة** المعاملة فی التّجارة والمقصود فی هذه الکلمة الحثّ علی العبادة المخصوصة الّتی هی‌الصّدقة عندالاحتیاج بما یمکن فانّ للصّدقة ولوبشقّ تمرةٍ **حظّاً عظیم النّفع فی‌الدّارین** وبها تحصل الاعواض‌الّتی لاتقابل‌بالشّکر ولایحصیها العدّ والحصر.

امّا فی الاولی[۳] فلانّ المملق المحتاج الی التّیسیر من العیش یکون فی الغالب شره النّفس محافظاً علی ما یحصل فی‌یده لشدّة حاجته الیه وخوفه ان لایقدر علی مثله فاذا فرضنا انّه یتصدّق به او ببعضه[٤] مع ما به‌من الحاجة الیه دلّ ذلک منه علی اشتماله علی ملکة العفّة الّتی عرفت انّ بها یکون استعداد النّفس لاستجابة ثمرات الادعیة وقبول ـ ابتهالاتها فی المطلوبات الممکنة. **وأیضاً** فانّ النّفوس الی مثل صاحب هذه‌الصّدقة کثیرة ـ الانجذاب، والمیول الطّبیعیّة الیه متداعیة وخاصّةً اذا عرف بذلک واشتهر به فکثیراًما

۱ـ ا ج:«الترخص». ۲ـب:«الحق». ۳ـب:«الاول». ٤ـ ج‌د:«یصدق‌به‌اوینفق».

يكون ذلك ايضاً سبباً لادرار الارزاق عليه وعلّةً لدفع[١] الصّلات[٢] والمنح اليه؛ **وقد علمت** انّ من تاجر الله تعالى لم يخسر.

وامّا في الاخرى فلانّ صاحب هذه الصّدقة مع مافرضنا[٣] من حاجته اليها اذا بذلها كان ذلك دليلاً على معرفته بأنّه لامتاجرة أربح من متاجرة الله و ذلك مستلزمٌ لمعرفته بالله ومع ذلك فقد استعدّت نفسه بسبب قهرها للقوّة الشّهويّة وضبطها لها عن الضّنّة بما بذله مع حاجته اليه ومقاومتها وكسرها عن الشّره[٤] في المشتهيات لقبول انوارٍ عظيمةٍ ونعمٍ جسيمةٍ لايقاومها شكرٌ؛ واليه الاشارة بقوله تعالى: لن تنالوا البرّ حتّى تنفقوا ممّا تحبّون[٥] وقوله تعالى: ان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكورٌ حليمٌ[٦] وقوله تعالى: وما تنفقوا من شيءٍ في سبيل الله يوفّ اليكم وانتم لاتظلمون[٧] وأمثال هذه الاشارات كثيرةٌ في القرآن والسّنّة؛ ومع ذلك فانّ فيها من تحصيل الانس الموجب للمحبّة بين الخلق المطلوبة منهم بالعناية الالهيّة لتحصيل السّعادتين واستكمال درجة الفوز مالايخفى؛ والله الموفّق.

الكلمة السادسة والثلاثون

قوله عليه السّلام: من جرى في عنان أمله عثر بأجله.

اقول: أراد بالجرى في عنان الامل تطويل الآمال المستلزمة لقلّة الالتفات الى القبلة الحقيقيّة والمطالب العليّة، والعثور بالاجل الوقوع في الوقت الّذي علم الله تعالى فيه مفارقة النّفس للبدن[٨] وهي الضّرورة المسمّاة بالموت، فأسند عليه السّلام العنان الى

١ـ ب: «لرفع». ٢ـ ا: «الضلات» (بالضاد المعجمة). ٣ـ ب: «فرضناه».
٤ـ ب: «الشرة». ٥ـ صدر آية ٩٢ سورة آل عمران. ٦ـ آية ١٧ سورة التغابن.
٧ـ ذيل آية ٦٠ سورة الانفال. ٨ـ ب ج د: «البدن».

الامل تشبیهاً له بالفارس المطلق عنان فرسه ، والعثور الی الاجل تشبیهاً له بمایعثر به الانسان من حجرٍ اوخشبٍ ؛ وکلّ هذه تجوّزات حسنة فی الاسناد لطیفة المشابهة، فانّ حرکة القوّة الشّهویّة الی المشتهیات[١] لاعتقاد حصولها تشبه جری الفرس، وکون النّفس هی المستعملة لتلک[٢] القوّة والمصرّفة[٣] لها یشبه الرّکوب للفرس، الّا انّ هذه القوّة فرس عقلیّة ، وقدرة النّفس علی ضبط تلک القوّة مع عدم ضبطها مشبه لاطلاق عنان الفرس، ونسبة الجری الیه نسبة صادقة فانّ الفارس تنسب الیه الحرکة والجری وان کانت نسبة عرضیّة و الحرکة الذّاتیّة للفرس کذلک الجاری فی عنان امله تنسب الیه الحرکة الّا انّها لقوّته الشّهویّه بالذّات ولقوّته العقلیّة بالعرض، وکون الجاری فی عنان الأمل واقعاً فی الضّرورة المذکورة الّتی لابدّ منها یشبه وقوف[٤] رجل[٥] الجاری فی حجرٍ او خشبٍ یقع بسببه المسمّی ذلک عثاراً اذ[٦] کانا معاً مستلزمان لاذی من یقع فیه، وبعد معرفتک بهذه التّجوّزات وحسن وجوهها تجد المعنی من هذه الکلمة ظاهراً.

واماّ تخصیص هذا الحکم الّذی هو غایة کلّ انسان بل کلّ حیوان بمن جری فی عنان امله دون غیره ممّن یستقصر الامال ویستصغر الدّنیا فلیس لاجل انّ من استقصر الامل خارج عن هذا الحکم بل لتنبیه مطیل الامل الغافل بسبب ذلک عمّا یرادبه وما هو مطلوب من وجوده وایقاظه من رقدة الغافلین علی انّ المطلوب منه لیس مایخوض فیه بالجری فی[٧] التماس امثاله فانّ ذلک لابدّ من زواله والعثور بضرورة الموت اللّازمة للحیوان فینبغی ان یجری الامل علی القانون العدلیّ المطلوب بلسان التّنزیل الالٰهیّ والسّنن النّبویّة ویجعل الحظّ الاوفر من الالتفات لماوراءه من تحصیل السّعادات الباقیة والخیرات الدّائمة ، والله یؤتی کلّ ذی استعدادٍ من الفضل اتمّه؛ وهو الموفّق.

١- ج : «الی المسترعیات » د: «النزعیات» فلعل النسختین: «المستدعیات» او «الرغبات» .
٢- ا : « بتلک» .　٣-ج د : «المفرقة » (بلاواو أیضاً) .　٤-کذا ولعل الصحیح: «وقوع».　٥- کذا.　٦- ا : «ان» ج د : «اذا» .　٧- ا : « من» .

الكلمة السابعة والثلاثون

قوله عليه السّلام : لاتتّكل على المنى فانّها بضائع النّوكى.

اقول: المنى جمع منية وهو الشّىء المتمنّى كقوله: انّ سعدى لمنية المتمنّى، **والبضائع** جمع بضاعة وهى البعض من المال تبعثه[1] للتجارة، و **النّوكى** جمع أنوك وهو الأحمق، والمقصود من هذه الكلمة النّهى عن اشتغال النّفس بتمنّى الامانى فانّ ذلك الاشتغال قد يعرض ولايزال يتزايد حتّى يكسب النّفس ملكة الوسواس والالتفات عن الانتقاش بنور الحقّ وسواد لوح الخيال عن قبول المنامات الصّافية والالهامات الخالصة. ثمّ انّه عليه السّلام نبّه على قبح ذلك بانّ ذلك بضائع الحمقى لتنفر نفوس العقلاء عن اقتناء هذه البضاعة واتّخاذها فى تجاراتهم اذ كان العاقل لايرضى لنفسه تصرّفات الأحمق وحركاته.

وامّا اطلاقه عليه السّلام البضاعة على المنى فاستعارة حسنة فانّ ناقصى العقول الّذين ليس لهم ملكة الانتقال الى المعقولات الثّانية النّاقصين فى استعدادهم لاصلاح معاشهم ومعادهم فى اكثر الأحوال طالبون[2] لمتخيّلاتهم الغائبة او الغير الممكنة الحصول متمنّون لها عن تخيّلاتهم القاصرة عن ضبط القوّة الصّادرة عنها قواهم العقليّة امّا لضعفها وقوّة سلطان الوهم عليها اولاختلال تلك القوى وقلّة صلوحها لتدبير العقل وتصريفه فكأنّها حينئذ بضائع لهم ينتظرونها فكما يتوقّع التّاجر وصول البضاعة الّتى بعث بها للتّجارة ومكاسبها كذلك تجد هؤلاء متوقّعين متمنّين لما يتخيّلونه من ضروب اللّذّات وأنواع المشتهيات ويقطعون بذلك أزماناً حتّى ربّما صدّتهم تلك الامانى عن اشغال مهمّة لهم فضلاً عمّا يعنيهم من امر الدّين ومايجب عليهم من الأمور المقرّبة الى الله تعالى **فينبغى للعاقل اذا عرف سرّ هذه البضاعة** وما تؤدّى اليه من الخسران ان يعرض عنها الى استنصاع[3]

۱- ج د: «ينبعثه». ۲- ا : «الطالبون». ۳- ب: «استبصاع» ج: «اصطناع» د: «اصطباع».

فکره فی‌استفادة الجواهر العقلیّة وارباح النّفائس النّفسیّة[1] فانّ ذلک هو التّجارة الرّابحة ویهرب من متابعة شیطانه فی تحسین البضائع المذکورة له فانّ من کان تلک بضاعته لم یصبح لیله الّا وهو فی أسر الشّیطان وصفقة الخسران، ولم تزل عین بصیرته عن ادراک الحقائق خاسرةً، ویدعقله عن تناول فواکه الجنّة قاصرةً، یاویلتالیتنی لم اتّخذ فلاناً خلیلاً* لقد أضلّنی عن الذّکر بعد اذجاءنی وکان الشّیطان للانسان خذولاً[2]؛ والله ولیّ العصمة.

الکلمة الثامنة والثلاثون

قوله علیه السّلام: لاشرف اعلی من الاسلام.

أقول: الشّرف العلوّ، **والاسلام** فی اللّغة الانقیاد، وفی الشّریعة الانقیاد بحسب الأوامر والنّواهی الشّرعیّة وتلقّیها بالقبول والطّاعة والعمل بمقتضاها بحسب الجهد والطّاقة، وقد عرفت انّ الغایة القصوی منه انّما هو الوصول الی الواحد الحقّ والحصول فی المقعد الصّدق، وانّ ذلک الوصول والحصول موقوفٌ علی جلاء مرائی النّاقصین من درن[3] الباطل حتّی تصفو وجوه ألواحهم وتستعدّ لقبول الانتقاش بالجلایا وعرفت انّ ذلک الجلاء والصّفاء لن یحصل الّا بزوال المانع منه **وذلک المانع امّا خارجیّ و امّا داخلیّ؛ امّا الخارجیّ** فهو تنحیة ماسوی الحقّ الاوّل عن سواء السّبیل، وحذفه عن درجة الاعتبار، وتنزیه السّرّ عن الاشتغال به عن الحقّ؛ وذلک هو الزّهد الحقیقی، **وامّا الدّاخلیّ** فهو تطویع النّفس الامّارة بالسّوء للنّفس المطمئنّة لتزول دواعی الشّیطان الی خیبة[4] الخسران ویخلص سرّ الانسان لقبول الرّضوان وقد عرفت کیفیّة ذلک التّطویع وأسبابه وغایته، والجامع الاجمالیّ لازالة الموانع قوله تعالی: وأمّا من خاف مقام ربّه ونهی النّفس

۱- ج د: «النفیسة». ۲-آیة ۲۸و۲۹ سورة الفرقان. ۳- ا ج: «دون».
۴- اب: «جنبة».

عن الهوى(١) فخوفه ترك ماعداه؛ ونهيه لنفسه قهره لقواه، حتّى اذا تخلّى عن هذه الموانع لبّه تجلّى(٢) حينئذٍ بنور قدس الحقّ قلبه .

لايقال: لانسلّم أنّ هذا هو الاسلام فانّا نعلم بالضّرورة أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله كان يحكم باسلام من أظهر الشّهادتين و عمل بالاركان وان لم يكن له شيءٌ ممّا ذكرتم فانّ واحداً من الاجلاف الجافين(٣) من الاعراب الّذين(٤) يقدمون ويظهرون الاسلام لايتصوّر(٥) شيئاً ممّا ذكرتموه. **وأيضاً** فلو كان الاسلام هو الّذى ذكرتموه لما كان فى الخلق مسلمٌ الّا افرادهم وذلك باطلٌ بالاتّفاق **لانّا نقول :** الاسلام له معنيان ظاهرىّ وحقيقىٌّ والّذى ذكرناه و بحثناه انّما هو الحقيقىّ والّذى ذكرته هو الاسلام الظّاهرىّ ولاشكّ فيه و فى تسمية صاحبه مسلماً الّا انّ قول الاسلام عليهما بحسب الاشتراك اللّفظىّ لتباين المعنيين فصاحب الاسلام الظّاهرىّ وان سمّى مسلماً الّا انّ اسلامه غير منتفعٍ به وليس اسلامه ذاك هو الّذى لاشرف أعلى منه قال صلّى الله عليه وآله: انّ الله لاينظر الى صوركم ولاالى أعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم؛ الّا انّه لمّا كان مظنّة ان يكون وسيلة الى الاسلام الحقيقىّ وطريقاً اليه وجب اتّخاذه(٦) و المشاركة بين صاحبه و بين المسلم الحقيقىّ فى الاسم والحكم ، قال (ص) : الرّياء قنطرة الاخلاص. وقال (ص) : من رتع حول الحمى أو شكّ ان يقع فيه، فلامنافاة اذاً بين القولين.

واذا عرفت ذلك ظهر لك انّ شرف الاسلام أكمل أنواع الشّرف فانّ الشّرف الحقيقىّ للانسان انّما هو كمال جوهر نفسه وصيرورته عقلاً مستفاداً الّذى هو الاسلام الحقّ لا الكمال الوهمىّ من مالٍ او جاهٍ او انتسابٍ الى كرم اصلٍ فانّك قد عرفت انّ الفخر والشّرف بأمثال ذلك ممّا لاينبغى ان يعتدّ به لفقد الكمال فى المفتخر والمتشرّف وخلوّه منه وذلك سرّ قوله عليه السّلام: لاشرف أعلى من الاسلام؛ والله ولىّ التّوفيق.

١ـ آية ٤٠ سورة النازعات. ٢ ـ ا ب: «تحلى» (بالحاء المهملة). ٣ـ د : «والجافين» .
٤ـ ا ب د: «حين». ٥ـ في جميع النسخ: «لايتصورون» ٦ـ ا ج د: «اتحاده» (بالحاء والدال المهملتين) .

الكلمة التاسعة والثلاثون

قوله عليه السّلام : لاشفيع انجح من التّوبة.

أقول : قد عرفت معنى الشّفيع ، والنّجاح الظّفر وقد يراد به الصّواب من قولهم: رأى نجيح اى صوابٌ ، و **التّوبة** الاقلاع عن الذّنب و **يعتبر فى تحقّقها ثلاثة قيود؛ اوّلها** ـ ترك الفعل فى الحال؛ **والثّانى** ـ النّدم على الماضى من الأفعال . **والثّالث** ـ العزم على الترك فى الاستقبال ؛ وقد استعمل عليه السّلام لفظ الشّفيع على المعنى المسمّى بالتّوبة مجازاً من باب الاستعارة ؛ ووجه المناسبة انّ الشّفيع كمايقصد ليكون وسيلةً الى استسماح[1] الجريمة كذلك التّوبة عن المعصية يقصد ليكون وسيلةً الى سقوط الجريمة وعدم لحوق العقاب عليها ويكاد حسن هذا التّشبيه يلحق هذا المجاز بالحقيقة حتّى تكون التّوبة من جملة أشخاص الشّفعاء الّتى اطلق[2] عليها لفظ الشّفيع بحسب الوضع والمقصود انّ التّوبة اظفر شفيعٍ بقضاء المطلوب من كلّ شافعٍ **وذلك باطباق العلماء على انّها لاتردّ ؛ امّا المعتزلة** فيوجبون اثرها على الله، **وامّا الحكماء** فيوجبون اثرها من الله ، واذا حقّق مذهب ابى الحسن الاشعرىّ رجع الى المذهب الثّانى وان قال اثرها بفضلٍ[3] من الله اذ[4] كان استقصاء مذهبه يعود الى انّ ذلك التّفضّل فيض العناية الالهيّة للرّحمة على نفسٍ استعدّت بالتّوبة للقبول وذلك فى الحقيقة واجبٌ من الله.

واعلم انّ من جزالة هذا اللّفظ مع وجازته انّك مخيّر فى حمل لفظ النّجح فيه على اىّ **معانيه الثّلاثة**[5] شئت[6]؛ **امّا الاوّل** فقد عرفته . **وامّا بمعنى السّرعة** فلانّه

١ـ د: «استماح» . ٢ـ د : «يطلق» . ٣ ـ كذا فى ب ج د؛ و أما نسخة ا فالعبارة فيها هكذا: «اثرها من الله». ٤ـ ب : « اذا » . ٥ ـ ب : « الثلاث » .
٦ـ فى النسخ : « سبب» .

لاوسيلة الى حصول الشّفاعة اسرع من التّوبة اذ كانت النّعمة المفاضة على العبد المذنب من ربّه غيرموقوفة الّا على قبوله و استعداده بتحقّقها . **وامّا بمعنى الصّواب** فلانّه لاشفيع أصوب فى قبول الرّحمة من واهبها من التّوبة اذكان التّوسّل بغيرها من بذل مال او نفس فى مجاهدة ظاهرة اوغير ذلك مع الاصرار على المعصية وعدم التّوبة منها غير نافع ولامخلّص من العذاب الحاصل بسببها فالتّوسّل بها اذاً أصوب رأى يراه صاحب الجريمة وقد اكثرالله تعالى فى تنزيله من الحثّ عليها والأمر بها ومن وعد التّائب وحمده اذكانت التّوبة سبباً عظيماً من أسباب السّعادة الابديّة وبها النّجاة من اغلال الهيئات المردية فقال عزّ ذكره : يا ايّها الّذين آمنوا توبوا الى الله توبةً نصوحاً[1] بترك محقّق وندم صادق وعزم جازم عسى ربّكم ان يكفّرعنكم سيّئاتكم ويدخلكم جنّات تجرى من تحتها الانهار[2] إرجاءً واطماعاً من غيرجزم ايقاعاً للذّة الدّغدغة النّفسانيّة الحاصلة من الرّجاء كيلا ـ ييأسوا من رحمته فينهمكوا فى المعاصى بجرأة[3] وابقاءً للخوف النّاشى من الوعيد عليها بالاشفاق فيتقهقروا عنها بسرعة ، وقال تعالى : انّما التّوبة على الله للّذين يعملون السّوء بجهالة ثمّ يتوبون من قريب[4] قبل ان يتمكّن من جواهر نفوسهم عقارب ابدانها فلايبقى لها قبول اثردواء طبيب الاطبّاء ولايرجى لها برء ولاشفاء؛ وليست التّوبة للّذين يعملون السّيّئات حتّى اذا حضر احدهم الموت قال انّى تبت الآن ولا الّذين يموتون وهم كفّار؛ الآية[5] .

وفى هذه الكلمة تنبيه باعثٌ على المبادرة الى التّوبة اذ كان الجانى انّما يجتهد فى انجح وسيلة لاستسماح جريمته وتنجيز أظفر شفيع لاستغفار خطيئته ويبالغ فى احسن الاعذار لمحو سيّئته وقد ثبت انّ التّوبة اعظم شفيع و انجحه واسرعه وانفعه فما ان بقى كان مهلكاً

١ ـ صدر آية ٨ سورة التحريم . ٢ـ من بقية آية ٨ سورة التحريم . ٣ـب: «بجراءة» . ٤ـ صدر آية ١٧ سورة النساء وذيلها: «فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله حكيماً عليماً» . ٥ـ آية ١٨ سورة النساء .

شرّ هلاكٍ فيجب على صاحب الجريمة ان يحرص عليها ولايقصّر فى المبادرة اليها ويستغنم[١] فرصة المهل ولايسوّف فى الامل فيقع فى خطر فوات العمل بحلول الاجل فيكون وجوده عدماً له وشرّاً وحياته موتاً وضرّاً؛ والله ولىّ التّوفيق للصّواب.

الكلمة الاربعون

قوله عليه السّلام: لالباس اجمل من العافية.

اقول: اللّباس بكسر اللّام مايلبس من ثوبٍ وغيره محسوساً كان او معقولاً اذ يقال: لبس فلان الأمر الفلانىّ وتلبّس به اذا دخل فيه، و **الجمال** الحسن والبهاء، و **العافية** السّلامة من كلّ مكروهٍ من قولهم: اعفى من كذا وعوفى منه اذا لم يصب به **والمقصود** بيان افضليّة الجمال الحاصل من لباس العافية على غيره من انواع الجمال، وهذه القضيّة ضروريّة وجدانيّة فانّ كلّ عاقلٍ يجد من نفسه انّ ملائمة الكمال الحاصل من التّجمّل بثوبٍ او غيره من أنواع الجواهر لطبعه مستحقر فى جانب لذّته بحصول العافية عن[٢] حمّى يوم و[٣] التّجمّل بلبسها فضلاً عمّا هو أفضل من ذلك كالعافية من الذّمّ اواستحقاق العقاب او غير ذلك.

فان توهّم متوهّم وقال[٤] عن وهمه: التّفاوت فى الجمال انّما هو بحسب التّفاوت فى الخيريّة واللّذّة ونحن نجد انّ اللّذّة بجمع الاموال وغلبة الرّجال والمباضعة أتمّ من اللّذّة بالعافية الّتى نحن فيها؟-

فجوابه من وجهين

امّا الاوّل - فلانّ كلّ ما زعمت انّه لذيذ فلذّته بالحقيقة عافيته من بلاء الالم

١- كذا ولم اجد استعماله فى كتب اللغة فلعله: «يغتنم». ٢- ا: «من».
٣- ب: «او». ٤- ج د: «ستوهم قال» ا: «متوهم مال».

الحاصل من فقد ذلك اللّذيذ و راحته بالنّسبة الى التّعب الحاصل من طلبه.

وامّا ثانياً فلانّ من شرط الالتذاذ حصول اللّذيذ مع الشّعور بوجه الالتذاذ لكنّ الشّعور غير حاصل لذى العافية بالكمال الّذى هو العافية فانّ استمرار المحسوسات واستقرارها يذهل النّفس عن ادراكها فان اردت التّنبّه لشرف هذا الكمال فانظر الى طويل المرض عند الرّجوع الى الحالة الطبيعيّة وحدوث العافية عليه بسرعة غير خفيّة التّدريج كيف يجد اللّذّة التّامّة الصّادقة بل ربّما حصل اللّذيذ فكره كما يكره بعض المرضى الحلو فضلاً عن ان لايكون اليه باعث شوق ولايقدح ذلك فى كونه لذيذاً لانّه ليس بكمال بالنّسبة الى ذلك المريض فى حاله تلك اذ ليس بشاعر به بالحسّ من حيث هو كمال وخير وذلك يبيّن صحّة ماقلناه، وفى دعوات الأئمة رضوان الله عليهم: اللّهمّ انّى أسألك العافية وتمام العافية، والشّكر على العافية يا ولىّ العافية، اللّهمّ انّى أسألك عافية الدّنيا من البلاء وعافية الآخرة من الشّقاء؛ فقد ظهر انّ العافية أجمل لباس وأحسن شعار أفيض على النّاس؛ والله ولىّ التّوفيق.

الكلمة الحادية والاربعون

قوله عليه السّلام: لاصواب مع ترك المشورة.

اقول: الصّواب الاصابة فى الامور الّتى تفعل، والمشورة طلب الرّأى المحمود من الاودّاء والنّصحاء وغيرهم فى ترجيح احد الامور المحتملة فى ذهن المستشير او تأكيدها و بيان انّ المصلحة فى ايّها تكون؟ **وامّا علّة هذا السّبب الكلّىّ فمن وجهين؛**

الاوّلـ انّ الانسان لمّا كان بحيث لايمكن استقلاله وحده بأمور معاشه ومعاده لحاجته الضّرورية الى مالابدّ منه من غذاء ولباس ومسكن وغير ذلك وكانت هذه الامور كلّها أموراً

صناعيّةٌ لايمكن ان يقوم بها صانعٌ واحدٌ الّا فى مدّةٍ لايمكن ان يبقى بدونها او يتعسّر ان امكن بل لابدّ من جماعةٍ يتشاركون ويتعاونون على تحصيل تلك المنافع ويتعارضون و يتعاوضون وكـان هذا التّعاون لايتمّ الّا بان يكون بينهم انسٌ طبيعيٌّ قضاءٌ للعنايـة الالهيّة بهذا العـالم ومنه اشتقّ اسم الانسان فى اللّغة فواجب على الانسان اذاً ان يكتسبه مع أبنـاء الجنس ويحرص عليه بالجهد والطّاقة ولأنّه ايضاً مبدأ المحبّة الواجبة الّتى هى سبب السّعادتين اذ كان كلّ شخصٍ يرى كماله عندالآخر فلولاذلك لم يتمّ السّعادةبينهم فيكون كلّ انسانٍ بمنزلة عضوٍ من اعضاء البدن وقوام الانسان بتمام بدنه، وانّما وضعت الشّريعة والعـادة الجميلـة اتّـخاذ[1] الدّعوات والاجتماع فى المأدبات[2] لتحصيل هذا الانس بل لعـلّ الشّريعة انّما حثّت النّاس على الاجتماع فى المساجد و فضّلت صلوة الجماعة على الصّلوة المنفردة ليحصل لهم هذا الانس بالفعل اذ كان حاصلاً فيهم بالقوّة ، ثمّ يتأكّد فيهم بالاعتقـادات الصّحيحة الجامعة لهم وينبّهك على انّ مطلوب صاحب الشّريعة صلّى‌الله عليه وآله ذلك انّه أوجب على اهل‌المدينة كلّهم ان يجتمعوا فى كلّ اسبوعٍ يوماً معيّناً فى مسجدٍ يسعهم ليجتمع ايضاً شمل المحالّ والسّكك كما اجتمع اهل الدّور والمنازل فى كلّ يومٍ ، ثمّ أوجب ان يجتمعوا فى كلّ سنةٍ مرّتين فى مصلّىً بارزين مصحرين ليجمعهم المكان ويتزاوروا ويتجدّد الأنس بين كافّتهم ويشملهم المحبّةالنّاظمة لهم. ثمّ أوجب بعـد ذلك ان يجتمعوا من البلدان فى العمر كلّه مرّةً واحدةً فى الموضع المقدّس بمكّة ولم يعيّن من العمر وقتـاً مخصوصاً ليتّسع لهم الزّمان فيجتمع اهل المدن البعيدة كما اجتمع اهل المدينة الواحدة ويصير[3] حالهم فى الانس والمحبّة و شمول الخير وافاضة الرّحمة والسّعادة بحسب انفعالات نفوسهم واستعدادها الصّادرة عن‌ذلك‌الاجتماع على غايةٍ من الكمـال لايحصل لهم بدونه و كان هذا الأنس لايتمّ الّا بالحديث المستطاب

۱ـ ب : «اتحاد» (بالحاء والدال المهملتين) ج د: «ايجاد» (بالجيم والدال) ولعله: «الاجابة» .
۲ـ ا: «الماديات» ج د: «المناديات» لكن‌المأدبة جمعها المعروف«المآدب» . ۳ـ ا: «تصير» .

بالمشاورة فى الأمور والاطّلاع على بعض الاسرار الّتى لاتضرّ اذاعتها ليتمّ بذلك أنس المستشار وتسكن نفسه ان لوكان لها نفار وتنبسط ولاتنقبض قال عزّ من قائلٍ تأديباً لنبيّه بالأدب الجميل: وشاورهم فى الأمر[1] ولتوسع[2] المفاكهة[3] المحبوبة والمزاح المستعذب الّذى يقدّره العقل حتّى لايتجاوز الى الاسراف فيها فيسمّى ذلك الاسراف مجوناً وفسقاً وخلاعةً وشبهها من أسماء الذّمّ؛ ولايقصّر فيها فيسمّى ذلك القصور فدامة[4] وعبوساً وشكاسةً وما أشبهها من طرف التّفريط المذموم بل يتوسّط بينهما فيسمّى ذلك المتوسّط ظريفاً معاشراً هشّاً بشّاً؛ **واذا عرفت** انّ المشورة من اجلّ اسباب تحصيل الانس المطلوب من الخلق **عرفت** انّها مطلوبة.

ثمّ انّه عليه السّلام نبّه على وجوب اتّخاذها والمواظبة عليها بانّه لاصواب فى فعلٍ يفعل بدونها لما انّ تصرّفات الخلق امّا أقوال او أفعال، واذا كان الجميع موقوفاً على المشورة بأمره و اشارته فلابدّ وان يستجيبوا له عند دعائه لهم اليها فتارك المشورة اذاً مخطىءٌ؛ اذ ضيّع سبباً عظيماً من أسباب الفضائل الّتى يجب طلبها، والمخطىء غيرمصيب فتارك المشورة غيرمصيبٍ وان تصوّر بصورة المصيب.

الثّانى- انّ تارك المشورة فى اموره غير مصيبٍ فى أغلب أفعاله ومقاصده فهو اذا أخطأ كان ملوماً ولعلّه يكون مأثوماً؛ اذ كان المستشار العاقل كثيراً ما يكون مطّلعاً على وجوهٍ من مصالح ذلك الفعل المستشار فيه اما بحسب تجربته او بحسب قوّة عقله وجودة حدسه بحيث لايكون مثل ذلك الاطّلاع حاصلاً للمستشير **والسّبب الأكثرىّ فى الغلط** انّ الوهم الانسانىّ فى غالب الاحوال وأكثرها لابدّ وان يحكم بترجيح أحد طرفى الأمر المتردّد فيه المطلوب فيه الاستشارة بغتةً[5] قبل مراجعة العقل وانّما كان الصّواب فى الطّرف الاخر عند الفكر والتّحديق فاذا[6] فعل بيّن[7] له بعد ذلك

١- من آية ١٥٩ سورة آل عمران. ٢- ب ج د: «ولتوضع». ٣- ا: «المكافهة».
٤- يقال: «فدم الرجل فدامة وفدومة كان فدماً وهو العيى عن الكلام فى ثقل ورخاوة و قلة فهم وفطنة». ٥- ا: «بعثه» ج د: «بعينه». ٦- ج د: «واذا». ٧- ب ج د: «تبين».

عن قريبٍ او بعيدٍ خطاؤه وانّه قد ضيّع حزماً واتّبع هواه، ولو فرض انّ مطلوبه حصل لم يعدّ ايضاً فى عرف العقلاء مصيباً؛ اذ كان كالسّالك لطريقٍ كثيرة المخاوف غيرعالم بمراحلها ومنازلها وغيرمطّلع على آفاتها ومخاوفها فهو لايدرى على مايقدم فاذا وصل الى غايته من ذلك السّلوك سالماً فانّ أحداً من العقلاء لايقول:انّه مصيبٌ بل يطبقون على ذمّه وتوبيخه ويعدّونه متهوّراً مغرّراً بنفسه[1] مضيّعاً لها؛ وذلك بخلاف حال المواظب على المشورة فانّه يعدّ فى عرف العقلاء مصيباً وان لم يحصل مطلوبه؛اذ كان كالسّالك لسبيلٍ يعلم أحوالها وانّها آمنة فيتّفق له عند سلوكه لها لصٌّ اتّفاقاً فانّ أحداً من العقلاء لايقول:انّه مخطىءٌ[2] فى سلوكه لها.

وفى هذه الكلمة تنبيه على وجوب الاستشارة فانّ كلمةالعقلاء قد تطابقت على ذمّ تاركها ومدح طالبها،وانّ الاوّل مخطىءٌ وان‌اصاب؛وانّ‌الثّانى مصيبٌ وان خاب، واتّفقوا على‌انّه يجب على‌كلّ ذى حزمٍ[3] مراجعةمن‌هوفوقه‌اودونه فى‌المنزلة فان الفضل لن يكمل[4] لاحدٍ ولن يختصّ به احد وانّ الرّأى الفرد لايكتفى به فى الامور الخاصّة ، ولاينتفع به فى الامورالعامّة،واتّفقوا على مدح الرّأى الصّائب وتفضيل‌صاحبه ووجوب الاستعانة به فى الامور وذلك لشدة عقليّته[5] لها وحسن استنباطه للرّأى فيما ينبغى ان يفعل من الامور المصلحيّة وفى‌هذا المعنى يقول ابوالطّيّب المتنبّى؛ شعر:

الرّأى قبل شجاعة الشّجعان هو اوّلٌ وهى المحلّ الثّانى
فاذا هما اجتمعا لنفسٍ مرّةً بلغت من العلياء كلّ مكـان

ومن امثـال العرب فى مدح الرّأى قوله عليه‌السّلام: رأى الشّيخ خيرٌ من مشهد

١- يقال : غرر بنفسه = عرضها للهلكة. ٢- ا : « محظٍ». ٣- ب ج د : « على ذى الحزم». ٤- ج : « لم يكمل» د : «لايكمل». ٥- ج د : « عقليه».

الغـلام[1] و فى مدح ذى الحزم و التّجربة و الآراء الصّائبـة قولهم: قد حلب فلان الدّهر اشطره[2] اى قد اختبر الدّهر شطرين من خيرٍ و شرٍّ، ومنها قولهم فى نعت الحازم ايضاً: اذا تولّى عقداً أحكمه[3] قال الشّاعر:

وما عليك ان اكون أزرقاً اذا تولّى عقد شئٍ أوثقا

والامثال والشّعر فى هذا المعنى كثير؛ والله ولىّ التّوفيق.

---

١ - قال الميدانى فى مجمع الامثال (ص ٢٥٤ من طبعة ايران): «رأى الشيخ خير من مشهد الغلام، قاله اميرالمؤمنين على عليه السلام فى بعض حروبه». **قال الرضى** (ره) **فى** باب الحكم من **نهج البلاغة** «و قال عليه السلام: رأى الشيخ احب الىّ من جلد الغلام، و يروى من مشهد الغلام» **وقال** شارح الكلمات **(ابن ميثم)** رحمه الله **فى شرحه** (ص ٥٩٠ من الطبعة الاولى من شرح نهج البلاغه): «جلده قوته وقد مر ان الرأى مقدم على القوة و الشجاعة لاصالة منفعته، و انما خص الرأى بالشيخ والجلد بالغلام لان كلاً منهما مظنة ماخصه به فان الشيخوخة مظنة الرأى الصحيح لكثرة تجارب الشيخ و ممارساته للامور، والغلام مظنة القوة والجلد، **وعلى الرواية الاخرى** فمشهده حضوره والمعنى ظاهر».

وقال ابن ابى الحديد فى شرحه (ج ٤؛ ص ٢٨٠ من طبعة مصر):

«انما قال كذلك لان الشيخ كثير التجربة فيبلغ من العدو برأيه مالا يبلغ بشجاعته الغلام الحدث غير المجرب لانه قد يغرر بنفسه فيهلك ويهلك اصحابه، ولا ريب ان الرأى مقدم على الشجاعة ولذلك قال ابوالطيب: الرأى (فذكر البيتين الذين ذكرهما الشارح مع ثلاثة ابيات اخر من القصيدة و خاض فى نقل غير ذلك ايضاً فمن اراده فليطلبه من هناك).

٢ - **قال الميدانى فى مجمع الامثال** (ص ١٧٨ من طبعة ايران):

«حلب الدهر اشطره؛ هذا مستعار من حلب اشطر الناقة؛ و ذلك اذا حلب خلفين من اخلافها ثم يحلبها الثانية خلفين ايضاً؛ و نصب اشطره على البدل [اى] اشطر الدهر **والمعنى** انه اختبر الدهر شطرى خيره و شره فعرف مافيه؛ **يضرب** فيمن جرب الدهر».

٣ - **قال الميدانى فى مجمع الامثال** (ص ٢٦ من طبعة ايران):

«يضرب لمن يوصف بالحزم والجد فى الامور».

الكلمة الثانية والاربعون

قوله عليه السّلام : لامحبّة مع مراءٍ.

اقول : المراء والمماراة المجادلة ، والمقصود من[۱] **هذه الكلمة** بيان انّ المماراة ومجاذبة القول مع الاصدقاء وأهل المودّات ممّا لايجامع محبّتهم وأنسهم للمارى[۲] بل يقتلعه[۳] اقتلاعاً **وتقرير ذلك** انّا بيّنّا فيما سبق انّ المحبّة سببٌ للألفة[٤] والانس الّذى يحتاج الخلق اليه فى اصلاح معاشهم ومعادهم ، وبيّنّا[٥] انّه سببٌ للسّعادتين واتّفق الحكماء و ارباب العقول على انّ المراء مع هؤلاء يقلع[٦] المودّة من اصلها وذلك انّها سبب الاختلاف ، والاختلاف سبب التّباين المضادّ للالفة الّتى حثّت عليها الشّريعة القويمة واتّفقت على وجوبها كلمة النّبيّين ، ومن النّاس من يؤثر المراء ويزعم انّه يشحذ الاذهان ويثير الشّكوك ويفيد[۷] رياضة النّفس فى ميدان الكلام فهو يتعمّد[۸] ذلك فى المحافل و مجالس أهل النّظر ويخرج فى كلامه الى الفاظ العامّة ليزيد فى خجل صديقه و يظهر انقطاعه وانقهاره[۹] فى يده ولو فعل ذلك فى الخلوة لكان اهون لكنّه يفعله حيث يعتقد الحاضرون انّه أدقّ نظراً وأدقّ حجّة وأغزر علماً ، وهذا الرّأى غير لائق الّا بأهل البغى و جبابرة أهل الاموال اذ كان من عادتهم ان يستحقر بعضهم بعضاً ولاينفكّ أحدهم يصغّر صاحبه ، ويزرى عليه ، وينقص مروّته ، ويبحث عن عيوبه ، ويتتبّع عثراته ، ويبالغ كلّ منهم فيما يقدر عليه من مساءة صاحبه حتّى يؤدّى ذلك الى العداوة البالغة الّتى يكون

۱- د : «فى». ۲- ب : «للتمارى». ۳- د: «تقلعه». ٤- ب: «سبب الالفة». ٥- ا: «وقلنا». ٦- ب : «قلع». ۷- ج د: «ويقيد». ۸- ا : «يتهد» فهو مضارع من: «عهد الشى اذا حفظه وراعاه حالاً بعد حال». ۹- ا: «انتهاره» (من ن ه ر).

فيها سعاية بعضهم ببعض وازالة نعمته فيسوق ذلكك الى سفك الدّماء وأنواع الشّرور ، واذا كان كذلكك فكيف يثبت المحبّة مع المراء او ترجى معه الفة او استجلاب انس؟!

وفى هذه الكلمة تنبيه على وجوب ترك المماراة لما انّها مستلزمة لعدم ما وجوده مطلوب بلسان الشّريعة فقد لاح لكك سرّه الصّادر عن المعالم[1] التّامّة المزينة بحلى الآداب ومحاسنها؛ والله ولىّ التّوفيق.

الكلمة الثالثة والاربعون

قوله عليه السلام : لاسؤدد مع انتقام.

اقول السّؤدد الاسم من السّيادة ، و **الانتقام** الأخذ بالعذاب لتقدّم جريمة من المأخوذ عن حركة القوّة الغضبيّة كماسبق بيانه **وهو قد يكون محموداً وقد يكون مذموماً امّا المحمود** فما صدر موافقاً لرسم الشّريعة فى السّياسات وتدبير المدن، **وامّا المذموم** فهو الّذى يخرج الى طرف الافراط من ذلكك وهو المقصود فى[2] هذه الكلمة بالذّات المنافى للسّؤدد ، والسّبب فى مضادّته له انّ الانتقام مثير للقوى الغضبيّة ممّن ينتقم منه وحامل له على[3] طلب المقاومة والدّفع والمغالبة انفة وحميّة ، او على الهرب والتّرك وكلّ ذلكك مستلزم لتنفّر[4] الطّباع و بعدها عن التّألّف ، والسّؤدد انّما يحصل بالتّواضع وخفض الجناح للتّابعين ولين الكلمة و استجلاب طباعهم بأنواع التّلطّفات والمباسطات والتّكرّم والتّجاوز عن بعض اساءتهم والصّفح عن بعض جرائمهم ليحصل الانس والمحبّة

١ـ ج د : « العالم » . أقول: كأن الجملة قد سقط منها شيء. ٢ـ ج د : «من» .
٣ـ ب : « عن » . ٤ـ ا : « لتنفير » .

الطّبيعيّة الّتى هى سبب الالفة والانقياد وذلك ماادّب[١] الله تعالى نبيّه بالآداب الصّلاحيّة فقال عزّ من قائلٍ : واخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين[٢] ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك فاعف عنهم واستغفرلهم و شاورهم فى الأمر[٣] كلّ ذلك طلب للانس واستجلاب للمحبّة وحسن الألفة، **وامّا الانقياد** فتابع لحصول الالفة لانّهم بعدها اذا لمحوا كماله الخالين عنه وتمامه الفارغين منه انقادوا تحت أوامره بقلوبٍ صافيةٍ وسلّموا أنفسهم اليه بنيّاتٍ صادقةٍ الّا من لم يؤثّر التّودّد فى أدمة[٤] قلبه ولم يجد التّلطّف سبيلاً الى خالص لبّه لتقدّم حقدٍ وضغينةٍ او غيرها من الاسباب القدريّة، واذا كان كذلك فحيث حصل ما يضادّ ما ذكرنا من الأسباب الّتى يجب بها او معها السّؤدد لزم ان لاتكون تلك الاسباب حاصلة وبانتفائها ينتفى السّؤدد الّذى هومعلولها.

واعلم انّ الانتقام بالمعنى الاوّل وان حصلت منه للطّباع نفرة وكان مثيراً للقوّة الغضبيّة لكنّه لمّا كان ذلك موافقاً لرسم الشّريعة والتّأديبات الصّلاحيّة وقد تطابقت عليه المقالات النّبويّة وكانت أذهان الخلق تمرّنت عليه بحسب تعويد الشّرائع وانغرس فيها وجوبه حتّى انقادت نفوسهم وأذعنت للاعتراف به وكان ذلك لايصدر الّا بحسب جناية متعارفة القبح[٥] بينهم لم يكن ذلك منافياً للسّؤدد بل كان من متمّماته وواجباته؛ اذ كان سبباً عظيماً من أسباب بقاء النّوع الانسانىّ فلو حصلت بسببه نفرة من المنتقم منه او ممّن يتعلّق به ممّن عليه الاحتشام وحبّ[٦] الحيوة عن[٧] الانقياد للعقوبات الشّرعيّة لكان ذلك أمراً جزئيّاً غيرملتفتٍ اليه ولاقادح فى سيادة المنتقم اذ كانت شوكة القوى الغضبيّة من الخلق مقهورةً بسيف الشّريعة قد تقاصرت وتحاشت عن مقابلة امرٍ سماوىٍّ لمعاضدة[٨]

١- ج د : « ولذلك ادب» . ٢- آية ٢١٥ سورة الشعراء . ٣- وسط آية ١٥٩ سورة آل عمران. ٤- ا : « ادبه» ج د : «اذمة» . ٥- ا : «الشح» . ٦- ج د : «وجب» . ٧- ب ج د :«على». ٨- ا :«لمعاضد» .

شيطان[1] مثلها وألقت زمامها الى القوى العقليّة فى الانقياد لما ينبغى على الوجه الّذى ينبغى.

وفى هذه الكلمه تنبيه لطالب التّسوّدد على انّه ينبغى ان يترك ماينافيه وهو الانتقام الخارج الى حدّ الرّذيلة والّا لكان مناقضاً لسعيه ، وكاسراً لما هو طالب لتقويمه؛ وذلك نهاية الجهالة؛ والله الموفّق.

الكلمة الرابعة والاربعون

قوله عليه السّلام : لاشرف مع سوء الادب.

اقول : قد عرفت انّ حسن الادب يعود الى معنى الرّياضة المعتدلة للقوى البدنيّة وقد بيّنّا كيفيّتها فاعرف من ذلك انّ سوء الادب وهو سوق تلك القوى على حدّ طباعها وانهماكها فى مطلوباتها الطّبيعية لها على قانون وهميّ دون ان يكون على وفق القانون العدلىّ المرسوم من الشّريعة والحكمة وكما علمت انّ الشّرف الحقيقىّ انّما هو باجتماع أجزاء الكمال من العقل واجتماع مكارم الاخلاق والآداب المستحسنة حتّى تتحصّل ماهيّته المطلوبة عنها فاعرف انّ عدمه بفواتها او بفوات أحدها[2] اذا كان اجتماع الأجزاء هو المحقّق للماهيّة المركّبة وكان عدم الجزء الواحد كافياً فى عدمها فاذا فرضنا اشتمال[3] الانسان على سوء الادب المقابل لكماله وحسنه فبالضّرورة لم يشتمل على مايقابله من الادب الجميل[4] واذا كان خالياً عن ذلك الجزء من الكمال لم يتحقّق ماهيّة الكمال فلم يتحقّق ماهيّة الشّرف لعدم علّته وقد ظهر[5] لك فى هذه الكلمة [سرّ تنبيهه][6] لطالبى الشّرف والمجتهدين فى تحصيل الكمال الانسانىّ على وجوب الرّياضة و تأديب القوى النّزوعيّة

۱ـ ب : الشيطان». ۲ـ ب : «احدهما». ۳ـ ا: «استكمال». ٤ـ ب: «الجهل». ٥ـ ب: «اظهر». ٦ـ فى النسخ «تنبيهاً» فالتصحيح نظرى.

وردعها عمّا تميل اليه بطباعها وقهرها بيد القوّة العاقلة وتصريفها على قانون العدل اذ كان الشّرف وسوء الادب ممّا لا يجتمعان؛ والله وليّ المنّ والاحسان.

الكلمة الخامسة والاربعون

قوله عليه السّلام:

ما اضمر احدكم شيئاً الّا اظهره الله في فلتات لسانه وصفحات وجهه.

اقول الاضمار كتمان السّرّ وغيره في الضّمير وهو الذّهن والعقل، **والفلتات** جمع فلتة وهي وقوع الأمر بغتةً من غير اختيارٍ ولا تروٍّ و تدبّرٍ، و **صفحات الوجه** جوانبه **والمقصود ههنا بيان** انّ الاعتقادات الّتي يضمرها الانسان ويحافظ عليها ويراعي سترها عن اطّلاع الغير عليها لمصالح متصوّرةٍ ومقاصد اختياريّةٍ سواء كانت نافعة او ضارّة فانّها وان بولغ في مراعاة حفظها واجتهد في عدم اطّلاع الغير عليها لابدّ وان تظهر، **ثمّ انّه** عليه السّلام **نبّه على سببين** من اسباب الظّهور وحكم بانّه لابدّ **وان تظهر باحدهما مع تلك المحافظة:**

احدهما - فلتات اللّسان وذلك انّ النّفس وان كان لها عناية بحفظ ذلك لكنّها قد تنصرف الى مهمٍّ[1] آخر فتنفعل حينئذٍ عن ملاحظة وجه المصلحة في كتمانه وسبب وجوب ستره فتنفلت[2] المتخيّلة من اسر العقل العمليّ فتلوّحه وتبعث الشّهوة الى التّكلّم[3] به من غير ان يكون للنّفس شعورٌ بشعورها به، وذلك معنى كونه فلتةً، **وقد يصدر الكلام فلتةً على وجهٍ آخر** وذلك ان يتلفّظ المضمر بكلامٍ يكون مستلزماً للايماء او التّنبيه على

١- ج د: «تتصرف الى فهم». ٢- ج د: «فنلتفت». ٣- ج د: «المتكلم».

ذلك المعنى المضمر والمتكلّم غافل عن ذلك الايماء وغير عالم بكيفيّة التّنبيه من ذلك الكلام على مضمره والسّامع ذوحدس قويّ فيقع له الاطّلاع على ذلك المضمر مع شدّة الاعتناء بستره.

الثّاني ـ صفحات الوجه و ذلك اشارة الى القرائن والامارات المستلزمة لاظهار المكتوم كما يدلّ تقطيب الوجه والعبوس والاعراض عن الشّيء من معتاد البشاشة على بغض[1] ذلك الشّيء؛ وانبساط الوجه والفرح به والاقبال عليه على محبّته، و كما تدلّ الصّفرة العارضة للوجه حال نزول الأمر المخوف على اضمار الوجل، والحمرة العارضة عند نزول أسبابها كمشافهة من يتستّر من فعل القبيح على حال فعله ومواجهته به على الخجل، و كدلالة عرق الوجه وغضّ الطّرف على الحياء، وكدلالة الملاحظة بالبصر على وجهٍ مخصوصٍ على العداوة؛ وعلى كثيرٍ من الامور النّفسانيّة وأمثال ذلك من القرائن الّتى تكاد لاتتناهى؛ **فهذه الامور** و امثالها وان اجتهد فى اخفائها **فلابدّ** وان تلوح من السّببين المذكورين.

وفى هذه الكلمة تنبيه للعاقل على انّه لاينبغى ان يضمر من الأمور الّا مالواطّلع عليه منه لما كان مستقبحاً فى العرف ولما نفر طبعه من المواجهة به فانّه ان اضمر امراً يستقبحه الخلق ويستنكر فيما بينهم لو اطّلعوا عليه ولابدّ من الاطّلاع عليه للأسباب المذكورة لم يسلم[2] من الافتضاح وكان وقته مشغولاً بالقبيح **امّا فى مدّة اضماره** وستره فبالمحافظة عليه واشتغال النّفس به عن السّعى فى مصالحها الكلّيّة الذّاتيّة، **وامّا بعد ظهوره** فبمعاناة الخلاص من عاره والتّألّم من المواجهة به والنّدم والتّأسّف على ايقاع[3] ما استلزم اظهار ذلك والجزع الّذى لايجدى نفعاً ولايعود بطائلٍ؛ وكلّ ذلك منهىّ

١ ـ فى النسخ «بعض» بالعين المهملة فالتصحيح نظرى. ٢ ـ ا ب: «ولم يسلم».
٣ ـ ا: «اتباع».

عنه لانّه اشتغال الانسان بما لايعنيه ، **وامّا نسبة ذلك الاظهار الى الله تعالى** فظاهر من قولنا: انّه مفيض الكلّ وعلّة العلل؛ والله ولىّ الصّواب.

الكلمة السادسة والاربعون

قوله عليه‌السّلام: اللّهمّ اغفرلنا رمزات الالحاظ، وسقطات الالفاظ، وهفوات اللّسان، وسهوات الجنان.

اقول: الرّمزات جمع رمزة وهى‌الاشارة، **والالحاظ** جمع‌لحظ وهى‌النّظرالخفيف، و **سقطة القول** الخطيئة فيه **وجمعه سقطات** وسقاط، و **الهفوة** الزّلّة، و **السّهو** الغفلة وهى التفات النّفس عن الشّئ حال اشتغالها بشئٍ آخرٍ، و **الجنان** القلب مأخوذ من الاجتنان وهو الاختفاء، **ولمّا كانت هذه الامور الاربعة** فى الظّاهر وبالنّسبة الى من لايعلم وجه وقوعها ذنوباً وجرائم يذمّ فاعلها ويعدّ خارجاً عن مقتضى‌القانون العدلىّ (١) لاجرم كان طالباً لغفرها وهوسترها.

بيان الاوّل امّا انّ الاشارات بالالحاظ قد تكون ذنوباً فذلك كلّ رمزٍ يكون وسيلةً الى ارتكاب جريمةٍ فانّه يكون جريمةً؛ ومثاله مايفعله من‌يطلب منه ظالمٌ تعريف انسانٍ ليقصده بالظّلم فيكره المطلوب منه التّصريح بذلك بلسانه خوف الشّنعة‌والسّبّ الصّادق و المقصود بالظّلم حاضرٌ فيرمز بلحظه اليه فينبّه الظّالم عليه ، وكمن يرمز بلحظه تنبيهاً للغافل عن‌بعض المعاصى‌عليها حتّى يكون ذلك سبباً لركوبها،وكلّ ماكان وسيلةً الى‌ارتكاب جريمةفهوجريمة،والدّالّ على‌الشّرّ كفاعله،ودلالة الالحاظ كصريح الالفاظ.

---

١ ـ ب : «العدل».

وامّا سقطات الالفاظ وهو الخطأ فيه والتّكلّم برديّة وساقطة وبمالاينبغى وظاهرٌ انّه جريمة ؛ اذ لامعنى للجريمة الّا ما اكتسبه الانسان من الافعال مخالفاً للقانون العدلىّ الّذى هو غاية الشّرائع من التّكاليف البشريّة.

وامّا هفوات اللّسان وهى زلله فظاهرٌ انّه جريمة أيضاً وهو علّة لسقطات الالفاظ فانّ بهفوات اللّسان قد يقع الرّدىّ من القول[1].

وامّا سهوات الجنان فقد عرفت انّ المقصود بالقلب النّفس الّا انّ القلب لمّا كان المتعلّق الأوّل للنّفس أطلق اسمه عليها مجازاً اطلاقاً لاسم المتعلّق على المتعلّق ولانّه الظّاهر المتعارف بين الخلق من لبّ[2] الانسان لخفاء تصوّر النّفس على اكثر النّاس.

وسهواته **غفلات النّفس** عن مطالعة الخزانة الّتى فيها الأمر المغفول عنه امّا معنىً او صورةً لاشتغالها بمهمّ آخر او[3] بمعارضة الوهم لها حال التفاتها الى ذلك مع بقائه فى تلك الخزانة،وهذا القدر هو الفارق بين السّهو والنّسيان فانّ النّسيان يشترط فيه مع ذهول النّفس عن الأمر انمحاؤه[4] من الخزانة بالكلّيّة وهذه السّهوات هى من أسباب الهفوات الّتى هى من اسباب السّقطات والرّمزات؛ وأسباب الجرائم فى العرف الظّاهر جرائم ، واذا كانت جرائم مستقبحةً تعاب على من وقعت منه لاجرم كان طالباً لسترها ملتمساً لغفرها ومعدّاً نفسه بالابتهال الصّادق للعصمة منها.

بقى سؤالان

أحدهما ـ ان يقال : انّ سهوات الجنان غير مؤاخذٍ بها؛ اذ لايدخل فى التّكليف فَلِمَ يطلب غفرانها ويلتمس سترها ؟!

١ـ ج : « فان هفوات اللسان قد يقع فيها الردى من القول » . ٢ـ كذا.

٣ـ ب ج : «و». ٤ـ النسخ : «المخاوة» .

الثّانى ـ انّ الشّيعة أثبتت له عليه السّلام العصمة عن المعاصى ؛ سهوها وعمدها من حين الولادة و مابعدها ، وطلبه للغفران لنفسه دليل جواز صدور المعاصى عنه وهو مبطلٌ لقولهم ؟!

والجواب عن الاوّل انّ صدور هذه عن الانسان لمّا كان معدوداً فى العرف جرائم ومعايب منفّرةً للطّباع مستلزمةً للذّمّ ممّن لايعلم كيفيّة وقوعها هل هوعن سهوٍ او عمدٍ لاجرم جاز طلب سترها و غفرها و اعداد النّفس بالابتهالات والدّعوات لتقوى وتشرف وتتعالى بذلك الاستعداد عن حيّز السّهوات الموجبة للهفوات والسّقطات فلايقع منها بل ينستر فى ستر العدم الاصلىّ ؛ ولايلزم من ذلك ان يكون مكلّفاً بها.

وعن الثانى من وجهين :

الاوّل ـ انّ الدّعاء ههنا والتماس المغفرة مشروط بوقوع هذه الأشياء[1] منه فكأنّه قال عليه السّلام : اللّهمّ ان وقع منّى كذا وكذا فاغفرلى ؛ وهذا كلامٌ صادق لكنّك قد علمت فى علم المنطق انّه لايلزم من صدق الشّرطيّة صدق كلّ واحدٍ من جزئيها بل ولايلزم جواز وقوعه فانّك لو قلت : ان كانت الأرض محيطةً بالسّماء كانت اعظم من السّماء كان ذلك لزوماً صادقاً مع استحالة كلّ واحدٍ من الجزئين فنحن نمنع وقوع المعاصى منه وان صدق هذا الكلام ، وطلب المغفرة كما يكون لصدور الذّنب كذلك يكون للتّذلّل و الخضوع و الانقطاع الى الله و الاعتراف بالتّقصير عن اداء حقوقه ومجازاة نعمه.

الثّانى ـ انّ للشّيعة ان يقولوا : لمّا ثبتت عصمته بالبرهان وكان قوله عليه السّلام : « لنا » ضميراً عامّاً يتناول بظاهره كلّ مؤمنٍ ومسلمٍ معه ممّن يجوز صدور هذه الامور منه

---

١ ـ ج : « الاسباب ».

كان ذلك العموم مخصوصاً بالدّليل العقلیّ الدّال ّعلی عصمته علیه السّلام ويبقی عامّاً فی الباقين ، و اضافة ذلك الی نفسه وادخاله لها فی جملة اولئك اعترافٌ بالعبوديّة وخضوعٌ للّه تعالی واظهارٌ للحاجة الی لطيف عنايته وافاضة ستره و وقايته واتمام تلك النّعمة عليه ، وذلك من جميل الأخلاق وكمال العرفان،ونجدالادعية الصّادرة عن الأنبياء عليهم السّلام مشحونةً بطلب المغفرة والاعتراف بالذّنوب والمعاصی مع الاتّفاق علی عصمتهم وذلك محمولٌ علی ماقلناه؛واللّه ولیّ التّوفيق وبه الحول والقوّة.

القسم الثالث

فی اللّواحق والتّتمّات وفیه فصلان

الفصل الاول

فی بیان انّ علیّاً علیه‌السّلام کان مستجمعاً لجمیع الفضائل الانسانیّة

وفیه بحثان:

البحث الاوّل فی بیان کماله بحسب القوّة النّظریّة

قد علمت انّ کمال القوّة النّظریّة انّما هو باستکمال الحکمة النّظریّة وهی کما علمت استعداد النّفس الانسانیّة بتصوّر المعارف الحقیقیّة والتّصدیق بالحقائق النّظریّة بقدر الطّاقة البشریّة ولاشکّ انّ هذه الدّرجة کانت ثابتةً له علیه السّلام علی أتمّ مایمکن فانّ ادراکه(ع) لهذه الأشیاء ادراک بحسب قوّته الحدسیّة القدسیّة وادراک کثیر الحکماء لها ادراکٌ فکریٌّ محتاجٌ الی کلفةٍ ومشقّةٍ یستلزم أغلاطاً عظیمةً لایخلو عنها الّا آحاد الحکماء؛ فأین احدهما من الآخر ؟! و بیان ذلک ببیان انّه علیه السّلام کان سیّد العارفین بعد سیّدالمرسلین صلّی‌الله علیه وآله ، وقبله نبیّن انّه کان استاذ العالمین.

فههنا اذاً مقامان :

المقام الاوّل ـ انّه کان استاذ البشر بعد رسول‌الله صلّی‌الله علیه وآله **و بیانه** انّا بحثنا العلوم بأسرها فوجدنا أعظمها وأعمّها العلم الالهیّ وقد رأینا فی‌خطبه علیه‌السّلام من أسرار التّوحید والنّبوّات والقضاء والقدروأحوال المعاد ما لم یأت فی کلام أحدٍ من أکابر‌ـ العلماء و أساطین الحکمة ، **ثمّ وجدنا جمیع فرق الاسلام تنتهی فی علومهم الیه؛أمّا**

المتكلّمون فإمّا معتزلة؛ وانتسابهم اليه ظاهر، وذلك انّ المباحث المتعلّقة بأصول الفقه والمسائل الفقهيّة و كثيرٍ من ظواهر الشّريعة موافقة لأصول المعتزلة وقواعدهم فى اثبات الحسن والقبح العقليّين فى افعاله تعالى وبنائهم على ذلك استحالة التّكليف بالمحال وغير ذلك ممّا هومسطور فى كتبهم واكثراصول المعتزلة مأخوذة من ظواهر كلامه عليه السّلام فى التّوحيد والعدل وان كانت لها أسرارٌ أخرى ، **و إمّا أشعريّة** ومعلوم انّ استاذهم ابوالحسن الاشعرىّ وهو تلميذ أبي علىٍّ الجبّائىّ وهو منتسبٌ الى اميرالمؤمنين عليه السّلام الّا انّ اباالحسن تنبّه لما وراء أذهان المعتزلة وطالع كتب الحكمة فخالف أستاذه فى مواضع تعلّمها[۱] من مذهبه وعبّر عنها بعباراتٍ توافق ظاهر الشّريعة وزعم بذلك انّه عند[۲] المتكلّمين وليس معهم الّا اسمه . **وامّا الشّيعة** فانتسابهم اليه ظاهرٌ ، **وامّا الخوارج** و ان كانوا على غايةٍ من البعد عنه الّا انّهم ينتسبون الى مشايخهم وهم كانوا تلامذة علىٍّ عليه السّلام. **وأمّا المفسّرون** فرئيسهم ابن عبّاسٍ رضى الله عنه وقد كان تلميذاً لعلىٍّ عليه السّلام ، **وأمّا الفقهاء** فأكابرهم كانوا يأخذون عنه الأحكام وتذكّر ما قال عمر غير مرّةٍ حيث يقع فى المسائل المشكلة فيفرج عنه: لولا علىٌّ لهلك عمر؛ وكونه أفضل الأمّة فى ذلك ظاهرٌ ولذلك قال رسول الله صلّى الله عايه وآله :أقضاكم علىٌّ؛ والأقضى لابدّ وان يكون أفقه و أعلم بقواعد الفقه وأصوله. وقال عليه السّلام: لو كسرت[۳] لى الوسادة لحكمت بين أهل التّوراة بتوراتهم ، وبين أهل الانجيل بانجيلهم، وبين أهل الزّبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم ؛ والله ما من آيةٍ نزلت فى برٍّ او بحرٍ اوسهلٍ اوجبلٍ ولاسماءٍ ولا أرضٍ ولاليلٍ ولانهارٍ الّا أنا أعلم فيمن نزلت وفى أىّ شيءٍ نزلت؛ وذلك يدل على كمال علمه بالأحكام وعدم نظيرٍ له فى ذلك . **وأمّا الفصحاء** فعلومٌ انّ جميع من ينسب الى الفصاحة بعده يملأون أوعية أذهانهم من ألفاظه ويضمّنونها[٤] كلماتهم وخطبهم ليكون

۱- ا : «تعلمها»(من دون نقطة) فيمكن ان يقرأ «يعلمها» . ۲- كذا ولعله كان: «من» . ۳- المشهور فيه : «ثنيت» . ٤- ا : «يضمونها» .

منها[۱] بمنزلة درز[۲] العقود ؛ والأمر فی ذلک ظاهرٌ ، **واما النحویّون** فأوّل واضعٍ للنّحو هو أبوالأسود الدّؤلی و کان ذلک بارشاده علیه السّلام له الی ذلک وکان بدؤ ذلک انّ أبا الأسود سمع رجلاً یقرأ: انّ الله بریءٌ من المشرکین ورسوله (بالکسر) فأنکر ذلک وقال: نعوذبالله من الحور بعد الکور؛ای من نقصان الایمان بعد زیادته وراجع فی ذلک أمیرالمؤمنین علیه السّلام وقال له: نحوت ان أضع للعرب میزاناً یقوّمون بەلسانهم فقال علیه السّلام: انح نحوه؛وأرشده الی کیفیّة ذلک الوضع وعلّمه ایّاه. **وامّا علماء الصّوفیّة** وأرباب العرفان فنسبتهم الیه فی تصفیة الباطن و کیفیّة السّلوک الی الحقّ الأوّل ظاهرة الإنتهاء الیه . **وأمّا علماء الشّجاعة والممارسون للاسلحة والحروب فهم** ایضاً منتسبون الیه فی ذلک فثبت بماقرّرنا انّه علیه السّلام کان استاذ الخلق وهادیهم الی الحقّ وذلک وان دلّ علی کماله فی قوّته النّظریّة فهو دالّ ایضاً علی کمال قوّته العملیّة.

المقام الثانی انّه علیه السّلام کان سیّدالعارفین بعدرسول الله صلّی الله علیه وآله

وذلک ببیان انّه کان قد تسنّم درجة الوصول **وتحقیق ذلک** انّک علمت فی الاصول المتقدّمة انّ الوصول انّما یحقّ[۳] اذا غاب العارف عن نفسه فلحظ جناب الحقّ من حیث إنّه هو فقط وان لحظ نفسه من حیث هی لاحظة لامن حیث هی متزیّنة بزینة الحقّ ثمّ انّه قد وجد فی کلامه واشاراته مایستلزم حصول هذه المرتبة له **وذلک من وجوهٍ**:

الاوّل ـ قوله علیه السّلام: لو کشف الغطاء ما ازددت یقیناً ؛ وقد عرفت انّ ذلک اشارة الی انّ کلّ کمالٍ نفسانیّ متعلّق بالقوّة النّظریّة قد[٤] حصل له بالفعل وذلک یستلزم تحقّق الوصول التّامّ الّذی لیس فی قوّة الاولیاء زیادة علیه.

الثّانی ـ قوله علیه السّلام مناجیاً لربّه: الٰهی ماعبدتک خوفاً من عقابک ولارغبةً فی ثوابک ولکن وجدتک أهلاً للعبادة فعبدتک؛ وهذا الکلام یدلّ علی انّه علیه السّلام

۱ـ ا : «فیها». ۲ـ ج : «در». ۳ـ د: «یتحقق». ٤ـ ب ج: «فقد».

قد حذف كلّ ماسوى الحقّ تعالى عن درجة الاعتبار و لم يلحظ معه غيره و ذلك هو الوصول التّامّ.

الثّالث ـ لمّا سأله ذعلب اليمانيّ: هل رأيت ربّك يا اميرالمؤمنين؟ ـ فقال عليه السّلام: أفأ عبد ما لا أرى؟! قال: وكيف تراه؟ ـ قال: لاتراه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان؛ وقد عرفت انّ القلوب فى عرفهم عبارة عن النّفوس الانسانيّة، وادراكها نيلها ووصولها الى ساحل عزّته؛ وذلك يدلّ على انّه عليه السّلام كان من الواصلين.

الرّابع ـ انّه عليه السّلام وصف موضعه من رسول الله صلّى الله عليه وآله وكيفيّة تربيته وارشاده وتعليمه له فى آخر خطبته المسمّاة بالقاصعة؛ قال عليه السّلام مخاطباً للقوم: وقد علمتم موضعى من رسول الله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة؛ وضعنى فى حجره وانا وليدٌ ويضمّنى الى صدره ويكنفنى فى فراشه و يمسّنى جسده ويشمّنى عرفه وكان يمضغ الشّىء ثمّ يلقمنيه وما وجدلى كذبةً فى قولٍ ولاخطلةً فى فعلٍ، ولقد قرن الله به من لدن كان فطيماً أعظم ملكٍ من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل اثر أمّه؛ يرفع لى فى كلّ يومٍ علماً من أخلاقه ويأمرنى بالاقتداء به، ولقد كان يجاور فى كلّ سنة بحراء فأراه ولايراه غيرى ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ فى الاسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما؛ أرى نور الوحى والرّسالة وأشمُّ ريح النّبوّة ولقد سمعت رنّة الشّيطان حين نزل الوحى عليه صلّى الله عليه و آله فقلت: يارسول الله ماهذه الرّنّة؟ ـ فقال: هذا الشّيطان قد ايس من عبادته انّك تسمع، ما أسمع، وترى ما أرى؛ الّا انّك لست بنبيٍّ وانّك لوزير[1] وانك لعلى خيرٍ.

والاستدلال بهذا الكلام من وجوهٍ:

الاوّل ـ انّه لانزاع فى انّه عليه السّلام كان فى أصل الخلقة فى غاية الذّكاء

---

١ ـ كذا فى النسخ ولكن فى نهج البلاغة: «ولكنك وزير».

والاستعداد لكمال العلوم وفى غاية الحرص، ولا نزاع انّ محمّداً صلّى الله عليه وآله كان أفضل الفضلاء و أعلم العلماء فاذا اتّفق لمثل هذا التّلميذ الكامل ان يصحب مثل هذا الاستاذ الفاضل ويكونان فى غاية الحرص ؛ التّلميذ فى التّعلّم والاستاذ فى التّعليم ، وكان قد سبق له ان اتّصل بخدمته من زمان صغره الى آخر عمره كما أشار اليه وعلى الوجه الّذى أشار اليه فانّ العقل يضطرّ الى الحكم بانّ ذلك التّلميذ يبلغ مبلغاً عظيماً فى الكمال، ويصل الغاية القصوى من العلم.

الثاني ـ قوله عليه السّلام: أرى نور الوحي ــ الى قوله ــ قد أيس من عبادته؛ وذلك انّه عليه السّلام رأى بعين بصيرته الصّور الالهيّة أمثال الأنوار البهيّة كما عرفت من انزعاج المتخيّلة الى تلك الصّور المقتنصة للعقل وتشبيحها وحطّها الى الحسّ المشترك بصورٍ خياليّة وكذلك انحطّ الى حسّه النّفحات الرّبّانيّة فى مثال ريح محسوسة فى غاية الذّكاء ونهاية اللّذّة كريح المسك الاذفر وان كان فرقان[1] مابينهما فرقان مابين الشّامّين والمشمومين وكذلك سمع رنّة الوهم حال قهر العقل له وانزعاجه خلفه واستتباعه ايّاه حال انفلاته[2] الى التّوجّه نحو القبلة الحقيقيّة واقتناص الصّور القدسيّة[3] وحقيقة ذلك الرّنّان انّ العقل متصوّر[4] فى تلك الحال ماوقع للوهم من انجذابه الى خلاف مقتضى طبعه فتصوّر المتخيّلة حينئذٍ و تشبّه ما أدركه العقل من أحواله معه بصورة شخصٍ شريرٍ بعيدٍ عن قبول الخير قهر على المتابعة فيه فتألّم[5] فصاح[6] فتحطّه فى تلك الصّورة ومايصحبها من الأمثال المحسوسة الى الحسّ المشترك فيدرك هناك الصوت[7] المسمّى بالرّنّان وذلك يدلّ على وصوله واتّصاله بأرباب حظيرة القدس وقرب منزلته من تناول صور الوحى وان صدق انّه دون درجة النّبوّة.

۱ـ ب: «فرقاً». ۲ـ ب ج: «انقلابه». ۳ـ ب ج د: «المقدسة». ٤ـ ج: «يتصور».
٥ـ ب: «فيألم» ج: «فتألم». ٦ـ ب: «وضاح» ج: «فصاح». ۷ـ ب: «الصورة».

الثّالث - قول النّبيّ صلّى الله عليه وآله[١]: انّك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى الّا انّك لست بنبيّ؛ ولااشكال انّ النّبيّ(ص) كان له اتّصال بالحقّ تعالى والوصول التّامّ الّذى وصفناه وكان ذلك الاتّصال حاصلاً لعليّ وان كان دون درجة النّبوّة؛ فانّ للاتّصال بالجناب المقدّس درجات لاتتناهى، ولذلك قال: انّك لست بنبيّ.

الرّابع - قوله عليه السّلام يصف السّالكين الواصلين[٢]:

١- هو من أواخر الخطبة القاصعة المروية فى نهج البلاغة كما صرح به الشارح (ره). ٢- قال الشارح (ره) فى شرح هذا الكلام الشريف المروى فى نهج البلاغة (ص٤٠٣ من الطبعة الاولى): «**اقول**: هذا الفصل من اجل كلام له (ع) فى وصف السالك المحقق الى الله وفى كيفية سلوكه المحقق و أفضل أموره فأشار **باحياء عقله** الى صرف همته فى تحصيل الكمالات العقلية من العلوم والاخلاق وأحيا عقله النظرى والعملى بها بعدالرياضة بالزهد والعبادة واشار **باماتة نفسه** الى قهر نفسه الامارة بالسوء وتفريغها بالعبادة للنفس المطمئنة بحيث لايكون لها تصرف على حد طباعها الا بارسال العقل وباعثه فكانت فى حكم الميت عن الشهوات والميول الطبيعية الذى لاتصرف له من نفسه. وقوله(ع): **حتى دق جليله** اى حتى انتهت به اماتته لنفسه الشهوية الى ان دق جليله وكنى(ع) بجليله عن بدنه فانه اعظم مايرى منه، **ولطف غليظه** اشارة الى لطف بدنه ايضاً **ويحتمل** ان يشير به الى لطف قواه النفسانية بتلك الرياسة وكسر الشهوة فان اعطاء القوة الشهوية مقتضى طباعها من الانهماك فى المآكل والمشارب مما يثقل البدن ويكدر الحواس ولذلك قيل: البطنة تذهب الفطنة وتورث القسوة والغلظة، فاذا اقتصرت على حد العقل بها لطفت الحواس عن قلة الابخرة المتولدة عن التملى بالطعام والشراب ولطف الملطف ذلك ماغلظ من جوهر النفس بالهيئات البدنية المكتسبة من متابعة النفس الامارة بالسوء كلف المرآة بالصقال حتى يصير ذلك اللطف مسبباً لاتصالها بعالمها واستشرافها لانوار من الملأ الاعلى. **وقوله(ع): وبرق له لامع كثير البرق** اشار (ع) باللامع الى مايعرض للسالك عند بلوغ الارادة بالرياضة به حداً ما من الخلسات الى الجناب الاعلى فيظهر له انوار الهية شبيهة بالبرق فى سرعة لمعانه واختفائه وتلك اللوامع مسماة عند أهل الطريقة بالوقت وكل وقت فانه محفوف بوجداليه قبله ووجد عليه بعده لانه لماذاق تلك اللذة ثم فارقها ←

قد أحيا عقله و أمات نفسه حتّى دقّ جليله و لطف غليظه و برق له لامع كثير البرق فأبان لـه الطّريق و سلك به السّبيل وتدافعت به الابواب الى باب السلامة و دار الاقامة، وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه فى قرار الامن والرّاحة بمااستعمل قلبه وارضى ربّه.

ومن تأمّل لطـائف هذه الكمات واستلاح بمرآة سرّه أسرار هذه الرّمزات علم انّه عليه السّلام كان من سادات العارفين و رؤساء الواصلين والمراد انّ العارف **قد أحيا عقله** باستعمال مادّة الحياة الّتي هي العلوم والسّعي في تحصيلها، **وأمات نفسه** الامّارة بالسّوء

← حصل فيه حنين وانين الى مافات منها **ثم ان هذه اللوامع** فی مبدء الامر تعرض له قليلا فاذا امعن فی الارتياض كثرت فأشار باللامع الى نفس ذلك النور و بكثرة برقه الى كثرة عروضه بعد الامعان فی الرياضة **و يحتمل ان يكون** قد استعار لفظ اللامع للعقل الفعال ولمعانه ظهوره للعقل الانسانی، وكثرة بروقه اشارة الى كثرة فيضان تلك الانوار الشبيهة بالبروق عنه عند الامعان فی الرياضة **وقوله (ع) : فأبان له الطريق** ای ظهر له بسبب ذلك ان الطريق الحق الی الله هی ما هو عليه من الرياضة **وسلك به السبيل** ای كان سبباً لسلوكه فی سبيل الله اليه **وقوله(ع): و تدافعته الابواب** ای أبواب الرياضة ای أبواب الجنة ای تطويع النفس الامارة والزهد الحقيقی والاسباب الموصلة اليهما كالعبادات وترك الدنيا فان كل تلك ابواب يصير منها السالك حتى ينتهی الی باب السلامة وهو الباب الذی اذا دخله السالك تيقن فيه السلامة من الانحراف عن سلوك سبيل الله بمعرفته ان تلك هی الطريق وذلك الباب هو الوقت الذی اشرنا اليه وهو اول منزل من منازل الجنة العقلية، **وقوله(ع): و ثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه فی قرار الامن والراحة** فهی قرار الامن متعلق بثبتت وهو اشارة الى الطور الثانی للسالك مادام فی مرتبة الوقت فانه يعرض لبدنه عند لمعان تلك البروق شدة اضطراب وقلقه يحس بها خلسة لان النفس اذا فاجأها أمر عظيم اضطربت وتقلقلت فاذا كثرت الغواشی الفتها بحيث لاتنزعج عنها ولاتضطرب لورودها عليها البـدن بل تسكن وتطمئن لثبوت قدم عقله فی درجة اعلی من درجات الجنة التی هی قرار الامن والراحة من عذاب الله. **وقوله(ع) بما استعمل قلبه وارضى ربه تعالى** فالجار والمجرور متعلق بثبتت ايضاً ای وثبتت رجلاه بسبب استعمال قلبه ونفسه فی طاعة الله وارضائه بذلك الاستعمال **و بالله التوفيق».**

بتطويعها للقوّة العاقلة كماعرفت أسباب التّطويع وكيفيّته، **حتّى دقّ جليله** اى صغرجسمه ونحف من تحمّل أعباء الرّياضة والقيام بها ، **ولطف ماكان غليظاً كثيفاً** من هيئاته البدنيّة الرّديّة فصارت نفسه مرآةً مجلوّةً فبرق فيها بارق العزّة وهوالوقت فى عرف أرباب العرفان كما عرفته ، **وكونه كثيراً** اشارة الى ماذكرنا من انّ تلك اللّوامع لاتزال تزداد وتكثر الى ان تغشاه فى غيرحال الارتياض. وقوله : **فأبان له الطريق وسلك به السّبيل** ؛ اى انّه اهتدى لمعارج القدس بتلك البروق بعد ان كان غير مهتدٍ لها، وسلك به السّبيل الاقصد بعد ان كان فى اسر متخيّلته فى حال ارتياضة تسوقه فى سبلٍ مختلفةٍ بحسب اختلاف محاكاتها للامورالوهميّة قبل الاطّلاع باشراق تلك اللّوامع على السّبيل الواضح ولذلك قال: **وتدافعت به الابواب** اى الأبواب المتخيّلة انّها هى المسالك الصّحيحة قبل الاشراف على باب السّلامة المؤدّى الى دارالمقامة، **وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه** اشارة الى انقلاب وقته سكينةً ولاتستفزّه غواشيه فى قرارالامن عن الوجدين المحفوف بهما الوقت، وعن روع استفزاز تلك الغواشى والرّاحة من مجاذبة النّفس الامّارة اذ صارت فى اسر النّفس المطمئنّة مقهورةً تأتمر بأوامرها وتنزجر بنواهيها، **بما استعمل قلبه وأرضى ربّه** بامتثال أمر ربّه فى الأعمال المتقدّمة فى درجات السّلوك.

وهذه اللّطائف ممّايوضح انّه عليه السّلام كان مطّلعاً اطّلاعاً حقيقيّاً على هذه المقامات واقفاً(۱) على أعلى درجاتها واصلاً الى منتهاها وغايتها.

الخامس - انّك ستعرف فى الفصل الثّانى ان شاء الله تمكّنه عليه السّلام من الاطّلاع على المغيبات و القدرة على الاتيان بخوارق العادات؛ ومعلوم انّ ذلك من خواصّ الواصلين.

البحث الثّانى

فى بيان كماله عليه السّلام فى القوّة العمليّة

قد عرفت انّ كمال القوّة العمليّة انّما هو بكمال الحكمة العمليّة وهى استكمال

۱- ب : «واقعاً».

النّفس بكمال الملكة التّامّة على الافعال الفاضلة حتّى يكون الانسان ثابتاً على الصّراط المستقيم متجنّباً لطرفى الافراط والتّفريط فى جميع أفعاله ، **ثمّ علمت** انّ اصول الفضائل الخلقيّة ثلاثة.

الاوّل - الحكمة الخلقيّة وهى الملكة الّتى تصدرعنها[1] الافعال المتوسّطة بين الجربزة والغباوة الّلذان هما طرفا الافراط والتّفريط، ولمّا ثبت انّه عليه السّلام كان من رؤساء الواصلين وجب ان يكون مستازماً لهذه الفضيلة اذهى من صفات العارفين ، وان لايكون واقفاً دونها على حدّ الغباوة والّا لمّا كان واصلاً، وان لايكون متجاوزاً لها الى طرف الجربزه لأنّ الخبث يمنع صاحبه عن التّرقّى الى درجة الكمال ويأبى طبعه الّا الشّرّ.

الثّانى العفّة

وقد علمت انّها الملكة الصّادرة عن اعتدال حركة القوّة الشّهويّة بحسب تصريف العقل العملىّ لها على قانون العدل .

ونبيّن انّ هذه الملكة كانت ثابتةً له عليه السّلام من وجوهٍ :

الاوّل - انّه كان أزهد الخلق فى الدّنيا وفيما عدا القبلة الحقيقيّة وأقدر على حذف الشّواغل الملفتة[2] عن لقاء الله وكلّ من كان كذلك كان أملك لهواه من غيره **امّا المقدّمة الاولى** فمعلومة بالتّواتر عن احواله وصفاته **وأمّا الثّانية** فضروريّة أيضاً.

الثّانى - قوله عليه السّلام مخاطباً لربّه[3]: ماعبدتك رهبةً من عقابك ولارغبةً فى ثوابك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك . **وقد عرفت** انّ ذلك كما يستلزم اثبات الوصول فى حقّه فكذلك هو مستلزم لاثبات هذه الملكة له لانّ كلّ من قدر على حذف ماسوى الحقّ الاوّل وتنحيته[4] عن القصد فلابدّ وان يكون زمام شهوته بيد عقله.

١- النسخ: «عنه». ٢- كذا والشارح(ره) يستعمله كثيراً فى شرح نهج البلاغة ايضاً لكنى لم أجده فى اللغة . ٣- من الاحاديث المسلمة الواردة فى الكتب المعتبرة المعروفة.
٤- ب : «يتجنبه» ج د: «تجنبه».

الثّالث - قوله عليه السّلام فى رواية ضرار بن ضمرة الضبّابىّ لمعاوية وقد سأله عن أمير المؤمنين(ع) قال[1]: لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى اللّيل سدوله وهو قائمٌ فى محرابه قابضٌ على لحيته يتململ تململ السّليم ويبكى بكاء الحزين ويقول:

١- **قال ابن ميثم(ره) فى شرح نهج البلاغة** فى شرح هذه العبارة مانصه(ص٥٨٨):
اقول: كان هذا الرجل من اصحابه(ع) فدخل على معاوية بعد موته(ع) فقال: صف لى علياً فقال: او تعفينى عن ذلك فقال: والله لتفعلن فتكلم بهذا الفصل فبكى معاوية حتى اخضلت لحيته و **الضباب** بطن من فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، و **السدول** جمع سدل وهو ماأسبل على الهودج، و **التململ** القلقل من الالم والهم، و **السليم** الملسوع و **الوله** اشد الحزن **وقد نظر عليه السلام** الى الدنيا بصورة امرأة تزينت وتعرضت لوصوله اليها مع كونها مكروهة اليه فخاطبها بهذا الخطاب، و **اليك** من اسماء الافعال اى تنحى، و **عنى** متعلق له بما فيه من معنى الفعل، و **استفهامه** عن تعرضها به وتشوقها اليه استفهام انكار لذلك منها واستحقار لها واستبعاد لموافقته اياها على ماتريد، و **لاحان حينك** اى لاقرب وقتك اى وقت انخداعى لك وغرورك لى. وقوله(ع): **هيهات** اى لابعد ماتطلبين منى **ثم امرها بغرور غيره** وهو كناية عن انه لاطمع له فى ذلك منه لانه اراد منها غرور غيره وهذا كمن يقول لمن يخدعه وقد اطلع على ذلك منه: اخدع غيرى؛ اى ان خداعك لايدخل على. **ثم خاطبها** خطاب الزوجة المكرهة منافراً لها فأخبرها بعدم حاجته اليها؛ **ثم أنشأ طلاقها ثلاثاً**؛ لتحصل البينونة بها مؤكداً لذلك بقوله: **لارجعة لى فيها**؛ وهو كناية عن غاية كراهيتها، واكد طلاقها لميله(ع) الى ضرتها التى هى مظنة الحسن والبهاء. **ثم اشار الى المعايب** التى لاجلها كرهها وطلقها وهى قصر العيش اى مدة الحيوة فيها و **يسير الخطر** اى قلة قدرها ومحلها فى نظره ثم حقارة مايؤمل منها؛ **وثم تأوه من امور؛ احدها** - قلة الزاد فى السفر الى الله تعالى وقد علمت انه التقوى والاعمال الصالحة وهكذا شأن العارفين فى استحقار أعمالهم. **الثانى**- طول الطريق الى الله ولاشىء فى الاعتبار اطول مما لايتناهى. **الثالث**- بعد السفر وذلك لبعد غايته وعدم تناهيها. **الرابع**- عظم المورد واول منازله الموت ثم البرزخ ثم موقف القيامة الكبرى والله المستعان. **وروى**: «وخشونة المضجع»؛ وهو القبر».

←

یادنیا یادنیا الیک عنّی ؛ ابی تعرّضت ام الیّ تشوّفت[1] لاحان حینک هیهات غرّی غیری لاحاجة لی فیک قد طلّقتک ثلاثاً لارجعة فیها ؛ فعیشک قصیر وخطرک یسیر واملک حقیر فآه من قلّة الزّاد وطول الطّریق وبعد السّفر وعظم المورد.

وهذا صریحٌ موضحٌ لاثبات ملکة العفّة له وقمع الشّهوة بالکلّیّة والمراد ههنا بالسّفر السّفر فی الله لاالسّفر الی الله کما عرفت الفرق بینهما.

← **وقال ابن ابی الحدید فی شرحه ضمن ماقال :** (ج ٤ من طبعة مصر ص ٢٧٦):

« والتململ والتململ ایضاً عدم الاستقرار من المرض کأنه علی ملة وهی الرماد الحار و تشوفت و یروی بالقاف (یرید انه بالفاء وفی روایة اخری بالقاف) وقوله: لاحان حینک ؛ دعاء علیها لاحضر وقتک کما تقول : لاکنت فاما ضرار بن ضمره فان الریاشی روی خبره **و نقلته انا من کتاب عبدالله بن اسمعیل بن احمد الحلبی فی التذییل علی نهج البلاغة** قال : دخل ضرار علی معاویة وکان ضرار من صحابة علی علیه السلام فقال له معاویة: یاضرار صف لی علیاً قال او تعفینی ؟- قال: لااعفیک، قال: ماأصف منه وکان والله شدید القوی بعید المدی یتفجر العلم من انحائه والحکمة من ارجائه ، حسن المعاشرة سهل المباشرة ، خشن المأکل قصیر الملبس ، غزیز العبرة طویل الفکرة ، یقلب کفیه ویخاطب نفسه، وکان فینا ؛ یجیبنا اذا سألنا و یبتدئنا اذا سکتنا ، ونحن مع تقریبه لنا اشد مایکون صاحب لصاحب هیبة لانبتدئه الکلام لعظمته ؛ یحب المساکین و یقرب اهل الدین وأشهد لقد رأیته فی بعض مواقفه ؛ وتمام الکلام مذکور فی الکتاب.

و ذکر عمر بن عبدالعزیز فی کتاب الاستیعاب هذا الخبر فقال:

حدثنا عبدالله بن یوسف قال : حدثنا یحیی بن مالک بن عائذ قال: حدثنا ابوالحسن محمد بن محمد بن مقلة البغدادی بمصر وحدثنا محمد بن الحسن بن درید قال: حدثنا العکلی عن الحرمازی عن رجل من همدان قال قال معاویة لضرار الضبابی : یا ضرار صف لی علیاً قال : اعفنی یا امیرالمؤمنین قال: لتصنفه قال: اما اذلابد من وصفه ؛ کان والله بعیدالمدی شدیدالقوی، ←

١- قریء بالقاف والفاء فمن اراد التحقیق فلیراجع شروح نهج البلاغة.

الرّابع ـ قولـه عليه السّلام فی صفة المخلص من عباد الله[١] فهو من معـادن دينه وأوتاد أرضه، قد ألزم نفسه العدل فكان اوّل عدله ان نفی الهوی عن نفسه، يصف الحقّ ويعمل به، ولايدع للخير غايةً الّا أمّها ولامظنّةً الّا قصدها قد أمكن الكتاب من زمامه فهو قائدة وامامه يحلّ حيث حلّ ثقله وينزل حيث كان منزله.

ومن أنصف من نفسه علم انّ هذا الكلام لايصدر عنه وهو مرتكبٌ بخلافه وذلك يستلزم اثبات الملكة المذكورة له.

الخامس ـ قال ابن عبّاس رضی الله عنه[٢] دخلت علی اميرالمؤمنين عليه السّلام بذی قارٍ وهو يخصف نعله فقال لی: ماقيمة هذه النّعل ؟ــ فقلت: لاقيمه لها ، قال: والله لهی أحبّ إلیّ من امرتـكم الّا ان أقيم حقّاً او ادفع باطلاً.

← يقول فصلا ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها و يأنس بالليل و وحشته ، غزير العبرة طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ماقصر ومن الطعام ماخشن ، كان فينا كأحدنا؛ يجيبنا اذا سألناه و ينبيئنا اذا استفتيناه، ونحن والله مع تقريبه ايانا وقربه منا لانكاد نكلمه هيبة له ، يعظم أهل الدين ويقرب المساكين، لايطمع القوی فی باطله ولاييأس الضعيف من عدله ؛ وأشهـد لقد رأيته فی بعض مواقفه وقد أرخی الليل سدوله و غارت نجومه قابضاً علی لحيته يتململ تململ السليم ويبكی بكـاء الحزين و يقول: يادنيا غری غيری ، أبی تعرضت ام الی تشوفت؟ هيهات هيهات قد باينتك ثلاثاً لارجعة فيهـا فعمرك قصير وخطرك حقير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر و وحشة الطريق؛ فبكی معاوية و قال:

رحم الله اباحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه ياضرار ؟ــ قال: حزن من ذبح ولدها فی حجرها».

١ـ من أراد شرحه فليراجع ج٢ من شرح نهج البلاغة لابن أبی الحديد؛ ص ٢٦٢ من طبعة مصر، وص ٢٠٤-٢٠٦ من شرح ابن ميثم من الطبعة الاولی فی سنة ١٢٧٦ . ٢ـ من اراد ان يقف علی شرح هذا الكلام فليراجع شرح نهج البلاغة لشارح هذه الكلمات (ابن ميثم ـ رحمه الله ـ) انظر ص ١٤٩ من الطبعة الاولی وشرح نهج البلاغة لابن ابی الحديد (ص ١٧٦ من ج ١ من طبعة مصر) .

وذلك يستلزم اعراضه عن المطلوبات الفانية الّا اذا كانت تؤدّى الى الخيرات الباقية وهو عين العفـّة.

السّادس ـ دعاء النّبيّ صلّى الله عليه وآله لـه : اللّهمّ أدر الحقّ مع عليٍّ حيث دار[1]: ومن كان الحقّ ملازماً لطبيعة حركاته استحال ان يلزمها باطل لاستحالة ان يلزم الطّبيعة الواحدة لازمان متقـابلان او مختلفان فاستحال ان يكون متّبعاً للهوى البتّة وهو معنى العفـّة وهذا القدر قطرة من بحر التّنبيهات على لزوم هذه الملكة له ، وبالجملة فالخوض فى اثبات هذه الملكة له يشبه الاستدلال فى موضع الضّرورة.

الثّالث ــ الشجاعة

وثبوتها له عليه السّلام معلوم بالضّرورة حتّى صار مثلاً يضرب مبـالغة فى حقّ الرّجل الشّجاع **واذا عرفت انّ هذه الاصول الثّلاثة ثابتة له** على اتمّ مايمكن، وثبت أنـّها مستلزمة لفضيلة العدالـة علمت ثبوت العدالة له اكمل ممّا هى لسائر الخلق **ويؤيّده** قول الرّسول صلّى الله عليه وآله: أقضاكم عليّ[2]؛ والقضاء محتاجٌ الى العدل ومشروطٌ به.

وامّا أنواع هذه الفضائل فانت عند الانصاف واعتبـار درجته وتصفّح كلماتـه واقوال الرّسول صلّى الله عليه وآله فى حقّه سيّما قوله: اللّهمّ أدر الحقّ مع عليٍّ حيث دار ؛ تجده مستكملاً لها عالمـاً بكيفيّة اقسامها مزكّياً نفسه بها ويراها[3] وجوه حركاته و تصرّفاته لانـّها الحقّ ، وتجده خالياً من انواع الرّذائل المحتوشة لهـا لعدم امكان اجتماع

١- من اراد ان يقف على شيء من طرق هذا الحديث فليراجع غاية المرام للسيدهاشم البحراني (ره) فان الباب الخامس والاربعين من ذلك الكتاب فى نقل قول النبى(ص): على مع الحق والحق مع على، وقوله(ص): اللهم ادر الحق معه حيث دار وفيه؛ اربعة عشر حديثاً من طرق العامة، والباب السادس والاربعين من الكتاب فى نقل احاديث الخاصة فى ذلك (انظر ص ٥٤٠ ـ ٥٣٦).

٢- من الاحاديث المتواترة بين الفريقين.

٣- ب: «وتراها» وعلى هذه النسخة لايستقيم الكلام الا بوجود كلمة «فى» قبل لفظة «وجوه».

الاضداد **ولولا كراهة التّطويل** لاوضحنا انّ كلّ نوعٍ من أنواع الفضائل ثابت له على اكمل الوجوه .

واما القسم الثّانى والثّالث من اقسام الحكمة وهما الحكمة المنزليّة والسّياسيّة

فقد علمت انّ فائدتها ان يعلم الانسان وجه المشاركة الّتى ينبغى ان يكون بين اشخاص النّاس ليتاونوا على مصالح الابدان ونظام مصالح المنزل والمدينة وقد كان عليه السّلام فى ذلك العلم سبّاق غاياتٍ وصاحب آياتٍ ويكفيك فى معرفة ذلك منه **امّا على سبيل الجملة** فلانّ الشّريعة المصطفويّة متضمّنة لهاتين الحكمتين على أتمّ الوجوه واكملها بحيث ترجع اكابر الحكماء اليها فى تعلّمها ؛ ومعلوم انّ اميرالمؤمنين عليه السّلام كان متمسّكاً بها ومقرّراً لها وباسطاً لأسرارها الكلّيّة ومفصّلاً لإشاراتها الجمليّة ولم يغيّر منها حرفاً ولم يقصّر فيها عن غايةٍ وذلك مستلزم ثبوتها له على اكمل وجه واتمّه **وامّا على سبيل التّفصيل** فعليك فى معرفة ذلك انّه كان اكمل الخلق بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله فى هذا العلم بمطالعة عهوده الى عمّاله وولاته وامرائه وقضاته من كتاب نهج البلاغة وخصوصاً العهد الّذى كتبه للاشتر النّخعيّ فانّ فيه لطائف من تدبير امر المدن ونظام أحوالها لا تُهتدى لحسنها واذا تأمّلته لم تجد عليه مزيداً فى هذا الباب ، هذا مع ماتواتر من رجوع المتقدّمين له المعترف بحسن تدبيرهم وايالتهم الى استشارته فى امورهم وتعرّف كيفيّة تدبير العساكر والحروب والمصالح الكلّيّة والجزئيّة والفيء الى احكامه من الاخبار الكثيرة.

من ذلك قوله عليه السّلام لمّا استشاره عمر فى الخروج من المسلمين الى غزو الرّوم[1]:

۱ـ نقله الشريف الرضى ـ رضى الله عنه ـ فى باب الخطب من نهج البلاغة وصدره بهذه العبارة «ومن كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر بن الخطاب فى الخروج الى غزو الروم بنفسه» (انظر ج ۲ شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد من طبعة مصر ؛ ص۳۸۹) .

وقد توکّل الله لأهل هذا الدّین باعزاز الحوزة، وستر العورة، والّذی نصرهم وهم قلیلٌ لاینتصرون، و منعهم وهم قلیلٌ لایمتنعون؛ حیٌّ لایموت، انّک متی تسر الی هذا العدوّ بنفسک فتلقهم فتنکبْ لایکن للمسلمین کانفةٌ دون أقصی بلادهم لیس بعدک مرجعٌ یرجعون الیه فابعث علیهم[1] رجلاً محرباً[2] واحفز[3] معه أهل البلاء والنّصیحة فان اظهرالله فذاك ماتحبّ وان تکن الاخری کنت ردءً للنّاس ومثابةً للمسلمین[4].

١- فی نهج البلاغة : «الیهم».

٢- **قال شارح الکلمات ابن میثم (ره) فی شرحه لنهج البلاغة** (ص٢٦٧ من الطبعة الاولی): «والمجرب بکسر المیم الرجل صاحب حروب» وقال ابن ابی الحدید فی شرحه: «رجل محرب ای صاحب حروب» **لکن قال ابن الاثیر فی النهایة** : «وفی حدیث علی - رضی الله عنه - فابعث علیهم رجلا محراباً ای معروفاً بالحرب عارفاً بها والمیم مکسورة وهو من ابنیة المبالغة کالمعطاء؛ و منه حدیث ابن عباس قال فی علی رضی الله عنهما : مارأیت محراباً مثله» **وقال** الفیروزآبادی **فی القاموس** : « ورجل حرب و محرب و محراب شدید الحرب شجاع» **وقال الزبیدی فی شرحه مانصه** : «(ورجل حرب) کعدل (و محرب) بکسر المیم (و محراب) ای(شدید الحرب شجاع) **وقیل** : محرب و محراب صاحب حرب، و فی حدیث علی - کرم الله وجهه - فابعث علیهم رجلا محرباً ای معروفاً بالحرب عارفاً بها والمیم مکسورة وهو من ابنیة المبالغة کالمعطاء من العطاء، و فی حدیث ابن عباس قال فی علی: مارأیت محرباً مثله ، ورجل محرب محارب لعدوه».

٣- قال ابن ابی الحدید فی شرحه: «حفزت الرجل واحفزه = دفعته من خلفه وسقته سوقاً شدیداً» و قال ابن میثم فی شرحه: «حفز کذا ای دفعه وحفزه ضمه الی غیره».

٤- **قال ابن ابی الحدید فی شرحه :**

« **فان قلت**: فما بال رسول الله(ص) کان یشاهد الحروب بنفسه ویباشرها بشخصه؟- **قلت** : ان رسول الله (ص) کان موعوداً بالنصر و آمناً علی نفسه بالوعد الالهی فی قوله: والله یعصمک من الناس؛ولیس عمر کذلک. **فان قلت** : فما بال امیرالمؤمنین (ع) شهد حرب الجمل و صفین و النهروان بنفسه **فهلا بعث** امیراً محرباً و أقام بالمدینة ردءً و مثابة ؟- **قلت عن هذا جوابان ؛ احدهما** - انه(ع) کان عالماً من جهة النبی(ص) انه لایقتل فی هذه الحروب؛ویشهد لذلک الخبر المتفق علیه بین الناس کافة: تقاتل بعدی ←

فانظر الى هذا الرّأى الصّائب بعين بصيرتك تجده كافلاً لمحاسن تدابير الرّياسات مقتضياً لنظام الحركات المدنيّة كاشفاً لمصالح الملك مستلزماً لكونه عليه السّلام أفضل المتقدّمين فى هذا الشأن.

ومنها قوله عليه السّلام[1]: والله لقد عُلّمْت[2] تبليغ الرّسالات، وإتمام العدات، وتمام الكلمات، وعندنا أهل البيت ابواب الحكم وضياء الأمر.

ولاشكّ انّ من علم تبليغ الرّسالات واداءها وكانت عنده ابواب الحكمة كان اولى الخلق بتدبير احوال الخلق واقدرهم على نظم امورهم[3].

← الناكثين والقاسطين والمارقين. **وثانيهما** - يجوزان يكون غلب على ظنه ان غيره لا يقوم مقامه فى حرب هذه الفرق الخارجة عليه ولم يجد اسيراً محرباً من اهل البلاء والنصيحة لانه(ع) هكذا قال لعمر **واعتبر هذه القيود والشروط** فمن كان من اصحابه(ع) محرباً لم يكن من اهل النصيحة له، ومن كان من أهل النصيحة له لم يكن محرباً فدعته الضرورة الى مباشرة الحرب بنفسه».

اقول: قد عمل أمير المؤمنين(ع) هذا العمل فى غير حرب الجمل وصفين والنهروان ويكشف عن ذلك مانقله السيد الرضى (رض) فى نهج البلاغة (ج٢ شرح ابن ابى الحديد ص ٢٥٩ من طبعة مصر) بهذه العبارة «ومن كلام له عليه السلام وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا ملياً فقال(ع): مابالكم امخرسون انتم؟! فقال قوم منهم: يا امير المؤمنين ان سرت سرنا معك، فقال(ع): مابالكم لاسددتم لرشد ولاهديتم لقصد افى مثل هذا ينبغى ان اخرج وانما يخرج فى مثل هذا رجل ممن ارضاه من شجعانكم وذوى بأسكم ولاينبغى لى ان ادع الجند والمصر وبيت المال (الى ان قال) وانما انا قطب الرحى تدور على وانا بمكانى فاذا فارقته استحار مدارها واضطرب ثفالها (الى آخر ماقال)».

١- هو صدر كلام له(ع) نقله السيد الرضى(ره) فى نهج البلاغة (انظر شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ص ٢٦٠ من المجلد الثانى من طبعة مصر).

٢- قال ابن ابى الحديد: «رواها قوم: لقد علمت؛ بالتخفيف وفتح العين؛ والرواية الاولى احسن».

٣- قال ابن ميثم(ره) فى شرحه لنهج البلاغة فى شرح هذا الكلام مانصه (ص٢٨٤) ←

ومنها قوله علیه‌السّلام فی علم تدبیر الحروب :

فقدّموا الدّارع ، وأخّروا الحاسر ، وعضّوا علی الاضراس؛ فانّه أنبی للسّیوف عن الهام ، والتووا فی أطراف الرّماح؛ فانّه أمور للاسنّة ، وغضّوا الابصار ؛ فانّه أربط للجأش وأسکن للقلوب ، وأمیتوا الاصوات ؛ فانّه أطرد للفشل ، و رایتکم فلاتمیلوها ، ولاتخلّوها ، ولاتجعلوها الّا بأیدی شجعانکم والمانعین‌الذّمار منکم؛ فانّ الصّابرین علی نزول‌الحقائق هم الّذین یحفّون برایاتهم و یکتنفونها حفافیها ووراءها و امامها لایتأخّرون عنها فیسلموها ، ولایتقدّمون علیها فیفردوها .

وهو مذکور فی کتاب نهج‌البلاغة[1].

وکذلک قوله علیه‌السّلام فی هذا المعنی فی‌بعض‌ایّام صفّین[2] :

← من‌الطبعة الاولی) .: « **اقول :** صدر الفصل بذکر فضیلته وهی‌علمه بکیفیة تبلیغ الرسالات وادائها ، وعلمه باتمام‌الله تعالی ما وعدبه المتقین فی دارالقرار فتمام وعده ان لاخلف فیه ، و تمام اخباره ان لاکذب فیها ، و تمام اوامره و نواهیه اشتمالهـا علی المصالح الخالصة والغالبة و هکذا ینبغی ان یکون اوصیاء الانبیاء و خلفاؤهم فی ارض الله وعباده **ثم اردف ذلک بالاشارة الی فضل اهل البیت عاماً** و اراد بضیاء الامر انوار العلوم التی یبتنی علیها الامور والاعمال الدینیة والدنیویة وماینبغی ان یهتدی الناس به فی حرکاتهم من قوانین الشریعة ومایستقیم به‌نظام الامر من قوانین السیاسات وتدبیر المدن والمنازل ونحوها اذ کان کل امر شرع فیه علی غیرضیاء من‌الله و رسوله او احد اهل بیته و خلفائه الراشدین فهو محل التیه والزیغ عن سبیل‌الله» .

فمن اراد باقی‌الکلام و شرحه فلیراجع شرح نهج‌البلاغة .

١- هومذکور فی نهج‌البلاغة فی‌باب‌الخطب فان‌اردت شرحه فراجع‌شرح‌ابن‌ابی‌الحدید (ج ٢ ص٢٦٦ من‌طبعة مصر) او شرح شارح تلک الکلمات ابن میثم (ره) علی نهج البلاغة (ص ٢٨٦ من الطبعة الاولی).

٢- هو ایضاً مذکور فی نهج البلاغة (انظر شرح ابن میثم (ره) ص١٨٢ من الطبعة الاولی) وان اردت ان تراجع شرح ابن ابی الحدید فراجع ج١ ص٤٧٦ من طبعة مصر.

معاشر المسلمين استشعروا الخشية ، وتجلببوا السّكينة ، وعضّوا على النّواجذ؛ فانّه أنبي للسّيوف عن الهام، وأكملوا اللّأمة ، وقلقلوا السّيوف فى أغمادها، والحظوا الخزر، واطعنوا الشّزر، ونافحوا بالظّبي، وصلوا السّيوف بالخطى.

وعند تأمّل هذه الكلمات تجده عليه السّلام قد أحاط بعلم تدبير الحرب وانتظام أمور الجند.

وامّا رجوعهم الى احكامه الصّائبة وتنبيهاته عليه السّلام لهم على الاغلاط العظيمة ففى مواضع كثيرة يطول بتفصيلها الكلام ويخرج عن الغرض كقضيّة[1] المجهضة[2]

١- ب ج : «كقصة». ٢- ج : «المجهصة» (بالصاد المهملة) وهى تصحيف قطعاً؛ **قال الطريحى** (ره) **فى مجمع البحرين**: «الجهاض بالكسر اسم من: أجهضت الناقة والمرأة ولدها اجهاضاً = أسقطته ناقص الخلق؛ و منه المجهض = المسقطة للحمل ، والولد مجهض بفتح الهاء وجهيض» **فكأنها اشارة الى مانقله نقلة الاثار** وحملة الاخبار ضمن قضاياه الغريبة؛ **قال العلامة المجلسى** (ره) **فى تاسع البحار** فى « باب قضاياه صلوات الله عليه وما هدى قومه(ع) اليه مما أشكل عليهم من مصالحهم» **نقلا عن مناقب ابن شهر اشوب** (ص ٤٧٩ من طبعة امين الضرب):

« ابوالقاسم الكوفى والقاضى النعمان فى كتابيهما : عمربن حماد باسناده عن عبادة بن الثابت قال: قدم قوم من الشام حجاجاً فأصابوا أدحى نعامة فيه خمس بيضات فشووهن وأكلوهن ثم قالوا : ما أرانا الاوقد أخطأنا والصيد أصبنا ونحن محرمون؛ فأتوا المدنية وقصوا على عمر القصة فقال : انظروا الى قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فاسألوهم عن ذلك ليحكموا فيه فسألوا جماعة من الصحابة فاختلفوا فى حكم ذلك **فقال عمر : اذا اختلفتم فههنا رجل كنا أمرنا اذا اختلفنا فى شيء فيحكم فيه** فأرسل الى امراة يقال لها عطية فاستعار منها اتاناً فركبها وانطلق بالقوم معه حتى اتى علياً وهو بينبع؛ فخرج اليه على فتلقاه ثم قال له: هلا أرسلت الينا ؛ فنأتيك ؟— فقال عمر : الحكم يؤتى فى بيته فقص عليه القوم **فقال على(ع) لعمر**: مرهم فليعمدوا الى خمس قلائص من الابل فليطرقوها للفحل فاذا أنتجت أهدوا ماأنتج منها جزاءً عما أصابوا، **فقال عمر : يا أباالحسن ان الناقة قد ←**

وقضيّة المرأة زنت وهى حامل[1] فأمر عمر برجمها، وقضيّة المرأة الّتى ولدت لستّة أشهر فأمر عمر ايضاً برجمها حتّى نبهّه عليه السّلام على انّ ذلك أقلّ مدّة الحمل بقوله تعالى: وحمله وفصاله ثلاثون شهراً؛ وقد علم انّ مدّة الفصال سنتان فقال له عمر فى هذا المواضع:

← **تجهض؟**- فقال على: وكذلك البيضة قد تمرق ، فقال عمر : فلهذا أمرنا ان نسألك.

بيان-قال الجوهرى : مدحى النعامة موضع بيضها و **أدحيها** موضعها الذى تفرخ فيه وهو أفعول من: دحوت؛لانها تدحوه برجلها ثم تبيض فيه، **واجهضت الناقة** اى أسقطت، **ومرقت البيضة** اى فسدت، **و قال الميدانى فى مجمع الامثال و شارح اللباب وغيرهما** : فى المثل السائر : **فى بيته يؤتى الحكم** ؛ هذا مازعمت العرب عن ألسن البهائم قال:ان الارنب التقطت تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها وانطلقا يختصمان الى الضب فقالت الارنب : يا اباالحسل فقال: سميعاً دعوت؛ قالت : أتيناك لنختصم اليك،قال:عادلا حكمتما ، قالت : فى بيته يؤتى الحكم ،قالت : وجدت تمرة ، قالت : حلوة فكليها ، قالت : فاختلسها الثعلب قال لنفسه بغى الخير قالت : فلطمته ، قال: بحقك أخذت، قالت: فلطمنى قال : حراً تنتصر ، قالت : فاقض بيننا ، قال : حدث حدثين امراة فان ابت فأربعة، فذهبت أقواله كلها امثالا؛انتهى».

١- هذه القضية فى كتب معتبرة كثيرة راجع لبعض طرقه تاسع البحار (ص ٤٨٣ من طبعة امين الضرب) فان اردت ملاحظة عدة من طرقها راجع تم‌م «باب قضاياه صلوات‌الله عليه وماهدى قومه اليه مما اشكل من مصالحهم» ص٤٧٥–٤٩٩ من المجلد المذكور.

وانما نشير الى موضع من موارد نقلها

قال العلامة المجلسى(ره)**فى تاسع البحار** فى«باب قضاياه(ع) وماهدى قومه اليه مما أشكل عليهم » (ص٤٧٩ من طبعة امين الضرب):« **قب** (اى مناقب ابن شهراشوب)وكان الهيثم فى جيش فلما جاء جاءت امرأته بعد قدومه بستة أشهر بولد؛فأنكر ذلك منها وجاء به عمر وقص عليه فأمر برجمها فأدركها على(ع)من قبل ان ترجم ثم قال لعمر: اربع على نفسك انها صدقت ان‌الله تعالى يقول: وحمله و فصاله ثلاثون شهراً؛ وقال: والوالدات يرضعن اولادهن حولين ←

لولا عليّ لهلك عمر، وبلفظ آخر: لاعشت لمشكلة لاتكون لها يا ابالحسن(١).

وجزئيّات هذا الباب كثيرة وفيما ذكرناه مقنع لمن سلك طريق السّداد، وتنحّى عن [سبيل العناد]؛ والله وليّ التّوفيق والعصمة.

← كاملين فالحمل والرضاع ثلاثون شهراً؛ فقال عمر: لولا على لهلك عمر، وخلى سبيلها وألحق الولد بالرجل.

شرح ذلك اقل الحمل اربعون يوماً و هو من انعقاد النطفة واقله لخروج الولد حياً ستة اشهر؛ وذلك لان النطفة تبقى فيالرحم اربعين يوماً، ثم تصير علقة اربعين يوماً، ثم تصير مضغة اربعين يوماً، ثم تتصور في اربعين يوماً، وتلجها الروح في عشرين يوماً، فذلك ستة اشهر فيكون الفطام في اربعة وعشرين شهراً؛ فيكون الحمل في ستة أشهر».

١- قال العلامة المجلسي (ره) في تاسع البحار في باب قضاياه بعد نقل حديث فيه «فقال عمر: معضلة وليس لها الا ابوالحسن» (ص ٤٩٥ من طبعة امين الضرب) مانصه:

«بيان - قال الجزري في النهاية: العضل المنع والشدة يقال: أعضل بي الامر اذا ضاقت عليك فيه الحيل ومنه حديث عمر: اعوذ بالله من كل معضلة ليس لها ابوحسن، و روى معضلة (اى بتشديد الضاد) اراد المسألة الصعبة او الخطبة الضيقة المخارج من الاعضال والتعضيل ويريد بأبي الحسن على بن ابي طالب (ع) انتهى».

اقول: يشبه كلام ابن الاثير من جهة كلام نجم الائمة الرضي (ره) في شرح الكافية لابن الحاجب

وذلك انه قال في مبحث لاالتي لنفي الجنس مانصه (ص ١١١ من طبعة تبريز سنة ١٣٧٤): «واعلم انه قد يؤول العلم المشتهر ببعض الخلال بنكرة فينتصب وينزع منه لام التعريف ان كان فيه نحو: لاحسن؛ في الحسن البصري، وكذا لاصعق في الصعق، او مما اضيف اليه نحو لا امرء قيس ولا ابن زبير، ولايجوز هذه المعاملة في لفظي عبدالله وعبدالرحمن اذالله والرحمن لا يطلقان على غيره تعالى حتى يقدر تنكيرهما، قال: لاهيثم الليلة للمطي، وقال:

اري الحاجات عند ابي حبيب   نكدن ولا امية في البلاد

ولتأويلة بالمنكر وجهان اما ان يقدر مضاف هو مثل فلايتعرف بالاضافة لتوغله في الابهام ←

الفصل الثانى

فى بيان اطّلاعه عليه السّلام على المغيبات وتمكّنه من خوارق العادات؛ وفيه بحثان :

البحث الاوّل ـ فى اطّلاعه على الامور الغيبيّة ولنورد منها فى هذا البحث عشرة احكام :

الحكم الاوّل ـ ماحكم بوقوعه فى حقّ عبيدالله بن زياد من قوله عليه السّلام: اما انّه سيظهر عليكم بعدى رجلٌ [1] رحب البلعوم، مندحق البطن ، يأكل مايجد، و يطلب

← وانما يجعل فىصورة النكرة بنزع اللام وان كان المنفى فىالحقيقة هوالمضاف المذكور الذى لايتعرف بالاضافة الى اى معرف كان لرعاية اللفظ واصلاحه **ومن ثم قال الاخفش**: على هذا التأويل يمتنع وصفه لانه فىصورة النكرة فيمتنع وصفه بمعرفة وهو معرفة فى الحقيقة فلايوصف بنكرة.

و اما ان يجعل العلم لاشتهارة بتلك الخلة كأنه اسم جنس موضوع لافادة ذلك المعنى لان معنى قضية : ولا اباحسن لها ؛ لافيصل لها اذ هو عليه السلام كان فيصلا للحكومات على ماقال النبى(ص): أقضاكم على ؛ فصار اسمه كالجنس المفيد لمعنى الفصل والقطع كلفظ الفيصل، وعلى هذا يمكن وصفه بالمنكر وهذا كما قالوا : لكل فرعون موسى؛ اى لكل جبار قهار ، فيصرف فرعون و موسى لتنكيرهما بالمعنى المذكور.

وجوز الفراء اجراء المعرفة مجرى النكرة بأحد التأويلين فى الضمير واسم الاشارة ايضاً نحو : لااياه ههنا او : لا هذا ؛ وهو بعيد غيرمسموع ».

و انما نقلناه هنا بطوله لكثرة فائدته ولمناسبته للمقام.

۱ - **قال شارح الكلمات ابن ميثم** (ره) فى شرحه على نهج البلاغة فى شرح هذا الكلام (ص۱۸۳ من الطبعة الاولى):

«و اختلف فى مراده بالرجل فقال اكثر الشارحين: المراد معاوية لانه كان بطيناً ←

مالايجد ، فاقتلوه ولن تقتلوه؛ الا وانّه سيأمركم بسبّى والبراءة منّى، فامّا السّبّ فسبّونى [فانّه لى زكوة ولكم نجاة] وامّا البراءة فلاتبرّؤا منّى؛فانّى ولدت على الفطرة وسبقت الى الاسلام والهجرة .

وكان ذلك الحكم صادقاً كما هو المشهور من قصّته.

الحكم الثّانى ـ لمّا قتل عليه السّلام الخوارج وقيل له : هلك القوم بأجمعهم ، فقال(١) : كلّا والله انّهم نطفٌ فى أصلاب الرّجال وقرارات النّساء؛ كلّما نجم منهم قرنٌ قطع حتّى يكون آخرهم لصوصاً سلّابين .

وكان من الخوارج ماكان كما قال .

← كثير الاكل؛روى انه كان يأكل فيمل فيقول : ارفعوا ؛ فوالله ماشبعت ولكن مللت وتعبت،وكان ذلك داء أصابه بدعاء الرسول (صلعم) روى انه بعث اليه مرة فوجده يأكل، فبعث اليه ثانية فوجده كذلك فقال : اللهم لاتشبع بطنه ولبعضهم فى وصف آخر :

و صاحب لى بطنه كالهاوية كأن فى احشائه معاوية

وقيل : **هو زيادبن ابى سفيان** وهو زيادبن ابيه ،وقيل: هوالحجاج ،وقيل:المغيرة بن شعبة (فخاض فى الشرح فمن اراده فليراجع هناك)».

وقال ابن أبى الحديد فى شرحه (ج ١ من طبعة مصر ص٣٥٥):

« وكثير من الناس يذهب الى انه عليه السلام عنى زياداً ،وكثير منهم يقول:انه عنى الحجاج ،وقال قوم : انه عنى المغيرة بن شعبة والا شبه عندى انه معاوية لانه كان موصوفاً بالنهم وكثرة الاكل وكان بطيناً يقعد بطنه اذا جلس على فخذيه(الى آخر ماقال).

اقول : فيما ذكره الشارحان المشاراليهما فى شرح الكلام مطالب نفيسة ولو لا ان الخوض فى نقلهما يفضى الى اطناب لايناسبه المقام لنقلت ماذكراه (فان شئت ؛ فراجع).

١ـ **نقله الشريف الرضى**(ره) **فى** باب الخطب من **نهج البلاغة** (راجع شرح ابن ميثم ص ١٧٤ من الطبعة الاولى ، و شرح ابن ابى الحديد طبعة مصرج ١ ص٤٢٧).

الحكم الثّالث ـ قوله عليه السّلام(١): فتنٌ كقطع اللّيل المظلم لاتقوم لها قائمةٌ، ولاتردّ لها رايةٌ،تأتيكم مزمومةً مرحولةً، يحفزها قائدها ، ويُجهدها راكبها ، أهلها قومٌ أذلّةٌ عند المتكبّرين ، فى الارض مجهولون ؛ وفى السّماء معروفون ، فويلٌ لكِ يابصرة عند ذلكِ من جيشٍ من نقم الله لا رَهَجَ له ولاحسّ وسيبتلى اهلكِ بالموت الأحمر والجوع الاغبر.

١- هو ايضاً مروى فى باب الخطب من نهج البلاغة **قال ابن ميثم**(ره) **فى شرحه** (ص ٢٥٤ من الطبعة الاولى) :

«**اقول: يحفزها** يدفعها من خلف ، و **الكلب** الشر، و **الاذلة** جمع ذليل، **والرهج** الغبار، والحس الصوت الخفى **وقد نبه عليه السلام** فى هذا الفصل على ماسيقع بعده من الفتن **ويخص منها فتنة صاحب الزنج بالبصرة** وشبه تلك الفتن بقطع الليل المظلم و وجه الشبه ظاهر **ولاتقوم لها قائمة** اى لايمكن مقابلتها بما يقاومها و يدفعها و انما انث لكون القائمة فى مقابلة الفتنة و قيل: لاتثبت لها قائمة فرس، **و استعار لفظ الزمام والرحل والحفز والقائد والراكب وجهده لها ملاحظةً لشبهها بالناقة** وكنى بالزمام و الرحل عن تمام اعداد الفتنة و تعبيتها كما ان كمال الناقة للركوب ان تكون مزمومة مرحولة ، و بقائدها عن اعوانها ، و براكبها عن منشئها المتبوع فيها ، و بحفزها وجهدها عن سرعتهم فيها ، **واهلها اشارة الى الزنج** و ظاهر شدة كلبهم و قلة سلبهم اذ لم يكونوا أصحاب حرب وعدة وخيل كما يعرف ذلك من قصتهم المشهورة وكما سنذكر طرفاً منها فيمايستقبل من كلامه فى فصل آخر وقد وصف مقاتليهم فى الله بكونهم اذلة عند المتكبرين وكونهم مجهولين فى الارض اى ليسوا من ابناء الدنيا المشهورين بنعيمها، وكونهم معروفين فى السماء هواشارة الى كونهم من اهل العلم والايمان يعرفهم ربهم بطاعتهم وتعرفهم ملائكتهم بعبادة ربهم.

ثم اردف ذلك بأخبار البصرة مخاطباً لها والخطاب لاهلها بما سيقع بها من فتنة الزنج وظاهر انه لم يكن لهم غبار ولااصوات اذ لم يكونوا اهل خيل ولاقعقعة لجم فاذاً لارهج لهم ولاحس وظاهر كونهم من نقم الله للعصاة وان عمت الفتنة اذ قلما تخص العقوبة النازلة بقوم بعضهم كما قال تعالى: واتقوا فتنة لاتصيبين الذين ظلموا منكم خاصة **وقوله**(ع): سيبتلى ←

وكان من أحوال البصرة وموت أهلها بالطّاعون وغير ذلك ما كان كما هو مشهورٌ من قصصها وذلك يدلّ على اطّلاعه عليه السّلام على ما لم يكن قبل كونه .

الحكم الرّابع ـ قوله عليه السّلام : ولو تعلمون ما أعلم ممّا طوى عنكم غيبه اذاً لخرجتم الى الصّعدات تبكون على اعمالكم(١) وتلتدمون على أنفسكم ، ولتركتم أموالكم

← اهلك بالموت الاحمر والجوع الاغبر؛ **قيل: فالموت الاحمر** اشارة الى قتلهم بالسيف من قبل الزنج او من قبل غيرهم **ووصفه بالحمرة** كناية عن شدته وذلك ان اشد الموت ما كان بسفك الدم **اقول:** وقد فسره (ع) بهلاكهم من قبل الغرق كما نحكيه عنه وهو ايضاً فى غاية الشدة لاستلزامه زهوق الروح **وكذلك وصف الاغبر** لان اشد الجوع ما اغبر معه الوجه وغير السحنة الصافية لقلة مادة الغذاء اورداءته فلذلك سمى اغبر **وقيل:** لانه يلصق بالغبراء وهى الارض .

وقد اشار عليه السلام الى هذه الفتنة فى فصل من خطبة خطب بها عند فراغه من حرب البصرة و فتحها وهى خطبة طويلة حكينا منها فصولا تتعلق بالملاحم من ذلك فصل يتضمن حال غرق البصرة فعند فراغه من ذلك الفصل قام اليه (الى آخر ما ذكره؛ وهو طويل لا يسعه المقام فمن اراده فليطلبه من هناك)» .

١ـ **قال الشريف الرضى** (ره) **بعد نقله فى باب الخطب من نهج البلاغة** (انظر شرح نهج البلاغة لابن ميثم ص ٢٨٠ من الطبعة الاولى):

« **اقول :** الوذحة الخنفساء وهذا القول يومى به الى الحجاج وله مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره» **قال ابن ميثم فى شرحه:** «الصعدات جمع صعيد وهو وجه الارض، **واللدم والالتدام** ضرب الوجه ونحوه ، و **رأى ميمون** مبارك و **قدماً** بضم القاف والدال اى تقدموا ولم ينثنوا، و **الوجيف** ضرب من السير فيه قوة **والوذحة كما قيل: انها كنية للخنفساء** ؛ ولم ينقل ذلك فى المشهور من كتب اللغة و انما المشهور انها القطعة من بعر الشاة تنعقد على اصواف اذنابها وتتعلق بها وهذا الفصل من خطبة له بالكوفة يستنهض فيها اصحابه الى حرب الشام ويتبرم من تقاعدهم عن صوته . ←

لاحارس لها ولاخالف عليها،ولهمّت كلّ امرىءٍ منكم نفسه لايلتفت الى غيرها؛ولكنّكم نسيتم ماذكّرتم ، وامنتم ماحذّرتم ، فتاه عنكم رأيكم ، وتشتّت عليكم أمركم ، ولوددت انّ الله فرّق بيني و بينكم وألحقني بمن هو أحقّ بي منكم ، قومٌ والله ميامين الرّأي، مراجيح الحلم ، مقاويل بالحقّ ،متاريك للبغي ، مضوا قدماً على الطّريقة ، وأوجفوا على المحجّة، فظفروا بالعقبى الدّائمة ، والكرامة الباردة ، اما والله ليسلّطنّ عليكم غلام ثقيفٍ الذّيال

(الى ان قال)

ثم بين لهم بعض ماسيلحقهم من الفتن العظيمة مماطوى عنهم غيبه،وهی فتنةالحجاج بن يوسف بن الحكم بن ابی عقيل بن عامر بن معتب بن مايك بن كعب بن الاخلاف قوم من ثقيف (الى ان قال) ثم قال : ايه اباوذحة وكلمة **ايه** اسم من اسماء فعل الامر يستدعى به الحديث المعهود من الغير ان سكنت،وان نونت كانت لاستدعاء قول او فعل ما؛ **وقيل**: التسكين للوقف والتنوين للدرج .**وأما تلقيبه(ع) له بأبي وذحة فروی فی سبب ذلك** انه كان يوماً يصلی على سجادة له فدبت اليه خنفساء فقال: نحوها عنی فانها وذحة من وذح الشيطان .

وروی انه قال:قاتل الله قوماً يزعمون ان هذه من خلق الله فقيل له: مما هی ؟—فقال: من وذح ابليس وكأنه شبهها بالوذحة المتعلقة بذنب الشاة فی حجمها او شكلها فاستعار لها لفظها ، **ونسبته لها الى ابليس** لاستقذاره اياها واستكراهه لصورتها ، او لانها تشوشه فی الصلوة **وروی ابوعلی بن مسكويه** : انه نحاها بقصبة و قال : لعنك الله وذحة من وذح الشيطان **ونقل بعض الشارحين ودجة** (بالدال والجيم) وكنى بذلك عن كونه سفاكاً للدماء قطاعاً للاوداج ، وفيه بعد».

قال ابن ابی الحديد فيما قال فی شرحه (ج۲ ؛ ص۲۵۷ من طبعة مصر) :

«**قال الرضی**-رحمه‌الله - والوذحة الخنفساء ولم أسمع هذا من شيخ من اهل الادب ولاوجدته فی كتاب من كتب اللغة ولاادری من اين نقل الرضی رحمه الله ذلك؟ !

ثم ان المفسرين بعدالرضی- رحمه‌الله-قالوا فی قصة هذه الخنفساء وجوهاً

منها-ان الحجاج رأى خنفساء تدب الى مصلاه فطردها؛فعادت، ثم طردها،فعادت ←

الميّال يأكل خضرتكم ، ويذهب شحمتكم ،ايهٍ اباوذحة .

والمراد ههنا فتنة الحجّاج،والوذحة الخنفساء؛ وسبب نسبته اليها انّه كان جالساً يوماً على سجّادةٍ له فاذاً خنفساء قد أقبلت تدبّ اليه فقـال : نحوّا هذه فانّها وذحة من وذح الشّيطان.

قال أهل اللّغة: الوذحة ماتعلّق بأصواف أطراف الضّأن من بعرها وبولها؛ وهذا الحكم غيبيّ.

الحكم الخامس ـ قوله عليه السّلام للاحنف وهو ممّا كان يخبر به عن الملاحم بالبصرة: يا احنف كأنّي به وقد سار بالجيش الّذى لايكون له غبارٌ ولاقعقعة لجمٍ ، ولا

← فأخذها بيده وحذف بها فقرصته قرصاً ورست يده ورماً كان فيه حتفه، **قالوا:** وذلك لان الله تعالى قتله بأهون مخلوقاته كما قتل نمرود بن كنعان بالبقة التى دخلت فى أنفه فكان فيها هلاكه.

ومنها- ان الحجاج كان اذارأى خنفساء تدب قريبة منه يأمرغلمانه بابعادها ويقول: هذه وذحة من وذح الشيطان تشبيهاً لها بالبعرة ، **قالوا** : وكان مغرى بهذا القول،والوذح مايتعلق بأذناب الشاة من أبعارها فيجف.

ومنها- ان الحجاج قال وقد رأى خنفساوات مجتمعات : واعجباً لمن يقول : ان الله خلق هذه ، قيل: فمن خلقها ايها الامير؟ـ قال: الشيطان ، ان ربكم لاعظم شأناً ان يخلق هذه الوذح **قالوا:** فجمعها على فعل كبدنة وبدن؛فنقل قوله هذه الى الفقهاء فى عصره فأكفروه.

ومنها- ان الحجاج كان مثفاراً وكان يمسك الخنفساء حية ليشفى بحركتها فى الموضع حكاكه ، **قالوا** : ولايكون صاحب هذا الداء الا شانئاً مبغضاً لاهل البيت ، **قالوا** : **ولسنا نقول** : كل مبغض فيه هذا الداء **وانما قلنا** : كل من فيه هذا الداء فهو مبغض؛ **قالوا:وقد روى ابوعمر الزاهد ولم يكن من رجال الشيعة** فى اماليه واحاديثه عن السيارى عن ابى خزيمة الكاتب قال : مافتشنا أحداً فيه هذا الداء الاوجدناه ناصبياً ، قال ابوعمر : واخبرنى العطا فى من رجاله **قالوا** : سئل جعفربن محمد عليه السلام عن هذا الصنف من الناس فقال : رحم منكوسة تؤتى ولاتأتى ، وما كانت هذه الخصلة فى ولى الله تعالى قط ولاتكون ابداً وانما تكون فى الكفار والفساق والناصب للطاهرين وكان ابوجهل عمربن هشام المخزومى من القوم وكان اشد الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله ←

حمحمة خیلٍ ، یثیرون الارض بأقدامهم کأنّها أقدام النّعام ، ویلٌ لسککهم العامرة والّدور المزخرفة الّتی لها أجنحة کأجنحة النّسور وخراطیم کخراطیم الفیلة، من اولئک الّذین لاینذب قتیلهم ، ولایفقد غائبهم[1].

← قالوا : ولذلک قال له عتبة بن ربیعة یوم بدر: یامصفراً استه.

فهذا مجموع ماذکره المفسرون وما سمعته من افواه الناس فی هذا الموضع.

و یغلب علی ظنی انه(ع) اراد معنی آخر ؛ وذلک ان عادة العرب ان تکنی الانسان اذا ارادت تعظیمه بماهو مظنة التعظیم کقولهم: ابوالهول، و ابوالمقدام، وأبوالمغوار، فاذا ارادت تحقیره والغض منه کنته بما یستحقر ویستهان به کقولهم فی کنیة یزید بن معاویة ابوزنة ؛ یعنون القرد، وکقولهم فی کنیة سعید بن حفص البخاری المحدث؛ ابوالفار، وکقولهم للطفیلی: ابولقمة ، و کقولهم لعبد الملک: ابوالذبان؛ لبخره، وکقول ابن بسام لبعض الرؤساء :

فانت لعمری ابوجعفر ولکننا نحذف الفاء منه

وقال ایضاً :

لئیم درن الثوب نظیف القعب والقدر
ابو النتن ابو الدفر ابو البعر ابو الجعر

فلما کان امیرالمؤمنین علیه السلام **یعلم** من حال الحجاج نجاسته بالمعاصی والذنوب التی لوشوهدت بالبصر لکانت بمنزلة الملتصق بشعرالشاء **کناه ابووذحة** ویمکن ایضاً ان یکنیه بذلک لدمامته فی نفسه و حقارة منظره وتشویه خلقته فانه کان قصیراً دمیماً نحیفاً اخفش العینین معوج الساقین قصیر الساعدین مجدور الوجه اصلع الرأس فکناه باحقر الاشیاء وهو البعرة.

وقد روی قوم هذه اللفظة بصیغة اخری فقالوا : ایه اباودجة؛ قالوا: هی واحدة الاوداج، کناه بذلک لانه کان قتالا یقطع الاوداج بالسیف؛ **ورواه قوم اباوحرة** وهی دویبة تشبه الحرباء قصیرة الظهر شبهه بها.

وهذا وماقبله ضعیف ، وماذکرناه نحن اقرب الی الصواب».

---

١ - **قال ابن میثم(ره) فی شرحه علی نهج البلاغة فی شرح هذا الکلام** ←

والاشارة فى هذا الكلام الى صاحب الزّنج وهو علىّ بن محمّد العلوىّ ويكنى بالبرقعىّ

← **ضمن ماقال (ص٢٩٠ من الطبعة الاولى) :**

« والضمير فى قوله(ع): كأنى به لصاحب الزنج واسمه على بن محمد علوى النسب، والجيش المشار اليه هم الزنج؛ و واقعتهم بالبصرة مشهورة، وأخبارهم وبيان أحوالهم وتفصيل واقعتهم يشتمل عليها كتاب سنفرد فى نحو من عشرين كراسة فليطلب علمها من هناك.

واما وصف ذلك الجيش بالاوصاف المذكورة فلان الزنج لم يكونوا أهل-خيل ولا جند من قبل حتى يكون بالاوصاف المشار اليها ، واثارتهم التراب بأقدامهم كناية عن كونهم حفاة فى الاغلب مشققى الاقدام فهى من اعتياد الحفاء ومباشرة الارض كالخشب ونحوه فكانت مظنة اثارة التراب عوضاً من حوافر الخيل،**و وجه شبهها بأقدام النعام** ان أقدامهم فى الاغلب قصار عراض منتشرة الصدور ومفرقات الاصابع فهى من عرضها لا يتبين لها طول فأشبهت اقدام النعام فى بعض تلك الاوصاف.

ثم أخبر بالويل لمحال البصرة و دورها المزوقة من اولئك و استعار لدورها لفظ الاجنحة واراد بها القطانيات التى تعمل من الاخشاب والبوارى بارزة عن السقوف كالوقاية للمشارف والحيطان عن آثار الامطار وهى أشبه الاشياء فى هيئتها و صورة وضعها بأجنحة كبار الطير كالنسور، و كذلك استعار لفظ خراطيم الفيلة للميازيب التى تعمل من الخوص على شكل خرطوم الفيل وتطلى بالقار يكون نحواً من خمسة اذرع او ازيد تدلى من السطوح حفظاً للحيطان من اذى السيل ايضاً وهى أشبه الاشياء فى صورتها بخراطيم الفيلة.

واما وصفه(ع) لهم بأنه لا يندب قتيلهم ولا يفقد غائبهم ، **قال بعض الشارحين** : ذلك وصف لهم بشدة البأس والحرص على الحرب والقتال وانهم لا يبالون بالموت ولا يأسفون على من فقد منهم ، **و أقول** : والاشبه ان ذلك لكونهم لا اصول لهم ولا اهل لاكثرهم من أم او أخت او غيرذلك ممن عادته ان ينوح ويندب قتيله ويفتقد غائبه لكون اكثرهم غرباء فى البصرة ممن قتل منهم لا يكون له منهم من يندبه، ومن غاب لا يكون له من يفقده» .

اقول : لهذا الكلام الشريف ذيل قد نقله السيد (ره) فى نهج البلاغة وهو:

« اناكاب الدنيا لوجهها ، و قادرها بقدرها ، وناظرها بعينها» ←

لانّه كان يمشي متبرقعاً وكان مولده بالرّيّ من قرية يقال لها ورزنين[1] وكان قد خرج فاضلاً بارعاً، ذهب الى البصرة ودعا الزّنج الى نفسه وقرّر مع كلّ واحدٍ منهم ان يقتل سيّده و يزوّجه بمولاته؛ فأطاعوه بأجمعهم و بايعوه على ذلك وفعلوا مافعلوا ؛ وقصّتهم مشهورة ، وذلك مستلزمٌ لاطّلاعه على مالم يكن.

الحكم السّادس ـ قوله عليه السّلام[2]:

كأنّي به وقد نعق بالشّام وفحص براياته فى ضواحي كوفان فعطف اليها عطف

← ومن اراد شرحه فليطلبه من الشروح .

ثم اعلم ان ابن ابى الحديد شرح الكلام بمالامزيد عليه واظن ان ابن ميثم (ره) اشار بكلامه «و بيان اخبارهم يشتمل عليها كتاب منفرد فى نحو من عشرين كراسة» الى ماذكر ابن ابى الحديد فى شرحه فمن اراد التفصيل فليراجع ذلك الشرح (ج ٢ ص ٣١٠–٣٦١ من طبعة مصر) .

١ـ قال ياقوت فى معجم البلدان : « ورزنين من أعيان قرى الرى كالمدينة» .

٢ـ لهذا الكلام ذيل نقله السيد(ره) بهذه العبارة (انظر شرح ابن ميثم (ره) ص ٢٩٩ من الطبعة الاولى): «واعلموا ان الشيطان انما يسنى لكم طرقه لتتبعوا عقبه»

وقال ابن ميثم(ره) فى شرح الكلام هناك: «وقد اخبر فى هذا الفصل انه سيظهر رجل بهذه الصفات **قال بعض الشارحين:** هو عبدالملك بن مروان وذلك لانه ظهر بالشام حين جعله ابوه الخليفة من بعده وسار لقتال مصعب بن الزبير الى الكوفة بعد ان قتل مصعب المختار بن ابى عبيدة الثقفى فالتقوا بارض مسكن بكسر الكاف من نواحي الكوفة ثم قتل مصعباً ودخل الكوفة فبايعه أهلها ، و بعث الحجاج بن يوسف الى عبدالله بن الزبير بمكة فقتله وهدم الكعبة وذلك سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وقتل خلقاً عظيماً من العرب فى وقائع عبدالرحمن بن الاشعث ورمى الناس بالحجاج بن يوسف» .

أقول : يريد بذلك الشارح ابن ابى الحديد فراجع شرحه لنهج البلاغة ان شئت (ج ٢ ، ص ٤٠٨ من طبعة مصر) وفى شرح ابن ميثم ايضاً لطائف فى شرح الكلام فان اردتها فراجع هناك .

الضّروس وفرش الارض بالرّؤوس، قدفغرت فاغرته وثقلت فى الارض وطأته، بعيدالجولة عظيم الصّولة، والله ليشرّدنّكم فى أطراف الارض حتّى لايبقى منكم الّا قليل كالكحل فى العين؛ فلاتزالون كذلك حتّى توؤب الى العرب عوازب أحلامها ، فالزموا السّنن القائمة والآثار البيّنة والعهدالقريب الّذى عليه باقى النّبوّة .

وهذا الحكم اشارة الى بعض من يخرج فى آخر الزّمان كالسّفيانىّ وغيره.

الحكم السّابع ـ من خطبة له عليه السّلام[1] :

فعند ذلك لايبقى بيت مدرٍ ولاوبرٍ الّاوأدخله الظّلمة ترحةً، وأولجوا فيه نقمةً، فيومئذٍ لايبقى لهم فى السّماء عاذر، ولا فى الارض ناصر، أصفيتم بالأمر غير أهله، وأوردتموه غير مورده ، وسينتقم الله ممّن ظلم مأكلاً بمأكلٍ ومشرباً بمشربٍ من مطاعم العلقم؛ ومشارب الصّبر والمقر، ولباس شعارالخوف ، ودثار السّيف ، وانّماهم مطايا الخطيئات وزوامل الآثام، فأقسم ثمّ أقسم لتنخمنّها أميّة من بعدى كما تلفظ النّخامة ، ثمّ لاتذوقها ولاتطعم بطعمها أبداً ماكرّ الجديدان.

وهذا الحكم اشارة الى ماكان من بنى أميّة بعده .

الحكم الثّامن ـ واشار فيه الى وصف الاتراك وما يكون فى دولتهم[2] :

كأنّى أراهم قوماً كأنّ وجوههم المجانّ المطرقة، يلبسون السّرق والدّيباج، ويعتقبون الخيل العتاق، ويكون هناك استحرار قتلٍ حتّى يمشى المجروح على المقتول، ويكون المفلت اقلّ من المأسور، فقال له بعض أصحابه : لقد أعطيت ياأميرالمؤمنين علم الغيب، فضحك عليه السّلام وقال للرّجل وكان كلبيّاً: يا أخاكلبٍ ليس هو بعلم غيبٍ وانّما هوتعلّم من

---

١ ـ ان شئت شرحه فانظر ص٣٢٨ من الطبعة الاولى من شرح نهج البلاغة لابن ميثم ، او شرح ابن ابى الحديد، ج٢ ص٤٦٦ من طبعة مصر.

٢ـ انظر ص٢٩١ من الطبعة الاولى من شرح نهج البلاغة لابن ميثم، او ص٣٦١ من ج٢ من شرح ابن ابى الحديد من طيعة مصر.

ذى علم ؛ وانّما علم الغيب علم السّاعة ، وما عدّده الله سبحانه بقوله: انّ الله عنده علم السّاعة وينزّل الغيث ويعلم ما فى الارحام (الآية) فيعلم ما فى الارحام من ذكر او انثى ، وقبيح او جميل ، وسخىّ او بخيل ، وشقىّ او سعيد ، ومن يكون للنّار حطباً او فى الجنان للنبيّين مرافقاً؛ فهذا علم الغيب الّذى لايعلمه أحد الّا الله ، وماسوى ذلك فعلمٌ علّمه الله نبيّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ فعلّمنيه ودعالى بان يعيه صدرى وتضطمّ عليه جوانحى.

واعلم انّه عليه السّلام قصد بذلك اقناع المتكلّم بهذا الكلام مع صدقه ومطابقته لما أردناه؛ فانّ معنى تعليم النّبيّ (ص) له عليه السّلام لهذه العلوم هو اعداده لنفسه على طول الصّحبة وتعليمه له كيفيّة السّلوك وأسباب تطويع النّفس الامّارة للنّفس المطمئنّة من أنواع الرّياضات حتّى استعدّت نفسه للانتقاش بالامور الغيبيّة والاخبار بها ؛ وأكّد ذلك الاعداد بدعائه عليه السّلام الصّادر عن نفسه القدسيّة المتصرّفة فى عالم الكون والفساد وذلك مقرّر لما أردناه .

الحكم التّاسع ـ ماروى عنه عليه السّلام[1]: من انّه لمّا قاتل أبوبكر مسيلمة واسرت

١- **قال المجلسى (ره) فى المجلد التاسع من البحار** فى باب احوال اولاد اميرالمؤمنين على (ع) و ازواجه (ص ٦١٨-٦١٩ من طبعة امين الضرب مانصه): «**يج** (اى الخرائج والجرائح للقطب الراوندى) عن دعبل الخزاعى قال: حدثنى الرضا عن أبيه عن جده عليهم السلام **قال** : كنت عند ابى الباقر اذ دخل عليه جماعة من الشيعة و فيهم جابربن يزيد فقالوا : هل رضى ابوك على بامامة الاول والثانى؟ ـ قال : اللهم؛ لا، قالوا : فلم نكح من سبيهم خولة الحنفية اذا لم يرض بامامتهم ؟ ـ فقال الباقر: امض يا جابربن يزيد الى منزل جابربن عبدالله الانصارى فقل له : ان محمد بن على يدعوك ، قال جابربن يزيد: فأتيت منزله وطرقت عليه الباب فنادانى جابربن عبدالله الانصارى من داخل الدار : اصبر ياجابربن يزيد ، قلت فى نفسى من اين علم جابرالانصارى انى جابربن يزيد ولايعرف الدلائل الا الائمة من آل محمد عليهم السلام والله لاسألنه اذا خرج الى، فلما خرج قلت له: من اين علمت انى جابر -

الحنفيّة وجيء بها الى المدينة فلمّا وقفت بين يدى أبى‌بكرٍ دنا اليها طلحة والزّبيرفوضعا عليها ثوبين؛ فنفرت من ذلک وقالت: لست بعريانةٍ ، فقيل لها: انّهما يتزايدان فيک ويأخذک أحدهما من‌حقّه، فقالت: لايكون ذلک ولن يملكنى الّا من يخبرنى بماقلته حين ولادتى، فنظر بعض‌القوم الى بعضٍ متعجّبين من‌قولها؛فقال بعضهم: انّما ذلک من‌دهشها وفزعها؛فقالت: والله ماداخلنى فزعٌ ولاجزعٌ وماقلت الّا حقّاً ثمّ جلست ناحيةً،فلمّا حضر أميرالمؤمنين علىّ‌عليه‌السّلام‌وقف ثمّ ناداها: ياخولة،فقالت: لبّيک‌و وثبت،فقال:

← وانا على‌الباب وانت داخل‌الدار؟— قال: خبرنى‌مولاى الباقر(ع) البارحة انک تسأله عن الحنفية فى هذا اليوم وانا ابعثه اليک ياجابر بكرة غد وادعوك فقلت : صدقت ، قال : سربنا فسرنا جميعاً حتى اتينا المسجد فلما بصر مولاى الباقر(ع) بنا ونظر الينا قال للجماعة: قوموا الى الشيخ فاسألوه حتى ينبئكم بماسمع ورأى؛فقالوا : يا جابر هل راض امامک على بن‌ابى‌طالب(ع) بامامة من تقدم ؟ — قال : اللهم ؛ لا،قالوا : فلم نكح من سبيهم اذا لم يرض بامامتهم؟— قال جابر: آه‌آه لقد ظننت أنى‌أموت ولاأسأل عن‌هذا اذ سألتمونى فاسمعوا وعوا.

حضرت السبى وقد ادخلت الحنفية فيمن ادخل فلما نظرت الى جمع الناس عدلت الى تربة رسول‌الله(ص) فرنت رنة وزفرت زفرة وأعلنت بالبكاء والنحيب ثم نادت: السلام عليک يارسول الله وعلى اهل بيتک من‌بعدك، هؤلاء امتک سبتنا سبى‌النوب والديلم؛والله ما كان لنا اليهم من ذنب الا الميل الى اهل بيتک فجعلت الحسنة سيئة و السيئة حسنة فسبينا ؛ **ثم انعطفت الى الناس وقالت** : لم سبيتمونا و قد أقررنا بشهادة ان لا اله الا الله وان محمداً(ص) رسول الله ؟— قالوا : منعتمونا الزكوة،قال: هب ان الرجال منعوكم فما بال‌النسوان ؟— فسكت المتكلم كأنما ألقم حجراً.

ثم ذهب اليها طلحة وخالد يرميان فى‌التزويج اليها ثوبين فقالت: لست بعريانة فتكسوانى، قيل: انهما يريدان ان يتزايدا عليک فايهما زاد على صاحبه اخذك من السبى ، قالت : هيهات والله لايكون ذلک ابداً ولايملكنى ولايكون لى ببعل الا من يخبرنى بالكلام الذى قلته ساعة خرجت من بطن‌امى،فسكت‌الناس ينظر بعضهم‌الى‌بعض وورد عليهم من ←

لمّا كانت أمّك حاملاً بك وضربها الطّلق واشتدّ عليها الأمر دعت‌الله وقالت : اللّهمّ سلّمنی من هذا المولود سالماً كان او هالكاً فسبقت الدّعوة لك بالنّجاة فناديت من تحتها : لا الـه الاالله يا امّاه لم تدعين علىّ ؟ ! وعمّا قليلٍ سيملكنی سيّدٌ يكون لی‌منه ولدٌ

← ذلك‌الكلام ماأبهر عقولهم وأخرس ألسنتهم وبقی‌القوم‌فی‌دهشة من‌امرها، فقال‌ابوبكر : مالكم ينظر بعضكم الی بعض؟ — قال الزبير: لقولها الذی سمعت، قال ابوبكر: ماهذا الامر الذی أحصر أفهامكم؛ انها جارية من‌سادات قومها ولم‌يكن لها عادة بمالقيت ورأت؛فلاشك انها داخلها الفزع وتقول مالاتحصيل‌له ، فقالت : رميت بكلامك غيرمرمی؛ والله ماداخلنی فزع ولاجزع و والله ماقلت الاحقاً ولانطقت الا فصلا ولابد ان يكون كذلك؛وحق صاحب هذه البنية ماكذبت ، ثم سكتت وأخذ طلحة وخالد ثوبيهما وهی قد جلست ناحية من‌القوم .

فدخل علی‌بن‌أبی‌طالب عليه‌السلام فذكروا له حالها **فقال : هی‌صادقة فيما قالت وكان حالتها وقصتها كيت وكيت فی حال ولادتها و قال** : ان كل ما تكلمت به فی‌حال خروجها من بطن امها هو كذا وكذا وكل ذلك مكتوب علی‌لوح معها؛ فرمت باللوح اليهم لما سمعت كلامه (ع) فقرؤوها علی ماحكی علی‌بن‌ابی‌طالب(ع) لايزيد حرفاً ولاينقص قال: فقال ابوبكر : خذها يا اباالحسن بارك‌الله لك فيها .

فوثب سلمان فقال : والله مالاحد ههنا منة علی اميرالمؤمنين بل لله المنةولرسوله ولاميرالمؤمنين ،والله مااخذها الا بمعجزه‌الباهروعلمه‌القاهر وفضله‌الذی يعجزعنه كل ذی‌فضل .

ثم قال‌المقداد: مابال‌أقوام قد أوضح الله لهم‌الطريق‌للهداية فتركوه وأخذوا طريق‌العمی ومامن قوم الا وتبين لهم فيه دلائل اميرالمؤمنين،**وقال ابوذر** : واعجباً لمن يعاند الحق و مامن وقت الا وينظر الی بيانه ايهاالناس قد تبين لكم فضل أهل الفضل ثم قال : يافلان اتمن علی أهل الحق بحقهم وهم بما فی‌يديك أحق و أولی . . ؟ ! **وقال عمار :** اناشدكم بالله اما سلمنا علی اميرالمؤمنين علی بن ابی‌طالب فی حيـاة رسول‌الله (ص) بامرة المؤمنين ؛فزجره عمر عن‌الكلام فقام أبوبكر **فبعث علی(ع) خولة الی بيت اسماء بنت‌عميس** وقال لها : خذی هذه المرأة وأكرمی مثواها؛ فلم تزل خولة عند اسماء بنت‌عميس الی ان قدم أخوها فتزوجها علی‌بن‌ابی‌طالب عليه‌السلام . ←

ميمونٌ فكتبت امّك ذلك فى لوح نحاسٍ فدفنته فى الموضع الّذى فيه سقطت، فلمّا حضرت امّكَ الوفاة أوصت اليكَ بذلك فلمّا كان وقت سبيك أخذت ذلك اللّوح وشددته على عضدك الايمن؛ هاتى اللّوح فأناصاحبه وأبو ذلك الغلام الميمون؛ واسمه محمّد، فأخرجته فأخذه أبوبكر ودفعه الى عثمان؛ فقرأه على النّاس فبكت طائفةٌ واهتزّ آخرون

← فكان الدليل على علم اميرالمؤمنين(ع) وفساد مايورده القوم من سبيهم وانه (ع) تزوجها نكاحاً **فقالت الجماعة :**

ياجابر أنقذك الله من حر النار كما انقذتنا من حرارة الشك».

وقال ايضاً العلامة المجلسى(ره) فى تاسع البحار

فى باب معجزات كلامه من اخباره بالغائبات (ص٢٨٢ من طبعة امين الضرب):

يج- روى انه لما قعد ابوبكر بالامر بعث خالدبن الوليد الى بنى حنيفة ليأخذ زكوات اموالهم فقالوا لخالد: ان رسول الله (ص) كان يبعث كل سنة رجلا يأخذ صدقاتنا من الاغنياء من جملتنا ويفرقها فى فقرائنا فافعل انت كذلك؛ فانصرف خالد الى المدينة فقال لابى بكر: انهم منعونا من الزكوة فبعث معه عسكراً فرجع خالد و أتى بنى حنيفة وقتل رئيسهم وأخذ زوجته و وطئها فى الحال وسبى نسوانهم و رجع بهن الى المدينة وكان ذلك الرئيس صديقاً لعمر فى الجاهلية فقال عمر لابى بكر: اقتل خالداً به بعد ان تجلده الحد لما فعل بامرأته فقال له ابوبكر : ان خالداً ناصرنا تغافل **وأدخل السبايا فى المسجد وفيهن خولة** فجاءت الى قبر رسول الله(ص) والتجأت به وبكت وقالت : يارسول الله(ص) اشكو اليك افعال هؤلاء القوم؛ سبونا من غير ذنب ونحن مسلمون ثم قالت : ايها الناس لم سبيتمونا ونحن نشهد ان لا اله الاالله، وان محمداً(ص) رسول الله ؟- فقال ابوبكر : منعتم الزكوة فقالت : الامر ليس على ما زعمت انما كان كذا وكذا؛ وهب الرجال منعوكم فما بال النسوان المسلمات يسبين..! ؟ و اختار كل رجل منهم واحدة من السبايا وجاء طلحة وخالدبن عنان ورسيا بثوبين الى خولة فأراد كل واحد منهما ان يأخذها من السبى **قالت** : لايكون هذا أبداً. ←

فلم يخالف ممّا قال حرفاً ، وقالوا عن رأسٍ :صدق رسول‌الله اذ قال:أنا مدينة العلم وعلیّ بابها؛وعندها قال ابوبكر رضی‌الله عنه:خذها يا اباالحسن بارك‌الله لك فيها .

وهذا من عجيب اطّلاع نفسه القدسيّة علی المغيبات.

الحكم العاشر ـ روی انّ رجلاً جاء اليه عليه السّلام وهو علی المنبر وقال : يا أميرالمؤمنين انّی مررت بوادی القری فرأيت خالدبن‌عرفطة قدمات به فاستغفرله‌فقال

← ولايملكنی الامن خبرنی بالكلام الذی قلته ساعة ولدت ، قال ابوبكر : قد فزعت من القوم وكانت لم تر مثل ذلك قبله فتكلم بما لاتحصيل له فقالت:والله انی صادقة **اذ جاء علی بن ابی طالب فوقف ونظر اليهم واليها وقال(ع):** اصبروا حتی‌أسالها عن‌حالها **ثم ناداها ياخولة اسمعی الكلام ثم قال :** لما كانت امك حاملابك وضربها الطلق واشتدبها الامر نادت: اللهم سلمنی من هذا المولود فسبقت تلك‌الدعوة بالنجاة فلماوضعتك ناديت من تحتها : لا اله الا الله ، محمد رسول‌الله (ص)؛ عما قليل سيملكنی سيد سيكون له منی ولد، فكتبت أمك ذلك الكلام فی لوح نحاس فدفنته فی الموضع الذی سقطت فيه،فلما كانت الليلة التی قبضت امك فيها وصت اليك بذلك فلما كان وقت سبيكم لم يكن لك همة الا أخذ اللوح فأخذتيه و شددتيه علی عضدك الايمن هاتی اللوح فأنا صاحب ذلك اللوح و أنا اميرالمؤمنين و أنا ابو ذلك الغلام الميمون و اسمه محمد،قال : فرأيناها وقد استقبلت القبلة و قالت : اللهم انت المتفضل المنان اوز عنی ان اشكر نعمتك التی انعمت علی ولم تعطها لاحد الا واتممتها عليه،اللهم بصاحب هذه التربة والناطق المنبیء بما هو كائن الا اتممت فضلك علی،ثم‌اخرجت اللوح ورمت به اليه،وأخذه ابوبكر وقرأه عثمان فانه كان أجود القوم قراءة ، وما ازدادما فی اللوح علی ماقال علی(ع) ومانقص؛ فقال ابوبكر: خذها يا أباالحسن،فبعث بها علی(ع)الی بيت اسماء بنت عميس فلما دخل أخوها تزوج بها وعلق بمحمد و ولدته» .

اقول: نقل‌السيد هاشم‌البحرانی ـ قدس‌سره ـ هذه القضية فی مدينة المعاجزمن كتاب سيرالصحابة بطريقين‌آخرين‌واختلاف فی‌بعض خصوصياتها مع مانقل‌هنا؛فمن‌اراد ان يلاحظها بذلكما الطريقين فليراجع كتاب مدينة المعاجز ص ۱۲۹ــ۱۲۸ (من‌النسخة المطبوعة) .

عليه‌السّلام‌له : انّه لم يمت وانّه لن يموت حتّى يقود جيش ضلالة صاحب لوائه حبيب بن‌حمّادٍ [1] فقام اليه رجلٌ من تحت المنبروقال : يا أميرالمؤمنين‌والله انّي‌لك شيعةوانّي محبّ لك ؛ فقال له : من انت ؟ ـ فقال : انا حبيب بن حمّادٍ فقال : ايّاك ان تحملها

---

١ ـ **قال العلامة المجلسي (ره) في تاسع البحار** في باب معجزات كلامه من اخباره بالغائبات وعمله باللغات (ص ٥٨٥ من طبعة امين‌الضرب) :

« و يستفيض في اهل العلم عن الاعمش و ابن محبوب عن الثمالي والسبيعي كلهم عن سويد بن غفلة وقد ذكره ابوالفرج‌الاصفهاني في‌أخبار الحسن انه قيل لاميرالمؤمنين (ع) ان خالدبن عرفطة قدمات فقال(ع) : انه لم يمت ولايموت حتي يقود جيش ضلالة صاحب لوائه حبيب بن جماز (الحديث كما في‌المتن) » .

وقال ابن‌أبي‌الحديد في شرحه على نهج‌البلاغة في‌شرح كلام لاميرالمؤمنين عليه السلام يجري مجرى الخطبة(ج ١ من طبعة مصر ص ٢٠٨) :

«هذا كلام قاله عليه‌السلام لما تفرس‌في‌قوم من عسكره انهم يتهمونه فيما يخبرهم به‌عن النبي صلى‌الله عليه وآله من اخبار الملاحم والغائبات وقد شك منهم جماعة في اقواله ومنهم من‌واجهه بالشك والتهمة **روى ابن‌هلال الثقفي في كتاب الغارات** عن زكريا بن يحيى العطار عن فضيل عن محمدبن‌علي قال لما قال عليه‌السلام : سلوني قبل ان‌تفقدوني فوالله لاتسألوني عن فئة تضل مائة وتهدي مائة الا أنبأتكم بناعقها و ساعقها؛ قام اليه رجل فقال: أخبرني بما في رأسي ولحيتي من طاقة شعر، فقال له علي عليه‌السلام : والله لقدحدثني خليلي‌ان على كل‌طاقة شعر من‌رأسك ملكاً يلعنك،وان على كل طاقة شعرمن لحيتك شيطاناً يغويك،وان في بيتك سخلا يقتل ابن‌رسول‌الله صلى الله عليه وآله وكان ابنه قاتل الحسين عليه‌السلام يومئذ طفلا يحبو وهو سنان‌بن‌انس‌النخعي .

و روى الحسن‌بن‌محبوب عن‌ثابت الثمالي عن سويدبن‌غفلة ان علياً عليه‌السلام‌خطب ذات يوم فقام رجل من تحت منبره فقال : يا اميرالمؤمنين اني مررت بوادي القرى فوجدت خالدبن‌عرفطة قدمات فاستغفر له فقال عليه‌السلام انه لم يمت(فذكرالحديث الي‌آخره وذكر نظائر له فان شئت فراجع هناك)» .

ولتحملنّها وتدخل بها من هذا الباب؛ وأومأ بيده الى باب الفيل، فلمّا كان وقت ظهور الحسين بن عليٍّ وبعث ابن زيادٍ عمر بن سعدٍ اليه جعل خالد بن عرفطة على مقدّمته وحبيب بن حمّادٍ صاحب رايته فسار بها حتّى دخل المسجد من باب الفيل.

والاخبار المرويّة فی هذا الباب كثيرة[1] وفيما ذكرناه كفاية فی التّنبيه على المطلوب.

١- **قال ابن ابی الحديد فی شرح نهج البلاغة فی شرح خطبة من فقرانها**

«فاسألونی قبل ان تفقدونی فوالذی نفسی بيده لاتسألوننی عن شیء فيما بينكم وبين الساعة ولاعن فئة تهدی مائة وتضل مائة الا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ومن يقتل من اهلها قتلا ومن يموت منهم موتاً» (ج ٢ من طبعة مصر ص ١٧٥—١٧٦):

«واعلم انه (ع) قد أقسم فی هذا الفصل بالله الذی نفسه بيده انهم لا يسألونه عن أمر يحدث بينهم وبين القيامة الا أخبرهم به وانه ماصح من طائفة من الناس يهتدی بها مائة وتضل بها مائة الا وهو مخبر لهم ان سألوه برعاتها وقائدها وسائقها ومواضع نزول ركابها وخيولها ومن يقتل منها قتلاً ومن يموت منها موتاً **وهذه الدعوى ليست منه عليه السلام ادعاء الربوبية ولا ادعاء النبوة ولكنه كان يقول: ان رسول الله (ص) أخبره بذلك ولقد امتحنا أخباره فوجدناه موافقاً فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة** كاخباره عن الضربة التی يضرب فی رأسه فتخضب لحيته، و اخباره عن قتل الحسين ابنه عليهما السلام، وماقاله فی كربلا حيث مربها، واخباره بملك معاوية الامر من بعده، واخباره عن الحجاج، وعن يوسف بن عمر، وما أخبر به من امر الخوارج بالنهروان وما قدمه الى اصحابه من اخباره بقتل من يقتل منهم وصلب من يصلب، واخباره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، واخباره بعدة الجيش الوارد اليه من الكوفة لما شخص عليه السلام الى البصرة لحرب أهلها، واخباره عن عبدالله بن الزبير و قوله فيه: خب ضب يروم امراً ولايدركه؛ ينصب حبالة الدين لاصطياد الدنيا وهو بعد مصلوب قريش، وكاخباره عن هلاك البصرة بالغرق وهلاكها تارة اخرى بالزنج وهو الذی صحفه قوم فقالوا: بالريح، وكاخباره عن ظهور الرايات السود من خراسان، وتنصيصه على قوم من اهلها يعرفون ببنی رزيق بتقديم المهملة وهم آل مصعب ←

البحث الثانى

فى بيان تمكّنه عليه السّلام من الافعال الخارقة للعادة ولنذكر منها عشر آيات

الآيـة الاولى ـ روى عن جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام انّه قال : خرج أميرالمؤمنين عليه السّلام بالنّاس يريد صفّين وعبر الفرات وكان غربىّ الجبل بصفّين اذ

--- الذين منهم طاهر بن الحسين و والده واسحق بن ابراهيم وكانوا هم وسلفهم دعاة الدولة العباسية، وكاخباره عن الائمة الذين ظهروا من ولده بطبرستان كالناصر والداعى وغيرهما فى قوله عليه السلام: وان لال محمد بالطالقان لكنزاً سيظهره الله اذا شاء ؛ دعاؤه حق يقوم باذن الله فيدعو الى دين الله، وكاخباره عن مقتل النفس الزكية بالمدينة؛ وقوله: انه يقتل عند احجار الزيت، وكقوله عن أخيه ابراهيم المقتول بيا خمرى يقتل بعد ان يظهر و يقهر بعد ان يقهر و قوله فيه ايضاً : يأتيه سهم غرب يكون فيه منيته فيابؤساً للرامى شلت يده و وهن عضده، وكاخباره عن قتلى وج وقوله فيهم : هم خير اهل الارض، و كاخباره عن المملكة العلوية بالغرب وتصريحه بذكر كتامة؛ وهم الذين نصروا أباعبدالله الداعى المعلم، وكقوله وهو يشير الى ابى عبدالله المهدى وهو اولهم ثم يظهر صاحب القيروان الغض النض ذوالنسب المحض المنتخب من سلالة ذى البداء المسجى بالرداء وكان عبيدالله المهدى ابيض مترفاً مشرباً بحمرة رخص البدن تار الاطراف، وذوالبداء اسمعيل بن جعفر بن محمد عليهما السلام وهوالمسجى بالرداء لان اباه أباعبدالله جعفراً سجاه بردائه للعامات و أدخل اليه وجوه الشيعة يشاهدونه ليعلموا موته وتزول عنهم الشبهة فى أمره، وكاخباره عن بنى بويه ؛ وقوله فيهم: و يخرج من ديلمان بنو الصياد اشارة اليهم و كان ابوهم صياد السمك يصيد منه بيده مايتقوت هو و عياله بثمنه فأخرج الله تعالى من ولده لصلبه ملوكاً ثلاثة ونشر ذريتهم حتى ضربت الامثال بملكهم؛ وكقوله عليه السلام فيهم: ثم يستشرى أمرهم حتى يملكوا الزوراء ويخلعوا الخلفاء فقال له قائل: فكم مدتهم ياامير المؤمنين ؟— فقال: مائة او تزيد قليلاً؛ وكقوله فيهم: --

حضرت صلوة المغرب فأمر فنزلوا ثمّ توضّأ وأذّن فلمّا فرغ من الاذان انفلق الجبل عن هامة بيضاء ووجه أبيض فقال: السّلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمةالله وبركاته مرحباً بوصیّ خاتم النّبيّين العالم المؤمن الفاضل الفائق ميزان الصّدّيقين وسيّد الوصيّين فقال: عليك السّلام يا أخی شمعون وصیّ روح‌الله؛ قال: فتحدّثنا مليّاً ثمّ ودّعه شمعون والتأم الجبل، فلمّا خرج عليه‌السّلام الی القتال سأله عمّار وابن عبّاس والاشتر وهاشم بن عتبة المرقال وأبو ايّوب الانصاریّ وقيس بن سعد وعمرو بن الحمق وعبادة بن الصّامت عن الرّجل فأخبرهم

← والمترف بن الاجذم يقتله ابن عمه على دجلة وهو اشارة الی عزالدولة بختيار بن معزالدولة أبی الحسين وكان معزالدولة أقطع اليد قطعت يده النكوص فی الحرب وكان ابنه عزالدولة بختيار مترفاً صاحب لهو و طرب وقتله عضدالدولة فناخسرو ابن عمه بقصر الجص على دجلة فی الحرب وسلبه ملكه؛ **فأما خلعهم للخلفاء** فان معزالدولة خلع المستكفی ورتب عوضه المطيع، وبهاء الدولة ابانصر بن عضدالدولة خلع الطائع ورتب عوضه القادر؛ **وكانت مدة ملكهم** كما أخبر به عليه‌السلام، وكاخباره عليه‌السلام لعبدالله بن العباس رحمه‌الله تعالی عن انتقال الامر الی اولاده فان علی بن عبدالله لما ولد اخرجه ابوه عبدالله الی علی عليه‌السلام فأخذه وتفل فی فيه وحنكه بتمرة قدلاكها ودفعه اليه وقال: خذ اليك ابا الاملاك؛ هكذا الرواية الصحيحة وهی التی ذكرها أبوالعباس المبرد فی كتابه الكامل وليست الرواية التی يذكر فيها العدد بصحيحة ولامنقولة من كتاب معتمد عليه.

وكم له من الاخبار عن الغيوب الجارية هذا المجری مما لو أردنا استقصاءه لكسرنا له كراريس كثيرة وكتب السير تشتمل عليها مشروحة.

فان قلت: لماذا غلاالناس فی أميرالمؤمنين عليه السلام فادعوا فيه الالهية لاخباره عن الغيوب التی شاهدوا صدقها عياناً ولم يغلوا فی رسول‌الله صلی الله عليه‌وآله فيدعوا له الالهية واخباره عن الغيوب الصادقة قد سمعوها وعلموها يقيناً وهو كان اولی بذلك لانه الاصل المتبوع؛ ومعجزاته اعظم واخباره عن الغيوب اكثر؟ ←

انّه شمعون وكانوا سمعوا كلامه فازدادوا متانةً فى الدّين واستبصاراً[1].

وذلك يدلّ على انّ لنفسه القدسيّة ملكة التّصرّف فى هذا العالم العنصرىّ.

الآية الثانية ـ قال الحارث[2]: كنّا وقوفاً عند أميرالمؤمنين عليه السّلام اذ أقبل أسدٌ يهوى اليه فتضعضعنا منخوفه فقال علىّ: مه؛وأقبل الأسد حتّىقام بين يديهفوضع يده على جبهته وقال: ارجع باذنالله ولاتدخل دارالهجرة بعداليوم، وبلّغ ذلك السّباع عنّى؛ فرجع وغاب عنأعيننا.

الآية الثّالثة ـ قال جعفر بن محمّدالصّادق عليهالسّلام: انّمالكبنالحارثالاشتر ـ رحمه الله ـ قال: حدّثتنى نفسى انّى اشدّ ام اميرالمؤمنينعليهالسّلام؟ فحرّك دابّته الى

قلت: ان الذين صحبوا رسولالله صلىالله عليهوآله وشاهدوا معجزاته وسمعوا اخباره عن الغيوب الصادقة عياناً كانوا أشد آراءً و أعظم أحلاماً و أوفر عقولا من تلك الطائفة الضعيفة العقول السخيفة الاحلام الذين رأوا اميرالمؤمنين عليهالسلام فىآخر ايامه كعبدالله بنسبأ واصحابه فانهم كانوا من ركاكةالبصائر وضعفها علىحال مشهورة فلاعجب عنمثلهم ان تستخفهم المعجزات فيعتقدوا فىصاحبها ان الجوهر الالهىقد حله لاعتقادهم انه لايصح من البشر هذا الا بالحلول».

اقول: لكلامه ذيل فمن اراده فليطلبه من هناك؛ ونقله العلامة المجلسى(ره) مع زيادة على مانقلناه فى تاسع البحار فى باب معجزات كلامه من اخباره بالغائبات (ص۵۹۳ - ۵۹۴ من طبعة امين الضرب) فاذا كان الامر كذلك فالخوض فى نقل هذه المعجزات من قبيل تحصيل الحاصل وتوضيح الواضح فالاولى الاكتفاء بالاشارة ولاسيما فى امثال هذه الكتب المختصرة كما اكتفى بها الشارح قدسالله سره.

۱- هو مذكور فى كتب كثيرة منها كتاب مدينة المعاجز للسيد هاشم البحرانى ـ قدس سره ـ (انظر المعجز السادس والخمسين منمعاجز اميرالمؤمنين ص۳۷–۳۶).

۲- هذه المعجزة ايضاً مذكورة بطرق كثيرة فى كتب عديدة منهاما فىمدينةالمعاجز (انظر المعجزالسابع والسبعين الذى فىتسليمالاسد عليه ص۴۴).

ذی الکلاع الحمیری واستلبه ورمی به الی فوق وتلقّاه بسیفه فقدّه بنصفین ثمّ قال لی : یا اشتر انا ام انت؟ــ فقلت: بل انت یا امیرالمؤمنین .

وهذا الخبر کما یدلّ علی هذا المطلوب باستلاب الحمیری وما فعل به کذلک یدلّ علی المطلوب الّذی قبله من جهة انّه بکت مالکاً بما تصوّره دون ان ینطق به.

الآیة الرابعة ـ روی عبدالله بن أحمد بن حنبل عن مشایخه عن جابر انّ النّبیّ صلّی الله علیه وآله دفع الرّایة الی علیّ بن ابی طالب فی یوم خیبر بعد ان دعا له ببرء عینیه من الرّمد فبریء لوقته ثمّ سار وجعل یسرع السّیر واصحابه یقولون له: یا أمیرالمؤمنین الرّفق الرّفق؛ حتّی انتهی الی باب الحصن وکان من صخرة واحدة فاقتلعه وألقاه علی الارض.

وفی خبر: انّه دحا به أذرعاً ثمّ اجتمع علیه سبعون رجلاً وکان جهدهم ان اعادوه الی مکانه و روی عنه انّه قال: عالجت باب خیبر[1] وجعلته مجنّاً لی وقاتلت القوم فلمّا اخزاهم الله وضعت الباب علی حصنهم طریقاً ثم رمیت به فی خندقهم فقال له رجل: لقد حملت منه ثقلاً فقال: ماکان الّا مثل جنّتی الّتی فی یدی فی غیر ذلک المقام.

فانظر ایّها المعتبر هل تجد ذلک الفعل صادراً عن قوّة بدنیّة ؟! فانّه لو کان کذلک لقدر علیه من هو أقوی صورة منه ولذلک قال علیه السّلام: والله ماقلعت باب خیبر بقوّة جسمانیّة ولکن قلعته بقوّة ربّانیّة؛ وللشّعراء فی هذه الآیة أشعار کثیرة[2] لم نذکرها کراهة التّطویل .

الآیة الخامسة ـ نقل عمّار الحضرمیّ[3] عن زاد ان بن ابی عمر انّ رجلاً حدّث

١ـ راجع لملاحظة هذه المعجزة وقائع غزوة خیبر فی البحار او مناقب ابن شهرآشوب او مایضاهیهما .

٢ـ منها قول ابن ابی الحدید فی عینیته المعروفة:

« یا قالع الباب الذی عن هزه عجزت أکف اربعون و اربع »

٣ـ قال السید هاشم (ره) فی مدینة المعاجز فی الباب الاول عند تعداد معاجز امیرالمؤمنین ←

علیاً بحدیث فقال له: ما أراك الّا کذبتنی فقال: لم افعل، فقال: ادعوالله علیك ان کنت کذبتنی؟ــ فقال: ادع؛ فدعا، فما برح من مکانه حتّی عمی.

وذلك یدلّ علی انّ نفسه متمکّنة من استنزال العقوبات العاجلة.

الآیة السّادسة ـ قال عبّاد بن عبدالله الاسدیّ: سمعت علیّاً علیه السّلام یقول وهو فی الرّحبة.

انا عبدالله واخو رسول‌الله ولایقولها بعدی الّا کاذب قال: فقام رجل من غطفان فقال: انا اقول کما قال هذا الکاذب: اناعبدالله واخو رسول‌الله؛ فاذاً هو فی صورة کلب(۱).

وهذا یدلّ علی تصرّف نفسه فی هیولی العناصر بالاعداد لخلع صورة ولبس اخری.

الآیة السّابعة ـ قال الحسین بن عبدالرّحمن التّمّار(۲): انصرفت عن مجلس بعض

← علی(ع) مانصه (ص۱۳۹): «الثانی والتسعون وثلاثمائة الذی اعمی بدعائه لما اکذبه؛ **ثاقب المناقب** عن عمار الحضرمی عن زاد ان ابی عمیر ان رجلا حدث علیاً صلوات‌الله علیه فقال: ماأراك الاکذبتنی فقال: لم افعل فقال: ادعوالله علیك ان کنت کذبتنی قال: ادع؛ فدعا علیه فما برح حتی أعمی الله عینیه».

۱- انظر لملاحظة نظائره مدینة المعاجز، ص ۵۰ و ۱۴۱ــ۱۳۹.

۲-قال السید هاشم البحرانی ـ رحمه‌الله ـ فی مدینة المعاجز فی الباب الاول الذی فی ذکر معاجز امیرالمؤمنین(ع) مانصه(ص ۱۱۰): «الثالث والتسعون ومائتان تسکین الزلزلة علی عهد عمربن الخطاب ـ شرف‌الدین النجفی فی تأویل الایات الباهرة عن ابی‌الحسن محمد بن جمهور العمی قال: حدثنی الحسن بن عبدالرحیم التمار قال: انصرفت من مجلس بعض الفقهاء فمررت علی سلیمان الشاذکونی (فذکر الحدیث باختلاف یسیر لایضر اصل الواقعة ثم قال) وروی هذا الحدیث صاحب ثاقب المناقب».

اقول: وذکر فی مدینة‌المعاجز نظائرلها فمن ارادها فلیراجع ص ۱۱۰ و۱۱۱ وص ۱۳۴. ونقل المجلسی(ره) فی تاسع البحار فی اواخر باب ماظهر من معجزاته هذه المعجزة عن کنزالفوائد للکراجی(ره) فان شئت فراجع.

الفقهاء فمررت بسليم الشّاذكونيّ فقال لى: من اين اقبلت؟ـ فقلت: من مجلس فلان العالم قال: فما قوله؟ـ قلت: شيءٌ من كرامات عليّ ، قال: والله لاحدّثنّك بعظيمة سمعتها من قرشيّ عن قرشيّ عن قرشيّ قال: رجفت قبور البقيع على عهد عمربن الخطّاب فضجّ اهل المدينة من ذلك فخرج عمر ومعه اهل المدينة الى المصلّى يدعون الله تعالى لتسكن تلك الرّجفة فما زالت تزيد فى كلّ يوم الى ان تعدّى ذلك الى حيطان المدينة فقال عمر: انطلقوا بنا الى ابى الحسن علىّ بن أبي طالب؛ فمضوا اليه ودخلوا عليه فأخبروه الخبر، فقال علىّ بمائة من اصحاب رسول الله فاختار عليه السّلام من المائة عشرة فجعلهم خلفه وجعل التّسعين خلفهم ودعا سلمان و اباذرّ والمقداد وعمّاراً فجعلهم امامه وخرج بهم ولم يبق بالمدينة بنت عاتق الّا خرجت الى البقيع حتّى اذا توسّطه ضرب الارض برجله وقال: مالك؟! مالك؟! مالك؟! ثلاثاً؛ فسكنت الرّجفة فقال عليه السّلام: صدق حبيبى رسول الله صلّى الله عليه وآله ولقد أنبأنى بهذا الخبر وبهذا اليوم وباجتماع النّاس له.

الآية الثّامنة ـ علىّ التّمّار[1] قال: كان علىّ عليه السّلام يوماً فى مسجد الكوفة

١ـ قال السيد هاشم البحراني ـ رضى الله عنه ـ فى باب معجزات اميرالمؤمنين (ع) من كتاب مدينة المعاجز مانصه (ص ٧١): «الثامن والسبعون ومائة تحويل حصى المسجد جواهر واعادتها حصى ـ **الراوندى فى الخرائج** قال روى عن عمر بن يزيد عن الثمالى ان علياً (ع) كان قاعداً فى مسجد الكوفة وحوله اصحابه فقال له احد اصحابه: انى لاعجب من هذه الدنيا التى فى أيدى هؤلاء القوم وليست عندكم؟! فقال: اترى انا نريد الدنيا فلانعطاها ثم قبض قبضة من حصى المسجد وفتح كفه علينا فاذاً هى الجواهر تلمع و تزهر فقال: ماهذه؟ ـ فنظرنا فقلنا: اجود الجواهر فقال: لواردنا الدنيا لكانت لنا ولكن لانريدها ثم رمى بالجواهر من كفه فعادت كما كانت حصىً: **ورواه الصفار فى بصائر الدرجات** عن عمر بن على بن عمر بن يزيد عن على بن النعمان عن بعض من حدثه عن اميرالمؤمنين صلوات الله عليه انه كان مع اصحابه فى مسجد الكوفة وذكر الحديث بعينه. **ورواه المفيد فى الاختصاص** عن ←

فقال له رجل: بابى انت وامّى ياامير المؤمنين انّى لاتعجّب من هذه الدّنيا التّى فى ايدى من يبغضه الله وليست عندكم؟! فقال له: اترى انّا نريد الدّنيا ولانعطاها؟! ثمّ قبض قبضةً من الحصى فاذاً هى جوهر، فقال: ماهذا؟ - فقال الرّجل: انّه من اثمن الجواهر وانفسها، فقال: لو اردنا لكان ثمّ رمى بالحصى فعاد كما كان.

الآية التّاسعة - الحسن العلوىّ قال[1]: اتانا اميرالمؤمنين عليه السّلام و كنت يومئذٍ غلاماً يافعاً فدخل منزله (فى حديث طويلٍ) ثم خرج وتبعه النّاس فلمّا صار الى

← عمربن على بن عمربن يزيد عن **على بن التمار** عمن حدثه عن اميرالمؤمنين صلوات الله عليه انه كان مع بعض اصحابه فى مسجد الكوفة فقال له رجل؛ وذكرالحديث بعينه».

اقول: قد ذكر حديث البصائر بعد ذلك وجعله المعجز الرابع عشر ومائتين وقال بعده: **قلت**: قدمر هذا الحديث وماشاكله فيما تقدم».

١- نقله السيد هاشم البحرانى(ره) فى مدينة المعاجز هكذا (ص ٨٥):

« الثالث عشر ومائتان اخراجه الدنانير من الارض- **محمدبن الحسن الصفار** قال: حدثنى على بن ابراهيم الجعفرى قال: حدثنى ابوعلى العباسى عن محمد بن سليمان الحذاء البصرى **قال**: لما افتتح اميرالمؤمنين (ع) البصرة فقال: من يدلنا على دار ربيع بن حكيم قال له الحسن البصرى: انا يا اباالحسن اميرالمؤمنين **قال**: وكنت يومئذ غلاماً قد ايفعت ثم خرج واتبعه الناس فلما ان صار الى الجبانة نزل واكتنفه الناس فخط بسوطه خطةفأخرج ديناراً حتى اخرج ثلاثة دنانير فقلبها فى يده حتى أبصرها الناس ثم ردها وغرسها بابهامه فقال ليليك بعدى امسىء او محسن ثم ركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله و انصرف الى منزله.

و اخذنا الغلام واردنا الموضع فحفرنا حتى بلغنا الرسخ فلم نصب شيئاً فقيل للحسن: ياباسعيد مانرى ذلك من اميرالمؤمنين؟- فقال: اما انا فلاارى ان كنوزالارض تسيرالا لمثله.

ورواه المفيدفى الاختصاص عن محمدبن سليمان الحذاء البصرى عن رجل عن الحسن بن ابى الحسن البصرى وذكرالحديث بتغيير فى بعض الالفاظ الا انه لايغيرالمعنى المذكورهنا».

الجبّانة نزل واكتنفه النّاس فخطّ بسوطه خطّاً فأخرج منه ديناراً ثم خطّ خطّاً آخر فأخرج منه ديناراً ثمّ فعل ذلك ثالثة حتّى اخرج ثلاثة دنانير فأخذها وقلبها فی يده حتّى ابصرها النّاس ثمّ ردّها وغرزها بابهامه ثم قال: ليليك بعدی محسن او مسیء ثمّ ركب بغلة رسول الله صلّی الله عليه وآله وانصرف الى منزله.

فأخذنا الفلاح وصرنا الى الموضع فاحتفر حتّى بلغ الرسغ[1] فلم يصب شيئاً فقيل للحسن : ماترى ؟ــ فقال: امّا انا فلا ارى انّ كنوز الارض تظهر الّا لمثله .

الآية العاشرة ـ أبومهاجر زيدبن رواحة العبدیّ قال: دخلت مسجد الكوفة فاذاً رجلٌ قد أكبّ عليه النّاس وهويحدّثهم وهم يسمعون ويكتبون عنه؛ فسألت عنه فقيل : هورجلٌ شهد مع أميرالمؤمنين البصرة وصفّين و النّهروان وهو ذو شرفٍ وعقلٍ فدنوت منه فاذا هويحدّث عن علیٍّ ويقول: سمعت ورأيت؛ فصبرت حتّى انفضّ عنه أكثر النّاس وقلت له: أنا رجلٌ من اهل البصرة خرجت لطلب العلم و أحببت ان أسمع منك شيئاً أحدّث به عنك فأخذ فی ذمّ [أهل] البصرة و توبيخهم على ما كان منهم ، فقلت: أيّها الشّيخ لقد عممت أهل البصرة وقدكان فيهم البرّ والفاجر والسّعيد والشّقیّ ، قال: صدقت فمن انت ؟ ــ فقلت: أنا رجلٌ من عبدالقيس فقال: مرحباً بك ثمّ نهض بی الى منزله فأحسن ضيافتی وقال: سمعت اميرالمؤمنين عليه السّلام يقول: قيّدوا العلم بالكتابة وقام فأخرج صحيفة ففتحها وقرأ علیّ :

---

١ - ا ب : «الوسع» د: «الرسغ».

٢ - اعلم ياأخی انی راجعت بعض مظان نقل الحديث ولم اجده وليس لی الان وقت وحال للمراجعة لرمدٍ قدعرض لبصری و وجعٍ حدث فی عينی وقدآلمنی فعليهذا لم اتمكن من استقصاء جميع مظان ذكر الحديث حتى اظفر به واشير الى موضعه هنالك فمن اراد موضعه فليخض مظانه وهی جميع كتب المناقب والسير والمعجزات واظن انه مأخوذ من شرح ابن ابی الحديد فعليك بالفحص والبحث عنه حتى تظفر به ان شاء الله تعالى.

حدّثني ربيعة بن سالم الهمذانيّ قال : لمّا كان اليوم الّذى قتل فيه عمّار بن ياسر رحمه‌الله وكان ابتداؤنا من صفّين حرباً وطعناً فوقفت وأشرفت على النّاس وقد تزحزحوا عن مقاماتهم يتكفّؤن تكفّؤ السّفينة بأهلها فمن بين متقدّم لقتال ومتأخّر عن[1] كلال؛ والامر فى غاية العسر والنّاس فى نهاية الحال من العطش وقد أخذ العدوّ الماء ووطىء[2] الموارد وقد مدّت الخيل أعناقها ولجمها وعضّت[3] على الشّكائم وقهقرت[4] على اكفالها وتداعى النّاس بآبائهم، واعتزوا الى انسابهم، والنّساء على المطايا خلال الصّفوف يحرّضن[5] الرّجال على القتال والنّاس قد عاينوا الثّواب واستيقنوا المآب فعند ذلك اتّكأت على رمحى وقلبت وجهى وأرجعت[6] طرفى الى السّماء وقلت فى نفسى : يارب هذا أخونبيّك ووصيّه، وأحبّ الخلق اليه وأنصرهم له، وأعلمهم بالدّين وأهداهم للحقّ المبين، وقد ترى ماترى؛ ولك[7] الخلق والأمر تصيب برحمتك من تشاء[8] وقد ضعفت عن حمل ذلك فأبح[9] اللّهم لى ما تثبّت به قلبي وتذهب به نزغ الشّيطان[10] الرّجيم قال ربيعة: فلم أستتمّ الدّعاء واذاً أنا بمقرعة بين كتفيّ؛ فالتفتّ فاذا أنا بأمير المؤمنين عليه‌السّلام وهو

١- ب د : «من». ٢- ا ج د : «حط» فكأن كلمة المتن من «وطىء (كعلم) ارض العدو اى دخلها». ٣- ج : «غطت» (بالغين المعجمة وتشديد الطاء المهملة) د : «عطت» (بالعين المهلة وتشديد الطاء المهملة). ٤- ا ب : «قهقر» ج د : «تقهقرت» و قهقر و تقهقر بمعنىّ؛ يقال : «قهقر الرجل و تقهقر = رجع الى خلف؛ والرجل يقهقر فى مشيته وذلك اذا تراجع على قفاه». ٥- ا : «عرض» ب : «يحرض» ج د : «يخوض». ٦- ج د : « رجعت» وهما بمعنى؛ من قولهم : «رجع (كضرب) اليه رجعاً ومرجعاً (بفتح الجيم وكسرها) صرفه ورده ؛ لازم متعد» ومن معانى أرجعه أيضاً رده وصرفه. ٧- ا : «فلله» ب : «ولله». ٨- ا ب : يصيب برحمته من يشاء». ٩- كأنه من قولهم : «أباحه سراً فباح به بوحاً اى ابثه اياه فلم يكتمه». ١٠- نزغ الشيطان وساوسه ونخسه فى القلب بما يسول للانسان من المعاصى من قولهم : «نزغه الشيطان الى المعاصى اى حثه وأغراه».

على بغلة رسول الله وبيده عنزة رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال لى : ياربيعة لشدّ[١] ما جزعت ؛ انّما النّاس رائحٌ ومقيمٌ ؛ فالرّائح من تحت هذا اللّواء الى جنّة المأوى والى سدرة المنتهى عرضها كعرض السّماء والأرض اعدّت للمتّقين[٢] ، والمقيم بين اثنتين ؛ امّا نعمةٍ مقبلةٍ اوفتنةٍ مضلّةٍ ، ياربيعة حيّ على معرفة ماسألت ربّك ومن يفرى الارض فرياً؛ فاتّبعته حتّى خرج عن المعسكر وجازه[٣] بمقدار ميلٍ اونحوه وثنى برجله عن البغلة فنزل وخرّ على الارض فى الدّعاء يقلّب[٤] كفّيه ظهراً و بطناً ؛ فما ردّ يده حتّى نشأت سحابة كأنّها هقل[٥] نعام حتّى أظلّتنا ؛ فماعدا ظلّها [٦] مركبينا[٧] ثمّ هطلت بشىءٍ كأفواه القرب حتّى شرب فرسى من تحت حافره وملأت مزادتى فارتويت وروى فرسى ، ثمّ عاد فركب بغلته وأدنى الى العسكر فتركنى وانغمس فى النّاس.

وهذه الآية ايضاً كما تدلّ على قدرته على استنزال البركات بدعائه الّذى لاحجاب دونه كذلك تدلّ على اطّلاعه على المغيبات اذ أخبر ربيعة بما فى نفسه و وبّخه عليه .

واعلم انّ ماذكرناه من هذه الآثار قطرةٌ من بحار مايورد فى هذا الباب؛ وفيه كفايةٌ للنّاظرين بعين الانصاف .

ولنا فى اثبات هذا المطلوب بهذه الاخبار طريقان:

احدهما[٨]ـ انّ جماعة ادّعوا انّ هذه الاخبار كلّ واحد واحد منها معلوم بالتّواتر

---

١ ـ ا : « اشد ». ٢ ـ اخذ واقتباس من آيتين ؛ احداهما آية ٢١ سورة الحديد وثانيتهما آية ١٣٣ سورة آل‌عمران. ٣ـ ا: «حازه» وكلمة المتن من قولهم: «جاز الموضع يجوزه اى خلفه (بتشديد اللام) وتركه خلفه وقطعه». ٤ـ ا : «فقلب». ٥ـ ا : «مقل» (بالميم بدل الهاء فى اول الكلمة) والهقل بالكسر الفتى من النعام وقيل: الهقل الظليم مطلقاً ولا اختصاص له بالفتى . ٦ـ ا : فماعدا ظلنا». ٧ـ ب : « مركبتنا» د : « مركبنا ». ٨ ـ ا : «احداهما».

ثمّ قالوا: ليس للخصم ان يقول: لو كان ذلك متواتراً لوجب ان يكون ضروريّاً عند كافّة الخلق لما انّ هذه الوقائع من الوقائع الكبار الّتی تتوفّر الدّواعی علی نقلها و لما اختصصتم بالعلم بهدون غيركم لانّ لنا ان نجيب عن ذلك بانّ شرط التّواتر ان لايكون قدسبق الی اعتقـاد السّامع له شبهة تقليد نفی موجب الخبر المنقول فانّه لوسبق الی اعتقاده ذلك لم يعتقد صحّته لعدم امكان اعتقاد صحّة الخبر مع اعتقاد صحّة ما ينافيه فلعلّ الخصم لرسوخ نقائض هذه الاخبار فی ذهنه لايعتقد صحّتها .

الطريق الثّانی وهو[1] الاقرب الی الانصاف انّ هذه الاخبار غير متواترة لفظاً لكنّا نقول: انّها متواترة تواتراً معنويّاً بمعنی انّا نعلم بالضّرورة عند سماع هذه الاخبار الكثيرة المختلفة الطّرق مع اتّفاقها علی اثبات هذين النّوعين من الكرامات له علماً جمليّاً انّها بأجمعها لاتكون كاذبة بل لابدّ من صدق شیء منهـا وايّها صدق ففيه تمـام الغرض من اثبات هذه المطالب .

ثمّ اعلم انّه لايمكنك ايّها الملاحظ لجلال الله المتحرّی سلوك الصّراط المستقيم ان تستنكر بصريح عقلك شيئاً من ذلك بعد ان أعلمناك امكانـه من مذاهب الطّبيعة وأشرنا لك الی[2] اسبابه الكلّيّة فی القسم الاوّل ولعلّ فی قوّتك امكان هذه الامور أو شیء منها لو قد اخذ التّوفيق بزمام عقلك فأيقظك من رقدة[3] الطّبيعة فاطّلعت علی خيـانة اعدائك الّذين هم فی صورة اصدقاتك وغاشّيك الّذين هم فی زیّ نصحائك فقهرتهم[4] حتّی انقادوا خلفك الی بساط الكرامة وحلول[5] دار المقامة فانّی احسبك حينئذٍ تعلم جليّة مااشتبه الآن[6] خبره وحقيقة ماانطمس عن عينك اثره .

١- ا ب : «وهی». ٢ ـ ا : « ان » . ٣ ـ ب ج : « سرقد » . ٤ـ ا : « فنهرتهم » . ٥ـ ا : « حلوا » . ٦ـ د : «الآل».

والله تعالى يوفّقنا وايّاك لما يحبّه ويرضاه بمنّه وجوده وما توفيقى الّا بالله عليه توكّلت واليه انيب وهوحسبي ونعم الوكيل، والحمدلله حقّ حمده وصلّى الله على اشرف خلقه وآله وجنده واصحابه اجمعين.

[صورة ما فى آخر النّسخة الّتى أسّس عليها أساس الّطبع]

وتمّ الكتاب بعون الملكالوهّاب القوىّ الغلاّب ليلة السّبت عشيّة الخامسة من شهرربيع ا[لا]وّل سنة سبعين وثمانمئين من هجرة سيّد المرسلين على يد العبد الفقيرالمحتاج الى ربّه القدير فى التّجاوز عن سيّئاته وغفران هفواته والعون على قضاء حاجاته حسن بن محمّدبن علىّ بن مشرّف العينانىّ - أصلح الله داريه ووفّقه للخير وأعانه عليه - انّه جوادٌ كريمٌ، خدمةً للّشيخ التّقىّ والشّهاب المضىّ الّذى تسنّم من الفضائل أعلى باب وتلبّس من التّقى والعفّة أحسن جلباب الّشيخ شمس الملّة والدّين محمّد بن . . . لازالت ايّامه لامعةً بالاقبال ولياليه مقمرة لايغادرها . . . بمحمّد وآله خير آل.

نجز طبع الكتاب بعون الله الملك الوهّاب
لثلاث ليالٍ بقين من المحرّم الحرام من سنة ١٣٩٠ الهجرة النّبويّة
موافقاً لتاريخ ١٥/١/١٣٤٩ ه ش.

فهرس موضوعات الكتاب

الفصل الرّابع في الاشارة الى بعض احوال السّالكين الى الله تعالى؛ وفيه أبحاث:

الفصل الخامس فى بيان احكام اخرى للنفوس الكاملة؛ وفيه بحثان:

القسم الثانى فى المقاصد؛ وفيه فصول:

الفصل الاوّل فى المباحث المتعلّقة بالعقل والعلم والجهل والظنّ والنّظر

الفصل الثانی

فی المباحث المتعلّقة بالاخلاق الرضيّة والرّديّة والآداب المتعلّقة بها

الفصل الثالث

فى المباحث المتعلّقة بالآداب والمواعظ والحكم المصلحيّة

القسم الثالث فى اللواحق و التتمات و فيه فصلان:

الفصل الاوّل ـ فى انّ عليّاً(ع) كان مستجمعاً لجميع الفضائل الانسانيّة؛ وفيه بحثان:

الفصل الثانى فى بيان اطلاعه على المغيبات و تمكنه من خوارق العادات؛ وفيه بحثان:

البحث الثاني في بيان تمكنه(ع) من الافعال الخارقة للعادة

ويذكر فيه عشر آيات :

<[* تم الفهرس *]>

كلام علىٍّ كلامٌ علىٌّ   وما قاله المرتضى مرتضى

مانمقه عبدالوهاب
فى شرح كلمات
امير المومنين علىّ بن ابى طالب
عليه السّلام

عنى بطبعه و نشره و تصحيحه والتعليق عليه

ميرجلال الدّين الحسينىّ الارموىّ

المحدّث

منشورات

مؤسسة الأعلمى للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص ب : ٧١٢٠



أحمدك يامن بتوفيقه تصريف[1] القلوب النّاظرة نحوجنابه[2]، وبتيسيره[3] توجيه[4] الوجوه النّاضرة تلقاء بابه، وأُصلّي على سيّدنا محمّدٍ المضموم الى حروف سيوفه[5] فتح الأرجاء والاطراف، والمكسور بظهور دينه ظهور الكفرة من الأخلاف والأسلاف، وعلى آله وأصحابه الّذين هم قواعد لبناء الاسلام، وشواهد بالاعراب عن حجج الحقّ بين الانام.

وبعد

فهذه وريقاتٌ نمقتها على الكلمات الشّريفة والعبارات اللّطيفة المنسوبة الى الامام الهُمام جامع الكلمات العظام أمير المؤمنين و امام المتّقين عليّ الرّضيّ المرتضى ابن عمّ الرّسول المصطفى كرّم الله تعالى وجهه ورزقنا الله فى غرف الجنان جواره، وأنا أسأل الله تعالى الاعانة فى كلّ حال والاستقامة فى الأقوال والأفعال ؛ ماتداولت على الألسن الكلمات الدّوالّ، وتقابلت الأزمن؛ الحال والماضى والاستقبال، انّه بالاجابة جديرٌ وهو على كلّ شيءٍ قدير.

---

١ - **فى الحاشية** :«مصدر صرف على بناء المجهول بمعنى صرف والتشديد للمبالغة، **والمعنى** ان كون القلوب مصروفة ممنوعة عمالايليق بشأن الله تعالى مجذوبة مردودة الى جهة عرفانه بما هو كمال له فى ذاته وصفاته و أفعاله أمر لايكاد يحصل الا بتوفيقه وحسن اعانته؛ منه».

٢- **قال فى الهامش** : « جناب الشيء قربه و فناؤه وكذا الحضرة والمراد بالجناب ههنا نفس الذات».

٣- **فى الهامش** : «مع كمال السعى والمبادرة و وفور الجد والمواظبة؛ منه».

٤ - **فى الهامش** : « بمعنى التوجه مصدر المجهول».

٥- **فى الحاشية**: «جمع السيوف اما للتعظيم او لاعتبار جميع المسلمين بينهم لكون محاربتهم لاظهار دينه ؛ منه».

١- قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ[١] عَنّى مَا ازْدَدْتُ يَقِيناً[٢]

اقول : لو حرف شرط ، و **الكشف** الابانة؛ وههنا بمعنى الازالة، و **الغطاء** مايستر به الشّيء، و**الازدياد** افتعال من الزّيادة، و **اليقين** هو الاعتقاد الجازم الثّابت المطابق للواقع.

المعنى لو أزيل الحجاب عمّا يجب الايمان به من المغيبات كأحوال الآخرة مثلاً امّا بالموت او بالمكاشفة لم يتطرّق الزّيادة فى يقينى بل هو مستمرٌّ فى جميع الأزمان، ومستقرٌّ على ما كان؛ بلازيادةٍ ولانقصان ، ويتساوى معاينة المؤمن به ومغايبته.

فان قيل: انّ « لو » لانتفاء الثّانى بسبب انتفاء الاوّل فيلزم وقوع الزّيادة؟ **قلنا: انّ «لو» تستعمل لمعانٍ ثلاثة ؛ أحدها** ـ وهو الأصل ماذكر، **والثّانى** ـ الاستدلال بانتفاء الثّانى على انتفاء الاوّل؛ ومنه قوله تعالى: لوكان فيهما آلهةٌ الّا الله لفسدتا ، **والثّالث** ـ كون الجزاء لازم الوجود فى جميع الأزمنة فى قصد المتكلّم وهو المراد ههنا وذلك اذا علّق الجزاء بنقيض مايلائمه نحو قولك: لو أهنتنى لأكرمتك، ومنه قوله عليه السّلام: نعم العبد صهيبٌ لو لم يخف الله لم يعصه.

---

١ - **فى الهامش** : « وفى الكلام استعارة مكنية و تخييلية وتبعية حيث شبه الامور المغيبة فى خزائن علمه تعالى مضمراً فى نفسه بالاشياء القيمية المحفوظة فى المنازل الحصينة الرصينة فى الرغبة و الميلان مثل البيوت التى لها ابواب و ستور يحفظ فيها الاموال النفيسة وأثبت لها الغطاء الذى هو من لوازم المشبه به و اعتبر الاستعارة اولا بين الكشف والازالة اصالة و بين فعلهما تبعاً؛ منه».

٢- **فى الحاشية** : « وفى الرسالة القشيرية وقال الجنيد : اليقين هو استقرار العلم الذى لاينقلب ولايحول ولايتغير فى القلب، وقيل : اليقين زوال المعارضات ، وقال بعضهم: اليقين هو المكاشفة وقال النووى: اليقين هو المشاهدة ؛ منه».

وههنا سؤالٌ مشهورٌ وهو انّ ابراهيم عليه السّلام أشار بقولـه: ولكن ليطمئنّ قلبي؛ الى انّ ايمانه يزداد و يتقوّى بانضمام المعاينة؛ والمفهوم من هذا الكلام انّ عليّاً رضي‌الله عنه لايتقوّى ايمانـه بانضمامها وهذا يؤدّى الى تفضيل الوليّ على النّبيّ [1] عليه الصّلوة والسّلام.

والجواب انّ عليّاً رضي‌الله عنه قاله على وجه المبالغة لاعلى وجه التّحقيق **يعنى** انّه بالغ فى اتّصافه بحقيقة الايمان وكمال الاتقان وجعل ماحصل له من التّقوّى بتقدير المعاينة بمنزلة غيرالحاصل. **اونقول:** انّ درجات السّلوك متفاوتةٌ [2] والمقامات غيرمتناهية فلايبعد ان يكون صدورهذا القول منه رضي الله عنه فى زمان صارت الغيوب فيه كالشّهود وهو المسمّى فى لسان أهل التّصوّف بأنّه بالمكاشفة؛ وبأنّه بالمشاهدة، وصدور ما قاله عليه‌الصّلوة والسّلام ليس كذلك، **ويمكن ان يقال** : انّ ما أثبت صلّى‌الله عليه وسلّم هوالطّمأنينة والتّقوّى وما نفاه عليٌّ رضي الله عنه هوالزّيادة وهو أخصّ من التّقوّى [3] لانّ ازدياد العلم انّما هو بازدياد المعلوم ولا كذلك تقوّيه؛فانّه قد يكون بقوّة أسبابـه وكثرة مقتضياته؛ونفى الأخصّ لايوجب نفى الأعمّ فلايلزم التّفضيل.

١- هذا السؤال مبنى على افضلية الانبياء على الاوصياء على الاطلاق وليس هذا الاعتقاد بمرضى عندالشيعة ولاسيما متأخريهم فانهم قد أطبقوا على افضلية الائمة الاثنى عشر على الانبياء مطلقاً ولاسيما أفضلية اميرالمؤمنين على عليه‌السلام فانه قد صار مسلماً مفروغاً عنه عندهم فالسؤال غير وارد على مبناهم حتى يحتاج الى الجواب.

٢- **فى الهامش** : «كما يقال : مشاهدة الابرار بين التجلى والاستتار يعنى ان الخواص لايدوم لهم التجلى بل هم بين كشف وستر؛ منه».

٣- **فى الحاشية** : «يعنى بحسب التحقيق والوجود لابحسب الصدق والحمل فانهما متباينان بهذا الاعتبار لان الزيادة والنقصان من قبيل الكم والقوة والضعف من قبيل الكيف؛ فتأمل، منه».

٢ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

النَّاسُ نِيامٌ فَاِذا ماتُوا انْتَبَهُوا .

اقول: الظّاهر انّ الّلام للاستغراق لانّ لكلّ أحدٍ غفلةً مادام فى الدّنيا فلايبعد ان يعرض لأرباب المكاشفة فى تلك الحالة غفلة مناسبة لحاله كما يشير اليه قوله عليه الصّلوة والسّلام : انّه ليغـان على قلبى ؛ الحديث ، **واصل النّاس أناسٌ** لقولهم : إنس و إنسان حذفت همزته للتّخفيف وجعل لام التّعريف عوضاً عنها ؛ ولذلك لايكاد يجمع بينهما ، وقول الشّاعر :

انّ المنـايا يطّلعـــــن على الاناس الآمنينا

محكومٌ عليه بأنّه شاذٌ مأخوذٌ من أنس لانّهم يستأنسون بأمثـالهم او آنس بمعنى أبصر لانّهم ظاهرون مبصرون . **وقيل :** انّه مأخوذٌ من النّسيان او من ناس ينوس اذا تحرّك ؛ فعلى هذا لاهمزة فيه ولاحذف ، وعلى القول بأنّه من النّسيان اصله: نسى؛ قلبت الياء مكان السّين فصار نيساً؛ ثمّ قلبت ألفاً فصار ناساً ، **واختلف فى أنّه جمعٌ اواسم جمعٍ** ؛ ذهب صاحب الكشّاف وتبعه القاضى الى انّه اسم جمعٍ ؛اذ لم يثبت فعال فى أبنية الجمع، والجوهرىّ الى انّه جمعٌ ،و **النّيام** جمع نائمٍ كالقيام جمع قائم؛ اصله نوام قلبت واوه ياءً لكسرة ماقبلها،**وامّا قاعدة** انّ الجمع يردّ الاشياء الى أصولها ؛انّما تدلّ على وجوب وجود الرّدّ لاعلى بقاء الصّيغة على اصل الحرف بعد الرّدّ ألاترى يقال فى جمع دمٍ دماءٌ بعد الرّدّ الى الواو ثمّ بقلبه الى الهمزة؛ **ويمكن ان يقال :** انّ الياء المقلوبة عن الواو واوٌ حكماً كهمزة حمراء فانّها الف تأنيثٍ حكماً لكونها مقلوبةً منها ولهذا لايقال فى نسبته حمرائىّ لئلّا يقع حرف التّأنيث فى الوسط بل حمراوىّ .

فان قلت : الواو المقلوبة من الهمزة المقلوبة من ألف التّأنيث حرف تأنيث حكماً

فكيف تقع فى الوسط ؟ — **قلت**: قد ضعف حكم التّأنيث فيها لكونها بالواسطة فلاتأخذ حكمها ، و **اذا** للمستقبل[١] كما انّ اذ للماضى ؛ ولمّا كان الموت محقّق الوقوع جىء بصيغة الماضى، و**الموت** ضدّ الحيوة[٢] اوعدمها على اختلاف بينهم، و **الانتباه** التّيقّظ وزوال الغفلة وفى ذكر النّوم والموت والانتباه من صنعة مراعاة النّظير والتّضادّ كما لايخفى.

المعنى انّ جميع النّاس نائمون نوم الغفلة عن أمورالآخرة ماداموا فى الحياة الفانية والقوى المتناهية؛فاذا ماتواوصاروا أحياءً بالحياة الباقية الدّائمة تيقّظوا وزالت غفلتهم ثمّ وقعوافى النّدم على كانوا عليه من الاعمال الرّديّة والاخلاق الدّنيّة مع علمهم بأنّه لاينفع، فالأحرى والأجدر بكلّ[٣] مؤمنٍ ان يتنبّه عن نومة الغفلة ويميت نفسه بقطع العوائق الدّنيويّة وخلع العلائق النّفسانيّة ليصل الى مقام: موتوا قبل ان تموتوا؛ويخلص عن النّدم بعد الموت ويحيى حيوةً طيّبةً دائمةً فى جوار الرّحمن ، اللّهمّ نبّهنا عن نومة الغافلين، واجعلنا من الّذين لاخوفٌ عليهم ولاهم يحزنون[٢].

---

١ - فى هامش الكتاب : « و اصل اذا الجزم بوقوعه فى اعتقاد المتكلم ولذلك عكس لفظ الماضى مع اذا لان الماضى أقرب الى القطع نظراً الى وضعه ، منه».

٢ - قال فى الهامش : « و الموت ضد الحياة فحينئذ يكون عرضاً موجوداً مخلوقاً لقوله تعالى : خلق الموت والحيوة، ورد بأن الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة ولوسلم فالمعنى خلق مصحح الحياة و مصحح الموت ولو سلم فأعدام الملكات مخلوقة لما لها من شائبة التحقيق ، سعدالدين».

٣- قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

النّاسُ بِزَمانِهِمْ أَشْبَهُ مِنْهُمْ بِآبائِهِمْ.

اقول : النّاس مبتدءٌ و **أشبه** خبره مع إفراده لالتزامهم الافراد مع التّذكير فى أفعل من ، **قوله : بزمانهم** ؛ متعلّق بأشبه باعتبار الزّيادة ، و **قوله : بآبائهم** ؛ متعلّق به باعتبارالاصل فلايرد عليه كون الشّىء الواحد مفضّلاً ومفضّلاً عليه من جهةٍ واحدةٍ بل التّفضيل راجعٌ فى الحقيقة الى مأخذ أفعل التّفضيل فكأنّه قال : شبه النّاس بزمانهم أزيد وأكثر من شبههم بآبائهم .

المعنى انّ جميع النّاس يوافقون الزمان أكثر موافقةٍ ويشابهونه أشدّ مشابهةٍ ؛ حتّى اذا رأوا أحداً جعله الدّهر ذاالجاه طيّب الاحوال وكثيرالاموال وصاحب الخدم والحشم مع كونه أدنى نسباً وحسباً وأقلّ علماً وأدباً يعظّمونه أشدّ تعظيمٍ ويكرّمونه أعظم تكريمٍ ويحبّونه أتمّ محبّةٍ ويودّونه أكمل مودّةٍ ؛ وان كان بينه وبين آبائهم عداوةٌ ظاهرةٌ ومخالفةٌ بيّنةٌ ، واذا رأوا أحداً على خلاف ذلك يحقّرونه[1] كلّ الحقارة ويهينونه حقّ الاهانة؛ وان كان بينه وبين آبائهم محبّةٌ قديمةٌ ومودّةٌ مستديمةٌ[2].

١-كذا فى الاصل بتشديد القاف على انه من باب التفعيل وهو صحيح الا ان قراءته بصيغة المجرد ايضاً صحيح وعليه قول من قال:

« ان المعلم والطبيب كلاهما   لاينصحان اذا هما لم يكرما »

«فاصبر لدائك ان جفوت طبيبه   واقنع بجهلك، ان حقرت معلما»

٢- **وفى الهامش** : «ويحتمل ان يكون المعنى ان الناس تشبهوا بالزمان فى الاتيان بعكس المراد واظهار الفتنة والفساد و تركوا الاقتداء بآبائهم فى المروة والاحسان كأنهم لم يخلقوا من مائهم وخرجوا من صلب الزمان الذى يعرف بالدور على خلاف المراد، منه».

٤ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

مٰا هَلَكَ امْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَهُ.

اقول : اى مقداره ومرتبته ومنزلته.

يعنى انّ من عرف ماقدّر له وحدّ شرعاً وعمل بمقتضاه لم يجز حدّ الجواز ولم يقع فى حمى المحارم فلاجرم لايجد الهلاك اليه سبيلاً ، وكذا من عرف مقداره ومرتبته عرفاً فى كلّ أمرٍ لم يجترئ على شيءٍ ليس هو بأهلٍ له ولاقادرٍ عليه مثلاً من عرف أنّه لم يكن أهل الشّجاعة لم يلق نفسه الى المهالك والمحارب ، وكذا من عرف أنّه ليس بأهل العلم لم يسم بسيماء العلماء ، وكذا سائر الفضائل والكمالات ، ويدلّ على هذا الكلام بمفهومه انّ من ساق نفسه الى أمرٍ خارجٍ عن مقداره متجاوزٍ عن حدّه ومرتبته فقد عرّض نفسه على الهلاك حقيقةً كالجبان الّذى يتشجّع ويدخل فى الحرب اومعنىً كالجاهل الّذى يتشبّه بالعالم ويجلس فى مجلس العلم والتّدرّس اوخوف الهلاك كالفاسق فانّه يخاف عليه من الهلاك عاجلاً او آجلاً .

٥ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مٰا يُحْسِنُهُ.

اقول : يحسن من أحسن الشّيء اذا علمه حاذقاً فيه.

يعنى عزّة كل شخصٍ واحترامه بين النّاس بمقدار علمه؛ فاذا شئت زيادة قيمتك فزد علمك فانّ زيادة القيمة ونقصانها باعتبار العلم؛ ألاترى انّ العبد يباع بثمنٍ غالٍ اذا كان يعلم القرآن او الكتابة او الخياطة او غيرها ؛ ولقد أحسن من قال : الرّوث شيءٌ والجاهل ليس بشيءٍ ، **ويحتمل** ان يكون من الاحسان بالمواهب **فيكون المعنى** انّ من

كان كثير العطاء كان اكثر قيمةً وأوفر عزّةً؛ ومن كان قليل العطاء يكون أدنى منه، ومن ليس له عطاءٌ اصلاً فلاعزّة له قطعاً؛ والاوّل أنسب.

٦ ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ.

اقول: نفس الشّيء ذاته وهى الّتى يشير اليها كلّ أحدٍ بقوله: أنا.

يعنى من عرف نفسه بالامكان والحدوث والعجز والاحتياج فقد عرف ربّه بالوجوب والقدم و القدرة الكاملة و الاحتياج اليه فمعرفة النّفس دليلٌ كافٍ فى معرفة الله تعالى؛ فمن لم يعرف نفسه و لم يستدلّ بها على الصّانع مع أنّها أقوى الادلّة وأقربها فكيف يعرف ربّه بدليلٍ آخر؟!

٧ ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

اَلْمَرْءُ مَخْبُوٌّ تَحْتَ لِسانِهِ.

اقول: [مخبوّ] من الخبء و أصله مخبوء مثل مقروٍّ أصله مقروء؛ قلبت الهمزة واواً ثم أدغمت للتّخفيف.

يعنى كمال المرء ونقصانه مخفىٌّ ومستورٌ ما لم يحرّك لسانه؛ فاذا حرّكه وتكلّم يظهر حاله؛ فاذا كان كلامه ممّا يستحسنه العقول ويتلقّاه الفحول بالقبول يظهر فضله و كماله، وان كان ممّا يستنكر سماعه ويستقبح اصغاؤه تبيّن من السّفه والنّقصان حاله؛ بيت بالفارسيّة:

تا مرد سخن نگفته باشد   عيب و هنرش نهفته باشد[1]

---

١ - البيت لسعدى وبعده:

هر پيسه گمان مبر نهالى   باشد كه پلنگ خفته باشد ←

٨ ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

بِالْبِرِّ يُسْتَعْبَدُ الْحُرُّ.

اقول : يعنى من أراد ان يستخدم الأحرار و يجعلهم كالعبيد لـه فليحسن لهم ببذل الأموال و الاطعام و بشاشة الوجه و إلانـة الكلام فحينئذٍ يرغب كلّ أحدٍ فى خدمته ولم يرالانفكاك عن حضرته بدلالة : الانسان عبيد الاحسان، ومن لم يكن من البرّ فى شيءٍ ولم يلاطف أحداً لايراوده أحدٌ ويتركه عبيده وحيداً فضلاً عن غيرهم؛ بيت[1] :

← هذا بناءً على ما فى گلستان المصحح بتصحيح المرحوم الاستاذ عبدالعظيم الكرگانى القريب (انظر الباب الاول؛ ص١٩) وصرح الاستاذ المذكور فى ذيل الصفحة بان المصراع الثانى من البيت الثانى فى اغلب النسخ هكذا «هر بيشه گمان مبركه خاليست». وذكر ان «نهال» بالفارسية بمعنى الصيد ونص عبارته هكذا « نهال بكسر نون شكار يعنى هر سياه و سفيدى را كه دركوه بينى گمان مبر شكاراست شايد پلنگ خوابيده باشد».

اقول: لهذا البيت قراءة اخرى وهى مافى اغلب النسخ كما اشاراليه الاستاذ القريب ـ رحمه الله ـ وهو المشهور وبهذا المنوال :

« هر بيشه گمان مبركه خاليست　　　شايد كه پلنگ خفته باشد »

وطالب البحث عنه يخوض بحر الادب الفارسى اذ ليس البيت مما ذكر فى المتن حتى نضطر الى البحث عنه وهذا المقدار من الاشارة يكفى فى المقام.

---

١ ـ هذا البيت ايضاً لسعدى ذكره فى گلستان وقبله

هركه فريادرس روز مصيبت خواهد　　　گو در ايام سلامت بجوانمردى كوش

(انظر الباب الاول؛ ص٢٦ من النسخة المطبوعة بتصحيح الاستاذ عبدالعظيم القريب ـ رحمه الله ـ بطهران سنة١٣١٠ من التاريخ الهجرى الشمسى).

بندهٔ حلقه بگوش ارننوازی برود　　　لطف کن لطف که بیگانه شود حلقه‌بگوش

۹ـ قال أمیر المؤمنین رضی الله عنه:

مَنْ عَذُبَ لِسانُهُ کَثُرَ اِخْوانُهُ.

أقول: الاخوان بکسر الهمزة جمع الأخ والمراد ههنا الأعوان والأنصار.

یعنی عذوبة اللّسان ولینته سببٌ لکثرة الأعوان والأنصار، ومرارة اللّسان وصلابته بحیث یتضجّر منه سببٌ لکثرة الأعداء فی القری والأمصار.

۱۰ـ قال أمیر المومنین رضی الله عنه:

بَشِّرْ مالَ الْبَخیلِ بِحادِثٍ اَوْ وارِثٍ.

أقول: البشارة هو الخبر السّارّ، والتّبشیر إلقاء ذلک الخبر لمن یتعقّل السّرور وههنا مجازٌ عن الانذار علی وجه التّهکّم، **والمراد من الحادث** الآفة السّماویّة من حیث لایعلم ویظنّ مثل الغرق والحرق والمصادرة وغیرذلک، **والبخل** خلقٌ یوجب امساک الرّجل ماله عن طریق الخیر؛ وضدّه سرف وسفاهة.

یعنی أنّ من لم ینفق ماله فی طریق الخیر فرضاً او فضلاً فلابدّ ان یهلک بآفةٍ من حیث لایحتسب، اوان یبقی بعده لورثته وعلیه حسابه، وتعلّق التّبشیر والانذار بالمال مجازٌ عقلیٌّ لانّ التّبشیر والانذار حقیقةً لایتعلّق لمن لایتعقّل السّرور والحزن.

١١ـ قال امير المومنين رضى الله عنه:

لاتَنْظُرْ اِلىٰ مَنْ قالَ وَانْظُرْ اِلىٰ ماقالَ.

اقول: يعنى لايمنع حال القائل من خسّة النّفس ودناءة النّسب وترك العمل وسوء الادب من قبول قوله و سماع كلامه واقتباس العلم والحكمة من فيه كما قيل[1]: الحكمة ضالّة المؤمن؛أينما وجدها أخذها.

١٢ـ قال أمير المومنين رضى الله عنه:

اَلْجَزَعُ عِنْدَ الْبَلاٰءِ تَماٰمُ الْمِحْنَةِ.

أقول: الجزع ضدّ الصّبر و **البلاء والمحنة** هى المصيبة سمّيت بها لكونها سبب الابتلاء والامتحان ، وقد يطلق البلاء على النّعمة لكونها ابتلاءً واختباراً للمنعم عليه؛هل يشكر فيثاب ، ام يكفر فيستحقّ العقاب.

يعنى انّ من ترك الصّبر عندالمصيبة وأتى مافعله الجهّال من خدش الوجه ولطمه وشقّ الجيب والبكاء مع الصّوت تكمل مصيبته ويتمّ محنته حيث أوقع نفسه فى نصبٍ ومشقّةٍ وحرم عن[2] ثواب مصيبته ومحنته بل استحقّ بارتكابه المنهىّ بعذابٍ ونقمةٍ ولامصيبة أشدّ منها **فالاولى للعاقل** ان يصبر عند المصيبة حتّى لايحرم عن[3] الثّواب وتخلّص عن استحقاق العقاب.

١ـ قائل هذه الكلمة الشريفة ايضاً اميرالمؤمنين عليه السلام وهى مروية فى نهج البلاغة بل صدرها معدود فى عداد هذه الكلمات المائة المختارة للجاحظ من كلمات اميرالمؤمنين (ع) أيضاً وتأتى مع شرحها(انظر عدد ٦٧).

٢و٣ـ كذا والاولى عدم الحاجة الى «عن» فى الموضعين لان حرم يتعدى الى مفعولين بنفسه.

١٣ـ قال أمیر المومنین رضی الله عنه :

لا ظَفَرَ مَعَ الْبَغْیِ.

أقول : الظّفر هو الوصول الی المقصود ، و **البغی** الخروج عن طاعة الامام.

یعنی أنّ من أراد ان یکون اماماً فی الارض ویجری حکمه بین الانام فجمع جنوداً محاربین للامام فالأغلب ان یقع الانهزام وعدم الوصول الی المرام ولوغلب وکان مظفّراً فلاینفعه ذلک الظّفر اذلادوام له ولابقاء بل هو فی معرض الزّوال لانّ أصله ظلمٌ وضلال.

وقیل: الملک یقوم ویبقی مع الکفر ولایقوم ولایبقی مع الظّلم؛ یشهد [بذلک] حال نوشروان وکذلک کلّ أمیرٍ جائرٍ ؛ والله أعلم بالصّواب .

١٤ـ قال أمیر المومنین رضی الله عنه :

لا ثَنٰاءَ مَعَ الْکِبْرِ.

أقول : الثّناء الذّکر بالخیر، و **الکبر** التّرفّع علی الغیر .

یعنی من اعتاد التّکبّر لم یذکر عند أحدٍ بالخیر والصّلاح بل بالشّرّ والوقاحة[1] فبالکبر یظهر المعایب والمثالب وتضمحلّ المفاخر والمناقب ؛ فانّ الکبر والعظمة صفتان مختصّتان بالله تعالی لایجوز لاحدٍ ان یحوم حولها ؛ وفی الحدیث القدسیّ : الکبریاء ردائی والعظمة إزاری فمن نازعنی واحداً منهما أدخلته النّار؛ رواه أبو هریرة؛ والحدیث فی المصابیح[2]

---

١ ـ فی الاصل : «الوقاح» فالتصحیح قیاسی.

٢ـ یرید به مصابیح السنة للبغوی الشافعی والحدیث مذکور فیه (انظر ج٢؛ ص١٢١ من طبعة بولاق الا ان فیه بدل «أدخلته» : «قذفته»).

ويحتمل لمعنىً آخر وهو انّه : لايثنى صاحب الكبر ولايحمد خالقه لأنّ كبره يمنعه ان يعظّم غيره و يمتثل أمره كما انّ ابليس حمله الكبر على ترك الامر حتّى لم يسجد لآدم عليه‌الصّلوه والسّلام وكان من الكافرين؛ نعوذبالله من ذلك.

١٥ـ قال أمير المومنين رضى الله عنه :

لابِرَّ مَعَ الشُّحِّ .

أقول : الشّحّ البخل مع حرص.

يعني انّ من اعتاد الشّحّ لايحبّ ولايريد ان يعين أحداً بالنّفس والمال ولم يأتمر بقوله تعالى: وتعاونوا على البرّ والتّقوى(١) فان رجوت رضى‌الله تعالى وان تذكر بالذّكر الجميل فاقرب كلّ واحد بالبرّ والاحسان مريداً به رضى الرّحمن فانّه هو المراد ممّن هو إنسان .

١٦ـ قال أمير المومنين رضى الله عنه :

لاصِحَّةَ مَعَ النَّهَمِ.

أقول: الصّحّة ضدّ المرض والنّهم بفتح الهاء شدّة الشّهوة الى‌الطّعام وبكسرها صاحبها .

يعنى شدّة الاشتهاء الى الطّعام تُفضى الى كثرة الأكل؛ وهى تُفضى الى‌التّخمة؛ وهى تورث المرض؛ حتّى **قال بعض الحكماء** : لو بعث الموتى بأجمعهم وسئل كلٌّ منهم عن سبب موته لقالوا : هى التّخمة ؛ **وقيل** : أدرج الله تعالى علم الطّبّ فى نصف آيةٍ حيث قال تعالى: كلوا واشربوا ولاتسرفوا(٢).

١ـ من آية ٢ سورة المائدة . ٢ـ من آية ٣١ سورة الاعراف.

١٧ـ قال أمير المومنين رضى الله عنه:

لاشَرَفَ مَعَ سُوءِ الْأَدَبِ.

أقول : الشّرف الارتفاع واجتماع الخواصّ وظهورها، و **الادب** اجتماع خصال الخير ، و **الاديب** من قام به ذلك وهو بهذا المعنى يطلق على المؤدَّب والمؤدّب **ويقال :** أستادٌ **أديبٌ** ، وولدٌ أديبٌ ، فعلى هذا التّفسير يكون معنى قولهم: هذا من سوء الادب ، وهذا من حسن الأدب ، من سوء ترك الأدب الأسوء، وحسن الأدب الأحسن ، على طريقة كون الأسوء والأحسن صفةً كاشفةً للأدب و تركه لانّه حيثما وجد فهو أحسن وأينما لم يوجد فهو أسوء.

المعنى : لايجد الشّرف من ليس له أدبٌ؛ وان كان ذا حسبٍ ونسبٍ ، اذ هو من جملة الشّرف ومعتبرٌ فيه فكأنّه جزءٌ منه والكلّ لايوجد بدون الجزء؛ بيت:

ادب تاجيست از نور الٰهى بنه برسر برو هرجاكه خواهى[1]

و لهذا يرجّح الاستاد المؤدّب على الأب فانّه سببٌ لشرف الولد و كماله والأب لوجوده وحصوله ولاعبرة للوجود بلاكمال؛ لقد احسن من سمّى الوالد أباً طينيّاً والمعلّم أباً دينيّاً[2].

١ـ يشبه ان يكون من اشعار عطار او عبدالرحمن جامى.

٢ـ يقرب منه مانقل عن الاسكندر فى بعض الكتب من انه قيل له:«لم تحترم مؤدبك و معلمك اكثر من احترامك لابيك و والدك ؟ — قال : لان والدى سبب حياتى الفانية و مؤدبى سبب حياتى الباقية » و قريب منه ماقيل بالفارسية :

« اى بيخرد اگر پدرت نان و آب داد استاد در نهاد تو علم و ادب نهاد »

« حقا كه آب و نان ندهد هيچ فايده تاعلم دين وشرع نخوانى بر اوستاد »

و ورد فى الحديث : «انما الاباء ثلاثة؛ اب ولدك ، و اب علمك، و اب زوجك».

۱۸ـ قال أمير المومنين رضی الله عنه:

لَا اجْتِنابَ مِنْ مُحَرَّمٍ مَعَ حِرْصٍ.

أقول: الحرص شدّة الطمع من الحرص بفتح الحاء بمعنی الشّجاعة او الشّق سمّيت به لانّها تلقی صاحبها الی هلاك نفسه او عرضه، او تشقّ وتخدش وجه عزّه وناموسه و تحمله الی السّؤال الّذی هوسبب ذلّته وحقارته و هو حرامٌ بدليل قوله صلّی الله عليه وسلّم: لايجوز للمؤمن ان يذلّ نفسه.

المعنی انّ الحريص لايجتنب عن الوقوع فی الحرام فلا أقلّ من إذلال نفسه كما انّ آدم عليه الصّلوة والسّلام حماه الحرص علی الأكل من الشّجرة؛ بيت[1]:

بئس المطاعم حين[2] الذلّ تكسبها ‌ ‌ ‌ القدر منتصبٌ والقدر مخفوضُ

۱- البيت فی الباب الثالث من گلستان سعدی؛ انظر ص ۱۰۲ من النسخة المطبوعة بتصحيح الاستاذ عبدالعظيم القريب و قال الاستاذ القريب فی ذيل الصفحة « در اکثر نسخ بجای «يكسبها» : «تكسبها» نوشته شده ».

وقال الشارح فی حاشية الكتاب:« ولايخفی ان المصراع الثانی فی مقام التعليل للذم **والمعنی** بئس المطاعم تكسبها انت حين الذل و بئس المطاعم حين كسب الذل اياه ای حين يكسبها الرجل بذل السؤال وهو ان التوقع فانه وان نال شيئاً وتنصب به قدره وغلا لكنه انخفض من قدره ماقدار تفع وغلا؛ و قال علی رضی الله عنه :

لنقل الصخر من قنن الجبال ‌ ‌ ‌ احب الی من منن الرجال؛ منه».

وقال ايضاً فی ذيله:«ای تكسب انت تلك المطاعم و الخطاب لكل من يصلح ان يكون مخاطباً، **ويروی الذل بالرفع** علی انه مبتدأ و يكسبها بالياء التحتانية علی صيغة الغائب فی محل الرفع علی انه خبره، والجملة الاسمية فی محل الجر باضافة الظرف اليها فعلی هذا فاعل يكسب ضمير يعود الی الذل مجازاً و محل الظرف نصب علی انه حال من المطاعم؛ منه».

۲- **فی الحاشية**: « نصب « حين » علی انه ظرف لتكسب مضاف الی الذل؛ منه».

فالاولى للعاقل ان يقنع بكنز القناعة ويحترز عن الذلّ والفضاحة فانّ المقسوم لايمنع ؛ والحرص عليه لاينفع ، كما قيل: بيت:

دع الحرص على الدّنيا　　وفيها الرّزق لاتطمعْ
فانّ الرّزق مقسومٌ　　وسوء الظّنّ لاينفعْ
فقيرٌ كلّ ذى حرصٍ　　غنىٌّ كلّ من يقنعْ

١٩ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

لاراحَةَ مَعَ الْحَسَدِ.

اقول : الحسد هو ان تتمنّى زوال نعمة المحسود وانتقالها اليك ، **وقيل :** ارادة زوال نعمة فيها صلاح صاحبهاعنه حسدٌ،وارادة مثلها لنفسه غبطة[1]،وارادة زوال نعمة ليس فيها صلاح صاحبها غيرة ؛ مثلاً انّ ارادة زوال العلم عمّن يعمل به حسدٌ ،وعمّن لايعمل به غيرةٌ ، وارادة مثله غبطةٌ ، فالآخران جائزان دون الاوّل ؛ فانّه المفسد للطّاعات والحامل على الخطيئات ؛ كما قتل أحد ابنى آدم الاخرحسداً ، **وقال بعضهم :** الحاسد جاحدٌ لانّه لايرضى بقضاء الواحد.

المعنى ــ لايخلو العالم عن النّعم؛ ومريد زوالها يدوم فى الحزن والغمّ،فلايستريح اصلاً؛ كمن اكل السّمّ ، فالّلازم لكلّ احدٍ ان يتّقى من[2] الحسد فانّ اثره يتبيّن فى الحاسد قبل ان يتبيّن فى المحسود؛ **ونقل عن الأصعمىّ أنّه قال:** سألت اعرابياً اتى عليه مائة وعشرون سنةً؛ فقلت: ما أطول عمرك؟! فقال: تركت الحسد فبقيت.

١ـ **فى الهامش : « وقيل :** الغبطة أمر حسن مرضى اذا كان المتمنى مما يتقرب به الى الله تعالى كطلب العلم للعمل به و ارشاد الخلق،و طلب المال للانفاق فى الخير. **وقيل :** لابأس به اذا كان فى مباح لايفضى الى محظور ؛ كذا فى توضيح مقدمة؛ منه».

٢ـ كذا ولاحاجة الى من لان «اتقى» يتعدى بنفسه وهو واضح .

۲۰ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

لَامَحَبَّةَ مَعَ مِرَاءٍ.

اقول: المراء المجادلة والمخالفة، و **المحبّة** الميل الدّائم بالقلب الهائم **وقال الجنيد** رحمه الله: المحبّة افراط الميل بلانيلٍ، **وقيل:** ايثار المحبوب على جميع المصحوب، **وقيل:** موافقة الحبيب فى المشهد والمغيب، **واختلف فى اصلها** فى اللّغة؛ **قال بعضهم:** من الحبّ بمعنى صفاء بياض الاسنان ونضارتها؛ سمّى بذلك لصفاء القلب بها، **وقيل:** من الحباب وهو مايعلو الماء عند المطر الشّديد؛ فعلى هذا: المحبّة غليان القلب عند التّعطّش والاحتياج الى لقاء المحبوب، **وقيل:** من حباب الماء بفتح الحاء بمعنى معظمه؛ سمّى بذلك لانّ المحبّة معظم مهمّات القلب، **وقيل:** من اللّزوم والثّبات؛ يقال: احبّ البعير اذا برك فلايقوم؛ فكأنّ المحبّ لايبرح بقلبه عن ذكر محبوبه، **وقيل:** من الحُبّ وهى الخشبات الاربع التى توضع عليها الجرّة؛ فوجه التّسمية به انّه يتحمّل عن محبوبه جميع ما اصاب من جهته وجميع ذلك ينبئ عن الموافقة، و **المراء** مجادلة ومخالفة فلايجتمعان؛ فمن ادّعاها مع المراء فهو كاذبٌ.

۲۱ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

لَاسُودَدَ مَعَ انْتِقَامٍ.

أقول: السّودد مصدرٌ يقال: ساد قومه يسوده سيادة وسودة وسودداً [وسؤدداً؛ بالهمز وسيدودة] واحدى الدّالين زائدة للالحاق ببناء فعلل مثل جندب وبرقع، **والانتقام** المعاقبة.

يعنى من غضب لأجل نفسه احداً من القوم لايليق سيادة ذلك القوم و رياستهم

بل الغضب والشّفقة والبغض والمحبّة ينبغي ان يكون لله تعالى خصوصاً ممّن ارادالسّيادة؛ وحكى عن بعض أهل الحكم انّه قيل له : انّ فلاناً صدرعنه امرٌ يوجب التّعزير فأرسل اليه فلم يجب ثمّ قام ذلك الحاكم وذهب اليه ليعزّره في مكانه فلمّا رأى الامير شتمه فرجع الحاكم ولم يعزّره قيل له في ذلك؟ — قال : لانّه شتمنى فان كنت عزّرته قبل الشّتم فهو لرضاه تعالى وامّا الآن فأخاف ان يقع لأجل نفسى فلهذا تركته(١).

١- اولى مثال لذلك ماعامله أسيرالمؤمنين على(ع) فى غزوة الاحزاب المعروفة بغزوة الخندق مع عمرو بن عبدود عند قتاله(ع) اياه وهو معروف و ذكره المولى الرومى فى كتابه صيقل الارواح العروف بالمثنوى بوجه آخر فلابأس بالاشارة اليه لانه صرح ان الذى رمى بزاقه على وجه اميرالمؤمنين (ع) آمن و أسلم مع خمسين نفراً من أقربائه بعد ان علم سر تأخيره (ع) قتله وهو انه نقل فى الدفتر الاول من المثنوى تحت عنوان « خدو انداختن خصم برروى اميرالمؤمنين على عليه السلام و انداختن آن حضرت شمشير را از دست » مانصه (ص ٩٧ من طبعة مكتبة الاسلامية) :

« از على آموز اخلاص عمل — شير حق را دان منزه از دغل »
« در غزا برپهلوانى دست يافت — زود شمشيرى برآورد و شتافت »
« او خدو انداخت بر روى على — افتخار هر نبى و هر ولى »
« درزمان انداخت شمشيرآن على — كرد او اندر غزايش كاهلى »
« گشت حيران آن مبارز زين عمل — از نمودن عفو و رحم بى‌محل »
« گفت بر من تيغ تيز افراشتى — از چه افكندى مرا بگذاشتى »

فساق الكلام الى ان قال :

« گفت اميرالمؤمنين با آن جوان — كه بهنگام نبرد اى پهلوان »
« چون خدو انداختى برروى من — نفس جنبيد و تبه شد خوى من »
« نيم بهر حق شد و نيمى هوا — شركت اندركار حق نبود روا »
« گبر اين بشنيد ونورى شد پديد — در دل او تا كه زنارى دريد »
« گفت من تخم جفا مى‌كاشتم — من ترا نوعى دگر پنداشتم »
« عرضه كن برمن شهادت راكه من — سر ترا ديدم سرافراز زمن »
« قرب پنجه كس ز قوم وخويش او — عاشقانه سوى دين كردند رو »
« او بتيغ حلم چندين خلق را — واخريد از تيغ چندين حلق را »

فمن اراد تفصيل القصة فليراجع الكتاب المشاراليه (ص ٩٧ — ١٠٤).

۲۲ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

لَازِيٰارَةَ مَعَ زَعٰارَّة.

اقول: الزّيارة مصدر من زاريزور من باب قال وكتب ؛ قلبت واوه ياءً لكسرة ماقبلها، و **الزّعارّة** بتشديد الرّاء شراسة الخلق ولافعل له وامّا قولهم: زعريزعر«من باب طرب» فهو زاعر فلمعنىً آخر وهوقلّة الشّعر،والزّعرور بضمّ الزّاء كالعصفور وزناً سيّئ الخلق والعامّة تقول: رجل زعرورٌ فيه زعارّة كذا فى مختارالصّحاح.

المعنى ــ انّ المقصود من الزّيارة لاحدٍ تفريح قلبه و إدخال السّرور فى صدره وذلك لايحصل الّا ببشاشة وجه الزّائر لاباظهار الحزن وارادة كسر الخاطر ؛ بيت[1]:

ز بخت روى ترش كرده پيش يار عزيز　　مرو كه عيش برو نيز تلخ گردانى

بحاجتى كه روى تازه روى و خندان رو　　فرو نبندد كار گشاده پيشانى

فلو جئت جبيبك وانت عبوس الوجه و محزون القلب انقلب زيارتك زعارّة و اكرامك ايّاه اهانةً فحقّه ان يقول هولك: ياليت بينى و بينك بعد المشرقين فبئس القرين[2].

۲۳ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

لَاصَوٰابَ مَعَ تَرْكِ الْمَشُورَة.

أقول: الصّواب ضدّ الخطأ وهو حكمٌ يطابق الواقع والظّاهر أنّه فى أصل اللّغة

---

۱ - البيتان لسعدى(انظر گلستان؛ الباب الثالث ص ۱۰۱ من طبعة الاستاذ عبدالعظيم القريب).

۲ـ ذيل آية ۳۸ من سورة الزخرف وفى هامش الكتاب: « بعدالمشرقين اى بعد المشرق من المغرب فغلب المشرق وثنى و أضيف البعد اليهما ؛ كذا فى تفسير القاضى ، منه».

من: صاب السّهم يصوب صيبوبةً اذا قصد ولم يجره[١]، وفى العرف العامّ يستعمل اسماً لمصدر أصاب لامصدر صاب ؛ اذ لايقال فى معنى الصّواب: صائبٌ بل يقال: مصيب كذا يفهم من حاشية المطالع[٢]، و **المشورة** استضمام الامر باستصواب الغير وهو أمرٌ مندوبٌ اليه بدلالة قوله تعالى خطاباً مع نبيّه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: وشاورهم فى الامر[٣].

المعنى - انّ تارك المشورة مع ذى عقلٍ وبصيرةٍ غيرمصيبٍ فى امره والظّاهر أنّه على وجه المبالغة حثّاً على المشورة لاعلى وجه التّحقيق واِلّا لزم ان لايصيب كلّ احدٍ فى امره الّا بمشورةٍ ؛ وليس كذلك؛ **وقيل: الانسان أقسام ثلاثة**، رجلٌ كاملٌ، ونصف رجلٍ، ولا شيء؛ **امّا الرّجل الكامل** فمن له عقلٌ تامٌّ؛ ومع هذا يشاور العقلاء، **و امّا النّصف** فهو الّذى له عقلٌ ورأىٌ ولكن يستبدّ برأيه ولايشاور أحداً، **وامّا الّذى هو لاشيء** فهو الّذى ليس له عقلٌ كافٍ ورأىٌ وافٍ ؛ مع انّه يترك المشورة.

فان قيل: مافائدة الامر بالمشورة للنّبىّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم مع انّه موصوفٌ بكمال العقل وتمام الرّأى ؟

قلنا: هوالتّودّد لمن يشاوره من الاصحاب وان يقتدى به فى المشورة مع ذوى الالباب والتّخلّص عن استحقاق اللّوم والعتاب ان لم يتيسّر وجه الخير والصّواب فانّ حصول

١- **فى الهامش**: « بالراء المهملة من جار يجور اذا مال عن سمت الاستواء».

٢- **فى الهامش**: « قد علم من هذا الفرق بين صاب و أصاب و اما خطأ و أخطأ فلا فرق بينهما بل هما لغتان بمعنى واحد، يشهد به ما وقع فى المثل: مع الخواطىء سهم صائب ؛ يضرب للذى يكثر الخطأ و يأتى احياناً بالصواب، وجه الاستشهاد به ان السهم لايوصف بالتعمد لما لاينبغى مع انه موصوف بالخاطىء اذ الخواطىء جمع الخاطىء لاجمع المخطىء فتدبر، وفرق الارسوى بينهماوقال: المخطىء من اراد الصواب فصار الى غيره والخاطىء من تعمد بما لاينبغى كذا فى حاشية شرح المطالع ؛ منه ».

٣- من آية ١٥٩ سورة آل عمران.

المرام انّما هوبعون الملک العلّام لابالمشورة کما یشیرالیه سیاق الآیة: فاذا عزمت فتوکّل علی الله[1] ای لاعلی المشورة ولاعلی اصحابک؛ کذا فی تفسیرالامام ابی اللّیث رحمه‌الله‌تعالی.

۲۴ـ قال أمیر المؤمنین رضی الله عنه:

لامُرُوَّةَ لِکَذُوبٍ

أقول اصل **المروّة** مروءة من المرء قلبت الهمزة واواً ثمّ اُدغمت وفی المغرب: المروءة کمال الرّجولیّة، والکذوب مبالغة کاذب.

یعنی انّ من اعتاد الکذب لایجیء منه المروّة والانسانیّة لانّ من جملتها صدق القول والکذب ینافیه فلایجتمع المروّة مع الکذب.

۲۵ـ قال أمیر المؤمنین رضی الله عنه:

لا وَفاءَ لِمَلُولٍ

أقول الوفاء: ضدّ الغدر، و**الملول** فعول من الملال بمعنی السّأمة یقال: ملّ الشّیء وملّ من الشیء یملّ بالفتح مللاً وملّةً وملالةً ای سئمه؛ واستملّ بمعنی ملّ؛ و رجل ملّ وملول وملولة وذو ملّة وامرأة ملولة کذا فی مختارالصّحاح.

یعنی انّ السّأمة والحزن اذا استولی علی احدٍ یسدّ طرق احساسه ویضعف آلات ادراکه فلایتیسّر له الوفاء بما وعد، ویقع النّقض علی ماعهد ؛ فالاحری للعاقل[2] ان لایفعل شیئاً معتمداً علی عهده ووعده ومتوکّلاً علی قوله وفعله فانّه مغلوب النّهی ومسلوب

۱ـ من آیه ۱۵۹ آل عمران.

۲ـ کذا و الاولی ان یستعمل بالباء لاباللام ای یقال : بالعاقل.

القوى. ويقال : الاعتماد على قول الأمراء كالاستناد على الماء الجارى ؛ لعلّ وجه التّشبيه هو انّهم لاينفكّون عن الملالة و السّأم فى اغلب اللّيالى و الايّام لكثرة اشتغالهم بأمور الخلق ومصالح الانام ، وفى بعض النّسخ : لملوكٍ ؛ والظّاهر انّه سهو و منشأه ماذكر آنفاً ، ووجه كونه سهواً هو انّ الملك والامارة من حيث هو ليس علّةً للغدر بل باعتبار الملالة كما لايخفى .

٢٦- قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

لاَ كَرَمَ أَعَزَّ مِنَ التَّقْوٰى.

أقول : الكرم عموم النّفع بالموجود بلاضنّةٍ ولا منّةٍ ، و **أعزّ** أفعل من **العزّ** بمعنى القوّة ، او من **العزّة** بمعنى الغلبة والقهر ، و **التّقوى** جماع الخيرات ، وحقيقة الاتّقاء التّحرّز بطاعة الله تعالى عن عقوبته يقال : اتّقى فلانٌ بترسه ، و **أصل التّقوى** اتّقاء الشّركة ، ثمّ بعده اتّقاء المعاصى والسّيئات ، ثمّ بعده اتّقاء الشّبهات ، ثمّ بعده يدع[1] الفضلات ، **وقيل:** التّقوى على وجوهٍ ؛ للعامّة تقوى الشّرك ، وللخواصّ تقوى المعاصى ، وللاولياء تقوى التّوسّل بالافعال ، وللانبياء تقواهم منه اليه ، وقال الواسطىّ : التّقوى ان يتّقى تقواه اى من رؤيته تقواه كذا فى الرّسالة القشيريّة[2].

المعنى — انّ من اتّصف بمراتب التّقوى كان أفضل كرماً و أعمّ نفعاً ؛ لانّ التّقوى مجمع الخيرات و أصل الطّاعات و مدار الكرامات ؛ قال الله تعالى : انّ اكرمكم عندالله اتقاكم[3].

١- فى الرسالة القشيرية : « تدع » (بتاء الخطاب) .

٢- انظر باب التقوى من تلك الرسالة (ص ٥٢-٥٣ من النسخة المطبوعة بمصر سنة ١٣٦٧) .

٣- من آية ١٣ سورة الحجرات.

٢٧- قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

لاشَرَفَ أَعَزَّ مِنَ[١] الْإِسْلامِ.

أقول : وهو افعـال من السلم بمعنى السلامة والسلام وبمعنى الصلح و المسالمة قال فى العقائد فى الاعتقاد وعليه العمدة والاعتماد: الايمان والاسلام واحدٌ ؛ و الظاهر انّ المراد بوحدتهما اتحادهما بحسب الذات والمعروض لابحسب المعنى والمفهوم ؛ اذ لكلٍ معنىً مغايرٌ للآخر فانّ **معنى الاسلام** هو الانقياد والخضوع لأوامره ونواهيه ، و **معنى الايمان** هو التصديق بما أخبر به الله تعالى على لسان رسوله فهما متغايران الّا انّ الانقياد الباطنىّ يلزمه التصديق القلبىّ لزوماً كليّاً بحيث لايوجد أحدهما بدون الآخر فيكون ذاتهما ومعروضهما واحداً لاينفكّ أحدهما من الآخر مثل النطق والضحك فلايجوز شرعاً ان يقال لشخصٍ : هذا مسلمٌ ليس بمؤمن؛ و بالعكس، بل الحقّ ان يقال: كلّ مؤمنٍ مسلمٌ وبالعكس كما يقال : كلّ ناطق ضاحك بالقوّة وبالعكس. **وأنكر أهل الظواهر تساويهما** وزعموا انّ الاسلام اعمّ من الايمـان مستدلّين بقوله تعـالى : قالت الاعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولمّا يدخل الايمان فى قلوبكم[٢] حيث اثبت الاسلام و نفى الايمان؛ **والجواب** انّ المراد من الاسلام ههنا معناه اللغوىّ وهو الاستسلام ومجرّد الانقياد لاالشرعىّ وهو الانقياد المرتّب على التصديق القلبىّ والّا يلزم ان يكون المنافق مسلماً شرعاً وهو باطلٌ.

وحاصل المعنى انّ شرف الاسلام يعلو كلّ شرفٍ و نباهةٍ من شرف النسب والمـال وسائر الفضائل فانّه لامعتبر به بدون الاسلام .

١- يجوز فى قوله «اعز» الفتح و الرفع و النصب كما قال ابن مالك :

« و مفرداً نعتاً لمبنيٍ يلى فافتح او ارفع او انصبن تعدل»

فمن أراد التفصيل فليراجع موارده.

٢- صدر آية ١٤ سورة الحجرات.

٢٨ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

لاٰ مَعْقِلَ أَحْصَنَ مِنَ الْوَرَعِ.

اقول : المعقل الملجأ ، و **الورع** بفتحتين مصدر من ورع يرع رعةً بكسر الرّاء فى الثّلاثة وهو التّحرّز والامتناع عمّا لاينبغى ، و **الورع** بكسر الرّاء صفةٌ بمعنى التّقىّ كذا فى مختار الصّحاح. **قال يحيى بن معاذ** : الورع الوقوف على حدّ العلم من غير تأويلٍ ، **وقال يونس بن عبيدالله** : الورع الخروج عن كلّ سيّئةٍ ومحاسبة النّفس مع كلّ طرفةٍ ، قيل: جاءت أخت بشر بن الحارث الحافى الى احمد بن حنبل وقالت: انّا نغزل على سطوحنا فتمرّ بنا المشاعل الظّاهريّة ويقع الشّعاع علينا افيجوز لنا الغزل فى شعاعها؟ـ فقال احمد: من أنتِ عافاكِ الله ؟ ـ قالت: أخت بشر الحافى ، فبكى أحمد وقال : من بيتكم يخرج الورع الصّادق؛ لاتغزلى فى شعاعها. **وقال علىّ العطّار**: مررت بالبصرة فى بعض الشّوارع فاذاً مشايخ قعودٌ وصبيانٌ يلعبون ، فقلت لهم : ماتستحيون[1] من هؤلاء المشايخ؟ ـ فقال صبىٌّ منهم: هؤلاء المشايخ قلّ ورعهم؛ فقلّت هيبتهم ، كذا فى الرّسالة القشيريّة[2].

المعنى ـ اذا أردت ان تخلّص نفسك من الآفات و العاهات و تفحّصت ملجأً تستعيذ به فصاحب الورع و التّقى فانّه ليس فى الدّنيا حصنٌ أشدّ منه ملجأً وأقوى ملاذاً.

١ـ فى الرسالة القشيرية : « تستحون » وهما لغتان صحيحتان من استحى (بحذف الياء الاولى) و استحيا (بيائين) صرح بجوازهما و استعمالهما علماء اللغة.

٢ـ انظر باب الورع من الكتاب(ص٥٢ــ٥٥ من النسخة المطبوعة بمصر سنة١٣٦٧).

٢٩ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

لاشَفيعَ أَنْجَحَ مِنَ التَّوْبَةِ.

أقول: الشّفيع صاحب الشّفاعة او الشّفعة، و **أنجح** أفعل من النّجح والنّجاح على وزن الصّلح والصّلاح بمعنى الظّفر بالحوائج[١]؛ او من الانجاح[٢] بمعنى قضاء الحاجة، والتّخليص على خلاف القياس، و **التّوبة** فى اللّغة الرّجوع من تاب يتوب من باب قال يقول، و **التّوبة** ايضاً فى الشّرع الرّجوع عمّا كان مذموماً فى الشّرع الى ما هو محمودٌ فيه؛ **قالوا**: شرط التّوبة ثلاثة أشياء؛ النّدم على ماقدّم من المخالفات، وترك اللّذّة فى الحال، والعزم على ان لايعود الى مثل ماعمل من المعاصى؛ وماقاله صلّى الله عليه[وآله] وسلّم: النّدم توبةٌ فانّما هو نصٌّ على معظم شرطه كما قال عليه الصّلوة والسّلام: الحجّ عرفة اى معظم أركانه الوقوف بها؟ لا الحصر.

المعنى ـ ايّها المكتسبون للخطيئات و المجترحون للسّيّئات عليكم ان تستشفعوا التّوبة[٣] و الانابة وتستعينوا بالاستغفار والايابة[٤] فانّ شفاعته أقرب الى القبول بل هو

١ـ اى اجعلوا التوبة شفيعة لكم.

٢ـ **فى الهامش:** «يعنى ان أنجح اذا كان من الانجاح يكون من الزوائد ولايجيىء أفعل التفضيل منها الا على خلاف القياس نحو قولهم: أعطاهم و أولاهم بمعنى أكثرهم اعطاء و أشدهم ايلاء بمعنى الاعطاء؛ منه».

٣ـ **فى الهامش:** «يعنى ان التوبة من بين الشفعاء أكثر ظفراً بحاجتها وأشد وصولا الى مرادها وتخليص من شفعت وكذلك سائر الشفعاء فانه قد يحصل ما أرادوه من التخليص وقد لايحصل؛ منه».

٤ـ كذا فى الاصل.

عين القبول قال عليه‌الصلوة والسلام: التائب من الذنب كمن لاذنب له؛ وهو أحبّ الى الله‌تعالى‌ورسوله؛ قال الله‌تعالى: انّ الله يحبّ التوّابين ويحبّ المتطهّرين[1] الاترى انّ شفاعة التوبة تنفع الكافر[2] و شفاعة سائر الشفعاء ليست كذلك، قيل لأبى حفص: لم يبغض التائب الدنيا؟ - قال: لانّها دار باشر فيها الذنوب، فقيل له: فهى دار كرّمه الله تعالى فيها بالتوبة فقال: انّه من الذنوب على يقينٍ ومن قبول توبته على خطرٍ؛ كأنّه يشير الى انّ من شرط التوبة ان يكون التائب مستحقّاً لمحبّة الله تعالى ايّاه والعاصى بينه و بين محلٍّ يجد فى اوصافه امارة محبّة الله تعالى ايّاه فيه مسافة بعيدة فالواجب اذاً على العبد العاصى بعد اظهار التوبة دوام الانكسار وملازمة التضرّع والاستغفار كما قالوا: استشعار الوجل الى الاجل[3].

۳۰ ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

لا لِباسَ أَجْمَلَ مِنَ السَّلامَةِ.

أقول: اللّباس بالكسر واللَّبوس بالفتح مايلبس، وكذا الملبس بوزن المذهب، واللّبس ايضاً كالدّبس الكعبة والهودج ماعليهما من لباس من لبس الثّوب يلبسه بالفتح لُبساً بالضمّ والمراد ههنا الصّفة مجازاً، و **الجمال** الحسن وقد جمل الرّجل بالضمّ جمالاً فهو جميل و امرأة جميلة و جمّله تجميلاً زيّنه، و **السّلامة** من قولهم: سلم فلان من الآفات كذا فى مختار الصّحاح.

۱- ذيل آية ۲۲۲ سورة البقرة.

۲- فى الهامش: « اى فى الدنيا ».

۳- مهمات شرح هذه الكلمة مأخوذة من الرسالة القشيرية (انظر باب التوبة (ص ٤٥—٤٨ من النسخة المطبوعة بمصر سنة ۱۳٦۷).

والمعنى ـ انّ من اتّصف بصحّة البدن وسلامة الايمان فقد اجتمع فيه أحسن نعم الدّنيا والآخرة ؛ اذ لانعمة أحسن وأفضل منها كما يقال: أفضل رأس المال الصّحّة، **و يجوز ان يكون المراد من السّلامة** سلامة الغير من اذيّة الرّجل.

يعنى ـ انّ أفضل احوال الرّجل ان يسلم غيره من اذيّته وجوره كما يقال: المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه؛ والله أعلم.

٣١ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

لاداءَ أَعْيا مِنَ الْجَهْلِ.

اقول: الدّاء المرض تقول منه داء يداء من خاف يخاف داءً بالمدّ والجمع أدواء، وأعيا اسم تفضيلٍ من الاعياء على خلاف القياس يقال : داء أعيا اى صعب لادواء له كأنّه أعيا الاطبّاء وأعجزهم ، والظّاهر انّ المراد من الجهل هو الجهل الكامل المطبوع عليه المسمّى بالجهل المركّب اذ غيره يسهل زواله .

المعنى ـ انّ الجهل المطبوع عليه مرضٌ شديدٌ ليس له دواءٌ يورث لصاحبه الشّقاوة والقساوة و يمنعه عن قبول الحقّ و الهداية فلاينفعه دواء الآيات الواضحة وعلاج المعجزات السّاطعة بل تزيده نفوراً و استكباراً كما قال تعالى حكايةً عن نوح النّبىّ عليه الصّلوة والسّلام : فلم يزدهم دعائى الّا فراراً [(١)] ؛ أعاذنا الله تعالى بلطفه عن ظلمة الجهل والفساد، وهدانا بفضله الى طريق الحقّ والرّشاد ؛ انّه رؤف بالعباد[(٢)].

١ـ آية ٦ سورة نوح .

٢ـ اقتباس من قوله تعالى : « والله رؤف بالعباد » (وهو ذيل آية ٢٠٧ سورة البقرة وكذا ذيل آية ٣٠ سورة آل عمران) .

٣٢- قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

لا مَرَضَ أَضْنىٰ مِنْ قِلَّة الْعَقْلِ.

أقول : يقال : **أضناه المرض** أثقلـه وجعله ضعيفـاً ، و **الضّنى** بالقصر المرض و بابه صدى فهو رجلٌ ضنيّ على وزن فعيل وضنٍ على وزن فعلٍ بحذف الآخر يقال: تركته ضنياً وضنيّاً بالتّخفيف والتّشديد.

المعنى - من كـان من العقل قليل البضاعة و من الفهم قصير الباعه كمثل المريض الّذى ضعف جسمه من شدّته ونحف بدنه من قوّته بل هو أضعف حالاً منه لعجزه عن درك العواقب وخلوّه عن الرّأى الصّائب.

٣٣- قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

لِسانُكَ يَقْتَضيكَ ما عَوَّدْتَهُ .

أقول : **اللّسان** العضو المخصوص وقد يراد به الكلمة فعلى الاوّل يقال : ثلاثة ألسنة بالتّذكير، وعلى الثّانى يقال : ثلاث ألسن بالتّأنيث ، و **الاقتضاء** والتّقاضى طلب أداء الدّين؛ وقد يستعمل بمعنى الايجاب، و **التّعويد** تصيير الشّئ عادةً.

المعنى - لاتجعل ماقبح من الكلام وفحش منه مثل الشّتم والنّميمة عادةً للسانك فانّه يطلب منك مايعتاده و يوجب عليك اداءه فمهما أطلقته يصدر منه من الكلام ما لاينبغى فاطلاقه يوجب تقييدك بقيد المضرّة ، و وقوعك فى موقع الهلكة والمعرّة كما **قيل**: لسانك أسدك ان اطلقته يأكلك؛ وقال الشّاعر:

يموت الفتى من عثرةٍ بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرّجل
وعثرته بالفمّ ترمى برأسه وعثرته بالرّجل تبرى على مهل

وقيل : جعل اللّسان فى الانسان واحداً و كلٌ من السّمع والبصر اثنين ليكون كلامه اقلّ ممّا يسمع ويبصر.

٣٤ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

اَلْمَرْءُ عَدُوٌّ لِماٰ جَهِلَهُ .

أقول : **عدوّ الرّجل** من يفرح بحزنه ويحزن بفرحه.

يعنى ـ انّ من لم يعلم شيئاً لايحبّه ولا يميل اليه قلبه؛ بل يريد عدمه رأساً الا ترى انّ الكفّار يعادون الانبياء والجهّال العلماء؟! لجهلهم ماهم عليه من الشّمائل وعدم رؤيتهم مافيهم من العلوم والفضائل.

٣٥ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

رَحِمَ اللهُ امْرءً عَرَفَ قَدْرَهُ وَلَمْ يَتَعَدَّ طَوْرَهُ .

أقول : **الرّحمة** رقّة القلب وانعطافه فاذا اُسند الى الله تعالى يحمل على الغاية والاثر وهوالاثابة والاحسان يقال: عدا طوره اى جاوز حدّه ويجىء الطّور بمعنى التّارة ومنه قوله تعالى : وقد خلقكم أطواراً (١) قال الاخفش: طوراً علقةً وطوراً مضغةً؛وقد يجىء بمعنى الحال و منه قولهم : النّاس أطوارٌ اى اصنافٌ على حالات شتّى ؛ كأنّ اميرالمؤمنين رضى الله تعالى عنه دعا لمن يعرف مقداره و لم يتجاوز منه حثّاً للنّاس عليه واشارةً الى انّه امرٌ حسنٌ فى نفسه.

١ـ آية ١٤ سورة نوح.

٣٦ـ قال أمير المؤمنين رضی الله عنه :

إِعادَةُ الاِعتِذارِ تَذْكيرٌ لِلذَّنبِ .

اقول : يقال: اعتذر من الذّنب بمعنى أعذر ای صار ذاعذر .

يعنى ـ أنّ من اساء احداً فلابأس بالاعتذار مرّةً فان اعاده كان مذكّراً لاساءته؛ فيكون كأنّه سيّئة ثانياً ؛ فيصر الاعادة اساءةً فيمرّ بما يفرّ فيحتاج الى اعتذارٍ آخر ثمّ و ثمّ .

٣٧ـ قال أمير المؤمنين رضی الله عنه :

اَلنُّصْحُ بَيْنَ الْمَلَإِ تَقْرِيعٌ .

اقول : النّصح والنّصيحة ارادة الخير للغير .

و **الملأ** بالقصر الجماعة ، و **التّقريع** بمعنى الدّقّ من باب قطع يستعمل بمعنى اللّوم والتّوبيخ .

يعنى ـ انّ من أراد النّصيحة لاحدٍ ينبغى ان يكون نصحه فى الخلأ فانّه أقرب الى القبول لافى الملأ فانّه ليس بنصحٍ محضٍ بل هو توبيخٌ بحتٌ[1] و لهذا قال : لاينجع فيه[2] بل يزيده نفوراً وعناداً .

---

١ ـ **فى الهامش** : « بفتح الباء و سكون الهاء المهملة يقال : خير بحت اى ليس معه غيره ؛ منه» .

٢ ـ **فى الهامش**: «نجع فيه الخطاب والوعظ والدواء اى دخل فيه واثر؛ مختصر الصحاح» .

۳۸- قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

إِذٰا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلاٰمُ.

اقول : العقل الحجى ويقال له: النّهية بالضمّ واحدة النّهى؛ سمّى بها لانّها تنهى عن القبيح و **نقص الشّىء** من باب نصر ونقصاناً ايضاً ونقصه غيره يتعدّى ويلزم. **قلت:** النّقص مصدر المتعدّى و النّقصان مصدر اللّازم كذا فى مختار الصّحاح . و **الكلام** اسم جنس يقع على القليل والكثير، وفى الاصطلاح هو اللّفظ المفيد فائدة يصحّ السكوت عليها.

المعنى ـ من كان كامل العقل والحجى يكون كلامه مختصراً مقبولاً عند اولى النّهى ومن ثم قيل: خير الكلام ماقلّ ودلّ؛ فالاكثار اثر السّفاهة واثره الملامة والسّأمة.

۳۹- قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

الشَّفيعُ جَنٰاحُ الطّٰالِبِ.

اقول: شبّه الشّفيع بالجناح والطّالب بالطّائر ؛ لانّ الطّالب يصل الى مطلوبه بسبب شفاعة الشّفيع كما انّ الطّائر ينال مراده بسبب الجناح فالتّشبيه الاوّل من قبيل التّشبيه البليغ والثّانى استعارة بالكناية، واثبات الجناح للطّالب تخييل.

المعنى ـ انّ من تمسّك بحبل الشّفاعة فيما يحتاج اليه عند احدٍ من جلب نفعٍ او دفعٍ ضرّ فالأغلب ان ينال مراده و يحصّل ما أراده لما يفهم من ظاهر ما قيل: من كان فى عون أخيه المسلم كان الله تعالى معينه[1]. من انّ الشّفيع هو ممّن أعانه الله تعالى سواءٌ كان فى نفس الشّفاعة او فى سائر احواله و افعاله.

---

۱ ـ **فى الحاشية :** « لعله مأخوذ من قوله: من كان فى حاجة أخيه كان الله فى←

٤٠ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

نِفٰاقُ الْمَرْءِ ذِلَّةٌ.

أقول: يعنى ــ مخالفة الباطن للظّاهر باخفاء المكر والعداوة واظهار الحبّ والصّداقة سببٌ للمذلّة والحقارة فى الدّنيـا والآخرة ؛ فانّ صاحب هذا الفعل الشّنيع لايخلو من ان يغتاب عمّن ينافقه فى حال غيبته و الطّعن عليه و اللّعن له وعدّ مثالبه ومعايبه، ومرتكب هذه القبائح لايخفى ذلّه وهوانه عندكلّ احدٍ .

٤١ ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

نِعْمَةُ الْجٰاهِلِ كَرَوْضَةٍ فِى مَزْبَلَةٍ.

أقول: النّعمة بكسر النّون هى الحالة الّتى يستلذّ بها الانسان؛ اطلقت على مايستلذّ به من المنعم به ، و النّعماء بالفتح و المدّ و النّعمى بالضمّ والقصر ما أنعم الله به عليك ، و **الرّوضة** من البقل والعشب وجمعها روض ورياض، و **المزبلة** بفتح الباء وضمّها موضع الزّبل وهو السّرجين معرّب سرگين وهو قذر الدّوابّ.

← حاجته؛ والحديث فى المشارق وانما لم يقل من قضى حاجة أخيه اشعاراً بأن قضاء الحاجة انما هو خالصاً لله تعالى وليس من قبل العبد الا المباشرة به والكون فيه **ثم الغرض ههنا** بيان كون الاول سبباً للثانى فان تكرر السبب تكرر المسبب والافلا ؛ **فلايرد عليه ان** لفظ كان لايصلح ههنا للاستمرار ولا للانقطاع ولا للزيادة **ولايحتاج فى دفعه الى ان** يقال من ان كان الاولى بمعنى سعى والثانية بمعنى قضى على معنى من سعى فى حاجة أخيه قضى الله حاجته ؛ مع انه لايخلو عن تعسف لانه تخصيص للعام الذى هو الكون فى قضاء الحاجة بأى وجه كان بالسعى الذى هو عمل بحسب الجوارح و النفع العام على عمومه ؛ **كذا فى شرح المشارق؛ منه** » .

يعني ــ اذا رأيت جاهلاً كثيرالنّعم والاموال فلاتعجب ؛ فانّ الرّياض تكثر في المزابل، ولا تأس على الفقر ان كنت عاقلاً فنعمة العقل اُمّ جميع الفضائل،ولاتطمع بشيء ممّا في يده ؛ فانّ الطّبع السّليم يتنفّرعمّا على المزابل ؛ بيت:

دست سلطان دگر کجا یابد — چون بسرگین در اوفتاد ترنج(۱)
تشنه را دل نخواهد آب زلال — کوزه بگذشته بر دهان سلنج(۲)

۱- في الهامش: «لفظ[ترنج]» مما تنازع فيه الفعلان احدهما[يابد] بمعنى يجد وهو يقتضي المفعول والثاني[اوفتاد] بمعنى وقع وهو يقتضي الفاعل؛ منه».

۲- في الهامش: «بالشين المعجمة على وزن ترنج بالتركي يلمه كذا سمع، وقال بعض الكملين معناه : دهان گنديده،وقيل : أصل العبارة سکنج بكسر السين المهملة وفتح الكاف العربي وهو اسم للحية الرقشاء وهي الحية المعروفة بشدة تأثير سمها ؛ منه».

أقول : اما البيتان فهما لسعدي ذكرهما في اواخر الباب الاول من كتاب گلستان الا انهما ليسا في بعض النسخ و من ذلك البعض نسخة الاستاذ عبدالعظيم القريب و حيث ان اللغويين و شراح كتاب گلستان صرحوا بكون البيتين لسعدي وهما موجودان في غالب النسخ فلا يعبأ بقليل من النسخ التي ليس فيه البيتان ؛ **قال صاحب فرهنگ آنندراج** مانصه : « سکنج بضمتين (فارسي) بمعني گنده دهن و بوی دهان ؛ **شيخ سعدی گفته** :

« دست سلطان دگر کجا بيند — چون بسرگين دراوفتاد ترنج »
« تشنه را دل نخواهد آب زلال — کوزه بگذشته بر دهان سکنج »

(انتهى مااردنا نقله من آنندراج)

و صرح دهخدا في كتاب امثال و حكم أنهما لسعدي (انظر ص ۸۰۹ من الكتاب).

وقال الشيخ ولي محمد الاكبرابادي في «شرح گلستان فارسي» (ص ۱۲۹ من النسخة المطبوعة بلكهنو) : « قوله : کوزه بگذشته بر دهان اشکنج در نسخهٔ سقيمه شکنج بی‌همزه مرقوم است و مير نورالله نظر باين نسخه از فرهنگ جهانگيری نوشته که شکنج با اول و ثانی مضموم گنده دهن باشد انتهی پس برتقدير همزه دهان اشکنج لفظ مرکب باشد بتجريد بعض‌معنی چه اشکنج را که بمعنی گنده دهن‌است از دهن مجرد کرده بادهان ترکيب دادند».

←

٤٢ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

اَلْجَزَعُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ أَتْعَبُ مِنَ الصَّبْرِ.

أقول : الجزع ضدّ الصبر، و **المصيبة** واحد المصائب بالهمزة واصله الواو وقد يجمع على مصاوب بالواو، و **الصبر** بالسّكون حبس النّفس عن الجزع كأنّه مأخوذ من الصّبر بكسر الباء وهوالدّواء المرّ.

المعنى — من أصابته مصيبةٌ فليصبر ولايجزع؛ فانّ الجزع أشدّ تعباً وأكثر نصباً من الصّبر؛ مع انّه لاينفعه، وعن ثواب المصيبة يمنعه؛ فيكون مصيبةً على مصيبةٍ.

٤٣ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

اَلْمَسْؤُولُ حُرٌّ حَتّىٰ يَعِدَ.

أقول : المسؤول من السّؤال بمعنى التّكدّى لابمعنى الاستكشاف؛ والفرق انّه اذا كان بمعنى التّكدّى يتعدّى الى مفعوليه بلاواسطةٍ نحو سألت زيداً درهماً، واذا كان بمعنى الاستكشاف يتعدّى الى الثّانى بعن نحو سألت زيداً عن حال عمروٍ، وقد يستعمل

← الى غيرذلك ممن صرح بأنهما لسعدى و بقى هنا شىء وهو ان آخر كلمة من البيت الثانى فى بعض النسخ: «سلنج» (باللام) فقال ابن خلف التبريزى فى «برهان قاطع» مانصه: «سلنج بكسر اول و ضم ثانى و سكون نون و جيم مخفف سه‌لنج است يعنى سه لب چه لنج بمعنى لب هم آمده است وكسى را نيز گويندكه لب بالائين يا لب زيرين او چاك باشد» فعلم ان ماذكره الشارح فى هامش‌الكتاب فى معنى الكلمة بمعزل عن الصواب.

الباء موضع عن كقوله تعالى: سأل سائلٌ بعذابٍ واقعٍ[١] وقال الأخفش: يقال: خرجنا نسأل عن فلانٍ وبفلانٍ، **والحرّ** ضدّ العبد وههنا مجازٌ عن المتخلّص من ربقة رقّ المطالبة، **و الوعد والعدة** يستعمل فى الخير والشّرّ **قال الفرّاء**: يقال: وعدته خيراً و وعدته شرّاً؛ فان أسقطوا الخير والشّرّ قالوا: فى الخير الوعد والعدة؛ وفى الشّرّ الايعاد والوعيد، فان أدخلوا الباء فى الشّرّ جاؤوا بالألف فقالوا: أوعده بالسّجن.

المعنى ــ الّذى طولب منه شىءٌ فهو حرٌّ متخلّصٌ عن رقّ مطالبة الطّالب ايّاه ثانياً مالم يعد بأداء المطلوب ولم يلتزم بايفائه؛ فاذا وعده والتزم ايفاءه فقدأوقع نفسه فى مظنّة الرّقّ والعبوديّة، ثمّ اذا وفا ما وعده خرج عن تلك المظنّة وعاد حرّيّته والّا بقى فيها فالأحرى بشأن من يدّعى الحرّيّة ان يقضى حاجة الطّالب ان قدر، وان لم يقدر لم يعد بالقضاء بل يردّه بقولٍ جميلٍ؛ قال الله تعالى: قولٌ معروفٌ و مغفرةٌ خيرٌ من صدقةٍ يتبعها أذىً[٢].

٤٤ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

أَكْبَرُ الْأَعْدٰاءِ أَخْفٰاهُمْ مَكِيدَةً.

أقول: الاكبر أفعل التّفضيل من الكبر بكسر الكاف والمفضّل عليه حقيقةً محذوفٌ ههنا تقديره: أكبر كبار الأعداء؛ للزوم كون المفضّل والمفضّل عليه مشتركاً فى أصل المعنى كما قيل فى قوله عليه السّلام: انّ شرّ النّاس عند الله منزلةً من أكرمه النّاس اتّقاء فحشه؛ تقديره[٣]: انّ شرّ شرار النّاس، **و المكيدة** مصدرٌ من كاد يكيد كيداً ومكيدةً بمعنى المكر.

١ـ آية١ سورة المعارج. ٢ـ صدر آية٢٦٣ سورة البقره.

٣ـ فى الهامش: «اذ لو لم يقدر به يفهم اشتراك جميع الناس فى الشر ولاشك ان الناس كلهم ليس بشر كما يقال: فلان اكرم الناس اى اكرم كرماء الناس؛ كذا فى شرح المشارق؛ منه».

المعنى – انّ من صحبك[1] باظهار المحبّة والصّداقة و كلّمك بالملائمة والبشاشة مع انّه مجتهدٌ فى السرّ بالدّعارّة والعداوة فاعلم انّ عداوته أثبت و أتمّ وأحكم ؛ فاحذر عنه كلّ الحذر فانّ قوله مكرٌ وتلبيس ، وفعله كيد وتدليس؛ وغرضه عيب وتدنيس ، واللّصّ الدّاخلىّ داءٌ عُضالٌ؛ قال الشّاعر:

نفسى الى ما ضرّنى داعى تكثر أسقامى و أوجاعى
كيف احتيالى من عدوّى اذا كان عدوّى بين أضلاعى

٤٥ ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

مَنْ طَلَبَ مٰالاٰيَعْنيهِ فٰاتَهُ مٰايَعْنيهِ.

أقول : [يعنيه] من عنى يعنى عنايةً بمعنى القصد يعنى من طلب ماليس بمقصودٍ ومهمٍّ له ضلّ عنه وضاع ماهو مقصودٌ له ومهمٌّ عنده مادام فى ذلك الطّلب، **ويحتمل** ان يكون بالغين المعجمة من الغناء بالفتح والمدّ بمعنى النّفع والكفاية على معنى أنّه من طلب أمراً لاينفعه ولايكفيه فى العاجل أو فى الآجل فات عنه ماينفعه فيهما ؛ الاوّل أشهر والثّانى أظهر.

٤٦ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

اَلسّٰامِعُ لِلْغيبَةِ أَحَدُ الْمُغْتٰابَيْنِ.

أقول: الغيبة بالكسر ان يتكلّم خلف انسانٍ مستوراً بما يغمّه لو سمعه[2] فان كان

١ـ فى الهامش: «و يقال: صديقك من صدقك بالتخفيف لامن صدقك بالتشديد؛منه» .

٢ـ فى الهامش: «كذا فسره رسول الله صلى الله عليه[وآله]وسلم حيث قال: ان كان ←

صدقاً سمّی غیبةً، وان کان کذباً یسمّی بهتاناً (١).

یعنی – من جلس فی مجلسٍ یغتاب فیه أحدٌ آثِمَ باثم الغیبة وان لم یتکلّم ؛ فانّ الرّضا بالاثم إثمٌ، و الجلوس فی موضع الفسق معصیةٌ. **قیل:** دعی ابراهیم بن أدهم الی دعوةٍ فحضر فذکروا رجلاً لم یأتهم وقالوا : انّه ثقیلٌ فقال ابراهیم : انّما فعل بی هذا نفسی؛ حیث حضرت موضعاً یغتاب فیه النّاس، فخرج ولم یأکل ثلاثة أیّام.

٤٧ـ قال أمیر المؤمنین رضی الله عنه:

اَلذُّلُّ مَعَ الطَّمَعِ ، وَالْعِزُّ مَعَ الْقَنَعِ ، خُذِ الْقَنَعَ وَدَعِ الطَّمَعَ.

أقول : القنع من القناعة وهی مصدر قنع یقنع من باب سلم یسلم، وقنع یقنع قنوعاً من باب خضع یخضع خضوعاً بمعنی السّؤال والتّذلّل ، وقیل:

← فیه ماتقول فقد اغتبته وان‌لم‌یکن فیه ماتقول فقد بهته بفتح الهاء المخففة؛ ای قلت فیه البهتان فعلی هذا کان الفرق بینهما واضحاً فلایلتفت الی ماقیل: ان الغیبة ذکر الانسان فی غیبته بمایکره، والبهتان ان یقال فیه الباطل فی وجهه؛ فانه مخالف للحدیث حیث لم یقید فی البهتان ان یکون فی وجهه؛ کذا فی توضیح المقدمة؛ منه».

١ـ فی الهامش: «اعلم ان کلا منهما حرام **الا ان الغیبة تستباح فی مواضع :** **الاول** مقام التظلم فانه یجوز للمظلوم ان یقول لمن له ولایة وقدرة علی انتصافه ممن ظلمه: ان فلاناً ظلمنی و فعل کذا وکذا. **والثانی** الاستعانة فی تغییر المنکر فانه یجوز له ان یقول لمن یرجو اقتداره علی تغییره: ان فلاناً یفعل کذاوکذا فازجره عن تلک. **والثالث** الاستفتاء فانه یجوز للمستفتی ان یقول للمفتی: ان فلاناً فعل کذا وکذا فهل یجوز لی ان انتقم منه؟ قیل: الاولی فی ذلک ان لایعین».

العبد حرٌّ ان قنع[1] والحرّ عبدٌ ان قنع[2]
اقنع ولا تقنع فما شیءٌ یشین سوی الطّمع

و دع امر من ودع یدع وقد أمیت ماضیه وفاعله و مفعوله ولایکاد یستعمل الّا [فیما] أنکرته کقوله علیه‌الصّلوة والسّلام: دعوا الحبشة ماودعوکم، واترك التّرك ماترکوکم.

المعنی — من تمسّك بحبل الحرص والطّمع یقع فی برّ الذّلّ والهوان، ومن سکن فی بیت القناعة یکون مع العزّ والامان؛ قال النّبیّ علیه‌الصّلوة والسّلام: ماتضعضع امرؤٌ لآخر یرید عرض الدّنیا الّا ذهب ثلثا دینه. **قال بشرٌ الحافی** رحمه‌الله تعالی: القناعة ملكٌ لایسکن الّا فی قلب مؤمنٍ. **و یقال**: الطّمع مرضٌ و السّؤال نزع، و الحرمان موت.

وعن علیٍّ رضی‌الله‌عنه **انّه قال**: سل عمّن شئت تکن أسیره، واستغن عمّن شئت تکن نظیره، وأعط لمن شئت تکن أمیره[3].

٤٨- قال أمیر المؤمنین رضی الله عنه:

الرّاحَةُ مَعَ الْیَأْسِ.

أقول: **الرّاحة** الاستراحة وکذا الرّوح بالفتح، و **الیأس** القنوط وترك الطّمع.

یعنی — من أراد الاستراحة فلییأس عمّا فی أیدی النّاس و لیتوکّل علی الله فهو حسبه.

١- بکسر النون.

٢- بفتح النون.

٣- کلام مأثور عن امیرالمؤمنین علیه‌السلام وشهرته تغنی عن الایماء الی محل ذکر له.

٤٩- قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

اَلْحِرْمَانُ مَعَ الْحِرْصِ.

أقول : الحرمان مصدرحرمه الشّىء يحرمه حرمة بكسر الرّاء فيهما مثل سرقه يسرقه سرقة وحرمة وحريمة وحرماناً وأحرمه ايضاً اذا منعه ايّاه،و **الحرص** شدّة الميل.

يعنى من كان حريصاً على حصول مراده فالاكثر ان يكون محروماً كما يقال: تأبى الدّنيا عن طالبها وتتبع لتاركها.

٥٠- قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

مَنْ كَثُرَ مُزَاحُهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ حِقْدٍ عَلَيْهِ اَوْ اسْتِخْفَافٍ بِهِ.

أقول : المُزاح والمُزاحة بضمّ الميم فيهما اسم المزح وهو مصدر مزح يمزح من باب قطع ، وامّا المِزاح بكسر الميم فهومصدر مازحه ممازحة ومزاحاً ، **والحقد** الضّغن.

المعنى — من كان عادته المزاح لم يبال من ايذاء من يمزحه و كسر خاطره ومن كون كلامه صدقاً او كذباً فلايخلو من الحقد عليه حتّى اذا وجد فرصةً ينتقم منه وان يكون هو مستخفّاً بين النّاس وان يتّخذه كلّ احدٍ سخريّاً و مستهزءاً ؛ قيّد بالكثرة لانّ من فعله قليلاً يكون مزاحه حقّاً غالباً فيخلو عن ذلك بل هو مباحٌ كما نقل عن النّبىّ صلّى الله عليه[وآله]وسلّم انّه قال لعجوزٍ : انّ الجنّة لايدخلها العجوز يعنى من حيث انّها عجوزٌ بل تصيرشابّةً فتدخلها.

٥١ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

عَبْدُ الشَّهْوَةِ أَذَلُّ مِنْ عَبْدِ الرِّقِّ.

أقول : الشّهوة حالة تنساق بها النّفس الى هواها، و **الرّقّ** عجز حكمىّ يثبت فى الانسان جزاءً للكفر ابتداءً ، والاضافة فى الموضعين لأدنى ملابسة اذ كلّ من الشّهوة والرّقّ سببٌ لكون صاحبها عبداً او خادماً لآخر.

المعنى ــ من كان أسيراً لنفسه واتّبع هواها كان أذلّ من الرّقيق الّذى يخدم مولاه ؛ لانّ من اتّبع الهوى واقتعد غارب الجهل والغوى لايخلو عن الوقوع فى المعصية واىّ ذلٍّ وهوانٍ أعظم من هذا ؛ قال الشّاعر[1]:

نون الهوان من الهوى مسروقة و أسير كلّ هوىً أسير هوان

١ـ شعر معروف جداً ومذكور فى كثير من كتب الصوفية ومنها الرسالة القشيرية فانه مذكور فيها فى باب مخالفة النفس و ذكر عيوبها (ص ٧٢ من طبعة مطبعة صبيح و اولاده سنة ١٣٦٧) وقال الشارح فى الهامش: «يعنى ان الهوى اصله الهوان فغير لفظه بحذف النون و بقى معناه مغيراً فى الهوى؛ ولبعضهم:

ان الهوى لهوان النفس معبرة فلاتطعه وكن منه على حذر

قيل لبعضهم: انى اريد ان احج على التجريد فقال: جرد اولا قلبك عن السهو و نفسك عن اللهو ولسانك عن اللغو ثم اسلك حيث شئت. و رؤى رجل جالساً فى الهواء فقيل له : بم نلت هذا ؟ــ فقال : تركت الهوى فسخر لى الهواء. **وقيل** : لاتضع زمامك فى يدى الهوى فانه يقودك الى الظلمة كذا فى الرسالة القشيرية ». **أقول** : مانقله هنا فهو موجود بعينه فى الرسالة القشيرية (انظر باب مخالفة النفس وذكر عيوبها ؛ ص٧٢ من طبعة مطبعة صبيح و اولاده سنة١٣٦٧).

٥٢ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

الْحاسِدُ مُغْتاظٌ عَلىٰ مَنْ لاٰ ذَنْبَ لَهُ.

أقول: الغيظ غضبٌ كامنٌ للعاجز تقول: غاظه من باب باعه فهو مغيظ، واغتاظ وتغيّظ بمعنىً؛ ولايقال: أغاظه وغايظه كذا فى مختارالصّحاح.

المعنى ـ انّ الحسود يغضب ويغيظ دائماً على من لايؤذيه بل ينفعه أحياناً لانّه عدوٌّ لنعم الله تعالى فاذا رأى أحداً أنعم الله تعالى عليه يكاد يهلك حزناً وغمّاً فأهل العالم لايخلو عن النّعم وهو عن الوقوع فى الهمّ والغمّ؛ بيت[1]:

توانم آنكه نيازارم اندرون كسى   حسود راچه كنم كوزخود برنج دراست
بميرتا برهى اى حسود كاين رنجيست   كه از مشقّت آن جز بمرگ نتوان رست

شور بختان بآرزو خواهند   مقبلان را زوال نعمت وجاه[2]
گر نبيند بروز شب پره چشم   چشمهٔ آفتاب را چه گناه

٥٣ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

كَفىٰ بِالظَّفَرِ شَفيعاً لِلْمُذْنِبِ.

أقول: الباء زائدة فى الفاعل، و **شفيعاً** نصب على التّميز و **للمذنب** متعلّق بالتّشفيع

١ـ البيتان لسعدى ذكرهما فى الباب الاول من گلستان (انظر ص ٥ ٢ من النسخة المطبوعة بتصحيح الاستاذ عبدالعظيم القريب).

٢ـ البيتان لسعدى ذكرهما فى الباب الاول من گلستان و بعدهما هذا البيت:
« راست خواهى هزار چشم چنان   كور بهتر كه آفتاب سياه »
(انظر ص ٢٥ من النسخة المطبوعة بتصحيح الاستاذ عبدالعظيم القريب).

والظّفر علی سبیل التّنازع.

یعنی – اذا ظفرت علی من ظلمک وقدرت علی ان تنتقم منه مع أنّه لاأحد یشفعه فاعف عنه فانّ الظّفر علیه کاف فی شفاعته.

٥٤ ـ قال أمیر المؤمنین رضی الله عنه :

رُبَّ ساعٍ یَسْعٰی فیما یَضُرُّهُ.

أقول: الاصل فی ربّ تقلیل ما دخلت هی علیه ولکن کثر استعمالها للتّکثیر والمشهور انّه حرفٌ **وقیل** : هو اسمٌ ککم الخبریّة و استدلّ علیه بصحّة نحو قولک : ربّ رجلٍ کریم أکرمته ، و ذلک لانّ الفعل لایتعدّی الی مفعولٍ بحرف الجرّ و الی ضمیره معاً فلایقال: لزید ضربته، وبنحو قولک: ربّ رجلٍ کریم جاء ؛ فی جواب من قال: ماجاءك رجل، و یتعلّق مجرور ربّ علی [ما] بعده علی وجه القیام لاالوقوع فی نحو قولک ربّ رجل کریم حصل؛هذا، و وصف مدخوله واجب علی الاصحّ لانّ التّقلیل یناسبه التّخصیص، ویحذف فعله غالباً لانّه کثیراًما یقع فی جواب السّؤال فیستغنی عن ذکر الفعل بقرینة السّؤال. **وقوله : فیما یضرّه** مع متعلّقه المقدّر صفة ساعٍ علی المذهب الاصحّ وفعلها محذوفٌ والتّقدیر: ربّ ساعٍ یسعی ویجتهد فیما یضرّه لقیته اوصادفته اوسمعته.

المعنی کم من رجلٍ یسعی فیما یضرّه لقلّة عقله وعدم تدبیره وعجزه عن درکه عاقبة أمره و ظهور حسنه فی عینه و کمون سوءه و قبحه فی نظره حتّی یراه حسناً ویظنّه نفعاً ویسعی له سعیاً قال الله تعالی: افمن زیّن له سوء عمله فرآه حسناً [١] وقال تعالی: وعسی ان تحبّوا شیئاً وهو شرٌّ لکم [٢] الایة؛ فالأجدر بالعاقل [٣] ان یحتاط فی جمیع أحواله و أفعاله

١- صدر آیة ٨ سورة الفاطر (= الملئکة).

٢- من آیة ٦ ٢ سورة البقرة.

٣- فی الاصل : «للعاقل».

ويسعى فيما يساعده العقل والشّرع ويجتنب عن أمرٍ غيرظاهرالخيروالنّفع فانّه من لم يحترز عن الشّبهة يوشك ان يقع فى الحرام المحض .

٥٥ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

اَلْيَأْسُ حُرٌّ وَالرَّجَاءُ عَبْدٌ.

أقول : اى صاحبها امّا بطريق ذكر المصدر وارادة الصّفة او بتقدير المضاف.

المعنى – اذا طمعت بما فى أيدى النّاس جعلت نفسك عبداً لهم كما **قيل:** الانسان عبيدالاحسان؛ و اذا رضيت بما قسم لك و استغنيت عن كلّ أحدٍ بما قدّر لك كنت من جملة الاحرارالاخيار[1] وتخلّصت بالكلّيّة عن ربقة رقّ الاغيار.

٥٦ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

ظَنُّ الْعَاقِلِ كَهَانَةٌ.

أقول : الكهانة بكسر الكاف وفتحها مصدرٌ من باب كتب و ظرف وهو إخبارٌ عمّا يكون فى المستقبل .

يعنى – اذا أشكل عليك وجه الأمرسله عن رجلٍ عاقلٍ ذى رأىٍ كاملٍ فاذا

١ـ فى الهامش: « ومن أحسن ماقيل فى هذا الباب قول من قال:

« قدر لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقاً عن غرة زلجا »

ويقرب منه ماقيل: قدم الخروج قبل الولوج؛ القدم بفتحتين بمعنى الرجل وهو الرواية فى المثل؛ وقد يقال: قدم بفتح القاف وكسر الدال المشددة على انه أمر من قدم يقدم تقديماً، والانسب على هذا ذكر على موضع قبل كما لايخفى؛ منه» .

أرشدك الى طريقٍ بمقتضى ظنّه وصائب رأيه فاعمل به فانّ ظنّ العاقل لايخطأ غالباً كأخبار الكهنة الّذين يخبرون عن الكوائن بالأمارات الّدالّة على الوقوع مثل هالة القمر الّدالّة على المطر، **والظّاهر** انّ المراد من الكهانة ههنا ما هو مقرونٌ بالأمارة باعتبار العادة فلايرد عليه انّه يتوهّم من ظاهره جواز تصديق الكاهن وهو كفر.

٥٧ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

مَنْ نَظَرَ اعْتَبَرَ

أقول: النّظر الفكر، والاعتبار هوالعبور من حال شيءٍ الى حال آخر؛ وهو أعمّ من النّظر(١).

يعنى ــ من تفكّر فى عجائب صنع الله تعالى و مكوّناته وتأمّل فى غرائب ملكه وملكوته فلاجرم اعتبر به(٢) حقّ الاعتبار وعلم يقيناً انّ الله تعالى واحدٌ فى ذاته وكاملٌ فى صفاته لايماثله أحدٌ من خلقه فى شيءٍ وانّ ماسواه مستمدٌّ منه ويحتاج اليه وكذا فى كلّ أمرٍ من امور الدّنيا والآخرة فانّه اذا تأمّل فى أمرٍ حصل له العبرة وأدرك مايؤول اليه فيفعله اذا علم فيه نفعاً والّا يتركه.

٥٨ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

اَلْعَداوَةُ شُغْلٌ شاغِلٌ.

أقول: يعنى ــ من حمّل نفسه عداوة أحدٍ فقد أوقعها فى مشقّةٍ وتعبٍ، و ألقاها

١ـ **علله فى الهامش بقوله**: «لان النظر يعتبر فيه الترتيب؛ والاعتبار ليس كذلك بل هو يوجد معه وبدونه، والاعتبار اخص من وجهٍ آخر فانه يكون فى حالة الشيئين المتغايرين دائماً كالعالم مع الصانع والنظر أعم منه».

٢ـ فى الاصل: «منه».

الى مهلكةٍ ونصبٍ، بلانفع ولافائدة؛ فانّ العداوة تحرق صاحبها كما تحرق النّارالحطب.
وقوله : شاغلٌ تأكيد شغل مثل قولهم : ظلٌ ظليلٌ، وليل لائلٌ اى كامل فى ظلّيّته وكامل فى ظلمته ، وفى بعض النّسخ « بلانفعٍ » وهوظاهر.

٥٩- قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

اَلْقَلْبُ اِذٰا اُكْرِهَ عَمِىَ.

أقول : القلب هوالعضو الصّنوبرىّ المستكنّ فى الجانب الأيسر من الصّدرسمّى به لانّه خالص البدن من قلب النّخلة اى لبّها؛ **وقيل:** سمّى به لكثرة تقلّبه قال الشّاعر :

القلب منقلبٌ مثل اسمه أبداً   طوبى لقلبٍ سليمٍ غير منقلب

والعمى ذهاب البصر من باب صدى؛ ورجلٌ عمى القلب اى جاهل .

يعنى — اذا أردت ان تعلّم أحداً شيئاً من العلوم والصّناعات فلاتكرهه عليه فانّ الاكراه على العلم يوجب الجهل، والجبرعليه يقتضى انكساراً لايقبل الجبر .

٦٠- قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

اَلْأَدَبُ صُورَةُ الْعَقْلِ.

أقول : الصّورة ههنا بمعنى الصّفة كما فى قوله صلّى الله عليه [وآله]وسلّم : خلق الله آدم على صورته .

يعنى — انّ الادب علامة العقل وأثره كأنّه صفة له قائم به؛ ولهذا استدلّ بالادب على العقل كما يستدلّ بالأثر على وجود المؤثّر.

٦١- قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

لاتَتَّكِلْ عَلَى الْمُنٰى فَإِنَّهٰا بَضٰائِعُ النَّوْكٰى

أقول: الاتّكال الاعتماد من باب الافتعال وقعت الواو قبل تائه فأدغمت بعد القلب، **المنى** بالقصر مايخطر على البال من هوى النّفس، و **البضائع** جمع البضاعة، و **النّوكى** بالفتح جمع أنوك من النّوك وهو الحمق.

يعنى – لاتعتمد على اُمنيّتك من الهوى؛ فانّه ليس كلّ مايهواه الانسان يملكه، ولا كلّ مايتمنّاه يدركه، وانّ الاعتماد على الهوى والاتّكال على المنى من شيم الحمقى وخصال النّوكى؛ قال الشّاعر:

ماكلّ مايتمنّى المرء يدركه   تجرى الرّياح بمالاتشتهى السفن[1]

٦٢- قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

لاحَيٰاءَ لِحَرِيصٍ.

أقول: الحياء انقباض النّفس عن القبيح مخافة الذمّ واشتقاقه من الحيوة فانّه انكسارٌ يعترى القوّة الحيوانيّة فيردّها عن أفعالها فقيل: حي الرّجل كما قيل: نسي وحشى اذا اعتلّت نساه وحشاه.

يعنى – من استولى عليه الحرص ذهب عن عينيه الشّبع والامتلاء وانصبّ عن وجهه ماء الحياء.

١- الشعر من المتنبى و يجرى مجرى الامثال.

٦٣ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

مَنْ لانَتْ أَسافِلُهُ صَلُبَتْ أَعالِيهِ.

المراد من الأسافل من يتابع الرّجل من المماليك وسائر الخدم ، **ومن الأعالى** من به القوّة والعلوّ، **ولين الأسافل** كناية عن ضعفها، و **صلابة الأعالى** كنايةٌ عن قوّتها.

يعنى — انّ من لم يراع أتباعه حقّ الرّعاية ولم يحسن اليهم بلين الكلام ولم يلطف بهم بحسن الانعام فلاشكّ فى تفرّق أنصاره وأعوانه وتركهم ايّاه وحيداً بين أعدائه ؛ فيكون مقهوراً ومغلوباً أسيراً فى أيديهم قال(١):

اذا شبع الكمىّ يصول بطشاً　　　وخاوى البطن يبطش بالفرار

فالّلازم له ان يذكر الأتباع فى الوسع والرّفاه بحسن الجود والسّخاء حتّى يذكروه فى المضائق والبلاء بصدق العهد والوفاء.

٦٤ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

مَنْ أُوتِيَ فِى عِجانِهِ قَلَّ حَياؤُهُ وَبَذَأَ لِسانُهُ.

أقول : العجان بالكسرالاحمق ومابين الفرج والدّبر وهو المراد ههنا ورجلٌ **بذىّ اللّسان** والمرأة **بذيّة** من البذاء بالمدّ وهو الفحش ، والاتيان فى العجانة كناية عن فعلٍ يستهجن ذكره.

يعنى — من فعل به مافعل قوم لوط يكون قليل الحياء بل عديمه ولايبالى من ان

١ـ الشعر مذكور فى الباب الاول من گلستان سعدى الا انى لاأدرى هل هولهومن انشائه ام لغيره و هو أنشده.(انظر ص٣٣ من النسخة المطبوعة بتصحيح الاستاذ عبدالعظيم القريب).

يتكلّم بكلام فاحش وهو لكونه عديم الحياء و بذى اللّسان برئ من الغيرة والايمان ، ولكمال شناعة هذا الفعل وقباحته **قيل** : كلّ ما تشتهيه النّفس توجد فى الجنّة الّا اللّواطة.

٦٥- قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

اَلسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ .

أقول : **يعنى** السّعادة فى الدّنيا والآخرة لمن يتّعظ ويقبل النّصيحة ممّن هو ينصح لآخر ويزجره عن فعل شنيع و أمر قبيح ، و اذا رأى منكراً صادراً عن الغير استكرهه ولا يقاربه[1] اصلاً كما قيل للقمان الحكيم: ممّن تعلّمت الادب؟ - فقال: ممّن ليس له أدبٌ لأنّى كلّما رأيت ما يصدر منه تركته .

٦٦- قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

الشَّرُّ جَامِعٌ لِمَسَاوِىءِ الْعُيُوبِ .

أقول: الشّرّ ضدّ الخير يقال : شررت يا رجل بفتح الرّاء وكسرها شرّاً و شراراً وشرارة بفتح الشّين فى الكلّ ؛ وفلان شرّ النّاس ، ولايقال: أشرّ النّاس الّا فى لغة رديّة ، و **قال يونس** : واحد الاشرار شرّ كزند و أزناد و **قال الأخفش** : واحدها شرير كيتيم وأيتام ، والشّرّير بوزن السّكّيت كثير الشّرّ؛ والشّرّة بالكسر مصدر كذا فى **مختار الصّحاح**. و **المساوىء** جمع المسوء من السّوء واضافته الى العيوب للبيان.

يعنى — من كان قريباً من الشّرّ و الضّرّ بعيداً من النّفع و الخير يجتمع فيه أنواع

١— فى الاصل : « لايقادر به » اى لايقرب منه و دليل التصحيح قوله فى شرح هذه الكلمة « أوحش الوحشة العجب » بهذه العبارة : « لا احد يقاربه ولاجليس يصاحبه ».

العيوب وتظهر عيوبه فى جميع العيون وتذكر معايبه و مثالبه وتنسى فضائله ومناقبه؛ فاللّازم لمن أراد المكرمة والسّعادة ان يتجنّب عن المكر والشّرارة كما قيل:

سم سمةً تحسن آثارها — واشكر لمن أعطى ولو سمسمة

والمكر مهما اسطعت لاتأته — لتقتنى السّؤدد و المكرمة

٦٧- قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

اَلْحِكْمَةُ ضالَّةُ الْمُؤْمِنِ.

أقول : الحكمة إحكام الرّأى والتّدبير، وتطلق على كلّ كلامٍ محكمٍ لامدخل فيه للفساد بوجهٍ، وعلى كلّ دليلٍ محكمٍ موضحٍ للحقّ مزيلٍ للشّبهة، وعلى كلّ فعلٍ محكمٍ مشتمل على مصلحةٍ[1] عارٍ عن مفسدةٍ، وعلى كلّ علمٍ يعرف فيه[2] استكمال النّفس الانسانيّة فى جانبى العلم والعمل بالاحكام و منه اطلاق الحكمة على علم الشّرائع والاحكام كذا فى شرح البردة؛ والظّاهر انّ المراد من الحكمة ههنا جميع معانيها الاربعة على مذهب من جوّز عموم المشترك، اوعلى طريق عموم المجاز بأن يراد منها معنىً مجازىّ شامل لأفراد المعانى المذكورة.

يعنى — انّ الامر النّافع المفيد الجامع للمصلحة العارى عن المفسدة مقصودٌ مهمٌّ للمومن؛ عليه ان يعرفه و يطلبه وان يأخذه أينما وجده.

١- فى الهامش: «وقد تستعمل الحكمة بمعنى نفس المصلحة و الفائدة كما يقال: لهذا الفعل حكمة اى مصلحة و فائدة وليس بلغو ولاعيب؛ منه».

٢- كذا فى الاصل والاولى: «به».

٦٨ ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

كَثْرَةُ الْوِفٰاقِ نِفٰاقٌ ، وَكَثْرَةُ الْخِلاٰفِ شِقٰاقٌ

يعنى ان من كثرت موافقته لاحدٍ فى فعله وقوله بالتّحسين والتّصديق يتّهم بمنافقته له ؛ لأنّه ربّما يريد ذلك الأحد أمراً يضرّه وهو يحسّنه فى عينه مريداً لهلاكه ، وما هو الّا آية النّفاق والعداوة كما **قيل :** صديقك من صدقك لامن صدّقك ؛ واذا كثر خلافه له يكون سبباً لشقاقه وفراقه منه ؛ فالأولى ان يتمسّك بحبل التّوسّط فانّ الاطراف رذائل والاوساط فضائل .

٦٩ ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

رُبَّ أَملٍ خٰائِبٍ.

أقول : الامل الرّجاء يقال : امل خيره يأمل بالضمّ أملاً بفتحتين ، و **الخائب** اسم من خاب يخيب خيبةً اذا لم ينل ما طلب ، و فى المثل : الهيبة الخيبة ؛ ومدخول ربّ يحتمل الاسم وا لمصدر ؛ فاذا كان اسماً فالتّوصيف بالخيبة ظاهرٌ ، و اذا كان مصدراً فهو من قبيل توصيف الشّيء بوصف صاحبه مجازاً نحو قوله : الكلام المصنّف ، و الكتاب الحكيم .

يعنى ــ لاتعتمد على ما تأمله ولا تربط[1] قلبك على ما ترجوه فانّك كثيراً ما لاتناله ولا تكاد تصل اليه لكونه غير مقسومٍ لك فى العلم الالهىّ والتّقدير الازلىّ .

---

١ ـ فى الاصل : « لاترتبط » .

٧٠و٧١ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

رُبَّ رَجاءٍ يُؤَدّى اِلَى الْحِرْمانِ، وَ رُبَّ رِبحٍ [١] يُؤَدّى اِلَى الْخُسْرانِ.

اى ليس كلّ شيء يحصل بالرّجاء ، والأمل كثيراً ما مؤدّاه يأس ومحنة ، وعاقبته آفة و حرمان ، و كذلك كلّ ربحٍ ليس يحصل لك باليسر [٢] و الامان بل آخره ومآله هلاك وخسران ؛ بيت : [٣]

بدريا در [٤] منافع بيشمارست اگرخواهى سلامت دركنارست

---

١ - فى الاصل : « أرباح » .

٢ - كذا ولم اتمكن من قراءة الكلمة .

٣ – البيت لسعدى (انظر گلستان ؛ باب ٣ ص ٢٦ من النسخة المطبوعة بتصحيح الاستاذ عبدالعظيم القريب) .

٤ - **فى الهامش** :« الباء زائدة لتحسين اللفظ قال الاستاذ سلمه الله : ان مثل [اندر] و [در] اذا اقترن بالباء الكائنة للصلة فى لغة العجم يجب ان يؤخر عنه كما فى قوله [بدين بنده دراست] وكذا قوله [حسود را چه كنم كو ز خود برنج دراست] وكذا قوله [بدريا در] والمعنى [دردريا] و [دراين بنده است] و[ز خود در رنج است] كذا فى شرح گلستان سعدى رحمة الله عليه ؛ منه» .

أقول : **قال الاستاذ عبدالعظيم القريب** - رحمه الله تعالى فى كتاب « دستور زبان فارسى » بعد ذكر معانى الباء (انظر ص ١٦٠ من الطبعة الثامنة عشر بطهران سنة ١٣١٦):

« درجائيكه حرف [ب] بمعنى بر، در، اندر ؛ باشد جايزاست اين الفاظ را براى تفسير بعد از ستمم باء درآورند مثالها بقرار ذيل است :

١ - « چوالب ارسلان جان بجانبخش داد پسر تاج شاهى بسر برنهاد »

٢ - « خوش نبود ديده بخوناب در زنده و مرده يكى خواب در» ←

٧٢ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

رُبَّ طَمَعٍ كاٰذِبٍ.

أقول : يعنى لاتتّبع أثر طمعك فانّه فى أغلب الأزمان و أكثر الآونة غير واقع ، وضرر الطّمع بين الأنام شائع ذائع .

٧٣ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

اَلْبَغْىُ ساٰئِقٌ اِلَى الْحَيْنِ.

أقول : البغى التّعدّى وبابه رمى وكلّ مجاوزة وافراط عن[1] المقدار الّذى هو حدّ الشّىء فهو بغى ، **والحين** بالفتح الهلاك وقد حان الرّجل اى هاك وبابه باع وأحانه الله ؛ كذا فى مختار الصّحاح .

يعنى — اتّق نفسك عن مجاوزة المقدار الّذى حدّ لك فانّه يسوق الى الوقوع فى الزّين ، والشّين يؤدّى الى الهلاك والحين .

← ٣ـ « شنيدم در ايام حاتم كه بود بخيل اندرش باد پائى چو دود »
گاهى بجاى [اندر] [اندرون] درآيد چنانكه :
« بدو گفت خسرو كه بدرود باش بداد اندرون تار و هم پود باش »
ايضاً
« بگنج اندرون ساخته خواسته بجنگ اندرون لشكر آراسته »
(انتهى ما اردنا نقله من كتاب دستور الاستاذ القريب).

---

١ — فى الاصل : « على ».

٧٤- قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

فِى كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقَةٌ، وَمَعَ كُلِّ اَكْلَةٍ غُصَّةٌ.

أقول: الجرعة من الماء بالضمّ حسوة منه، **والشّرقة** من الشرق بفتحتين وهو الشّجا، **والغصّة**، و **الاكلة** بالضم اللقمة الواحدة، **والغصّة** من الغصص بفتحتين وهو مصدر غصصت بالطّعام بالكسر من باب علم.

يعنى – ليس فى العالم راحةٌ بلا ألم و نعمة[1] بلانقم؛ بل كلّ من الحسن و القبيح والكثير والقليل والصّلاح و الفساد مشتبك ومختلط بالآخر؛ فانّ بعض الدّرهم همّ وآخر الدّينار نار؛ فالدّنيا اذاً محلّ اعتبارٍ فاعتبروا يا اولى الأبصار.

٧٥- قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

مَنْ كَثُرَ فِكْرُهُ فِى الْعَوَاقِبِ لَمْ يَشْجَعْ.

أقول: من رام حصول أمرٍ مهمٍّ له وأكثر فكره فى عاقبة ذلك الامر هل يتيسّر بالخير واليسر ولايعرض له الشّرّ والعسر؛ يقع الخوف والهيبة فى قلبه ولم يجترئ للدّخول فى بابه، فلاجرم يكون محروماً عن مرامه، فاللائق ان يجتهد فى مطلوبه متوكّلاً على تقدير الله سبحانه فانّ كلّ ما قدّره واقعٌ و الحذر[2] والامتناع عنه غيرنافع؛ بيت:

فقلت: خلّوا سبيلى لا ابالكمُ   فكلّ ما قدّر الرّحمن مفعول
كلّ ابن اُنثى وان طالت سلامته   يوماً على آلةٍ حدْباءَ محمول

١- فى الاصل: «نعم».
٢- بالاصل: «الخور».

٧٦ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

إِذٰا حَلَّ الْقَدَرُ بَطَلَ الْحَذَرُ.

٧٧ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

إِذٰا حَلَّتِ التَّقٰادِيرُ ضَلَّتِ التَّدٰابِيرُ[1].

يعنى — اذا دبّرت فى أمرٍ ولم يتيسّر لك فلا تحزن عليه فانّه اذا نزل قضاء الحقّ وتقديره بطل سعى العبد وتدبيره ، وكذا اذا أوقعه قضاء الحقّ فى محلّ الهلاك لاينفعه الحذر والاتّقاء فاللّازم ان يصبر عليه ويأخذ طريق التّسليم والرّضا .

٧٨ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

اَلْاِحْسٰانُ يَقْطَعُ اللِّسٰانَ.

أقول : يعنى اذا أردت ان تدفع جفاء الانسان خصوصاً ان تتخلّص عن أذى اللّسان فكن على الدّوام مع البرّ والاحسان فانّه أمرٌ عظيم الشّان ، ولا شيء أقطع منه لأذى اللّسان. **ولا يبعد ان يقال**: انّ عليّاً رضى الله عنه تكلّم به حين أراد عمر رضى الله عنه ان يقطع لسان السّائل ؛ أمره رسول الله صلّى الله عليه [وآله] و سلّم فلمّا تبيّن المراد عنده قال : لولا علىٌّ لهلك عمر.

١ــ **فى الهامش** : « جمع التقادير و التدابير مع كونهما مصدرين على تقدير قصد الانواع باعتبار المتعلق فافهم ؛ منه ».

٧٩ـ قال أمير المؤمنين رضی الله عنه:

اَلشَّرَفُ بِالْفَضْلِ وَالْأَدَبِ لا بِالْأَصْلِ وَالنَّسبِ.

أقول : يعنى انّ شرف الانسان و ارتفاع القدر والشّان انّما هو باقتناء الآداب والفضائل و اكتساب العلوم و الشّمائل لا بعزّة الأصول و القبائل فانّه يقال لك يوم القيامة : ماذا اكتسبت؟ ولا يقال لمن انتسبت .

چوكنعان را طبيعت بى هنر بود پيمبر زادگى قدرش نيفزود[1].

٨٠ـ قال أمير المؤمنين رضی الله عنه:

أَفْقَرُ الْفَقْرِ الْحُمْقُ [2].

أقول : يعنى اذا كنت فقيراً محتاجاً ليس لك درهمٌ ولا دينارٌ وأنت عاقلٌ بريءٌ من الحمق فلابأس به ولاتأس عليه فانّ حقيقة الفقر فقرالعقل لافقر المال ؛ فانّ من كان عارياً عن العقل فهو أفقرالنّاس وان اجتمعت الدّنيا عنده بحذافيرها ؛ اذلايقنع بما عنده ، و من له عقلٌ كاملٌ فهو أغنى النّاس وان كان محتاجاً الى قوت يومه لكونه بسبب العقل

١ــ البيت لسعدى و ذكره فى الباب الثامن من گلستان و بعده :

« هنر بنماى اگر دارى نه گوهر گل از خار است و ابراهيم از آزر »

٢ ـ فى الهامش :« ظاهر هذا التركيب مشكل لعدم صحة حمل «الحمق» على «الافقر» ولعدم صحة اضافة «الافقر» الى « الفقر» وهو ظاهر ، اللهم الا ان يقال: ان الافقر بمعنى الاشد مجرداً عن معنى الفقر بقرينة الاضافة الى الفقر فحينئذ يرتفع الاشكال بوجهيه ويكون تقديره: اشد الفقر فقر هوالحمق ؛ منه » .

قانعاً بما قسم له وقدّر .

٨١و٨٢ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

أَكْرَمُ الْأَدَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَأَكْرَمُ النَّسَبِ حُسْنُ الْأَدَبِ.

أقول : يعنى من أراد ان يجتمع فيه أحسن الآداب والشمائل ويحتاز به أفضل الخصال والفضائل فليجاهد فى تحسين أخلاقه وتصفية أحواله ؛ فانّ حسن الخلق أصلٌ جامعٌ لجميع الكمالات الانسانيّة و سببٌ كاملٌ لفيضان الكرامات الالهيّة[١] ؛ **ألا ترى** انّ الله تعالى خصّ نبيّه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم بما خصّه وأثنى عليه بثناءٍ لم يثن بمثله على سائر خلقه ؛ فقال تعالى : انّك لعلى خلقٍ عظيمٍ[٢] . وعن أنس رضى الله عنه قال : قيل : يا رسول الله أىّ المؤمن أفضل ايماناً ؟ ـ فقال عليه الصّلوة والسّلام : أحسنهم خلقاً . **وقال الحسن البصرىّ** فى تفسير قوله تعالى : وثيابك فطهّر[٣] اى وخلقك فحسّن ؛ كذا فى الرّسالة القشيريّة .

فاذا كنت موصوفاً بحسن الخلق و شرف الأدب فلاتأس على ان ليس فيك عزّ الاصل و فضل النّسب ؛ فانّه لاعبرة بالنّسب بلاحسن الادب كما ترى .

---

١ ـ **فى الهامش** : « الخلق الحسن أفضل مناقب العبودية يظهر جواهر الرجال ، و الانسان مستور بخلقه (بفتح الخاء) مشهور بخلقه (بضم الخاء) و قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم : انكم لن تسعوا الناس بأسوالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق . وقال شاه الكرمانى : علامة حسن الخلق كف الاذى و احتمال المؤن . و قيل : الخلق استصغار ما منك اليه ، واستعظام ما منه اليك ؛ منه » .

أقول: ما ذكره جميعه فى الرسالة القشيرية فى باب حسن الخلق (انظر ص ١١٠ من النسخة المطبوعة فى مطبعة صبيح واولاده من مطابع مصر سنة ١٣٦٧) .

٢ ــ آية ٤ سورة القلم .

٣ ـ آية ٤ سورة المدثر.

٨٣ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

أَوْحَشُ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ .

أقول : الوحشه الخلوة والهمّ ، و اُعجب بنفسه و برأيه على مالم يسمّ فاعله فهو معجب بفتح الجيم ، والاسم العجب كذا فى مختار الصّحاح .

يعنى ــ أنّ من كان فيه الاعجاب بالنّفس والاستبداد بالرّأى بقى فى الوحشة والهمّ لا احد يقاربه ولاجليس يصاحبه بل يرغب كلّ أحدٍ عن صحبته، و يبقى هو محزوناً فى خلوته.

٨٤ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

أَغْنَى الْغِنىَ الْعَقْلُ

أقول: يعنى من كان ذا عقلٍ سليمٍ و طبعٍ مستقيمٍ فهو أغنى النّاس و ان لم يكن له مالٌ لانّ احتياج صاحب الاموال الى صاحب العقل أشدّ وأتمّ .

واعلم انّ منطوق هذا الكلام و مفهوم قوله سابقاً « أفقر الفقر الحمق » واحد ، وكذا مفهوم هذا ومنطوق ذلك فيكون كلٌّ منهما مقرّراً لآخر وتصريحاً بما علم التزاماً .

٨٥ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

اَلطّامِعُ فِى وَثاقِ الذُّلِّ .

أقول : يعنى لاتحم حول الطّمع مهما استطعت ؛ فانّ من تمسّك بحبله تقيّد بقيد الذّلّ والهوان .

٨٦- قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

اِحْذَرُوا نِفارَ(١) النِّعَمِ فَما كُلُّ شارِدٍ بِمَرْدُودٍ .

أقول: النّفار من نفرت الدّابّه تنفر بالكسر نفاراً وتنفر بالضمّ نفوراً و شردالبعير نفروبابه دخل و شراداً ايضاً بالكسر فهوشارد وشرود.

يعنى — اذا توجّه اليك وفورالنّعم و وقع فى يدك صيود الايادى اجتهد فى تقييدها بقيدالشّكر والتّعظيم ودوام الخدمة والتّكريم ؛ فانّ شكرالمنعم على المنعم عليه واجبٌ عقلاً ونقلاً ، واحذر عن النّفاروالشّراد بترك اداء حقّها فانّه ليس كلّ شاردٍ بعائد .

٨٧- قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

أَكْثَرُ مَصارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْأَطْماعِ .

أقول: المصارع جمع المصرع بوزن المجمع من الصّرع وهو علّة وآفة معروفة ، **والبروق** جمع ومصدر والمراد ههنا الجمع.

يعنى — انّ آفة كلّ عقل و هلاكه كثيراً ما تحت معانى الطّمع و ظلمته(٢) ليس كبرق السّحاب فانّه دائر بين النّفع و الضّرّ بل نفعه أقرب من ضرّه و برق الطّمع ضرٌّ محضٌ وهلاك بحت .

---

١ - فى الاصل فى كلا الموردين : « انفار ».

٢ - يشبه ان يكون « ظله » .

٨٨-قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

مَنْ أَبْدٰى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ مَلَكَ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْحقِّ هَلَكَ.

أقول: الابداء افعال من بدا الامر اى ظهر من باب سما؛ يقال بدا القوم اى خرجوا الى باديتهم؛ و بابه عدا، **وصفحة الشّيء** جانبه.

يعنى – من أظهر جانبه للحقّ مقبلاً عليه قابلاً له صار من جملة المالكين الحافظين للنّفس والعرض والدّين، ومن أعرض عن الحقّ صفحاً ونأى بجانبه عاد من عداد الهلاكين الهادمين للدّين والعرض، النّادمين يوم الدّين والعرض.

٨٩-قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

إِذٰا أَمْلَقْتُمْ فَتٰاجِرُوا اللهَ بِالصَّدَقَةِ.

أقول: الاملاق افعال بمعنى الافتقار ولايبعد ان يكون من الملق وهو الودّ واللّطف[1] و يكون همزته للكثرة لانّ الفقراء يكثرون المودّة والمحبّة و يظهرون التّلطّف والملائمة للاغنياء، **و يجوز ان يكون** من الملقة[2] وهى الصّفاة الملساء فانّ بواطنهم مصفّاة من غمّ الدّنيا و علائقها وظواهرهم طاهرة لمساء عن تلوّث خبثها وعوائقها؛ فحينئذٍ تكون همزته للتّصيرورة.

---

١ - **فى الهامش:** « الظاهر ان استعمال الاملاق بمعنى الافتقار على كل من التقديرين بطريق الكناية و هو ذكر اللازم و ارادة الملزوم لان التلطف و الملائمة و صفاء القلب و الملاسة لازم للفقر كما ترى ؛ منه ».

٢ - الملقة واحدة الملق وهى الصفوح اللينة الملتزقة من الجبل .

يعنى – اذا خشيتم خشية املاق فعاملوا الله تعالى بالتّصدّق للفقراء فانّ من كان معاملته مع الله تعالى يغنه الله سبحانه بفضله وكرمه باعطاء الخلف فى الدّنيا والثّواب فى الاخرة قال الله تعالى: من ذا الّذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة[1] و لمّا كان يستعيض العبد من الله تعالى فى هذه التّجاره بل يأخذه منه تعالى بدليل قوله صلّى الله عليه [و آله] وسلّم: الّصدقة تقع فى كفّ الرّحمن قبل ان تقع فى كفّ الفقير؛ ولهذا لا رجوع فيها، شبّه بالمعامل ونزّل منزلته حثّاً للنّاس على الّصدقات و الخيرات و تعظيماً لشأن المواساة و المبرّات .

٩٠ – قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

مَنْ لانَ عُودُهُ كَثُرَتْ أَغْصانُهُ .

أقول : يعنى من كان ليّن الطّبع ضعيف الفؤاد بحيث لم يعاقب أحداً ولم يؤدّ به على الذّنب تكثر أعوانه و أتباعه و يغلبون عليه من غير خوفٍ ولا خشيةٍ و يفعلون ما يفعلون من الفساد والاذيّة[2] فلاجرم يخرجونه عن حدّ الاستقامة ويعيّره الخلائق بالتّوبيخ و الملامة كما انّ شجرةً اذا كانت ليّنة الجذعة وضعيفة الأصل تكثر أغصانها بحيث تغلب عليها و تجعلها معوجّةً غير مستقيمة .

٩١ – قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

قَلْبُ الْأَحْمَقِ فِى فَمِهِ .

يعنى – يعنى لاتصاحب الاحمق واتّق عن ان تظهر سرّك له؛ فانّه لا يقدر على

---

١ – صدر آية ٢٤٥ سورة البقرة ونص عبارة الكتاب: «ومن يقرض الله قرضاً يضاعفه له» .
٢ – هذا المعنى غير مستقيم والمراد الحلم الممدوح و حسن المعاشرة .

حفظ الاسرار لانّ قلبه فى طرف لسانه ؛ فمهما تحرّك اللّسان يظهرما فيه، وحفظ الأسرار انّما هو شأن الأحرار الأخيار ؛ كما **قيل** : صدور الأحرار قبورالأسرار.

٩٢ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

لِسانُ الْعاقِلِ فِى قَلْبِهِ .

أقول : **يعنى** اذا أردت الرّاحة و السّلامة فاصحب العاقل فانّ لسانه فى قلبه ؛ لايظهر سرّك ولا يهتك سترك ؛ و لهذا يقال : العدوّ العاقل خيرٌ من الصّديق الغيرالعاقل .

٩٣ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

مَنْ جَرىٰ فِى عِنانِ أَمَلِهِ عَثَرَ بِأَجَلِهِ.

أقول :**العنان** بالكسرما هوللفرس ؛ وبالفتح للسّحاب ، و **العثور** اذا استعمل بالباء يكون بمعنى السّقوط ، واذا استعمل بعلى يكون بمعنى الاطّلاع.

يعنى ــ من تمسّك بعنان أمله وجرى على ما يقتضيه تعلّق بشبكة الأجل و سقط ولايتيسّر له الوصول الى ما يأمله .

٩٤ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

اِذا وَصَلَتْ اِلَيْكُمْ أَطْرافُ النِّعَمِ فَلاتُنَفِّرُوا أَقْصاها بِقِلَّةِ الشُّكْرِ.

أقول : **يعنى** اذا وقع فى يدك طرف من النّعمة فاجتهد فى تحصيل الطّرف الآخر

بکثرة الشّکر فانّ الشّکر یبقی السّابق و یجلب اللّاحق؛ بدلیل قوله تعالی: لئن شکرتم لازیدنّکم[1]
فان قیل: انّ هذه الایة تدلّ علی انّ الشّکر سببٌ لزیادة اللّاحق ولا تدلّ علی کونه سبباً لبقاء السّابق؟ **قلنا**: هذا ممنوعٌ فانّ زیادة اللّاحق تستلزم بقاء السّابق؛ فالدّلالة علی الزّیادة تستلزم الدّلالة علی البقاء؛ فافهم.

٩٥- قال أمیر المؤمنین رضی الله عنه:

اِذٰا قَدَرْتَ عَلٰی عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْرَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ.

أقول: **یعنی** انّ القدرة علی قهر العدوّ نعمة؛ والشّکر علی النّعمة واجب، والعفو لکونه ممّا أمر به الشّارع من جملة الشّکر؛ فاذا أردت الشّکر علی هذه النّعمة فالاولی ان تشکر بالعفو عنه؛ فانّه أمر مرغوب فی نفسه، سببٌ لارتفاع شأن صاحبه کما حکی أنّ داود النّبیّ ـ علیه الصّلوة و السّلام ـ سأل کلاماً من أبنائه فی آخر حیاته وهو: اذا أذنب أحدٌ کیف تعاقبه؟ـ فأجاب کلّ واحدٍ منهم وقال: أعاقبه علی قدر ذنبه، ثمّ سأل سلیمان النّبیّ علیه الصّلوة والسّلام عنه فأجاب هو وقال: عفوته، ثمّ سأل فقال: فان عاد فکیف تفعل؟ـ فقال: عفوته، ثمّ قال: فان عاد فکیف تفعل؟ـ فقال: عفوته، ثمّ بعد مرّاتٍ کثیرة من السّؤال والجواب قال سلیمان: عفوته حتّی یستحیی ان یعود الی ذلک الذّنب؛ فدعاله داود علیه السّلام وقال: أنت أحقّ بالحکومة والسّلطنة و ألیق بالجلوس فی سریر الخلافة؛ والله أعلم بالصّواب.

٩٦- قال أمیر المؤمنین رضی الله عنه:

مٰا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً اِلّاٰ ظَهَرَ فِی فَلَتٰاتِ لِسٰانِهِ وَصَفَحٰاتِ وَجْهِهِ.

أقول: **یعنی** لاتظنّ انّک تضمر معنیً فی قلبک و لم یطّلع علیه أحد فانّه أمرٌ

---

١ ـ من آیة ٧ سورة ابراهیم وتمام الایة کذا « واذ تأذن ربکم لئن شکرتم لازیدنکم ولئن کفرتم ان عذابی لشدید ».

لايقدرعليه أحدٌ لانـّه قد يظهر فى بشر وجهه و صفحاته و يعلم فى أثناء ألفاظه و كلماته ؛ بالانفلات عن طرف[١] لسانه فى عباراته .

٩٧ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

اَلْبَخِيلُ مُسْتَعْجِلُ الْفَقْرِ يَعِيشُ فِى الدُّنْيا عَيْشَ الْفُقَراءِ، وَيُحاسَبُ فِى الْآخِرَةِ حِسابَ الْأَغْنِياءِ.

أقول : يعنى ايـّاك من البخل فانّ البخيل يخاف من الفقر دائماً ويدوم حزنه ؛ يعيش فى الدّنيا بالذّلّة والقلّة وهوجائعٌ غيرشبعان وعطشانُ غير ريّان؛ ينهمك فى جمع الدّنيا الى ان يموت بالتّعب والمشقّة ثمّ هويموت ويترك ماله للورثة ويحاسب يوم القيامة حساب من هوصاحب الأموال الكثيرة ، **وامّا السّخىّ** فانـّه يعيش فى الدّنيا بالوسع والرّخاء ويذكر بين الخلائق بحسن الذّكر والثّناء ، ولوحوسب فى الاخرى يحاسب حساباً يسيراً ان شاءالله تعالى ؛ أعاذنا الله تعالى بلطفه عن عذاب البخل فى الدّنيا و عذاب النّار فى الاخرة انـّه ملجأ العالمين .

٩٨ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه:

لِسانُ الْعاقِلِ وَراءَ قَلْبِهِ .

أقول : وراء بمعنى خلف وقد يكون بمعنى قدّام[٢] وهى من الاضداد؛ واذا لم تضفه

---

١ ـ فى المتن : « حرف » (الحرف الاول اما حاء او صاد) .

٢ ـ فى الهامش : « و منه قوله تعالى: وكان وراء هم ملك (اى اماسهم) فى سورة الكهف و قصة موسى عليه السلام مع الخضر ؛ منه » .

قلت : لقيته من وراء ؛ فترفعه على الغاية كقولك : من قبل؛ كذا فى مختار الصّحاح .

يعنى – انّ العاقل لايتكلّم بكلام إلّا بعد ان يتفكّره فانّ لسانه خلف قلبه فيتفكّر أوّلاً ثمّ يتكلّم، ولا كذلك لسان الاحمق فانّه أمام قلبه ولهذا يتكلّم قبل التّفكّر ويحصل له النّدم والتّحيّر.

٩٩ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

قَلْبُ الْأَحْمَقِ وَرٰاءَ لِسٰانِهِ .

أقول : يعنى أنّ الاحمق لايتكلّم بالفكر و التّأمّل بل يتكلّم كلّما سمعه خيراً كان اوشرّاً ؛ نفعاً كان اوضرّاً ، لانّ قلبه الّذى هوموضع التّأمّل والفكر خلف لسانه الّذى هومحلّ التّكلّم والتّلفّظ ؛ فيكون مغموراً به مستوراً تحته ؛ فلا يقدر على الفكر بل وظيفته هوالتّكلّم فقط فالأولى بشأنه ان لايتكلّم أصلاً الّا عند الضّرورة.

١٠٠ـ قال أمير المؤمنين رضى الله عنه :

اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ رَمَزٰاتِ اللَّحٰاظِ ، وَسَقَطٰاتِ الْأَلْفٰاظِ ،
وَشَهَوٰاتِ الْجَنٰانِ ، وَهَفَوٰاتِ اللِّسٰانِ

أقول: اللّهمّ اصله يا الله عندالبصريّين والميم عوضٌ عن حرف النّداء؛ ولذلك لايجتمعان وهومن خصائص هذا الاسم كدخول يا عليه مع لام التّعريف وقطع همزته وتاء القسم فلايقال مثلاً : زيدمّ و رحمانمّ كما لايقال : يا الرّحمن وتا الرّحمن ، **وعندالكوفيّين اصله** : يا الله اُمّنا بخيرٍ اى اقصد لنا بخيرٍ فحذف حرف النّداء ونزعت الهمزة من امّ ووصلت الميم بالهاء فحذف ما يتعلّق باُمّ من المفعولين احدهما الضّمير والآخر بخيرٍ طلباً

للتّخفيف لكثرة الاستعمال، و **الغفر التّغطية والسّتر** وبابه ضرب، و **الرّمزات** جمع رمزة وهي الاشارة بالشّفتين والحاجبين و **المراد** ههنا مطلق الاشارة بقرينة الاضافة، و **اللّحاظ** بفتح اللّام مؤخر العين، و**السّقطات** جمع السّقطة بالفتح وهو العثْرة والزّلّة، و **الالفاظ** جمع اللفظ وهو اسمٌ لامصدر، و**الشّهوات** جمع الشّهوة وهي معروفة، و**الجنان** بالفتح القلب، و**الهفوات** جمع الهفوة وهي الزّلّة.

يعني — يا الله استر بفضلك العميم ولطفك العظيم عيب ما صدر من العين واللّسان ونقص ما ورد ممّا لاينبغي على الجنان انّك انت الرّؤف الرّحمن المحسن المنّان ؛ **وهذا الدّعاء** يحتمل الخصوص له ـ رضي الله عنه ـ والعموم له ولجميع المسلمين؛ و العموم أنسب لظاهر كلامه وأوفق بعلوّ شأنه وأهمّ مرامه؛ فانّه موصوفٌ بايصال الخير الغير و معروفٌ بارادة النّفع لجميع المسلمين، **ولعلّ وجه تخصيص هذه الاعضاء بالذّكر** هو انّ هذه الاعضاء كالأصل و المدار لسائرها و ذلك انّ القلب مدارٌ لصلاح البدن و فساده بدلالة قوله صلّى الله عليه [و آله] وسلّم انّ في البدن مضغةً اذا صلحت صلح البدن واذا فسدت فسد البدن ؛ الاوهي القلب، وانّ اللّسان مع كونه أصغر جرماً أكبر جرماً ؛ لظهور الكبائر منه نصّاً ومن غيره دلالةً، وانّ العين كالعين[1] لسائر الاعضاء تتجسّس وتتفحّص لها وتفعل هي ماتفعل بسببه[2] ؛ والله أعلم.

وعلى الخير والصّلاح نقطع الكلام راجين من الله تعالى الفلاح والفوز بالنّجاح انّه هو الوهّاب الفتّاح، وشاكرين حامدين على التّمام انّه هو المشكور على اضافة نعمه، والمسؤول

---

١ ـ **في الهامش** : « قال صاحب الكشاف حين فسر قوله تعالى : قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم و يحفظوا فروجهم ؛ الاية في بيان تقديم الغض على حفظ الفرج: لان النظر رائد الفجور و البلوى فيه أشد و أكثر ؛ الى هنا عبارته. ولا شك ان كون النظر رائد الفجور اى رسوله معنى مناسب لكون العين التى هى محل النظر جاسوساً الى جانب الفجور من جانب الاعضاء ؛ منه ».

٢ ـ في الهامش : « الضمير للمتجسس المذكور في تتجسس من قبيل قوله تعالى : اعدلوا هو أقرب للتقوى ؛ منه ».

خاتمة السّعادة بفضله وكرمه، والصّلوة والسّلام الأتمّان الاكملان على سيّدنا محمّدٍ وآله وأصحابه أجمعين.

مؤلّفه ومحرّره عبدالوهّاب رحمه‌الله ولد خوجه اميرادنه و هوابراهيم بن پير پاشا؛ تمّت.

تمّ تصحيحه فى اللّيلة الثّالثة والعشرين من شهر رمضان المبارك (وهى ليلة الجهنّى) من سنة تسعٍ وثمانين وثلاثمائة بعد الالف من هجرة نبيّنا صلّى‌الله عليه وآله وسلّم.

مير جلال الدّين الحسينىّ الارموىّ المحدّث

نجز طبع الكتاب بحمدالله الملك الوهاب
لخمس ليال مضين من جمادى الاولى من سنة ١٣٩٠ من الهجرة النبوية
موافقاً لتأريخ
١٣٤٩/٤/١٨ هـ. ش.

وليعلم أنّي وجدت نسخة هذا الشّرح ضمن مجموعة كانت فى مكتبتى فطبعتها كما وجدتها من دون تصرّف فيها ، وحيث انّى لم أعرف الشارح وكانت الصّفحة الأخيرة من النّسخة مشتملة على اسم الشّارح وضعنا رموز تلك الصّفحة فى آخر الكتاب لعلّ الناظر فيها يطلّع على أكثر ممّا استفدناه منها ؛ والسّلام على من اتّبع الهدى.

راموز الصفحة الاخيرة من نسخة شرح الكلمات التى أسس عليها أساس طبع الكتاب

كلمة الختام

ويلزم عليناههنا ان نشكرالّذين سعوا فى إخراج هذاالكتابوطبعه ـ جعلالله سعيهم مشكوراً وعملهم مبروراً وجزاهم عن الاسلام وأهله خيرالجزاء ـ، ونكلاليه تعالى أمرالّذين تقاعدوا عنتسهيل أمرالطّبع بعد أن تهيّأت أسبابه بل قصّروا فيه و فرّطوا ؛ اللّهمّ اقض بيننا و بينهم بالحقّ و أنت أحكم الحاكمين .

فهرس كلمات الامام

الّتى هى مواضيع الكتاب

العدد	الكلمة	الصفحة

العدد الكلمة	الصفحة
٦٧ ـ الحكمة ضالة المؤمن	٥٠
٦٨ ـ كثرة الوفاق نفاق ، وكثرة الخلاف شقاق	٥١
٦٩ ـ رب أمل خائب	٥١
٧٠ ـ رب رجاء يؤدى الى الحرمان	٥٢
٧١ ـ رب ربح يؤدى الخسران	٥٢
٧٢ ـ رب طمع كاذب	٥٣
٧٣ ـ البغى سائق الى الحين	٥٣
٧٤ ـ فى كل جرعة شرقة، و مع كل أكلة غصة	٥٤
٧٥ ـ من كثر فكره فى العواقب لم يشجع	٥٤
٧٦ ـ اذا حل القدر بطل الحذر	٥٥
٧٧ ـ اذا حلت التقادير ضلت التدابير	٥٥
٧٨ ـ الاحسان يقطع اللسان	٥٥
٧٩ ـ الشرف بالفضل والادب لا بالاصل والنسب	٥٦
٨٠ ـ أفقر الفقر الحمق	٥٦
٨١ ـ أكرم الادب حسن الخلق	٥٧
٨٢ ـ أكرم النسب حسن الادب	٥٧
٨٣ ـ أوحش الوحشة العجب	٥٨
٨٤ ـ أغنى الغنى العقل	٥٨
٨٥ ـ الطامع فى وثاق الذل	٥٨
٨٦ ـ احذروا نفار النعم فما كل شارد بمردود	٥٩
٨٧ ـ أكثر مصارع العقول تحت بروق الاطماع	٥٩
٨٨ ـ من أبدى صفحته للحق ملك ،و من أعرض عن الحق هلك	٦٠
٨٩ ـ اذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة	٦٠
٩٠ ـ من لان عوده كثرت أغصانه	٦١
٩١ ـ قلب الاحمق فى فمه	٦١
٩٢ ـ لسان العاقل فى قلبه	٦٢

﴿ تمّ الفهرس ﴾